الأدب السنغالي العربي

الهديّة السنغالية من المرجان في العقود الأدبية للعربان

تأليف الأستاذ المبرز
الدكتور عامر صمب
مدير المعهد الأساسي لافريقيا السوداء

الجزء الثاني



الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر

مدرسة كَوْلَخْ

انّ كَوْلَخْ هي مدينة كبيرة واقعة في ضفّة نهر سَالُمْ بالقرب من المصب وهي أهم مركز في هذه المنطقة وهي « عاصمة الفستق » كما قيل ونحن لا نبالغ إذا قلنا إن الإسلام قد أتى هاهنا بمعجزة حقيقية بحركاته الدينية والثقافية : إذ نرى فيها عائلة صارت بجاه الإسلام وفضله ترقى إلى أعلى درجات المجتمع ، وإلى ذروة المجد الإسلامي ، بسعة علومها وبعلامات ولايتها وبحميتها في الدّعوة إلى الإسلام وبنفوذها الرّوحيّ الذي لا يزال زائداً وبطموحها في طلب العلم وبمساهمتها القوّية في تنمية تعليم علوم الإسلام وبآثارها الأدبية الهامة ألا وهي أسرة النَّيَاسِيِّينْ الْجُلُفِيِّينَ أصلاً . قال إبراهيم مَرُونْ في كتابه « الطريقة التجانية في السنغال » ما نصه : « لمّا غادر الإمامُ مَابَهْ جَخُ فُوتَ طُورُ للجهاد في سبيل الله إلى سَالُمْ كي يوّحد هذه المنطقة السنغَالِيَّة باشراف الإسلام صحبه عبد الله انِيَاسْ رحمة الله تعالى عليه وكان في زمانه من رؤساء الطريقة التجانية وقد ساهم جدّ المساهمة في نشر الورد التجانيّ وتتلمذ عليه كثير من الأدباء » .

ومن أولاد الشيخ عبد الله انِيَاسْ السيدان الكريمان محمد وإبراهيم وما لنا شيء من آثار الحاجّ عبد الله هذا ولكن ربما كان متبحراً في شتّى الفنون وكان شهيراً بتقواه وورعه واخلاصه في الدين وتفانيه في شؤون الإسلام وسعة علومه فهذه قصيدة قالها الشيخ امْبَكْ بُسُهْ يرثي العالمين الشهيرين الحاج مَالِكْ سِهْ والحاج عَبْدُ اللهِ انْيَاسْ رحمهما الله :

يـا ثلمة في ديننـا الإسـلام ... مـن قلع قرني هـامـة الأعلام

السيديـن العـالـمين النـاسكيـ ... ـن المسلكين لحضرة العـلام

شمس وشمس عام شمس[1] غابتـا ... فبكى الورى لتكاثف الاظـلام

---

(١) فهذا العام هو ١٣٤٠هـ ، الموافق لسنة ١٩٢٢م .

من للطريقـة والمـدارس والمنا	بـر والمهـارق بعـد والأقـلام
أو مـن لحلّ المشكلات إذا ونـت	أفكـار كـل مـدقّق مفهـام
واملكـاً للسنـة الغـرّاء والـ	ـقربى وللضعفـاء والأيتام
مـا ليث غيـل مثـل عبـد الله في	يـوم الحروب البـاسـل المقدام
لـو أن نفسـاً مـن حمام تفتـدى	لفداكمـا ألـف مـن الآنـام
لكنه حـتم وقـد أبقيـتمـا	ذكـراً جميلاً والثنـاء السّامـي
فجزيتما عنّا وعـن نفسيكمـا	بالـروح والـريحـان والاكـرام

وكان الشيخ عبد الله انْيَاسْ « حجة الإسلام ومصباح السلام وحامي الشريعة ومحبى الطريقة التجانية ... الصوفي السني ... ومحرّر جميع الفنون ما بين الفروع والأصول لا سيما الكتاب والحديث وقال الحاج إبراهيم انياس : انّ الوالد هذا قد فسّر القرآن لرجال ما ينيف على مائة مرّة وقد حجّ وزار وجاهد في الله أحسن مجاهدة » .

الخليفة الحاج محمد انيَاسْ

فهذه ترجمة وجيزة للحاج محمد وجدتها في مقدمة « الجيوش الطالع بالمرهقات القضع إلى ابْن مَا يَا بَى أخي التنطع » .

« هو الحاج أبو عمر محمد بن الحاج الشيخ عبد الله الْكَوْلَخِيُّ وطنًا الْجُلُفِيُّ منشأ . ولد أبو عمر طائعاً قرب رأس القرن الرابع عشر (في كَوْلَخْ سنة ١٨٨١ م) ونشأ في صيانة وعفافة وديانة في حجر والده البّر يدرس الليل والنهار حتى نبغ في جميع الفنون المقروءة بهذا القطر . ثم أخذ يتربّى على والده المذكور حتّى بلغ مبلغ الرجال فتاقت نفسه للحج وزيارة نبينا صلى الله عليه وسلم فسافر عام ١٣٣٨ هـ (= ١٩١١ م) ورافقه والده حتّى وصل إلى فاس فبقي والده عند زاوية شيخنا رضي الله عنه [1] فذهب هو وحجّ وزار ثمّ رجع إلى والده ثم رجعا إلى سنكَالْ وكان خليفة في حياته .

---

(١) وهذا الشيخ هو السيد أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية .

« ثم رجع لزيارة فاس بعد موت والده عام ١٣٤٢ هـ (= ١٩٢٣ م) فأجازه حفيد شيخنا رضي الله عنه – أعني : شيخنا سيدي محمود ابن شيخنا محمد البشير ابن شيخنا محمد الحبيب ابن القطب المكتوم والبرزخ المختوم سيدي أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه وأخاه سيدنا محمد الكبير .

أمّا الأوّل – فقد لقيه في الدار البيضاء . وأمّا الثاني – فقد راسله . وكلاهما أطلق له الإجازة إطلاقاً عاماً دائماً – .

« وله ديوان في مدح شيخنا رضي الله عنه وقد أشار فيه إلى كثير من الفنون : كاللغة والنحو والتصريف والتجويد والرسم والتفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة ، وكعلم الحديث ومصطلحه ومتونه وأسانيده ، والفقه وأصوله ، والمنطق وقضاياه وأشكاله ، والبيان والبديع والمعاني والزمن ، والآفاق ، والحكمة والمقولات العشر ، والهندسة ، وعلم القروض ، وحقيقة السيمياء ، والكمياء ، وعلم الكلام ، وعلم التصوّف ، وتصفية النفس بالمجاهدات ، وعلم الرياضيات .

« وكل ذلك بحمد الله أبينه لشرحي لديوانه في مدح الشيخ التجاني رضي الله عنه في محله ، مع أنّي قصير الباع وبضاعتي مزجاة في جميع ما ذكرت . مع أني أكثر ما بينت ، أنّما أبينه من صدري ... » نشأ بمحبة نبينا صلى الله عليه وسلم . وكان في صغره لا يتجرأ أحد أن يقول : إن أمه ليست آمنة ! فان قال له ذلك ، ناله منه سوء ، ويقول : لا تقدر امرأة أن تكون أمّي غير آمنة ؟ » كأنّه يشير إلى موافقته صلى الله عليه وسلم في اسمه واسم أبيه واسم أمه !

« ثم قال : إنه أخبره الثقة عنده أنّه لمّا كان في سابع ولادته رأى والده النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له : قد سمّيت ابني هذا باسمك ؟

فناوله اياه ، فأخذه وضمّه اليه ، حتّى مكث ساعة ، وردّه إلى أمه !

وكان رحمه الله تلميذاً موهوباً جدّاً وإماماً بسيطاً ومعلماً جيّداً خبيراً بسيرته صلى الله عليه وسلم .

مؤلّفات الخليفة الحاج محمّد انْيَاسْ

قد أفرد خمسة عشر كتاباً نثراً أو شعراً لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وله

ديوان ضخم في مدح الشيخ أحمد التجاني قدس الله سرّه .

ومن جملة ما كتبه في مدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمجموعه المسمّى « مرآة الصفاء » هو أشهره قد طبع بمطبعة دار التأليف بالقاهرة في مصر سنة ١٩٥٥ م . فاحتوى على ٦٨٠ بيتاً في بحر الخفيف بالقافية الهمزية وقد عقد له أحمد بن المختار العلوي المُورِيتَانيُّ شرحاً مبيناً وقد أتمّت سبع قصائد تقريظية هذا الديوان الذي له ٣١٠ صفحة فهاكم نبذة منه :

١	أنت للكون بهجة وبهاء	وتجلت بنورك الظلماء
٢	أنت لولاك لم يكن كل كون	ولما زال عن ذويه الشقاء
٣	ضاء منك الوجود حتى استنا	رت من مقاييس ضوئك الأنبياء
٤	ولهم منك كلهم معجزات	عجزت عن أمثالها الاصفياء
٥	ظهر البعض من صفاتك فيهم	فهم أنجم وأنت ذكاء[1]
٦	أنت كنز الإله والذخر والعز	ز منك استمدت النعماء
٧	أنت باب الإله أنت المرّجى	أنت من أدواء القلوب شفاء
٨	أنت للكرب كاشف ومغيث	إن أتتنا البأساء والضرّاء
٩	نال منك الهدى ذووه بفضل	من كريم ينيله من يشاء
١٠	بك أوصى من قبل آدم شيثا	لك تختار كي تطيب النساء
١١	وهو شيث الوصيّ من كان فرداً	حيث كانت توائم الأنبياء[2]
١٢	امهات ما قارفت قطّ ذنبا	محصنات لم تنحها الفحشاء
١٣	نظم درّ في سمط عزّ وفخر	وعلو من دونه الجوزاء
١٤	لك أصل في الساجدين وفرع	وعلو علت به الحنفاء

ثم ذكر آباءه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان الجدّ العشرين فوقف كما في

(١) الذكاء هو الشمس في الشرح لأحمد بن المختار .

(٢) الشرح : يعني أن شيثاً كان فرداً في بطن حواء ، وكان أبناؤها توأما كل اثنين في بطن ذكر وأنثى وأفرده الله تعالى خصوصية له لما أودعه من نوره صلى الله عليه وسلم .

الخبر « لا ترفعوني فوق عدنان » ثم ذكر كل ما جرى في ليلة مولده صلى الله عليه وسلم من معجزات .

٨٥ ليـل الاثنين في يـب مـن ربيع قـد تجلت عنّا بـه الظلمـاء
٨٦ قابضـاً كفـه مشيراً بسبـا بتـه للعلوّ وهـو العـلاء
٨٧ وتدلـت زهر النجوم وضـاءت كل أرض كما يرى البصراء
٨٨ خمدت نار فارس بعدما طا ل اضطـرام لهـا وغاض الماء
٨٩ ورأى المـوبـذان خيـلاً عـرابا قطعت دجلـة وفيها اللـواء
٩٠ ولعبـد المسيـح قـال سطيح مـا أتـت عـن شق بـه الأنباء
٩١ كسرت جفنـة كفوهـا عليـه أو للشمس قـد يكون غطـاء
٩٢ ولفتـح الجنان قـد جاء ذكـر وتـوالى مـن البشير النـداء
٩٣ ولعرش اللعين منـه سقـوط وترامـت أركانـه والبناء
٩٤ منع الجنّ من مقاعد سمـع شهب ترميهـا بهـا الأمناء
٩٥ أخصبت أرض مكة يا لها اذ ولـد المصطفى وزال العنـاء

ثم ذكر الشاعر سقوط الاوثان وشرفات ايوان كسرى أنو شروان وميلان البيت الحرام وزلزال الكعبة لمولده صلى الله عليه وسلم . واقامته عند السيدة حليمة بنت أبي ذؤيب وموت أمه آمنة بنت وهب وهو ابن خمسة أعوام وكفالتي عبد المطلب وأبي طالب وأسفاره إلى الشام وقصة بحيرا وتنبيهه وأزواجه إلى دفنه صلى الله عليه وسلم .

٦٦٨ حفروا لحـده وعالوا عليـه لبنات تسعاً ونعـم البناء
٦٦٩ آخـروالخافـرين عهداً بطـه قـثم أنهـا لـه علبـاء
٦٧٠ ثـم رش القبر الشريـف بـلال بذنـوب لها الـدلاء فـداء

انّ للشاعر من سبقوا إلى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل كعب بن زهير وحسّان بن ثابت ولا سيّما محمد البوصيريّ غير أنّ الخليفة الحاج محمد اينَاسْ له مكانة مرموقة عند أكابر مادحي نبينا صلى الله عليه وسلم إذ ألف خمسة عشر كتاباً في السيرة وهذا ليس بأمر تافه .

فأسلوبه مركّز مقتضب كاد أن يكون برقياً فرحباً بالشرح الذي سار وإياه .

وكما كان مادحاً للمصطفى صلى الله عليه وسلم كذا كان مادحاً للشيخ أحمد التجاني وله ديوان في مدحه رضي الله عنه وهو (الكبريت الأحمر في مدائح القطب الأكبر) طبع في القاهرة سنة ١٩٥٥ م وشرحه محمد المختار الشريف الحسني العلوي المُورِيتَانِيُّ . واحتوى على ٣٢٤٦ بيتاً ورتّب الشاعر ديوانه على عدّة قصائد ترتيب حروف الهجاء ولمّا اعتبر اللألف حرفاً وجدنا ٢٩ قصيدة والهمزية هي أطول منها إذ لها ١٧١ بيتاً وأطول من الهمزية هي اللامية التي لها ٢١١ بيتاً .

وقد تكون كل قصيدة مبنية على شتّى أبحر مثل الهمزية التي نظمت على ثلاثة أبحر : على الرجز ، ثم على البسيط ، واخيراً على الرجز أيضاً : فدونكم نبذة .

قد أشرقت شمس السما وقت الضحى ... فتنوّرت آفاقها بضياء
وجلت دجى ليل بهم دجنّة ... فتراكمت أنوارها ببهاء
حتى رأى كل الورى أنوارها ... تجلو عن الأبصار كل غطاء
فغدا بهم بحسنها من لم يهم ... وسلا المحب معاهد الحوراء
كم خامرت قلب المتيم نشوة ... من حبها لا نشوة الصهباء
ولكم هدت حيران في ظلم الهوى ... للحقّ بعد تمنّع وإباء
هذي طريقة شيخنا من أرشدت ... للحقّ بعد ضلالة وشقاء
عمّت جميع الخلق فهي لهديها ... ولنورها كالشّمس في الأضواء
وبعين ماض كان بدء شروقها ... وبفاس قد سطعت على الأرجاء
ياقوتة ما مثلها من جوهر ... برزت بحضرة مالك النعماء
وحبى النبي بنيلها أستاذنا ... أكرم بها من تحفة وحباء
شيخ الشيوخ أحمد بن محمد ... فأولئك الأشراف هم آبائي[1]
حاز الكمال من النبي وراثة ... عين الكمال ومنبع العلياء
قوم كرام لا يخيب جليسهم ... نالوا العلى من واهب اللألاء

---

(١) لأنّ النسب الدينيّ مقدّم على النسب الطينيّ .

إلى أن قال :

يـــا شيخ جد لقتيل حبّ شفه حبّ اللقـاء بوصلـة ولقـــاء
كم ضلّ ذو جهـل فنـــال هداية بنجـوم هديك بعد طـول عناء
أنــت الــذي نلـت الخـلافـة منّة مـن جدك الهادي بغير مـــراء

إلى أن قال :

أقسمــت مـا في الأوليـاء شبيهــه إلا مشبه كوكب بـــذكـاء

إلى أن قال في بحر البسيط :

يـــا لقلـــب متيـــم مستهـــام بجمـــال الحبيب حلـــف ضناء
مـــا تغنــت بأيكهـا الورق أو فـاح نسيم مـــن روضـة غنّـــاء
شغـف القلـــب حبّ شيخـي قديما لا هـوى زينب ولا أسمـــاء
دائـــم الشوق والحنـين اليـــه أرتجـــي منـــه عطفـه بلقـاء
... يا ملاذي انّي لوصلـــك صـاد ذو حنين وزفـــرة وبكـاء
جـــار شوقي على فـؤادي فلولا وابل الـدمع لاصطلـت أحشائي
يـــا شفا غلتي فأنـت طبيـــبي فـدوني بوصلكـم وهو دائي
فاحمـــني ممـــا أخشيه وكـــن لي ملجـأ إنّني إليـــك التجـــائـــي

وقال أيضاً :

زارتـــك اذ نام كل القوم اسماء ودونهـــا مهمه فقر وتيهـــاء
كـــم دونها من بلاد لا أنيس بهـــا للجنّ فيها بجنـح الليل غوغـاء
باتت تعاطيك من خمر الوصال بما اشفى به كبد بالشوق حـرّاء
ثـــم انثنــت فكأنّـــا كأن يـــرقبنـا صبـح له في نواحي الأرض اسراء
فأوقـــدت لهباً في الأرض ليس لـــه إلا بوصـــل ممد الخلـــق اطفـــاء
شمس الهدى من سقانا من طريقتـــه بفيضه ينجـلي من شربهـــا الداء
كم فيضة منـــه للارواح جـــاذبـــة إلى الاله لهـــا بشر وسرّاء
وهمة تقلب الأعيان كـــم قلبت قلبـــاً نضاراً نضيرا وهـــو صفواء

يـا لائمـي في هوى شيخي يحذرني ... قصّر عن اللوم فالتحذيـر اغراء [1]
أشواقـه خامرت قلبي مدامتهـا ... كما يخالـط منهـا القلـب سرّاء
بوجهه وبيمنـاه استبـدّ بنـا ... مـن البشاشـة أنـوار وأضـواء
فـإن تكـن طالبـاً للسّرّ فهـو له ... مراكز السّرّ والعـرفـان جمعاء
كانت مقامتـه العليا عـلى طرف ... مـن العلا دونهـا في السّير اعيـاء
... يا سيدي انّني أصبحـت منتسباً ... إلى حمـاك ولي في السّير ابطـاء
... مـا تيّم القلب إلا حسن طلعتكم ... لا روضة من رياض الحسن غنّاء
ولا منعّمـة تسـبي ببهجتهـا ... جيـداء فاترة الأجفان لمياء
جميع هـذا تسلّى القلب عنـه إلى ... منـازل دونهـا نسر وعـوّاء
... وارزق لنـا بدوام الدهـر عافية ... مـن كـل داء فلا يبقى بنا داء

وله أيضاً :

زار زوري وإزداد وذّاً ووردا ... وروى اذرءاه درّاً ووردا
ووداد آل دراء وزاد ... رب وارزق وارأب وداداً ووردا
أرانـا بحمـد الله في كـل ساعة ... نلـوذ بذا الشيخ التجاني أحمـدا
ومـن نال ختمَ الولايـة وارثـاً ... نبي الهـدى طه الأمـين الممجـدا

وله أيضاً :

ما شاق قلبي صوت الشادن الغردي ... ولا ابتسام الثنايـا الغرّ عـن بردي
ولا تثنّى مـلاح بالحمـى بـرزت ... تختـال في حلل مـن عيشها الرغدي
ولا وصـال لدعد بعدمـا مطلت ... وحبّذا الوصل بعد المطل من دعدي
لكن إلى زورة يحيـا الفـؤاد بهـا ... بعد الكرى من مفيض السّر والمدد
شيخي مدير كؤوس الحبّ صافيـة ... ومـذهب الهمّ والأحـزان والكمد
لا تبصر العين حسنا غـير طلعتـه ... وحبّه في الصبا قد قد في خلدي

---

(١) انظر إلى بيت أبي نواس :

دع عنك لومي فإنّ اللوم اغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

هجرت أهـلي وأوطاني لزورتـه وما أثمر من مال ومـن ولـدي
جبت البراري وخضت البحر ذا لجج حتّى وقفت لـدى شيخي ومعتمدي
هو التجـاني أبـو العباس مرشدنـا إلى الهـدى وإلى الرضوان والرشد
يا سيدي ذا مريد يستجير بكم من صولة الذئب أو من صولة الأسد
من كان منك على الأعداء منتصرا فلم يخف صولة الضرغام ذي اللبد
ولا ظبات سيوف الهند تحملهـا بين الميـادين أهل الباس والجلد
انّـي بحبلك لا أنفكّ معتصما لم أخش من طلب كلّا ولا رصد
يـا بغية القلب يا عرش الحقائق يـا سرّ الوجود وكنز الواحد الأحـد

ولقد ألف الشيخ الحاج عبد الله انْيَاسْ والد شاعرنا كتاباً مسمّى بـ (تنبيه الناس على شقاوة ناقضي بيعة أبي العباس)[1] قائلاً في التوطئة ما نصه : « انّي لما رأيت جل أهل هذه البلاد غرهم المدّعون الدالون على غير المراد فاغترّوا بذلك حتّى نقضوا عهد سيد الأولياء أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه بل نقضوا عهد سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم عدد فضله عليه وقدره ومقداره العظيم لديه . وضعت هذا الكتاب ناصحاً لهم وآخذاً بحجزهم ليصلح الله بالهم هذا مع علمي بأنّي لست أهلاً للتأليف لا ولا من أهل الإنشاء والتصنيف لكوني لست من أهل العلم والدراية ولا من أهل النحو ومن حمل في صناعته الرّاية وما حملني على هذا إلا شدّة محبّتي في أهل هذا الجناب ورغبتي فيهم رغبة تامّة بلا التفات لأنّ من التفت عنهم أصابته الآفات . يا مطالع كتابنا فاصفح واسمح لنا واقبل عذرنا لانّي اعتذرت وسبب وضعي ذكرت ومن أقام العذر لنفسه سقط عنه اللوم كما قال القائل :

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبـه وكـل امرئ لا يقبل العذر مذنب

هذا أوان الشروع في المقصود بعون الله الملك المعبود فرتبته على مقدمة وثلاثة

(١) طبع على ذمة المطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه بالجزائر سنة ١٣٢٨هـ ، الموافق لسنة ١٩١٠م .

فصول وخاتمة . أما المقدمة ففي اعلامي بأن شيخنا رضي الله عنه هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم بأخبار من النبي صلى الله عليه وسلم إليه رضي الله عنه مشافهة لا مناما . الفصل الأول في حدّ الشيخ لغة وعرفا وفي بيان مراتبه الثلاثة وفي بيان ضلال المدّعين المشيخة بالكذب واضلالهم وشقاوتهم إن لم يتوبوا وما قال الأولياء والعلماء العاملون رضي الله عنهم فيها الفصل الثاني في بيان انّ ناقضي عهد القطب الشريف رضي الله عنه قد زلّت أقدامهم عن محجّة الإسلام وأنهم رجعوا من باب النبي صلى الله عليه وسلم إلى غير باب .يدخلون فيه بل هم مطرودون شقيون وكأنّهم رجعوا عن ملة الإسلام إلى الملل التي قبلها وأنهم لا ينفعهم شيوخهم الذين دخلوا طرقهم شيئاً بل يحلّ عليهم عقوبة الدنيا والآخرة إن لم يتوبوا ، والفصل الثالث ، في حدّ الشخص الذي هو التجانّي طريقاً وفضل طريقتنا وما أعدّ الله لأهلها ، والخاتمة في النبذتين : نبذة من فضل صلاة الفاتح ونبذة من تنبيه أهل طريقتنا على عدم اشتغال الخواصّ والجداول والآفاق وما قال شيخنا فيها من أنها ليس فيها إلا التعب للعوامّ » .

قرّظ الحاج محمد انيّاسْ كتاب أبيه هذا قائلاً :

ولقــد هزمت عساكـرا ملمدعيـ ـــن بضرب عضب باتر للسّمد
ومفرق جمع اغترار عضبــه عضب البراهن واضحات المقصد
طلــب البراز كمــاة كل كتيبة ودروعهــم بنصوص كـل المعكد
فتقهقــروا لمســائـل كصـــوارم ويصــول صولة ضيغم ذي لبّد
بيمينه زرق النصــال دلائـــل يردي بها من عارض للصنـدد
وهبــت لـه قبل الزوال ريــاح نصـ ـــر هيّجت خفقــان قلب الأقمد
أفنـى جيوش المدّعين فلـن تــرى غير الشقي إن لم يتـب ومجدّد
حجج تضي كبروق أمطار الـدّجى يهدي المريد ولا المريد أخا الرّدّ
لو لم يكونوا راغبين بـنوردنــا ما بـات صارم شيخنـا بمجرّد
متــوسّدا متقلـــدا متجــردا بجــواده وبسيفــه ومؤيّـد
طعــن المـلا العامـلين جـداولا برماحـه في كف أبصر أيّد
إن كان منتسباً بنا بطريق شيـ ـخ قطب أقطاب البرايا الصّمـد
تمّنى جميـــع الأوليا بمقــامــه لكنّما نالـوا بــه فبـأحمـد

طلبوا القطبانيـــة عظمـى الـتي
بيض الأنوق على ذراتيق بـــد

بتــوحّــد وتعبـــد ونجــوّل
وتوسّل وتــوقـع وتهــجد

صـــدروا بلا علم بها ولربهـا
ظفـــر الوليّ بنيلهـــا المتفـرّد

أستــاذنـا ومـلاذنـا لا غـيره
قـدنـا لهـا من جدّه بمحمـد

هـو خاتـم للأوليـاء ممـــدهـم
لـولاه ما نالـوا مذاقـاً مصعـد

وضع الكتـاب خليفـة خلفـاؤه
شمس الهـدى بحر النـدى للمحتد

قطب الرّحى بوح الضحى الحاج عب
ـــد الله راضخ كـل ما مسترفـد

وكتابـــه درر الطريقـــة قـد حوى
فالصيد في جـوف الفرى للمهتد

وختـامـه مسك بوصف خريـــدة
ورحيقه مختـومـه فلتحمـد

وله قصيدة طويلة قالها على منوال كعب بن زهير في لاميّته المشهورة وسمّاها الحاج محمد بـ (زاد المعاد في تضمين بانت سعاد) فهذه نبذة منها :

بريـسم رامة قلبي اليـوم متبـول
متيم اثرها لم يفـد مكبـول

ترنـوا بفاتر جفن ليس يشبهه
إلّا أغنّ غضيض الطـرف مكحول

تر بـــك قامـــة غصن البـــان مائسة
لا يشتكي قصر منها ولا طـــول

هي الشفـاء لداء الصبّ لو صدقت
بشفي مضاجعهـــا شمّ وتقبيــــل

نفتّرَ عـــن برد عـذب في مجـاجته
كأنّــــه منهل بالرّاح معلول

لا يمسك القلب حبّا غيرهــا أبـداً
إلا كما يمسك المـاء الغرابيـل

بعد الصدود لعمـري لا يقرّبــه
منـك العتاق النحيبـات المراسيل

أو ماخـرات سفـن من دواخنها
للجوّ غيم على الأرجـاء مشمول

لكن أقـول لطيـف الخود مـن وله
لا ألهينّك انّي عنـــك مشغـول

بحبّ خير الورى طـول الزمـان ولو
انّي على آلة حـدبـاء محمـــول

لعل عفو رسول الله يـــدركـني
والعفو عند رسول الله مـــأمـــول

يـــا سيدي انّني حلـف لحبكم
هل حبل وصلي منك الدهر موصول

لا عطل القلب من حبي لكـم أبـداً
ولا من المدح نـال النطق تعطيـل

انّي لأرجو نوالاً منـك يا أملي
ما فيه عند حديث النفس تعطيل

فـلا تعذب سمي المصطفى أبداً
كلا وإن كثرت فيه الأقـاويـل

إلى أن قال خاتماً :

قفوت كعباتها في مدحكم ولكم · للفضل جود على العافين مبذول
بمدحكم نال كعب بردة فعسى · تنيلني بردة فالفضل مأمول
ورؤيتي وجهك الأسنى تبشرني · بقولكم أنت محبوب ومقبول
ثم الصلاة على الهادي وعترته · ومن عليه بيوم الحشر تعويل

قد سبق لنا أن ذكرنا مع جرن حَامِدُ آنْ التلرِيٌّ كتاب لِمُحَمَّدِ الخُضْرِ بْنِ مَايَابَى المسمّى (مشتهى الخارف الجاني في ردّ زلفات التجانيّ) منكراً عليه بعض أقواله . ألّف الحاج محمد الخليفة انيّاس كتاباً عنوانه (الجيوش الطلّع بالمرهفات القطّع إلى ابْنِ مَايَابَى أخي التنطع)[1] فهو قصيدة رجزية بشرح صاحبها .

قال المؤلف في المقدمة :

وبعد : فلما كانت حكمة الله تعالى في خلقه ألّا يقوم قائم بأمره تعالى ، نبيّ مرسل أو سالك لسبيل الحق ممتثل الا قيض الله تعالى له عدوّاً مماحلا أو حسوداً جاهلاً سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً وكانت طريقة شيخنا التجاني رضي الله تعالى عنه مؤسّسة بالدين المحمديّ والهدى الأحمدي لا تعدل عن السنة الغراء قيد أظافر فجماعاتها حلق الاذكار وكلام أهلها الصلاة على النبي والاستغفار وقد ورد الحضّ على هذا كله في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ... قيض الله لها شيطاناً مريداً ينتقد على أهلها انتقاد جاهل حسود ويضع الحديث في غير محله وينكر على من لم يعدل وابله قطرة من طله وكنت قد نظمت في الردّ عليه نظماً حفيلاً مشتملاً على ردّ كتابه جملاً وتفصيلاً وسميته « بالمرهفات القطع إلى ابن مَايَابَى أخي التنطع » وهو نظم سلس اللفظ صافي المشرع » فهاكم نبذة منها :

قال العبيد الكَوْلَخِيُّ محمد · سليل عبد الله وهو يحمد
من خصّه بواضح البيان · من بين كل البيض والسّودان

(١) طبع بمطبعة دار التأليف بمصر .

تحدثا بنعمة الوهّاب ... برغم أنف المنكر المرتاب
مصلّياً على الرسول العربي ... وآله أولي العلا والرّتب
من كان حبهم أساس الدين ... وبغضهم كفر بغير مين
هذا ولمّا انتدب الأشقى إلى ... سبّ امام الأولياء الفضلا
جردّت من قريحتي مهنّدا ... عضباً لأسقيه به كأس الرّدى
عرضت نفسي إلى الطعان ... والضرب دون شيخنا التجان
فقلت راجياً دوام المدد ... نور الهدى في قلب كل من هدي
وقاد للحضرة كل مجتبى ... بصحبه القوم الكرام النجبا
معنى دخول حضرة للرب ... حصول عرفان به في القلب

إلى أن قال :

فكل من يتمسك بعرى ... أهل الولاية يتيه في العرا
لأن كل فقهاء الزّمن ... يقودها أهواؤها بالرسن
قد أمرت نفوسها الأمّاره ... وقادها الشيطان فيما اختاره
من ذاك أن بعض من قد يدّعي ... علماً وحاد عن سبيل المهيع
وما له في العلما علامه ... وليس منهم لا ولا قلامه
قد قاده الحسد والجهاله ... والخسر والخيبة والبطاله
إلى اهتضام ختم الأولياء ... ومازج النكر بالافتراء
يريد أن يطفئ نور الله ... ونوره ليس له تناهي
فزيفت أقواله إذ أفكا ... وصادفت جذيلها المحككا
ألقيت من مقولي النظيم ... في السّحر منه بعصا الكليم
حتّى تلقيت جميع افكه ... بواضح البرهان دون شكّه
أرجوزة قامت مقام الجحفل ... في ردّ جيش المنكر المغفل
سميتها بالمرهفات القطع ... إلى ابن مَايَابى أخي التنطع
خضر من خسر في الدارين ... بسبّ سبط سيّد الكونين
أعاذنا الله من البلاء ... ومن شرور درك الشقاء
أما درى من جهله المركّب ... بأنه بسبّه سبّ النبي

لأنّه سليله في الطين حقّاً ووارث له في الدّين
قد ادّعى عليه بالبهتان والزور منه نسبة الكتمان
إلى النبي المصطفى العدنان وذاك قول ساقط المباني
لأنّه قول جهول مفتر لم يأت في قيامه بالنظر

إلى أن قال :

أليس قال الشيخ في الإفادة قولاً روته العلماء الساده
إذا سمعتم ما نمى لي فزنوه فالذي خالف الشرع ادفنوه
لأنه ليس يقول غير ما يوافق الشرع وما له انتمى »

في بعض شرعه قال الشاعر : « لأنّ جميع الكتب المنسوخة للشيخ رضي الله عنه لا يوجد فيها ما نسبه اليه هذا الرجل ... فجعل ميزانه في ذلك ما يوافق الشريعة لأنه رضي الله عنه لا يقول إلا ما يوافق الشريعة :

لكن عبارات الكرام الأوليا تخفى على أهل الحجاب الأغبيا
فرّب قول جا عن الأكابر باطنه مخالف للظاهر
لأنما عبارة الولي اشارة للحاذق الذكي

فشرح البيت الأخير كما يلي : « أما كون عبارات الأولياء لا يفهم معناها إلا الذي شاركهم في الذوق فذلك معلوم عند العام والخاص ، فرّب كلمة صدرت من وليّ ظاهرها كفر صراح وباطنها هو محض التوحيد ...

وسيخنا لما من الكمال أيّده الاله ذو الجلال
ما حاد عن هدي شفيع البشر في قوله وفعله والأثر ...
وأنكر المنكر أنّ شيخنا يدخل من رآه جنّة المنى

وشرح البيت الأخير : « وأما ما أنكر على شيخنا رضي الله عنه أن من رآه يدخل الجنة فأيّ مانع في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم منع ذلك ، وفضل الله أوسع ذلك ، أولم يعلم الجاهل بقوله عليه الصلاة والسلام « انّ الرجل من أمّتي ليشفع في مثل ربيعة ومضر » .

فلم نورد جميع مؤلفات الحاج الخليفة انْيَاسْ لكنه انفرد بعلم السيرة النبوية

فهو مجلي ميدانها وفارس أقرانها ، وله تآليف منها :
– طريق الجنان في مدح سيد بني عدنان .
– ونيل المرام في مدح خير الأنام .
– والمواهب الإلهيّة في الغزوات النبوية .

وفي الخلاصة فان الحَاجّ مَحَمَّدُ انْيَاسْ من أفصح علمائنا وأشعر شعرائنا بل هو شاعر صوفي انغمر في حبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولأحمد التجاني قدس الله سرّه وفي جميع مؤلفاته لم يخرج قطّ من هذا الإطار كما قال في مقدمة قصيدة سمّاها « كشف الغمة في مدح نبي الرّحمة » فإني منذ ناهزت الفطـام وترعرعت وصرت الغلام مازلت في اليقظة والمنام أهوى من جعله الله خير الأنام ... وهمت بأودية الغرام وشمت بروق الغمام من حبه وانبث في قلبي « وتوفي الحاجُ الخليفةُ مُحَمَّدُ انْيَاسْ في سنة ١٩٥٩ للميلاد .

الشَّيْخُ الْحَاجُّ إِبْرَاهِيمَ نيَاسْ

ولما ألّف الحاج محمد الخليفة ديوانه « مرآة الصّفا في سيرة النبي المصطفى » قال أخوه الحاج إبراهيم نّيَاسْ ابْنُ الحَاجّ عَبْدُ اللهِ نّيَاسْ مقرظاً لنظم أخيه :

ازل الطخا بصفاء وصف المصطفى	تجليه عن عينيك مرآة الصّفا
لما تبـدي حسن مرآة الصفـا	نلنا اكتفـاء عن سوى ذا الاكتفا
تأليف قرم مقتف سير الرسـو	ل المصطفى يا نعم هذا المقتفى
هـذاك خنذيذ على سحبـان جـ	ـرّ الذيل ذاك محمد مـن قد وفا
أكرم به من جامع أكرم بـه	من مصطفى أوصاف ذاك المصطفى
أوصافـه وأصـولـه وفصـولـه	لقد اصطفى ولنعم ذاك المصطفى
قد لاكها سكران خمر محبـة	هيمان شوق فيه أصفى من صفى
فيها ابتكار محاسن لم يطمثـ	ـها قبله انس ولا جـن جفـا
فيها المدائـن والقرى مشحونـة	مـن كل صنف عبقـريّ مصطفى
حوز المعاني في الخيام وزوجهـ	ـن المصطفى بالمصطفى نلنا اكتفـا
فيها لمـن قد رام قرب محمد	مهمـا يلازم نيـل قرب واصطفا

ياقوتة في قالب الابداع قـد سبكت وأبرز للوجود على صفـا
أنشد وتحضر شمس ذات المصطفى فتريك شمس الذات مرآة الصفـا
لـما تبدت عام شمس شمسها لاحت بشمس شمس وجه المصطفى
نظـم به جمع المآثر والمـدا ـئح والتـوارخ والمزايـا واقتفـا
نظم بـه نظم بـه نظـم بـه رشحـات شوق المقتفـى
نظـم به جار الوجد لحسنـه لا عيـب فيـه غير فقـدان الكفا
فقد الكفاء وجـاب كـل مهامه مـن روحه إذ نـال مـن طـه الكفا
فتعانقـا وتآنسـا وتصـاحبـا أمـد الدهور وقـد كفى ولقد كفى
أزكى صلاة الله ثـم سلامـه يعلوه والأصحاب والأهـل الوفا
وحبالنا ظمهـا رضـاه متـى حكى أزل الطخا بصفـاء وصف المصطفى

وصاحب هذه القطعة شخصية فذّة اعتبرت حجّة حتى استوقفت نظر كل من همه البحث عن شؤون الإسلام مثلاً فليقرأ القارئ الفصول التي عقدها لها السيّد فِينْسَا مُنْتِيِيْ في كتابه « المساهمة في البحث عن الطرق الدينية الإسلامية » أو ما قال فيها السيد إِبْرَاهِيمَ مَرْونْ في تأليفه « الطريقة التجانية في السنغال » فيكون على يقين من أن صيت الشيخ الحاج إِبْرَاهِيمَ نِيَاسْ قد تعدّى حدود بلاده وسار به الركبان إلى العالم الإسلامي برمّته وله اتباع في الجمهورية الإسلامية الْمُورِيتَانِيَّةِ والسُّودَانِ وَغَانَا وَنِيجِيرِيَا وغيرها وفي الصفحة الأولى لكتابه « كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس » لا نقرأ إلا سلسلة من الصفات المديحية بل من الألقاب المطربة مثل هذه : « فهو الشيخ بجميع مراتبه ، ولسان وقته ، ونسيج وحده ، محل نظر الله في خلقه . والباب المفتوح لكل من يريد الولوج لحضرة قدسه ، فريد دهره في العلم والدين . وشيخ أوانه في تربية المريدين . علم المهتدين ، وخاتمة المحققين في القرن الرابع بعد الألف ، بهجة الليالي والأيام وحجة العارفين والأعلام . غرة الأمة المحمدية ، وناصر الطريقة الأحمدية ألإِبْرَاهِيمِيَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ ، وزبدة رجالها الأجلة مطلع شمس العلوم والمعارف ، ومجمع بحري الحلوم والعوارف و ... و ... و ... » ! ولد يوم الخميس بعد العصر عند انتصاف رجب الفرد سنة ١٣٢٠ هـ رئيساً بطيبة قرية بناها والده الحاج عبد الله نيَاسْ رحمة الله عليه . نشأ في حجر أبيه و « قرأ القرآن عليه حتى حفظه حفظاً جيداً برواية ورش عن نافع

ثم شمر عن ساعد الجدّ والاجتهاد في تحصيل العلوم الرسمية المنطوق منها والمفهوم ... وتبحر فيها وتفنّن بجميع فنونها ... وتولى تعليمه والده المذكور حتى تلقى منه بحمد الله فرائد الفوائد وصلات الأسرار والاذكار والعوائد ... ولم يزل مشتغلاً بالإفادة والاستفادة حتى كثر عنده الراغبون وانتفع بمدرسته المتعلمون ، وتخرج على يديه علماء فضلاء عاملون ... وعلت رتبته على سائر الأقران . وقد تلقى الطريقة التجانية عن والده ... أما الكتاب والسنة والأدب والتعليم والارشاد والفصاحة والبلاغة فقد تسنمها واسبد بها حتى أن غيره طفيليّ ماتدته فيها ويصير قس بن ساعدة باقلاً لديه وبيده زمام جميع العلوم العقلية والنقلية ... وأما الحقائق الربانية والمعارف القدسية والأحوال الذاتية فهو حامل رايتها ومفتاح أبوابها ومشكاتها » .

مؤلفاته : منها (كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس) و (طبيب الأنفاس في مدائح الختم أبي العباس) و (روض المحبين في مدح سيد العارفين) و (النور الرباني في مدح السيد أحمد التجاني) و (السر الأكبر والكبريت الأحمر) و (روح الحبّ في مدح القطب) .

ومنها (الخمر الحلال في مدح سيد الرجال) و (تيسير الوصول إلى حضرة الرسول) و (نور البصر في مدح سيد البشر) و (الفيض الأحمدي في المولد المحمدي) و (مجموع دواوين القطب الجامع والغوث النافع) و (نجوم الهدى) و (رفع الملام) .

ومنها (تحفة الأطفال في حقائق الأفعال) في الصرف و (إفريقيا إلى الإفريقيين) ، وما قال السيد علي سيس بن الحسن بن عندل فهو الحق : « وقد وصل على يديه إلى كمال المعرفة العيانية الشهودية ألوف بعد ألوف ، ويأتيه في كل يوم خلق كثير وفوداً على وفود . بيضاناً وسوداناً ، يدخلون في طريقتنا التجانية ... أفواجا من جميع أقطار الأرض ... وأما حسن منظره وصفاء ظاهره فيغني عن مخبوئه فكما حاز ظاهره الجمال الإلهي كذلك حازّ باطنه الكمال الذاتي ، لا أحرمنا الله لذة مشاهدته ومجالسته في الحسّ والمعنى ، ومن نوره وجماله وطلاقة وجهه يقتبس البدر المنير في الليل الدّاجي ... وقد بلغ الغاية في التضرع والخضوع والزهد وتقوى الله في السر والجهر ... وقد خصه الله تبارك وتعالى في حبّ رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بمقام لم يدرك ولا يرأم ... واما سخاؤه ... واحسانه وفيضان عطاياه الجمة ومواهبه الربانية وجوده وكرمه كالبحر والصيب الثجاج ، فيترك حاتماً نسياً منسيا ... وكان سكناه أول أمره في دار والده في كولخ ... وحين ضاقت به البقعة لكثرة المتعلقين بأذياله بارك الله فيهم بنى قصراً خارج كولخ يسمى بمدينة الجديد ... وبنى بها زاوية أسّست يوم الاثنين المبارك لأربعة عشر بقيت من ذي القعدة الحرام في سنة ١٣٤٩ هـ وأتمها في مدة قليلة لم تجر العادة في صنع مثلها على تلك المدة ... وهي معمورة بالخمس وقراءة الوظيفة وذكر الله أناء الليل وأطراف النهار ... وأما أمه فهي اليتيمة الثمينة ... والآخذة بالحبل المتين مولاتنا عائشة بنت سيد إبراهيم » .

وكان من معلميه بعد أبيه أخوه الحاج محمد نيَاسْ . وقد حجّ البيت الحرام كثيراً وهو كثير التأليف وعالم التوحيد قبل كلّ شيء وحامي الشريعة ومحيي الطريقة التجانية .

وكلما طرحت مشكلة عويصة على الإسلام أخذ الحاج إبراهيم قلمه وحاول الإتيان بحل مطابق للقرآن والسنة ومذاهب أهل الجماعة . واذ هم بعض المسلمين بنقل مقام إبراهيم خليل الله في مكة المكرمة أخذ الحاج إبراهيم موقفاً بيناً من ذلك الأمر وكتب كتاباً سمّي بـ (سبيل السلام إلى ابقاء المقام) . واذ أراد رئيس الجمهورية التونسية إصلاح صوم رمضان ألّف الحاج إبراهيم كتاباً مقاوماً لكل إصلاح في هذه الناحية قال قائل انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بأفضل الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وضع الحاج إبراهيم كتاب (نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى) . واذ أخذ المطران « لَفِيفَرْ » رئيس الكنيسة المسيحية السِنِغَالِيَّةِ بدكار في هجائه الإسلام ردّ عليه إبراهيم ردّاً عنيفاً اتهاماته على نحور رجال الكنيسة ورؤساء النصرانية الذين « يستغلون العمال والفقراء والذين يجهلون كنه المسيحية وذاتها » .

وقد همه التعليم كل هم وجميع ما يتعلق به فيعلّم في معهد البحوث الإسلامية بمدينة نِيَاسِينْ العربية والفقه والتوحيد . وكثيراً ما أقام فيه حفلات تفسير القرآن تجاه اتباعه وفي آخر كل حفلة دعا مؤسّس طريقة التربية بركة لمستمعيها وأعطى

كلاً منهم عمامة دالاً بها على واقعية بيعة أصحابه ما حال تعليمه دون حرث الأراضي والقرى التي حافت بِكَوْلَخْ كلّ منها أعدت حقلاً يسمى بـ (تُولُ بَايْ) [1] تحت اشراف مقدم يمثل الشيخ الأكبر الحاج إبراهيم . قال إبراهيم مَرُونْ أنّ للشيخ في طيبة نيَاسِينْ حقلاً واسعاً زوّدْ بآلات عصرية وأنّ لـه في منطقة سِينْ سَالُمْ وحدها ٢٦٤ حقلاً يزرعها في قرية واحدة إمّا تابع مجتهد متفان في خدمته . أو يأتيه من كل فجّ عميق أتباع مرة في السنة أفواجاً أفواجاً . وكأنّ نفوذ الشيخ نما وزاد حتى قيل أنّ له في نيجيريَا الشمالية أتباعاً جاوز عددهم مِلْيُونَيْن وقال لي طالبٌ دَاهُومِيٌّ في سنة ١٩٦٦ م في فرنسا إن لإبراهيم نيَاسْ أصحاباً كثيرين في دَاهُومِي « إمارته في النثر » .

في سنة ١٩٦٢ م ألّف الحاج إبراهيم بن عبد الله كتاباً سمّاه (نجوم الهدى) قد طبع في الرباط بمطبعة الامينية مدافعاً عن كونه صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه .

استشهد بآيات من القرآن وآراء من الفقهاء مثل فخر الدين الرازي وابن عيسى الترمذي وأبي بكر البيهقي والنسفي وامام الحرمين وغيرهم وهو بسيط في أسلوبه مفحم في حجته لاذع في برهنته . فهاكم مقدمته التي لم تجر على قصرها العادة « اللهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم هذه رسالة ألفها الشيخ الأستاذ المحدث الصوفي الورع التقي أبو اسحاق الحاج إبراهيم نياس إبن الحاج عبد الله نيّاسْ المالكي الأشعري التجاني الكَوْلَخِيُّ أدام الله عزّه وبقاءه ردّاً على من أنكر أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق من النبيين والمرسلين . »

« وسماها (نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى) » وبعد تلك التوطئة القصيرة قال المؤلف ما حضه من الظروف على وضع كتابه هذا

---

(١) أي « حقل الأب » بالولفية تُولْ هو الحقل وبَايْ هو الوالد والحامي والهادي والشيخ والمرشد .

« أما بعد فاني منذ عدة سنوات أسمع مقالاً ينسب لبعض أهل الملة الإسلامية وجعلته في عداد الخرافات وعزمت أن لا أبل قلمي برد تلك الترهات حتى شاع وذاع وأكثر أهل العصر أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وما زخرف لهم رؤساؤهم من الغيّ والضلالات . والمقال إنه ما ثم دليل على أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء أرباب الحقائق والمعجزات فخفت أن يصغي العوامّ الجهلة إلى تلك الخزعبلات فقيدت لهم جواباً مختصراً قدر همم العصر وما اتصفوا به من قلة المبالاة فقلت إنَّ التفاصيل بين الأنبياء مذكور في القرآن العزيز ، ومحمد أفضل الأنبياء والمرسلين . وهذا أوضح من النهار فلا يحتاج للدلالات قال :

فكيف يصح في الأذهان شيء   متى احتاج النهار إلى دليل

وحيث أن المخاطبة مع غبي من الأغبياء نكتب مجاراة مع غباوته بنصب الدلائل والآيات ، فنقول نصّ القرآن أنّ محمداً رحمة للعالمين ، وصح أنه الشفيع فيهم يوم القيامة وسيد ولد آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة وأنه خاتم النبيين وإمامهم ودينه أفضل الأديان وأمته أفضل الأمم وكتابه أفضل كتاب نزل من السماء إنه أوّل من تنشق عنه الأرض وأوّل من يدخل الجنة وله الوسيلة . وعظّمه الله بما لم يعظّم به غيره ورفع ذكره وفتح له وغفر له وأذهب الرجس عن أهل بيته وأسرى به وأقسم بحياته وعصره وبلده وأعطاه الكوثر وبقيت آياته مستمرة ونسخ دينه الأديان وبعث إلى كافة الخلق . واليك تفصيل بعض ما ذكرنا ... » ها هي ذي المقدمة القصيرة الوجيزة وقد دلّ فيها المؤلف عما يذكره ويفصله من الأمور المنوعة . وذكره يدور حول مقارنة بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين سيدنا عيسى عليه السلام وبين سيد الثقلين وبين نوح عليه السلام وهلم جرّا ثم ختم بقصيدة ميمية ذات واحد وسبعين بيتاً على بحر كامل .

لقد رحّب بهذا الكتاب بعض النقاد إذ دلّ على قوة الثقافة الإسلامية لصاحبه وسعة تبحّره في الكتاب والسنة وبساطة أسلوبه وإنكاره التكلّف ومزايا شخصية جبّارة مناظر قوي نشيط وعالم توحيد ذي أهمية ومدافع مستبسل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام .

حكى السيد فِنْسَانْ مُنْتِيْ في كتابه (الإسلام الأسود) ما نصه « كتب سيادة

المطران لَفِيفَرْ في عدد ٤٦ من مجلة (ابكليزيا) هذه السّطور : « اما أن تنقاد إفريقيا لأميالها العميقة من البساطة والأمانة والديانة فتصير كاثوليكية واما أن تنغمر تحت وجهات دينية في رذائلها من تعدد الزّوجات وسيطرة القويّ على الضعيف والخرافات والتطيّرات فتقع في شرك الإسلام ! ! ! » وفي سنة ١٩٥٩ م عقد سيادة المطران هذا مقالاً جديداً سبّب نزاعاً عنيفاً فعجب المسلمون والمسيحيون الإفريقيون بأنفسهم من مقال قال فيه سيادة المطران لَفِيفَرْ في المجلة « فَرَنْسَا الكَاثُولِيكِيَّةِ » في ١٨ من شهر كانون الأول ما نصه : « ألقيت كلمات حضّت على الثورة أعني حقّ الشعوب في تقرير مصيرها والحق في الاستقلال ... فتصير سيطرة روسيا أو الصين على إفريقيا حقيقة مع تقادم الزمن ها هو ذا أمر يعجب منه الذين لم يحسنوا معرفتهم الإسلام : فإنّ أغلب البلاد المسلمة هي التي تنفك عن الغرب بسرعة أشد وتستعمل الوسائل الشيوعية التي تشابه تقريباً وسائل الإسلام أعني تعصباً دينياً وشيوع وسائل للانتاج وعبودية الضعفاء إذ جرت عادة الإسلام في كل ذلك » .

وبعد شهر تقريباً بعث الحاجُ إِبْرَاهِيمَ نِّيَاسْ برسالة مفتوحة إلى سيادة المطران لَفِيفَرْ فذكر هذا المثل الشهير : « يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال » وقال ان الإسلام يتنافى والشيوعية وأظهر الأمر المحتم في استقلال الشعوب وانكر عليه تهمة العبودية في الإسلام فسأله « هل بعض الأوروبيين المسيحيين الذين غزوا إفريقيا ، واستعمروها هم الذين حاولوا استعبادهم أم العكس ؟ » وخشي أن يضل المطران حقده على الإسلام وان يعطي الإسلام صفات سيئة يتّصف بها دينه . وعنوان رسالته هو : « إفريقيا إلى الإفريقيين » وبعد أربعة اسطر تُمَثِّل توطئة قال الحاجُ إِبْرَاهِيمَ : أما بعد – وفي كل حيّ بنو سعد – فاني وقفت على خطاب مفاجئ كتبه رئيس أساقفة دكار لَفِيفَرْ ونشرته مجلة (فرنسا المسيحية) في شهر دِسَمْبَرْ الجاري عام ١٩٥٩ بمناسبة عيد الميلاد المحترم . خطاب يمسّ كرامة الوطن أعني إفريقيا السوداء . وقد امعنت النظر في بعض فقراته فاذا هي في غاية التعصب والتعسّف –.

وابدأ في ردّ تلك الفقرات بذكر شيء من آي الذكر الحكيم دستور الملة

الإسلامية الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد [1] : قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير [2] إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين [3] ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون [4] قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد [5] .

« فبالآية الأولى يتحقق الإنسان انّ الملك لله في إفريقيا وغيرها : يولّي من يشاء ويعزل من يشاء ، وكذلك بالآية الثانية وزيادة أنّ العاقبة للمتقين ، وبالثالثة رفض كل ما سوى الله سواء في ذلك الكوكب والقمر وأحرى الصليب ، وبالآيات الأخيرة : انه تعالى الواحد الفرد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد . وهكذا يتحقّق ان البارئ هو المنان لإفريقيا وغيرها ، وهو الشافي والمعافي . ولكل وطن قوم ولكل قوم وطن ، ونحن قوم إفريقيا ، فإفريقيا لنا ونحن لإفريقيا وكل وطن سوف يحكم فيه ابناؤه ان عاجلاً أو آجلاً ، مهما تآمر أعداء الجنسية الإفريقية .

« فهذا القرن العشرون تدفّق فيه تيّار الحرية والوطنية ولا يقف أمام هذا التيار شيء فإذا البلاد كلها سوف يحكمها أهلها سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو شيوعيين . والشعوب أقوى من الحكومات فعلى كل حال : حكم الأجانب في بلاد الأجانب مضى إلى غير رجعة . فإفريقيا للإفريقيين .

« على أن تولي الحكم شيء ، والتمسك بالديانة شيء آخر وإن رجعنا إلى الديانة ، فهذا إعلان القرآن آخر كتاب جاء من عند الله » . انّ الدين عند الله

---

(١) الآية ٤٢ في سورة فصلت .

(٢) الآية ٢٥ في سورة آل عمران .

(٣) الآية ١٢٥ في سورة الأعراف .

(٤) الآية ٣٧ في سورة فصّلت .

(٥) هي السورة ١١٢ .

الإسلام »[1] ومن لم يؤمن بإعلان القرآن فيؤمن بالله وحده ، كما قدّمنا : يؤمن بشيء لا يسمع ولا يبصر جماد من صنع الله أو من صنع الإنسان نفسه كالصّليب والصور المجسّدة ، الله أكبر ! !

« ومن أراد أن ينصف يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال . فالرجال في كل دين فيهم الكمّل والناقصون ، وأن ألحقت نقائص بعض المسلمين بالإسلام ، فذلك جور وتعدّ وظلم وعدوان .

« وأما أن الشيوعية توجد حيث يوجد الإسلام فإن ذلك بهتان عظيم ، فانّ الشيوعية أشد انتشاراً في البلاد التي لم تعتنق الإسلام بعد . والحق هو أن الإسلام ضدّ الشيوعية ، والشيوعية ضدّ الإسلام . وهل الشيوعية في أوروبا سببها الإسلام ؟ كلّا . فالشيوعية ما طرأت في إفريقيا – ان فرضنا أنها طرأت فيها – إلا من تلك البلاد التي أهلها غير مسلمين . وبلادنا هذه دخلها الإسلام – ان لم ينشأ فيها – عدة قرون قبل دخول الأروبيين وما دخلتها الشيوعية بل ولا المسيحية إلا بعد تمكّن الأروبيين فيها . فعلى هذا فتحرّر البلاد من حكم غير أهلها لا يحقّق وجود الشيوعية فيها بل العكس .

« وأما استعباد الناس : فنتساءل : هل بعض الأروبيين المسيحيين الذين غزوا إفريقيا ، واستعمروها هم الذين حاولوا استعبادهم . أم نعكس ؟ .

« وان كان بعض بني الإنسان يستعبد بعضاً ، فهذا إعلان القرآن : دستور الإسلام : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله [2] وإن كان بعض الامتيازات لبعض أبناء الجنس من ملوك وشيوخ هو المعبر عنه باستعباد الناس فإنّ الامتيازات في غير إفريقيا وفي غير المسلمين ، سواء من جهة الملك والحكم أو الدين ، أشدّ وأعظم خطراً على الضعفاء والعمال .

---

(١) الآية ١٧ في سورة آل عمران .

(٢) الآية ٥٧ في سورة آل عمران .

« قال كاتب مسيحي : «هل أقيم حدّ المساواة في الغرب بعد الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان . ثم قال ألا يزال للملوك امتيازات ، ولأصحاب الرتب والألقاب امتيازات ، ولرجال الدين امتيازات ، ولحاشية الملوك والأشراف تفضيل وامتيازات أمام القانون العام » ؟ ألا ينسج لهؤلاء أمام القانون العامّ – أثواب غير الأثواب التي تنسج للشعب المسكين ؟ انّ هؤلاء لا يدفعون المكوس والضرائب ثم قال : ألا غسون أنّ تلك الدولة الغربية تميز فريقاً كبيراً من رجال الدين ، يملكون ثلث أرض البلاد ، وثلث عقارات الوطن ... أرضهم معفاة من مكوس الجمرك يعفون منها . وتحمل اليهم مستورداتهم ضعف أضعاف . ليتاجروا بالزيادة ويجمعوا ذهباً .

« هذا هو ما قاله كاتب مسيحيّ وهكذا استعباد الناس : فالعمال المساكين ، والفلاحون البائسون ، يدفعون الضرائب المتزايدة ، والرهبان الكسالى البطّالون توفّر أموالهم لهم ، حتى أن لكل واحد منهم أكثر ممّا عند ألف مواطن من أبناء الشعب . هذا مع دعوى العدل والإنصاف والمساواة .

لا تهجونّ أسنّ منك فربما يهجو أباك من حيث لا تدري فشتّان ما بين هذا فرض الزكاة على الأغنياء وردّه للفقراء .

« وأما التعليم والتربية والثقافة التي بذلها رسل المسيحية – كما يدعي الكاتب – فعشرة في المائة بالنسبة إلى تعليم مشائخ الإسلام في أكثر نواحي إفريقيا اللهم إلا إذا كان لا تعليم إلا تعليمهم ، ولا تربية إلا تربيتهم ولا ثقافة إلا ثقافتهم ، وإلا فالمساجد والجوامع والمدارس التي يدرّس فيها المتطوّعون : ضعف أضعاف الكنائس . ولا يوجد في كل هذا مساعدات الحكومات ، بل اعتماد المسلمين في كل ذلك على الله وعلى أنفسهم . بخلاف مدارس غير المسلمين ، فهكذا المساواة ومراعاة حقوق الإنسان .

« ولقد صرّح كاتبه من غير استحياء بما نصه : (فالتقليد الأعمى والتبعية الحمقى ، وإستعباد الضعفاء هي تقاليد الإسلام ») .

فحبك لشيء حجاب عن مساوئه ، وبغضك لشيء حجاب عن حسناته ، ولهذا وصف الإسلام بوصف دينه ، فهم الذين قالوا : الدين فوق العقل ، حباً

منهم لانقياد الناس لهم ، ولا يبحثون عن حقائق دينهم ، بل : تقليد أعمى ، وتبعية حمقى :

وكنت إذا قوم رموني رميتهم   فهل أنا في ذا آل همدان ظالم

وإن تعودوا نعد ، والبادئ أظلم ، وباقي خزعبلاته ، لا يحتاج لجواب . والسلام على من اتبع الهدى ، والعذاب على من كذب وتولّى [1] .

فهذه الرسالة دلّت على أن الحاج إبْرَاهِيمَ نْيَاسْ حامي الشريعة متبحّر في الثقافة العربية الإسلامية ومربّ خبير بشؤون المسيحية ورئيس دين (لا يدخل لسانه في جيبه) كما قال الفرنسيون وهو يعرف ما للدين مما للدنيا وما للحكم الزمنيّ من الحكم الروحيّ ورجل علم من أين جاء استعباد الإفريقيين خاصّة واستعباد الضعفاء عامة وهو إفريقيّ محبّ لوطنه إفريقيا ولا يخفى عليه أن سيطرة شعب على شعب آخر لا مستقبل لها إذ لا شيء يقف أمام تيار الحرية والوطنية في القرن العشرين هذا .

فهذا الردّ كان والله جالياً حارّاً في ١٩٥٩ م على وشك العام الذي حاز فيه أغلب البلاد الإفريقية استقلالها .

ولمّا لامه بعض المسلمين في القبض في الصلاة ألّف كتاب (رفع الملام عمّن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام) [2] .

قال الحاجُ إبْرَاهِيمُ « قد كثر في هذه البلاد لكثرة الجهل والبلادة والحسد والعناد ، الانكار على أهل الفيضة التجانية المهديين إلى نهج الرشاد وما هو إلا الإنكار على شيخهم الهادي الممد للعباد ... وإن كان ما يأتون به شيئاً فريّاً لكوني من جملة حزب الفيضة ... إلى أن مر برهة من الزمان وهم على ما هم عليه من الإنكار والزور والبهتان . فسنح لي أن أجمع شيئاً من كلام الأئمة الأجلاء ... وشرعت في تأليف هذا الكتاب الميمون مستمداً من فيض حضرة شمس الدين مولانا

---

(١) الآية ٥٠ في سورة طه .

(٢) طبع بمطبعة قرطاج العربية بباريس سنة ١٩٦٩م .

التجاني صاحب المقام المكين الردّ عليهم ردّ عن الشيخ الختم التجاني » وهذا الكتاب هو كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس » . رتبه على مقدّمة وثلاثة أبواب في كل باب ثلاثة فصول وخاتمة .

وقد شرفني الحاجُ إبْرَاهِيمَ نْيَاسْ ببعث اليّ بكتابه (البيــان والتبيين عن التجانيين) [1] قال في توطئته « وبعد فانّ طريقة الشيخ أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه التي لقنها أصحابه الميامين ونشروها بدورهم في العالمين وأيد الله بها الإسلام في أقطارعدّة هي الاذكار الثلاثة : الاستغفار ، والصلاة على النبي بأيّ صيغة ، ولا اله إلا الله وقد أشبعنا الكلام فيها وفي التصوّف بوجه عام في غير ما كتاب ولمن شاء أن يراجع كتابنا : « كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس » ففيه مباحث علمية في الموضوع هي من فضل الله علينا وعلى الناس) .

وكل ما سبق دلّ في غاية الدلال على حقيقة إمارة الحاج إبراهيم نْيَاسْ في النثر . « **إمارة الحاج إبراهيم في الشعر** » : وما لنا في ايفان إلا هذه الكتب في النثر غير أنّ صاحبها لا يزال يؤلّف كتباً مطبوعة في القاهرة أو في الرباط أو في بَارِيسَ بترجمات فرنسية أو انكليزية . كما هو أمير في النثر كذا هو أمير في الشعر وله ديوان ضمّ بين طياته ٢٩٧٢ بيتاً طبع بِكَانُو في نِيجِيرِيَا وفيه مدائح للنبي صلى الله عليه وسلم عنوانه .(تيسير الوصول إلى حضرة الرسول) وفي المقدمة أقام الناسخ شجرة النسب العجيبة للشيخ الحاجِ إبْرَاهِيمَ إذ وجد الشاعر منتسباً إلى السيد عقبة بن نافع بن عبد القيس بن عامر (القهري) ! ! ! أليس خطراً أن ينسب بعض المريدين المتحمسين الشيوخ الأكابر السَنَغَالِيِّين مثل الشيخ الحاجُ عُمَرْ تَالْ والشيخ أَحْمَد بَمْبَهْ امْبَكْ والحاج مَالِكْ سِهْ والحاج عَبْد اللهِ نْيَاسْ والشيخ فُودي كَبَا إلى أصل عربيّ أو إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟

هاكم نبذة من ديوان الحاج إبراهيم أبقى الله حرمته :

أبى القلب إلا أن يكون متيماً حليف غــرام بالنبي مهيمـــــاً
أبيت بليل التمّ سهران منشـــدا لذكر الذي قد طاب بــدء ومختما

---

(١) قد طبع ببلاد لم يسم اسمها .

أساجل فيه الـورق ليلي وجـيرتـي نيـام وجفني كالمذانـب مغرما
أنظّم درّ اللفظ في ذكـر وصفـه وأحسن بوصف البـدر درّاً منظّما
محمد مفتاح الفتوحات سيـد وخاتـم سلك الرسل ختماً مقدّما
بـه نال كل الأنبياء مناهـم بـه زينت الحضرات وقّر وعظّما
رسول مـن المولى وآدم لم يكن ويبقـى رسولاً دائمـا ومعظّما
فنشأتـه كنزيـة الحـق وحده لذاك أتـانا قاسمـاً ومقسّما
فـآي جميع الرسل آي محمد فمنـه اليـه كل شأن فعمما
مواهب ربّ العرش طه محمد ورحمتـه وهو الرحيم فأكرما
بشير نذيـر مقسط وهو قاسم جواد كريم باسط الكفّ منعما
مقفـى أمير نـاصر وهـو مجتبى حبيب اله العرش بـدءاً ومختما
وأبيض يستسقي الغمام بوجهه بـه نار ليل الجهل إذا كان مظلما
قلـوب جميع الخلق أحيا بنوره والسنهم أحيـا فزكـى وعلّمـا
ووالله لا تلفي لأحمد ثـانيـا فأحمـد فـرد جوهر لـن يقسّما
عليـه صلاة الله ثـم سلامـه مع الآل والصحب الكرام ذوي النها
فـان تسألـوني عـن حبيبي وسيدي فطـه حبيب الله مـا نغير ما وما
فوقتي وساعاتي صرفت لذكـره صـلاة ومدحاً منه قد عرت جيلما
فمن رام دركي في اشتياق نبينا فقد رام أمراً مستحالاً محـرّما
كمن رام مسك البر يوماً بأصبع ومن رام عود الأمس يوماً وأيوما
كمن رام درك الوصف أيضاً فأكثروا ولكنهم قد غادروا مـتردّما
فـآثـرت حبّ المصطفـى دون غيره ولو أمّ كلثوم ولو كـان مريمـا
فوالله ما في القلب حظّ لغيره فغير رسول الله ليس لتعلمـا
أشار إلى مـزن فسال مسرمـدا وإذ رام مسك المـاء أمسك ملهما
وإنّ قـريشـاً عيّبـوه وصغّـروا وشقّ لـه ذا الجـو بـدرا معظّما
وردّت له شمس بعيد غروبها وإذ كذّبـوا قـد أنزل الحق محكما
وهزّم أحزاباً برميـة كفّـه فيا عجبـاً مـن رميـه حين هزّما
هـدى الله أقواماً بنـور خوارق وبالسيف يهدي البدر من كان أجرما
يفيـد علوماً فائضات ومغنمـا وآل وأصحاب صراطا مقوّما

فعمّ هداه الأرض كرهـا وطاعة ... فعرب وعجم أرشد الكلّ عمّما
وحتّى أتانا الدين والعلم والتقى ... ولله شكر بالنبيّ محتما
وقد صار فينا المسلمون وعندنا ... أئمة علم صالحون تكرّما
وفينا رجال سابقون وعندنا ... للاقطاب ختم هبه كنزاً مطلسما
صلاة وتسليم على طه أحمد ... وآل وأصحاب صراطا مقوّما .

قد جرى الشاعر في هذه القصيدة مجرى فحول الشعراء العرب الأقدمين : بدأ بتشبيب ومدح ناسباً كلّ الفضائل والصفات الحسنى إلى الممدوح .

فهذه قصيدة عينيّة وصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أبرق بدا نحو المرابع يلمع ... فهبني امرأ إذ يلمع البرق يدمع
لمحت بوهن ويك هجت صبابة ... ورقراق دمع ساعة الحيّ تهجع
تذكر أيام الصبا وهي قد قضت ... ولم يبق إلا لوعة وتوجّع
سقى الله أرضاً بالمدينة أنها ... محطّ رحال فيه خرقي يرقع
ديار حبيب الله وهو أمينه ... ديار بها نلفى المرافق أجمع
ديار لمن هام الفؤاد بحبه ... وتذكاره للقلب مرعى ومرتع
ديار لأعلى الخلق خلقاً وخلقه ... ديار لمن في الخلق يعطي ويمنع
وأكرمهم نفساً وصهراً ونسبة ... وعلماً وآداباً وأتقى وأخشع
فقد كان خير الخلق فخماً مفخما ... وذو هيبة والمشي فيه تقلّع
وأزهر لون أدعج العين تزدري ... بعين مهى عند الخميلة ترتع
وأنجل عين أهدب الشفر واسع ... جبين رسول الله والخلق أوسع
أزجّ وأقنى وجه طه مدوّر ... ولحيته كثاف صدر موسّع
ومنكبه أعظم به وعظامه ... ضخام وربع القدّ طه المرفّع
كذا عضد عبل وعبل ذراعه ... مرحّب راحات والانوار تلمع
وسائل أطراف وغير مشذّب ... عظيم كراديس من الخلق أرفع
وأشنب ثغر إن تبسّم ينجلي ... كحبّ غمام أو لكالبرق يلمع
وهامته عظمى لشعر ترجّل ... وخافض طرف ساكت فهو يخشع
وأحزانه موصولة بتفكر ... وان قال قال الفصل والحق يرجع
وينظر لحظاً وهو للأرض غالبا ... يسوق محابا والملا لك تتبع

وحيـد رسول الله يشبـه دمية ... إذا فرّق الأشعار يبـدوا ويلمع
وكاللؤلؤ المكنون والمسك عرفه ... فمثـل رسول الله لم يحـظ مجمـع
وأحلم خلق الله أعدل خلقـه ... من الناس أسخى بل من الناس أسجع
ويخـدم للاهلين يخصف نعلـه ... ويقطـع لحما وهو للثوب يرقع
أشدّ حياء وهو يأتي لمـن دعا ... ويقضب للمولى إلى الحقّ يرجع
ولم يتورّع عـن حلال ولـو حـلا ... ولم تلفه في غالـب الوقت يشبع
ويركـب أحيانـاً جـواداً ومـرّة ... حمـاراً وحيناً راجلاً يتقلّع
كذلك في الملبوس والطيـب فائـح ... يجالس أقواماً والاصوات ترفع
ويفـــرح أحيانـاً يؤلّـــك مرّة ... وما هاب ملكا قطّ فالشأن أرفع
وما حقّر المسكين يدعوا جميعهـم ... وبالله مولى الخلـق ذا الخلـق يجمع
وأكرمه المولى أجلّ كـرامـة ... وخصّصه من للخلائق ينفع
عليه صلاة الله ما ذرّ شـارق ... وغنّت حمامات على القصن تسجع
وما ردّ ضيم الدّهر عن ساحة الـذي ... يزخرف أمداحاً ويشدو ويسجع
وآل وأصحاب مدى قـول شـيّـق ... أبرق بـداً نحو المرابـع يلمع

فهذه الصورة خلّابة ببساطتها وصفاء سطورها وثباتها الرّخاميّ وعظمتها الكتابة ولعلّ الشاعر استمدّ من وصف أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما روي : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقل البعير ويحلب الشاة . ويعلف الناضح ، ويقمّ البيت ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويأكل مع الخادم ، ويطحن معها إذا هي أعيت ، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ، وكان يصافح الغنيّ والفقير ، ويسلم مبتدئاً ، وكان لا يردّ من دعاه ولا يحقر ما دعي اليه ، ولو إلى حشف التّمر ، وكان ليّن الخلق . كريم الطبع . جميل المعاشرة . طلق الوجه . بسّاما من غير ضحك . محزوناً من غير عبوس . متواضعاً من غير ذلّة جواداً من غير سرف . رقيق القلب ، دائم الاطراق . رحيماً بكل مسلم . لم يتجشّأ قطّ من شبع ولا مدّ يده إلى طمع »[1] .

---

(١) راجع كتاب اللمع لأبي النصر السّرّاج الطّوسيّ . صفحة ١٣٦ .

وله أيضاً يمدح مزايا أفضلية صلى الله عليه وسلم :

دعوت رسول الله مـذ عمّنا الكرب وسيّان في هذا لك الشرق والغرب
ولم يك عند الخلق حـام سوائـه ولم ينفعن بعد ولم ينفعن قـرب
فلم أر حصناً مانعـاً يقصـدونـه سوى ظلّ خير الخلق إذ جاءنا الرعب
فزحزح عنّـا كلّ كرب ونالنـا منالاً به قد قرّ عينيّ والقـلب
وشاد لنا مجداً تقاعس دونـه أكاسر فرس والقياصرة النجب
ولا غرو أنّ المصطفى القـرم جوده بـه سعد الكونان والعجـم والعرب
ولا غرو أنّ المصطفى القـرم جوده بـه نزّل الفرقان والعلـم والخصب
به آدم قد تيب من بعد وحشة ونال مقاماً دونـه انحطّت الشهب
ويشكر إذ نـاداه والبحـر زاخر أتـاه سلام بـان عن أهلـه الرّيب
كذلـك إبراهيم قد حاز خلّة وموسى كلاماً دونـه العقل واللّب
كذلـك روح الله عيسى وأنّـه ترفّـع للمولى وان جاءنـا نربـو
فيـا ربّ هب لي بالأميـن وراثـة لهم كلهم بالمصطفى قضي النحب
وتورثني يا ربّ منك خـلافـة وعلماً وجـوداً دون أنملي السّحب
وتجعل مصري هـذه مطمئنـة تسوس بـلاد الله لم ينحهـا كرب
وتهدي بها أفناس خلقك كلّها على رغم أنف من مناو ومن يصبو
وتقضي الهي ما أتاك مطالبـاً من العبد إبراهيم وليا تـه الجلب
وترزقـه التكويـن يا خير سيّد ويذهب عنّي الهمّ والشّك والعيب
صـلاة وتسليم عليه مسرمـدا كذا الآل والأولاد والأهل والصحب

كأن دعاءه حين قال : « وترزقه التكوين ... » استجابة الله وكيفما كان من الأمر فالصّوفيّ أكبّ على شطحات تشبّهه بأبي يزيد البسطاميّ وهو يدافع عن نظريّة جعله الله بها ذا مزايا خاصة وبركات وحقائق لا أفرد الله بها إلّا أولياءه حتى قال الناس إنّ الحاجّ إبْرَاهِيمَ نّياسْ يقوم بكرامات وكأنّه أثبت ذلك وأكّد بقصيدته الهمزية هذه :

أريت بخير الخلق خير مـراء نفى الشك والأسواق كـل مراء
وهيج شوقي والمحبّـة والضّنـا وأرّقني إذ نـام أهـل خبـاء

يؤنسني طرسي ونفسي ولقلتي جهاراً وقلبي أنسه بشفائي
محمد مختار الاله نبيه عليه أتت آياته بثناء
فلم أقف غير المصطفى لست تاليا سوى ذكره كفّوا الملام ملائي
هل الدّين غير الذكر والسنة التي عن المصطفى صحّت فتلك دوائي
انصب خلاف بين طه وغيره يراه لبيب غير عين عماء
أيا ناس خلّوا الهزل واقفوا محمدا وألا تروني الدّهر جدّ براء
محمد خير العالمين محمد رسول أمين ذو سنا وسناء
فصيح بليغ ليس ينطق عن هوى بل الوحي والتنزيل وحي سماء
عليكم بحبل الله للعبد واثقا فنهجٌ يناوي الذكر نهج شقاء
وان قلت هل ذا الورد نهج محمد أقول نعم وردي لنيل صفاء
فما الورد إلا الذكر لله وحده تصلي على المختار خير وراء
فما فيه ذكر الشيخ أو ذكر غيره فوردي لداء العبد عين دواء
رويدكم لا تنكروا عن جهالة لبغي وعدوان وعين جفاء
فقد بلّغ الهادي وأدّى أمانة حذا حذوه الهادون شهب دجاء
والاعلام قادات بقفو نبيّنا لتقفوا الذي يقفوه دون مراء
سواء جليل أو حقير فما لنا سوى قفوه دهراً صبح مساء
أيا ربّ جبريل الأمين فثبتن على سنة الهادي قلوب أولاء
ولا يبتلينا الله بالزّيغ والهوى نعيش على البيضا ليوم لقاء
ولا يك قشر الدّين حظّ محبنا بل اللّب لبّ اللّب محض عطاء
سرى طيفه وهنا وكطت لحبه أطير اشتياقاً والغرام بلائي
وكلّ وليلاه وبرهام مبتلى بأحمد خير الناس عين بهاء
ومن حسد جاروا عليّ وانّني مبرّز أقراني أوان صباء
وقد تمّ فتحي عند مهدي وقد عنت جميع رجال الغيب تحت قضائي
فما قطعوا في الشرق والغرب فدفداً إلى مكة إلاّ لشمّ شذاء
ولم لا وعيني اليوم عين محمد سرى سرّه في هيكلي ورواء
وأهل زماني كلّهم فاز راقيا سوى من قلا نهجي أسير هواء
وما قلته شطحاً ودعوا عريضة وهبت جميع الفائزين ولائي

وبي يرفع الجور العظيم وأنّـــه بفيضي ينال الدين رفع لواء
ومن شاء يأتيه قبيـــل مماتـه ومن شاء ناواه كأهـــل شقاء
ومن رام اطفاء لنور اللهنـــا أبى الله أن يطفيـه رغـم عـداء
سأرغـم بالماحي الضلال أنوف من يرى الشرك والتثليث أهـل قلاء
هدمت الذي قد أسّســوه وأنّـــني بسرّ المقفّى لا يهــدّ بنـاء
رموني ومـا نالوا مراداً وأنّـني أمـزّق بالماحي جموع عداء
سيهزم هـذا الجمع حقّا وانّهم يولّون أدبـاراً رقاب امـاء
يسومون ضيماً للخديم وانّـــه تترّس بالمختار قبـل رمـاء
أيخشى على جار الأمين خديمـه مكائـد أبناء . لأهـل بقـاء
وقد زخرف الأقوام مكراً بندوة وخطوا كتابـاً قصد دفع ضبائي
وجاؤوا ببــدر خيلهم ورجـالهم وباؤوا بخزي ظاهـر ووبـاء
وهل منعوا الماحي الطّواف ببيته بمكّة يوم الفتح وقت ضحاء
وهــل منعوا نشر الديانة دائما بكلّ بلاد الله طول بقـاء
صـلاة وتسليم عليـه بقـــدره وآل وأصحـاب وأهــل ولاء

قبل أنّ الحاجَ أَحْمَدْ دمْ حين ألّف كتابه « تنبيه الأغبياء » قد أشار إلى الحاجِ إبْرَاهِيمَ وقد رموه بالشرك فردّ الحاجُ إبْرَاهِيمَ التهمة على من رموه بها حتى قال :

« فقد تمّ فتحي عند مهدي وقد عنت جميع رجال الغيب تحت قضائي
ولم لا وعيني اليوم عين محمد سرى سرّه في هيـكـلي ورواني
وأهـل زماني كلهم فاز راقيـا سوى من قلى نهجي أسير هواء
وما قلت شطحاً ودعــوا عريضـة وهبت جميع الفائزين ولائي »

أما الذي يفرق بين الحاجِ إبْرَاهِيمَ ومن سمّاهم أهل القلاء هو هذا المثل : ما يزكّى الإنسان بشهادة أهله ولا ينال المرء النبوة في بلده . ولا يمنعه قلى الناس أن يزيد في أقواله .

وصول جميع الماسكين بحبليـا تحقّقه من لم يكذّب بربيا
وجوبي فياف في المعارف لم ترم فقد قصر الأقطاب عن درك شأويا
بفضل اله الناس جلّ جـلالـه وحبّ رسول الله طاه نبيئيـا

حلفت يميناً أنني لا يحبّني سوى أسعد والعكس في حال بغضيا
وقد علم الأقوام أني خديمه فوصل حبيب الله يلفى بوصليا
وما قلت قولي شاطحا متبجّحا وما مسّني سكر يغيب عقليا
وأنّ خطوطي للانام سعادة فلم يشق يوماً من رآني وخطّيا
وما قلت هذا دون اذن وانّني لأكتم سرّاً لا يباح لغيريا
وذا كلّه من حبّ سيد مرسل عليه صلاة الله ولتعل شأنيا
تنوّرته حتّي تحيّرت انّما جلال رسول الله حيّر فكريا
افاضته منه اليه محبّة وسبحان ربّ دكّ روحي تجليا
ومن سر هذا متّ شوقاً ومغرما أزيد اشتياقا حين زدت تداليا
فمن بوصل للحبيب وليتني أجاوره في حالتيه تمنّيا
عليه صلاة الله ثم سلامه تساوى صلاة الذاكرين قبيليا
عليه مع الآل الكرام وصحبه ومن سلكوا نهج المحبة قبليا

فانظر أيها القارئ إلى ما قال الشاعر في هذا البيت :

« وانّ خطوطي للانام سعادة فلم يشق يوماً من رآني وخطيا

وله أيضاً فيما يعجب الناس منه :

ولم لا وعيني قد رأته[1] بيقظة بحيّ الذي أهوى مدى الدّهر والدنيا
وأيضاً أرى عينيه تشبه عينه جمالاً فهل تلقى لأحمد من ثنيا
عليه سلام الحق ما قال مغرم تذكّرت والذكرى تكدّر لي المحيا

وله أيضاً :

صفا لي وقتي والحبيب يخصّص وانّي محبوب لطه مخصّص
مراد لحمل السّر من قبل نشأتي مربّ لكل العارفين مخلّص
وان دهش الأقطاب يوماً بمشهد رأوني وانقادوا إليّ وأخلصوا
رأيت رسول الله نصّ بأنّني سفير له في الكائنات مخلّص

ولقد انتخبنا بعض قصائد من ديوان الحاج إبْرَاهِيمَ نيَاسْ وعدد قصائد هذا

---

(١) الضمير إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

الديوان تعدى مائة قصيدة وثماني وسبعين . قال الحاج إبْرَاهِيمَ نْيَاسْ ، أما بعد فقد خطر بي خاطر بالسياحة فخرجت من مدينة كولاك آخر ليلة من ذي الحجة وأتيت دكار وركبت على الطيّارة إلى كوناكري تلك الليلة عام ١٣٦٧ هـ واختصرت رحلتي في منظومة سميّتها نفحات الملك الغني في السّياحة في أرض بَمَكْ وَكَنْ وهي (نبذة منها) :

حمداً لمن في ذكره « قل سيروا في الأرض » من سرى له بشير
ثم الصلاة والسلام سرمدا على النبي المصطفى محمدا
قد جاء اذن في السياحة فها أنِّي أسير أقتفي ذوي النّهى
رافقني من كَوْلَخٍ الأمين فهو أمين الله لا أمين
ومن دَكَارٍ حين طرت جاء خير الورى وباطني أضاء
أجيب دعوني لدى كُنَاكِرِ كما جماني الله عن مناكر
آنسني ربّي لدى كِنْدِيَا أودع سره الأمين عنديا
بيا لطيف قد دعوت راحلا منها ومن مام له مسائلا
بفُونَجَلَا قد تحلّى جلّا وعزّ مولانا وشكى جلا
بدَلَبَا قد تمّ منه البسط لعبده وما رآها قط
بتنك قد شفيت من أسقامي ببركات سيد الأنام
قد ساق لي المريد من يريد نفعاً لدينه ومن يسود

إلى أن قال :

وسنكَال قومها أتوني وأخذوا الطريق اذ رأوني
ساقني اللطيف نحو كن كن والرب أعطاني مقام كن كن
والقصد أحيا سنّة الأمين أحيي طريق القوم للقرون

إلى أن قال :

رأيت في المنام حبّي ينتقل للبرزخ الأعلى والسّر ما نقل

وأيضاً :

قد خصّني بالعلم والتصريف ان قلت كن يكن بلا تسويف

لكنّني اتخذته وكيلا تأدّبا . فاختارني خليلا
وأيضاً :
ومن يحبني ومن يراني في جنّة الخلد بلا بهتان
اذ انّني خليفة التجاني موهبة من أحمد العدنان
من شك في ذا فأرى وأسمع من حيث لا يرى الفتى ويسمع

إذا اعتقدنا أن كل ذلك دعاء أو شكر يدخل في باب « وأما بنعمة ربك فحدث » اذن فينبغي للعامة أن لا يفسروه تفسيراً حرفياً تجنباً من الوقوع فيما لا يرضاه الربّ . فبخ بخ لمن قد كان جديراً بلقب شيخ الإسلام .

« السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ نْيَاسْ »

ولا يقتصر الحاج إبْرَاهِيمُ نْيَاسْ على أن يعلم اتباعه وأولاده الذكور أو أن يؤلّف كتباً ودواوين بل يعتني بتعليم كل الفنون من القرآن إلى البيان لبناته . وليس غير العادة في السنغال أن يعلم الشيوخ بناتهم ما يكفيهن من آي الكتاب العزيز ليقمن به صلواتهن ولكن الذي لا نجده إلا في القليل النادر هو أن يجعل شيخ بناته كاتبات وشاعرات . ويرجع الفضل الكبير إلى الحاج اِبْرَاهِيمَ نْيَاسْ الذي يدخل في هذا القليل النادر اذ يعرف جميع بناته القراءة والكتابة ويحسنها في العربية .

ولقد بعثت إليّ بنت له اسمها مَرْيَمَ بترجمتها سمتها « علاقاتي مع القرآن الكريم » هاكم نبذة منها « اسمي مَرْيَمَ بِنْتُ الشَّيْخ الحاج إبْرَاهِيمَ نْيَاسْ والسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ صَارْ ولدت في عام ١٩٣٢ م بمدينة كَوْلَخْ عاصمة اقليم سِينْ سَالُمْ وفي عام ١٩٣٧ عندما بلغت الخامسة من عمري اعتزم والدي الرحيل إلى الأرض المقدّسة لأداء مناسك الحجّ والعمرة ... أدخلني والدي مدرسة القرآن الكريم بعدما استنطقني بسم الله الرحمن الرحيم ثمّ عهد بي إلى شيخ المدرسة وهو مُورِيتَانِيٌّ اسمه أَحْمَدُ الرَّبَّانِي الذي كان يتناوب مع ابنه مَحَمَّد مَحْمُودْ في تعليم أفراد الأسرة من ذكور واناث واليهما يرجع الفضل في معرفتنا مخارج الحروف ... وبذلك واصلت الجدّ والمثابرة حتى حفظت القرآن كله في مدّة وجيزة وكان ذلك أهم حدث

في حياتي حيث أن الوالد بمجرد ما جاءه الخبر قرّر تشكيل لجنة مكوّنة من الحفّاظ والأعيان برئاسته فبدأت في تلاوة القرآن حتى أتممت السّتين حزباً في ثلاثة أيام . وكانت الجلسات تنعقد ليلاً بعد صلاة العشاء ثم قرّرت اللجنة بالإجماع أني قد حفظت القرآن حفظاً متقناً وجميع أفرادها يشهدون بذلك . ولقد سرّ الوالد بي سروراً كبيراً حيث أقام لي حفلة كبيرة وأهدى لي فرسين وبقرة ودولارين من الذهب الخالص . وكان ذلك في سنة ١٩٤٧ م ... وبعدما شهدت اللجنة بالحفظ التامّ بدأت رحلتي الثانية مع القرآن حيث قرّر الوالد أن أكتبه كلّه على ظهر قلب لكي أتقن كتابته كما اتقنت حفظه ففعلت ذلك ثم أعطاني والدي شهادة بذلك ... ثم أوصاني كعادته مع كل من يحفظ القرآن أن لا أقطع صلاتي به وأن أتمّ قراءته كلّه مرّة كلّ أسبوع ... وعندما ماتت أمّي في سنة ١٩٤٩ انتقلت إلى مدينة والدي وبدأت رحلتي مع العلوم فقرأت على يديه كتاب الأخضري وابن عاشر وبردة البوصيري ثم عهد بي إلى أستاذ آخر اسمه أَحْمَدُ شَامْ فدرست عنده الاجرومية وملحة الاعراب وكتاب التصريف وهو من تواليف الوالد ولامية الأفعال وجزء من الفية ابن مالك هذا من النحو أما في الفقه فقد درست على يديه رسالة ابن أبي زيد القيرواني وجواهر الأكليل على شرح الخليل .وفي العلوم العربية درست مقامات الحريريّ ودواوين الشعراء السّتّ وبعض دواوين الوالد وهي كلّها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

« وفي عام ١٩٤٩ تقدّم السَّيِّد الْحَاجْ عَمَرْ كَنْ لطلب يدي فتزوّجني وبذلك انتقلت إلى مدينة دَكَارْ في عام ١٩٥٢ حيث أسكن في شارع الْحَاجِ مَالِكْ سِي وهنا توطدت علاقتي بكتاب الله أكثر فأكثر حيث بدأت في تعليمه لأولاد المسلمين وما أن علم الناس بي حتى بدؤوا يرسلون أولادهم إليّ وخصوصاً خلال العطلة الصيفية . ومما يذكر أنّ كثيرين من رجالات الدولة أرسلوا ويرسلون أولادهم إليّ ... ومنذ ذلك الحين إلى الآن يزداد عدد التلامذة من كل الجنسيات . فيوجد عندي الآن ما يبلغ ٤٥ تلميذاً منهم السنغَالِيُّ والنِّيجرِيُّ والتُّغُولِيُّ وَالغَانِّيُ وحتى الجاليات العربية ترسل أولادها إليّ فلقد جاءني تلامذة مَغَارِبَةٌ وَمِصْرِيُونَ وَفَلَسْطِينِيُّونَ وغيرهم لتعلم القرآن الكريم .

« هذا واني قد قمت بعدة أسفار مع والدي » .

فلقد أديت مناسك الحجّ أربع مرّات.. وزرت القاهرة وبيروت كما ذهبت إلى فاس لزيارة ضريح شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه وزرت نِيجِيرِيَا وَالنِّيجرْ وتُوغُو وغَانَا ودَاهُومِي وسَاحِلِ الْعَاجِ وفي كل هذه البلدان كان الناس يسلمون إليّ أولادهم وبناتهم لأعلمهم القرآن الكريم ... تكلفت بمعيشتهم ومسكنهم ولبسهم علاوة على الأطفال السنغَالِيِّينَ ... وسوف أظل دائماً وأبداً خادمة لكتاب الله وفيّة له محبّة لقراءته وتعليمه لأولاد المسلمين بدون أجر .

ومن بنات الحاج إِبْرَاهِيمَ نْيَاسْ بنت ممتازة جدّاً وهي السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ نْيَاسْ وهي التي سمّاها والدها (بنت الحيّ) وقد استرعت انتباه الأوساط الثقافية بالعربية بتأليفها كتاباً موسوماً بـ (تنبيه البنت المسلمة في الدين والدنيا) [1] في سنة ١٩٥٤ . فقد ضم الكتاب بين طياته ١٣ تنبيهاً . والكاتبة التي أظهرت شعوراً حادّاً بشؤون أخواتها المسلمات عرّف كتابها حقوق المرأة وواجباتها من حيث هي بنت ثم زوجة ثم أمّ ثم امرأة ثم مسلمة . فتبعت رُقَيَّةُ المرأة من يقظتها والساعة السادسة إلى وقت نومها في الفراش ومن مهدها إلى لحدها وقالت : « فقد خطر ببالي بعد طول الاشتغال بتربية البنات وتعليمهن شؤون الدين أن أكتب لهن بعض نصائح » وقد استشهدت في سرد وصاياها بآي القرآن الكريم وأحاديث خير الأنام فهي نصائح عملية ووصايا أخلاقية غير أنّ غايتها المنشودة هي أن تثبت أنّ القرآن ومحمداً صلى الله عليه وسلم قد سوّيا بين الرجل والمرأة . وهي لامت بطالة أخواتها المسلمات اللائي يكتفين بالولادة والانسال دون أن يتعلمن الفنون والخياطة والطراز وتدبير المنزل لو فعلن ذلك لاستطعن أن يطالبن بحقوقهنّ وأن يؤتين واجباتهنّ بالتي هي أحسن . وعلى حد قولها فأجمل سلاح المرأة لتحرير نفسها هو التعلم . ولأمر ما ذكرت هذا الحديث : « فرض الله طلب العلم على كل مسلم ومسلمة » .

وفي طول سياق كلامها . نجد كلمات ذات بال مثل هذه : « انّك مستعدّة للكمال مثل الفتى فالإسلام دين مساواة » و « كلّ هذه الآداب ضروريّة للبنت المسلمة لأنّها سوف تكون في المستقبل أمّاً وتكون على ذمتها تربية الأولاد » و « الحرّة

---

(١) قد طبع بمطبعة الرأس الأخضر سنة ١٩٦٨م .

لا تباع ولا تشترى واعلمي أنّ لك حقوقاً وعليك واجبات » و « الأمّ هي المدرسة الأولى لأولادها » و « لا تكوني مع زوجك في الدار كالمعلقة فذلك أمر حقير جدّاً لأنّ الزوجة كفؤ للزّوج » وما لنا إلا أن نرّحب بهذه الاعتبارات فضلاً عن أنّها أقوال بنت شيخ كبير ولم تدخل صاحبتها المدرسة العامّة الفرنسية ولم تفكّر إلا في تعاليم الإسلام ومع السيدة رقية أتيح لنا أن نزعم أنّ تعليماً عاديّاً يعتمد على تربية صحيحة دينية وعلى التزامات أحوال الوجود الحالية ليس عاملاً للظلامية ونزعة إلى إعاقة التقدّم ومهما كان من الأمر فالأدب العربيّ في إسنغال فخور بأن تكون من ممثّلية (بنت الحيّ) التي هي مثقّفة ومتعلمة وشاعرة بضرورة تحرير المرأة المسلمة . فهاكم نبذة من كتابها الثمين :

التنبيه الأول

عليك أيتها البنت البارة أن تجتهدي في التزام الآداب مع أبويك سيّما أمّك فإنّ الأب هو الذي يجاهد طول الزمن ويلاقي المتاعب والمحن ويسعى في طلب الرّزق لينفق على البنت ويسد حاجاتها ما دامت ضعيفة . وأما الأمّ فهي التي حملتها تسعة أشهر وأرضعتها سنتين ساهرة على راحتها وتخاف عليها من الأمراض والعلل وتغسل قذارتها وتنظف فضلاتها وذلك أشهى إلى قلبها من كل شيء . وقد أوصانا الله في القرآن الكريم بالبر على الوالدين وصية مؤكّدة حيث قال : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا اما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما واخفض لهما جناح الذّل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيرا[1] . وأكّد الرسول عليه الصلاة والسلام واجب البر بالأمّ بوجه خاصّ حين سأله رجل من المسلمين من أحقّ بحسن مصاحبتي معه فقال : « أمّك » قال ثم قال « أبوك » رواه البخاري ومسلم . وصحّ عنه عليه الصلاة والسلام : « الجنّة تحت أقدام الأمّهات » .

---

(١) سورة الاسراء الآية ٢٤ والآية ٢٥ .

التنبيه الثاني

أيتها البنت المسلمة إذا انتهيت من نومك في الساعة السادسة صباحاً فقومي من سريرك بأدب واحمدي الله تبارك وتعالى على العافية ثم توجّهي إلى الحمام للاغتسال ثم بادري لترتيب البيت بلا توان فتبسطين غطاء السرير أو تبدلينه وتصففين الوسائد وتكنسين البيت وما حوله فعند ذلك يجيء مختار صلاة الصبح فتتوضئين وضوء الصلاة كما تعلمت في المدرسة ولا تلتفتي إلى التيمّم من غير عذر كما تفعل البنات الغافلات ثم تصلين الصبح مع الأركان وبعدهما أدخلي على أمّك للسلام عليها بتحية الإسلام وهي السلام عليكم ، ثمّ ابيك ، وإن شئت الزيادة قلت السلام عليكم ورحمة الله ، وعند ذلك تلبسين ثيابك بعدما تسوكت ونظفت فمك سواء بأيّ نوع من أنواع المعاجين (جمع معجون) ، والفرشاة وتمشطين شعرك بالمشط وتلبسين سواريك وخاتمك وعقدك وفتختك وقرطك وتسترين جميع جسدك ما عدا الوجه والكفين ثمّ هلمّي بالقهوة أو غيرها لتفطر . وتستأذني بأدب للذهاب إلى مدرسة البنات حيث تتعلّمين القرآن وعلوم الدين ثم الخياطة والتطريز وغير ذلك من الأعمال المنزلية للبنت .

التنبيه الثالث

... فتأدّبي أيتها البنت المسلمة ولِيني كلامك مع الجميع ولكن من غير خضوع مع الرجال خاصّة وفي القرآن الكريم تعليم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يعامل الخلق ويحبهم إليه قال تعالى « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر »[1] – الآية – وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لا يرحم لا يرحم » فتعودي أيتها البنت المسلمة رحمة الصغير وتوقير الكبير .

التنبيه الرابع

... تقول : أللهم صِلْ من وصلني واقطع من قطعني ، كما أن هذه الزيارات

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٣ .

تديم صلاح ذات البين ، وفي الحديث الشريف : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والزكاة والصلاة قالوا بلى يا رسول الله قال : صلاح ذات البين فان فساد ذات البين هو الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » رواه أبو داوود والترمذي..

التنبيه الخامس

... واجتنبي الانفراد مع غير ذي محرم ولا تكثري كلامك لأنّ كثرة الكلام عيب في البنت ولا تذكري عيب أحد فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ولا تظهري عورتك ... وبعد انتهاء تعلمك من المدرسة ينبغي أن تتعلمي الطّبخ والغسل وكيّ الملابس وتتعودي النظافة وترتيب المائدة والترحيب بالضيف ومن الترحيب به متى قدم اليك ضيف أو ضيفة أن تقولي له مرحباً ! أهلاً وسهلاً ! ... ثمّ تهيّئي له شراباً بارداً في كوب نظيف ، وتتقدّمي به اليه بأدب ولا تنظري اليه لتعرفي كيف تَنَاوله كلا بأن تنظري إلى الأرض ومتى ردّ إليك الكوب فقولي له أو أزيد ولماذا لا تريد ؟ وينبغي عليك تعليم ما تعلمت لغيرك للاقتداء بأمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ وبالسيدات المسلمات في صدر الإسلام اللائي يعرفن قراءة القرآن والكتابة وعلوم الدين كالسيدة حفصة زوجة النبي والسيدة عائشة بنت أبي بكر وهي أعجبهنّ شأناً . فقد كانت تقرئ القرآن وتعلم العلم حتى قال الرسول في حقّها خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء . وقال عروة بن الزبير في شأنها : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطّب ولا بشعر من عائشة ، وقد روت عن النبي ألف حديث ... وان أقول لك هذا كلّه لتعلمي انّك مستعدّة للكمال مثل الفتى فالإسلام دين المساواة ، فقد فرض الله طلب العلم على كلّ مسلم ومسلمة وجوباً . وإياك أن تعطلي نصف الأمّة المحمدية .

التنبيه السادس

في التهاذيب ، اجتنبي ايتها البنت المسلمة كل ما يحمل الجراثيم فربما يسبب أمراضاً كوقوع الذباب على طعامك وشرابك ولا تشتري من أطعمة الباعة المتجولين فانّ ذلك مضر بالصّحة ، واحرصي على أن يكون لك بعض الأدوات الخاصّة لا يستعملها غيرك ككوب خاصّ لشربك ومنشفة خاصّة لاستعمالك الخاصّ

ومعجون للاسنان وفرشاته وسرير لنومك ومخدّة خاصّة وما أشبه ذلك ... ومن آداب الأكل أن تغسلي يديك قبل الأكل ... وان جلست مع غيرك على المائدة فلا تبتدئي قبل أن يبدأ من هو أسنّ منك وارفع منك مقاماً ... وامضغي طعامك مضغاً جيداً ...

... فلا تحدثي في المنزل حركات تزعج أهله ولا تعبثي بأدوات المنزل وبما فيه من صور وأجراس الكهرباء وصنابير المياه ولا تكتبي فوق الجدران وإذا كان في المنزل حديقة فلا تعبثي بأشجارها وأزهارها ولا تفرطي في اكرام أبويك كما سبق في التنبيه الأول ... وأن تصوني عرضهما ... اجتنبي فحش الكلام إطلاقاً .

التنبيه السابع

في حسن المعاملة مع الأخوة . على الفتاة المسلمة أن تلاطف اخوتها الصغار وأن تكون شفيقة بهم ولا تؤذيهم ... وعلى البنت المسلمة أن تحسن المعاملة مع كل من يكون في منزلة والديها باللطف والبشاشة والدماثة وأن لا تؤذي الخدم والجيران ، لأنّ ذلك يدلّ على نقص عقلها وسوء تربيتها وكما قال الشاعر :

ما وهب الله لأمرء هبة　　　أفضل من عقله ومن أدبه

التنبيه الثامن

... ومن ناحية أخرى قال عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه » . ومن حسن الأدب مع الجاران تكفي عنه الأذى وعن أولاده وأن تحيي عليه إذا لقيته أو مررت به وأن تعوديه إذا مرض ... ولا تحقري فقيراً لفقره ولا ذا عيب في جسمه ... وكلّ هذه الآداب ضرورية للبنت المسلمة لأنّها سوف تكون في المستقبل أمّا وتكون على ذمّتها تربية الأولاد .

التنبيه التاسع

... ومتى بلغت سن الزواج بأن برزت علامات ذلك في خلقك وشعورك ، وبدأ الرجال يبدون رغبتهم في خطبتك فايّاك أن تتملقي إلى ذلك باظهار جمالك أمام الرجال فذلك لا يجوز شرعاً ولا يليق بكرامة المرأة المسلمة ... فايّاك أن ترهقي زوجك بالمطالب الكثيرة ... الحرة لا تباع ولا تشترى ... وشمّري أيتها البنت

المسلمة عن ساق الجدّ بحسن معاملتك مع الزوج واعلمي أن لك حقوقاً وعليك واجبات قال تعالى : « وعاشروهنّ بالمعروف[1] ... كما أنّ عليه أن يعاشرك بالحسنى ويرعاك ويحترمك ...

التنبيه العاشر

... ولا تخرجي من المنزل إلا بإذن (زوجك) ولا تدخلي بيتكما من لا يريد ، وتأدّبي مع أصدقائه الصالحين إذا قدموا معه ، وتعاوني معه على نوائب الدهر وفي جميع الحالات في السّرّاء والضّرّاء وينبغي أن تعاملي الخدم باللطف واللين ... والأم هي المدرسة الأولى لأولادها . هذا وفي بعض الحالات يجوز للزوجة فصم عرى الزوج بعد طول الصبر وذلك مثلاً إذا عجز الزوج عجزاً بيناً عن الإنفاق أو الكسوة أو عن إيجاد المسكن أو كان أحدهما عاقراً مع أن الإنجاب شيء مهمّ في حياة الزوجين ... ولكن من العار عليك أيّتها المسلمة أن تسألي زوجك الطلاق بدون سبب معقول ...

التنبيه الحادي عشر

... وأما الظلم الذي يخوض فيه بعض الرجال من بين النساء فلا ترضي به أبداً كميل جوراً إلى ضرّتك بدون مراعاة النوبات وكعدم عدل في القسمة أو غير ذلك ... ولا تكوني معه في الدار كالمعلقة فذلك أمر حقير جدّاً لأنّ الزوجة كفؤ للزوج ... قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « ما أكرم النساء إلا كريم فما أهانهنّ إلا لئيم » ...

التنبيه الثاني عشر

إياك والأخلاق المذمومة كالكذب والنميمة والغيبة والتجسّس والكبر والحسد والبخل فانّ كل ذلك من أعظم عيوب المرأة وقد نهى تبارك وتعالى فقال : « ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً

(١) سورة النساء الآية ٢٣ .

فكرهتموه »[1] ... ثم إياك والبخل ... أيتها الأخت المسلمة تلك تنبيهات في الدين والأخلاق كتبتها كما ورد في الحديث الشريف . والله أسأل أن يجعلها خدمة خالصة لوجهه الكريم وأن يوفقني للقيام في الجزء الثاني بعمل آخر أكبر وأنفع وأن يلهم أخواتي المسلمات الرشد والشعور بواجب المرأة المسلمة حتى يلتفتن إلى هذه الناحية ناحية التأليف والتصنيف وما ذلك على الله بعزيز » .

والأحكام لهذا الكتاب كثيرة حسنة ومنها ما قاله الوالد شيخ الإسلام الحَاجُ اِبْرَاهِيمَ نِيَاسْ : (أيتها البنت البارّة السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ ، وقفت على رسالتكم وحمدت الله على نعمة ايجادكم ، ونعمة امدادكم ، وأسأله تعالى أن يقبل سعيكم ويسعدكم ، ويسعد كل من يسعى في تحصيلها من ذكر وأنثى ويحفظكم على الدّوام ، والسلام) .

قال مُحَمَّدُ الأَمِينْ مبدياً اعجابه بهذا الكتاب القيم الذي كان بداية الانطلاقة نحو الغاية المنشودة . قالَ :

رُقَيَّةُ قد حزت المكارم والفضلا ... وفقت رجال الحي فالنسب الأعلى
ونلت بتنبيه البنـــات مكانـــة ... إلى أبد لا تنثني تطـرد الجهــلا
نثرت مـن الأسلوب دراً منظما ... كما كنت في المنظوم لا تظهري نكلا
ونرجو من المولى الكريم بفضله ... بجـــاه نبي الله أن ينفـــع الكلا
ويخلق من أجل النصائـــح امة ... تتوق إلى العلياء والسنة العظمى
ويبقـى فتاة الحي فخراً لقطرنا ... ويرفعها قـدراً ويهـدي بها السبلا
بجاه رسول الله ناصر دينـــه ... وأصحابه كلا ومن يقتفي الرسلا
عليه صلاة الله ما قال معجب ... رُقَيَّةُ قد حزت المكارم والفضلا

---

(١) الحجرات الآية ١٢ .

مدرسة عَيْنُمَانْ
القاضي مَجَخَت كَلَ

قال القائل : يحمل كلّ أديب ذي مكانة مرموقة وهمّة عالية بضعة من زمانه في ظلّه « وان كان لا بدّ أن ينطبق هذا الحكم على رجل فهذا الرجل هو القَاضِي مَجَخَت كَلَ (١٨٣٥-١٩٠٢ م) ولأجل العلاقات بينه وبين ملوك السنغَالْ مثل دَميلْ لَتْجُورْ جُوبْ وبُورْبَ عَلْبرِ انْجَايْ وبُورْسِينْ وبينه وبين الأشياخ الأكابر مثل الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ والشيخ الحَاج مَالِكْ سِهْ أَلْمَام مَابَهْ جَخْ وأَحْمَدُ شَيْخُو التِّجَانِي والحاجُ مَاجُورْ سِيسهْ وبينه وبين الأمراء المستعمرين كان القَاضِي مَجَخَت كَلَ عاملاً وشاهداً معاً لما هو أكثر أهمية في تاريخ السنغَالْ وأشدّ تركيباً فيه .

أمّا عَيْنُمَانْ فهي قرية على أربعة كيلومترات من مدينة جِلْمَخَ أسّسها الذي يعتبر أكبر الشعراء السنغاليين سنة ١٨٩٣ م تذكاراً لعين ماضي مسقط رأس الشيخ أَحْمَدَ التِّجَانِي وإجلالاً والشاعر الأكبر هذا هو القَاضِي مَجَخَت كَلَ .

أليس غريباً أن لا يذكر الناس ذكرى هذا الرجل العجيب الأخّاذ وأن يدفنوا ذكره مع جسمه وربما كان أكثر ذكاء من أهل عصره وأشد مهارة وأصالة منهم وأشجع من أمراء دهره . فلم يكن التاريخ منصفاً نحوه ولم يكن الأدب منصفاً أيضاً تجاه من هو جدير بأن يقوم المقام الأول في مدفن عظمائه . ومنذ عهد غير بعيد زودنا السيد مَالِكْ انْجَايْ الجيِسيْ مسكناً . بترجمة وجيزة عربية كتبها في حياة القَاضِي مَجَخَت كَلَ وهو من الرجال القلائل الذين يهمهم المحافظة على التراث الثقافيّ للسنغَالْ ها هي ذي الترجمة : « ولد مَكَلَ بن مُوسَى جَخَت الذي اشتهر فيما بعد بالقَاضِي مَجَخَت كَلَ في قرية كَرْمَكَلَ بَاكُلْ ، وقد نزح أهله من انْجَامْبُرْ واستقرّوا ببَاكُلْ في القرية المذكورة .

« شبّ وترعرع وتعلم من والده موسى جميع ما تعلم ، ويقال أنّ والده أول من أتى بعلم النحو إلى بَاكُلْ .

« اعتنق مَكّلَ جَخَت الطريقة التجانية بواسطة شخصية غير مشهورة [1] بعد . وذلك في سنّ متأخرة . وذلك عقب مقتل أحمد الشيخ الشهير بالتجاني [2] . انتقل من قرية جدّه كَرْمَكّلَ وأسّس قرية (عين ماضي) . اتّصل بِلَتْجُورْ الذي عيّنه قاضياً فأظهر في هذا المنصب براعة نادرة ، وقيل أنّ سبب توليه لَتْجُورْ له القضاء هو أنّه دَعَا اللهَ في بعض حوائجه وأجيبت الدعوة فأراد لَتْجُورْ تقريبه اليه وجعله من خاصته فأولاه القضاء .

« ومن أشهر أعماله في القضاء فتواه بوجوب دفع الزكوات إلى لَتْجُورْ وذلك عقب عودة هذا الأخير من سَالُمْ بعد وفاة تفسير مَابَهْ جَخُ وإعلانه نفسه أميراً للمؤمنين في كَجُورْ فامتنع كبار العلماء وعلى رأسهم العالم الشهير مَسِلَهْ مَان عن دفع الزكوات اليه فقاضاهم إلى القَاضِي مَكّلَ جَخَت وكان قضاؤه : انّي قرأت في الكتب أنّ الزكاة تدفع للإمام . ويشهر كذلك قضاؤه بين السّلْهِيِّينَ وَالسّرِكِيِّينَ في شأن اختلافهم في الأرض بعد رجوعهم من سَالُمْ قادمين من حملة التهجير التي شنها تفسير مَبَهْ على شيوخ كَجُورْ بحجة إخراجهم عن دار الكفر وتأديبهم على التخلف عن الجهاد معه والتقاعس عن مجاهدة من يليهم من كفّار كَجُورْ بينما هو يقوم بواجبه في سَالُمْ .

« ومن أبرز الوقائع في حياة القاضي إباؤه دفع الزكاة لدمْبَ وَارْسَلَّ . فقد أرسل إليه ذات يوم جابياً لجمع الزكوات فقال القاضي للجابي : قل لدمْبَ وَارْ لا أوتيه الزكاة واني لساع في منع النهب والسلب باسم الزكاة . وفي ذلك نظم القصيدة التي مطلعها :

يا حاجباً ساكنا حيث الأمير سكن وَقُلْمَ تُوتِ فَبُورَبْ تَيْبِ أَكْسَبَكَّنْ

وذهب بالقصيدة إلى الحاكم الفرنسي في سانْ لُوِي فمنع هذا النوع من السلب وأكد في المنع .

ومع اشتهار القاضي بالبراعة القضائية فقد كان صوفياً زاهداً ولم يقبل السكنى

---

(١) سأذكره إن شاء الله .

(٢) قتل سنة ١٨٧٥ م .

مع الملك طول حياته بل كانت القضايا العامة ترسل اليه في مقره بعين ماضي ويدعى إلى العاصمة للفصل في القضايا الخاصة ثم يعود .

ومع سعة أفق القاضي العلمية في الفقه والأدب والتصوف وعلوم الفقه فلم يأخذ منه العلم إلا القليلون وذلك لتشدده في إصلاح الطالب من الجهات العقلية والنفسية والدينية ، وقل من بين الطلبة المتحملون لهذا المسلك المثلث في التعليم والتربية الذي كان يخالف تماماً ما شاع في مدارس ذلك العهد ، فقد كان المعلم لا يهتم إلا بالقاء الدرس على الطالب ويهمل ما سوى ذلك ، والاطلاع على القائمة لمحتوية على أسماء تلاميذه كاف للتدليل على صحة هذا القيل . فهم قليلو العدد لكنهم جميعاً من الوجوه البارزة في مجال الأخلاق والعلم والزهد والتربية .

« وهو الذي درب الشيخ الخديم أحمد بمب على قرض الشعر باذن من والده شيخ ممّر انت سل . وما زال القاضي يدربه على النظم ويقوم شعره إلى أن برع اتقن فزكاه . وما زالت العلاقات الشعرية تتمتن بين الخديم ومدربه طول ما بقيا . لقد نقلت عن ثقة روى عمن حضر المجلس أن القاضي أرسل إلى الخديم هذا بيت :

حــق البكاء على سادات أموات تبكي الأراضي عليهــم كالسماوات

جعله مطلعاً لقصيدته الموسومة بالكلمة الأولى من البيت وهو من أروع ما قيل في دب على السادات الصوفية . ولما أرسل الشيخ القصيدة إلى القاضي استبشر وقال : لحمد لله الذي حبب إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فانه لا ينظم قصيدة إلّا وَلِي أجر » .

وقد توفي القاضي عام طيشش (١٣١٩ هـ) وهو سنة عودة الشيخ احمد نبَ من غَابُونْ قبل ذلك بأشهر قليلة برد الله عظام القاضي وأسكنه فسيح جنانه .

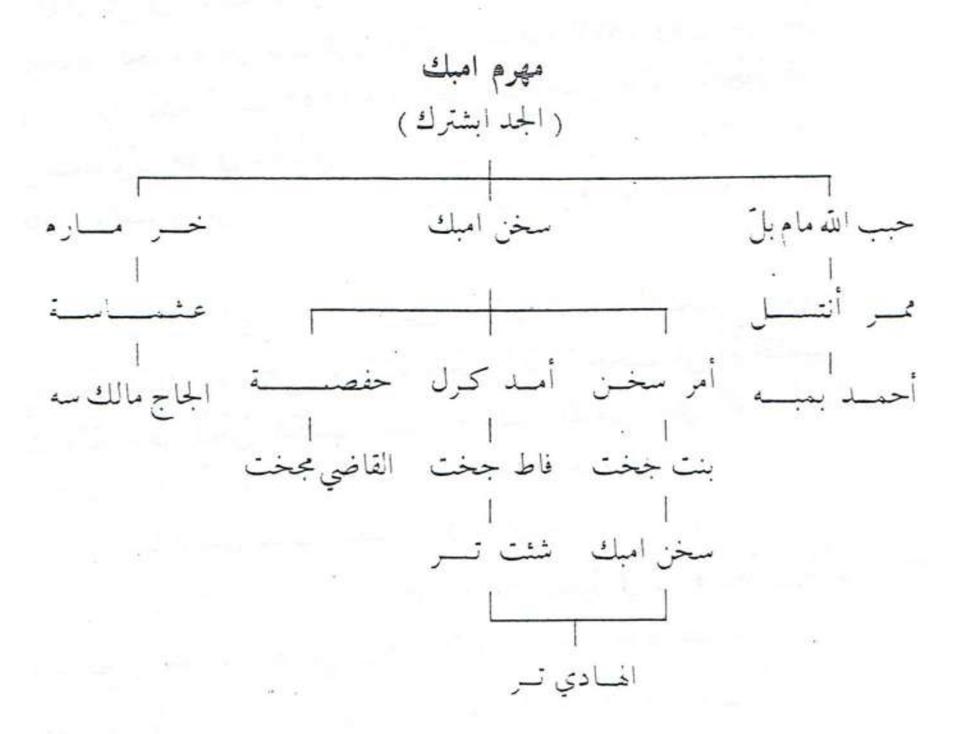
ومن أبرز صفات القاضي الشخصية : الذكاء والشجاعة الأدبية ، والفصاحة غة ، وحضور البديهة ، وصفاء الذهن ، والعقلية القضائية والحرية العقلية عتداد بشخصيته العلمية .

كان يحب التحرش بالعلماء ومناظرتهم ومساجلة الشعراء . وبالإيجاز فقد فيه أهم الصفات التي يتميز بها أصحاب الشخصيات العالية وكان نابغة

زمانه في العلم والأدب والقضاء فخلدت مناقبه العقلية والعلمية وتناقلها الناس متواترة يتحفون جلساءهم حتى جاب صيته آفاق القطر السنغالي » .

وينبغي لنا أن نتم هذه الترجمة الوجيزة والذي جدير بأن يذكر هو أن لنا ظروفاً مدققة ألف فيها القاضي مَجَخَت كَلَ آثاره الواسعة . قال لنا ابن له وهو مُحَمَّدُ جَخَت سنة ١٩٦٩ م إنّ والده عندما سأله عالم مُوريتَانِيٌّ عن إنتاجه قال انّ له ديوانا مسمى بـ (مكلية) احتوى على ٥٠ قصيدة وهو عند علماء مُوريتَانِيَا وألف أيضاً قصائد وُلُفِيَّةً أنشدها ورتّلها السَّيِّدُ خَالِ سَيْ الساكن في مدينة جُرْبلْ .

هاكم شجرة نسبه التي أبرزت صلات القرابة بين القاضي وبين لتجور وأحمد بمبه والحاج مالك سه .



أخذنا هذه الشجرة النسبية من الشيخ التجاني جَخَتْ في عَيْنُمَانْ سنة ١٩٦٩ م وهو من أحفاد القَاضِي مَجَخَت كَلَ .

القَاضِي مَجَخَت كَلَ وَدَميلْ لَتْجُورْ

ورد في كتاب (نبذة تاريخية سنغالية) لِلسَّيِّدِ مُنْتَايْ ما نصّه : « ولد لَتْجُورْ أَنْكون لَتِرْ حوالى سنة ١٨٤٢ م وختن وعيِّن رئيس مقاطعة كيتْ (بُورْ كِيتْ) سنة ١٨٦١ م ثم صار ملكاً لكَجُورْ أي دَميلْ وهزم جيوش أعدائه في أَنْكُلْكُلْ سنة ١٨٦٣ م ثم انهزم في لُورُ عام ١٨٦٤ م ثم التجأ إلى سَالُمْ وإلى رِبْ عند اَلْمَامِ مَا بَهْ جَخُ القتيل الشهيد في سُمْبَ سنة ١٨٦٧ م ثم عاد إلى بلاده كَجُورْ فخضع للفرنسيين في شهر نُوفَمْبَرْ سنة ١٨٥٨ م . فعين أميراً لكيتْ ودَميلْ لكَجُورْ من سنة ١٨٧١ م إلى سنة ١٨٨٢ م . وهزم هو والفرنسيّون أَحْمَدُ شَيْخُو الشهير بالتِّجَانِي الذي قتل في بُنْدُ سنة ١٨٧٥ م . وقد قاوم الفرنسيين الذين كانوا يحاولون إنشاء الخطوط الحديدية بين سانْ نلُوي ودَكَارْ منذ عام ١٨٧٧ وعين أمير أَنْدَرْ صَمْبَهْ لَوْبَى دَميلْ لَكَجُورْ سنة ١٨٥٣ م في إطار نظام حماية فرنسية لكَجُورْ غير أنّ دَميلْ صمبه لَوْبَى قتل في تِوَاوُنْ في السادس من شهر تشرين الأول سنة ١٨٨٦ م . وفي الخامس والعشرين من هذا الشهر قتل لَتْجُورْ في دقّل وكان ابن أربع وأربعين سنة » .

قال لنا « مُحَمَّدُ جَخَت » انّ اباه القَاضِي مَجَخَتْ كان خالاً لِلَتْجُورْ : « تزوّج أَنْجَمي بسُخْنَهْ أَمْبَكْ وهذه هي أمّ عَبْسَهْ جَخَت وعَبْسَهْ جَخَت هي أمّ القاضِي مَجَخَت ولمّا غادر لَتْجُورْ الكتيب اتّصل به والدي القاضي الذي كان لدَميلْ وزيراً وكاتباً ومستشاراً وهو الذي أوحى اليه بحروبه هذه لهديه إلى الإسلام . ولَتْجُورْ كان مديناً لوالدي بغالب انتصاراته في الحروب .

وفي ١٢ من شهر كانون الثاني سنة ١٨٦٤ م انهزم لَتْجُورْ في لُورُ فالتجأ إلى سَالُمْ عند مَابَهْ جَخْ وبايعه وقال القاضي في هذا الانهزام لِلَتْجُورْ هذه القصيدة الرائية :

أصادق في ادّعاء الدين لَتْجُورْ ... أم إنما همّه في ذاك كَجُـورْ
مروه يذعن ويخضع كالملوك معـا ... وهل براز النصارى البيض مقدور
ما اهتمّ مذ شبّ الا باحتساء طـلا[1] ... حتى مضى يومه المعروف في لُورُ

---

(١) الطلا هو الخمر .

إذ جاءه عسكر إفْلِيزُ[1] قــائدهــم ... فيهم كُمَنْداً وكَبْتيــنٌ ودُكْتُـورُ[2]
وهم ينادي بأسماء المجوس إلى ... أن جاء لَتِرْ وَدَرْكَنْ ثُـمَّ مَاجُـورْ
حتى إذا اجتمعـوا طرّاً رمـوا فرموا ... بكَنْ[3] فافترقوا والجيش مكسور
وهم يقولون ماذا الرعد حلّ بنا ... حيث الرّصاص مع البارود منشور
فجاءه مَيْسَ أَمْبَــيْ يدمـى فقال له ... ها أنّ جند النصارى اليــوم منصور
وأنّنــا لا أرى الا هــزيمتنـا ... فجلّ جيشك مقتــول ومأسور
فثمّ ولّـوهـم الأدبـار فانهـزموا ... بالذّل فادعوا الإسلام في جُـورُ[4]
وظنّ أنّ له منجا ومعتجمــا ... إذ صار جُورُ له سكنى وكُوورُ[5]
فجاء بالدين حلق الرأس عمدته ... هل ذو حلاق بدون الحج مأجور
وكان يأمــن هنـا من مكــائدهم ... حتى أغار علينا وهو مغرور
فقام لَبْرَادُ[6] يوماً في عساكـره ... لم يبق سَنْدَرْمَر ولا تِلَايُـــورُ[7][8]
حتى لقـوه لدى يوم الخميس ضحى ... في لُوكَ[9] أيضاً كلا اليومين مشهور
مثلاً بمثـل فقد حـلّ القدير لهـم ... من بعد تحريمه ايّـاه والـبير
فللنصارى شؤون من عجـائبهم ... فلا تقل عوض إن أخبرتهـا زور
لله درّهم في كلّ معـركــة ... أميرهــم مستضِر الشّرّ محــذور
فهل أمير نحييـه بدَوْ وجَمَـمْ[10] ... بل التحية فيه ليوم بنْسُـورْ[11]

---

(١) افليز كان قائداً فرنسياً .
(٢) كمندا وكبتين ودكتور أسماء فرنسية .
(٣) كن : مدفع بالفرنسية .
(٤) جور : اسم بلد وهو عاصمة مابه جخ .
(٥) كوور : اسم قرية .
(٦) لبراد : هو قائد فرنسيّ .
(٧) سندرمر : هو دركيّ في الفرنسية .
(٨) تلايور : رامي البندقية الأسود .
(٩) لوك : هي مدينة .
(١٠) دو و حمم : اسمان من الولفية معناهما : « هل أنتم بالعافية ؟ »
(١١) بنسور : أي « مساء الخير » في الفرنسية .

فهذه القصيدة لم تكن لتطيب لدَميلْ لَتْجُورْ مع ما فيها من الأمور الحقيقية وما يقتضيه التاريخ من الموضوعية فالشاعر موّه فيها بشجاعة الفرنسيين قيل أنّ لَتْجُورْ لمّا عثر على القصيدة أوعد القاضي وعرّضه للخطر بل للموت ففعل الشاعر فعل كعب بن زهير حين قال « نبّئت أنّ رسول الله أوعدني » ففدى القَاضِي نفسه بقصيدة رائية جعل فيها لَتْجُورْ ملكاً ينصر الإسلام وينشره في كَجُورْ وهازماً لجيوش أعدائه وزاد قال انّ كثيراً من الملوك قد قالوا قبل المستعمرين إنهم منذ ألقوا هذه الكلمة فلم يجع النسر والضبع . وبعد سبعة أعوام من القتال الذي رأى نصر جند الله قال الأعداء لِلَتْجُورْ « دونكم البلاد خذوا كَجُورْ » ولو أنصفوا لاعتبروا أنفسهم سعداء إذ أبقاهم سورة الليث في ساحات الوغى هذه أُنْكُلْكُلْ ولُورْ ولُوكَ ومخ ومَنْدَغْ ولما كان الفرنسيون يريدون كظم غيظ الأسد قالوا له : « مرس [1] لَتْجُورْ » وواصل القاضي قائلاً : « لا أخاف من يسلم عليهم بُنْسُورْ [2] ولا أخشى قاداتهم مثل كُمَنْدَا وكَبِتِينْ وبِرْجَا وكُلُنلْ وتِلَايُورْ وسَنْدَرْ وكَبْرَالْ وسابقى ذكر لَتْجُورْ إلى الأبد » .

ودونكم هذه القصيدة :

بشرى لقد شاد دين الله لَتْجُورْ	فأحيي اليوم بالإسلام كَجُورْ
تلقيه يأمر بالمعروف عسكره	كأنما جاءه من ربه النور
وهل ترى نادياً فيه تمرّ به	الا ويسمع تهليل وتكبير
يروع أفئدة الأعدا كتائبه	كأنهم غنم للأسد مذعور
فليدخل الناس طرّاً في طريقته	طوعاً والا فسيف الموت مشهور
علاه قال النصارى « لا يزول لنا	ملك » وهل قبلهم إلا أساطير
ماز النسور سراراً والضباع معا	منهم وهل جمع أهل الشرك مكسور
مازال يضربهم بالبيض يطعنهم	حيث الرّصاص مع البارود منثور
لم يشتك الجوع من نسر ولا ضبع	إلّا وهامهم في البيدر مجرور

(١) مرس : شكراً بالفرنسية .

(٢) بنسور : مساء الخير .

أقام سبعة أعوام يبارزهم ... حتّى رأوا أنّ جند الله منصور
فحاولوا السلم منه قائلين له ... « لك البلاد فهذا خذه كَجُورُ »
تالله ما سالموا إلا لما عهدوا ... أيّام لاقوك في كُولْكُولْ وفي لُورُ
ولُوكَ بعد مخ فالسلم موجبها ... لم يخف انّك يا ضرغام محذور
فلا يسؤك مدى الأزمان انهم ... فاجوك في مخ الثّاني وفي لُورُ
كم حاربوك جروباً لا يطيب لهم ... نفساً وأنت قرير العين مسرور
خالوك منزعجاً إذ غبت ذا بعد ... وانّ ذاك من الأكباش تأخير
ومن مَنْدَاخ جمعت الخيل يركبها ... مرد علامتهم حلق وتقصير
مثل الجراد بهم غصّ الفلاء وقد ... غاظوا وفاروا كما قد فار تنور
يبادرون حياض الموت قاطبة ... شمّ العرانين أبطال مشاهير
ينازعون جياداً في أعنّتها ... ترنوا اليهم نساء الجنة الحور.
يمشي المشاة أمام الرّكب واحتفلوا ... أقدامهم تشتكيها التل والغور
لهم غبار يكاد الجوّ ممتلئا ... منه إذا قلت فيهم آمرا : « سيروا »
سيّرتهم فاجدوا سيرهم وأتى ... بهم سرى ثم اصعاد وتهجير
يقودهم عمّك المختار محتزما ... كالليث ذي اللبد الشّاكي أظافير
وقد تلقّاك بالتأمير أهل نهى ... إذا مقال النصارى : « مرْس لَتْجُورْ
لله درّك من جمع قوائله ... باقي الثناء ليوم الدّين مذكور
هل تغضبن لقصيد قلته وجلا ... عند العدى انّ ذا الأوجال معذور
لم أدر هل أنا تيس في السّباع إذا ... أم أنّني في يد الصبيان عصفور
والله يعلم أنّي لم أكن أبداً ... أهوى أناساً أحبّهم بِبُونْزُورْ
وما كَمَانْدَكْ وكَبْتِينٌ لديّ ولا ... سِرْسَانْ ولا كُولُونلْ إلا اليعافير
ولا التِلَايُورْ ولا السَنْدَرْمَرْ معهم ... كَبْلَارْ قائدهم إلا خنازير
وهم جحاش أتان بيننا نهقت ... إذ أحدقوا لتداويهم بدُكْتُورْ
حمداً إذا ما النصارى أخرجوا فلنا ... من بعدهم لديار الدين تعمير
أخرجتهم بحروب ذكرها أبدا ... باق بقاء جبال الأرض مشهور

فإنّ قيمة هذه الوثيقة التاريخية لا يمكن انكارها أحقّ أنّ لَتْجُورْ جاهد الفرنسيّين باسم الإسلام كما أكّده الشاعر ؟ لقد علم القاضي اليقين أنّ دَميلْ قام بثلاثة

وثلاثين قتالاً لاسترجاع عرشه في كَجُورْ وأنّ الدين أو حلاق مَابَهْ جَخُ رأس لَتْجُورْ ان هذا إلا ستار ووسيلة تنكّر ومكيدة ملك مخلوع واقع في ورطة أراد أن يؤيد صفوف أشياعه بقوى المسلمين النّاشئة النائمة لا غير . أليس الحَاجُ حَسَنْ مَرْقِيَهْ[1] هو الذي قال ما يلي : « لم يستطع لَتْجُورْ أن يختار بين الأمرين فعزم على اعتناقه الإسلام وذهبا إلى رِبْ وسَالُمْ لمبايعة مَابَهْ جَخُ راجياً تولّي أمره وحكمه » هذا وان علمنا أنّ هناك خمس رسالات أملاها دميل على القاضي مَجَخَت كاتبه ورد في أولها « من أمير المؤمنين لَتْجُورْ إلى أمير أَنْدَرْ » أو « من سلطان المؤمنين لَتْجُورْ ... لا أبغي إلّا التفكير في الحياة الآخرة ... ولا أستعين إلا الله ذا القوّة والحول ... أنا سلطان المؤمنين في بلاد السودان » . قال ونْسَانْ مُنْتَايْ : « السيد الشّيخْ تُوري وهو من ذريّة القاضي مَجَخَت كَلَ قد حمل حملة شعواء على لَتْجُورْ لأنّه قبل معونة جيوش الاستعمار واتّهمه بأنّه أسلم مغرضاً ابتغاء تأييد نفوذه في كَجُورْ » .

فهذا الإيضاح ليس بتافه بل هو ضروريّ لأنه أظهر ما حضّ لَتْجُورْ في الحقيقة على إعلان حروبه عن طريق الإسلام .

وقد وصف الشاعر وصفاً ملحمياً . راجع نظرة هذه الأبيات :

يمشي المشـاة أمام الرّكب واحتفلوا ... أقدامهم تشتكيها التـلّ والغور
لهم غبـار يكاد الجوّ ممتلئـا ... منه إذا قلت فيهم آمراً سبروا
يقودهم عمّك المختار محترماً ... كالليث ذي اللبد الشاكي أظافير

وكان شاعر لَتْجُورْ هذا قاضياً له وكاتباً أيضاً . قد عثرنا على مائة رسالة من لَتْجُورْ إلى أمير أَنْدَرْ وهي كتبت بالعربية أملاها دميلْ بالوُلُفِيّةِ على كتابه مثل مُمَّرْ أَنْتَسَل والد الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ ومُورْ خَجَ كُمْبَهْ صاحب كتاب النحو المسمّى بالمقدمة الكُوكِيّةِ والقاضي مَجَخَت كَلَ قد نقلها المترجم الشهير الأَنْدَرِيْ ابْنُ المَقْدَادْ .

---

(١) راجع : « نظرة في تأريخ كجور » لـ (حسن مرقيه صمبه) قد نقلها (صمبا فال صمبه) . طبع بمطبعة عبد الله جوب في دكار سنة ١٩٦٣م .

والحق أنّ ثلاثة أرباع من هذه الرسالات كتبها القاضي وكان يبدأ رسالته كما يلي : « من الأمير لَتْجُورْ الذي لا يجور إلى برِهيرْ دَلِيلْ أمير آنْدَرْ المعين الأجدر . وبعد أن قتل لَتْجُورْ طلب القاضي من الأمير الفرنسي عودته إلى كَجُورْ . قال رئيس كورة دَنْدَهْ لأمير آنْدَرْ : « كان مَجَخَت كَلَ الشيخ الشهير مستشاراً حميماً للَتْجُورْ وشيطاناً مهلكاً » . بل لما قبل القضاء من لَتْجُورْ كان يريد جعل ظلم « جيدُّو » وقساوتهم وهمجيتهم بعيدة من حدود الله ومبادئ العدل والمساواة والأخاء الإسلامية .

فانّ سعي القاضي في الرجوع بلَتْجُورْ إلى إقامة حدود الله قد لاءم المستعمرين لأسباب الأمن والتجارة .

القَاضِي مَجَخَت كَلَ وَعَلْبر آنْجَايْ

فهذه شجرة نسبية أبرزت القرابة بين لَتْجُورْ وعَلْبر ملك جُلُفْ .

سَاخَورْ قَانْمَهْ

مُودْ سَخَنَهْ نِيَانْ	أَحْمَدْ بَلَ
سَاخورْ سَخَنَهْ أمْبي (والد)	زَيْنَبْ جُوبْ (أمّ)
لَتْجُورْ جُوبْ	عَلْبر آنْجَايْ

ولد عَلْبر آنْجَايْ في جِيَلْ بالقرب من مدينة دَارَهْ سنة ١٨٤٢ م توفي والده بَرَمْ بنْدَ جُوتي في عام ١٨٥٣ م واسم والدته زَيْنَبْ جُوبْ . وكان يحارب في جَنْب لَتْجُورْ الملوك الآخرين والفرنسيين . ولمّا غزا ألْمَام مَابَهْ جَخ جلف جعل لَتْجُورْ وعَلْبر من أشياعه ومجاهدين في سبيل الله ١٨٦٤ م . وكتب عَلْبر إلى أمير آنْدَرْ سنة ١٨٦٥ م وقال له : « أنا مجاهد لأَحْمَدَ شَيْخُو ... » غير أنّ أَحْمَدَ شَيْخُو هذا فتح جُلُفْ في عام ١٨٧٠ م وملكها مدّة خمسة أعوام من ١٨٧٠ م إلى ١٨٧٥ م وكان عَلْبر ولَتْجُورْ في جيش المستعمرين الذي حارب وقتل أَحْمَدَ شَيْخُو المهديّ

في سَمْبَهْ سَاجُ عام ١٨٧٥ م وغزا بَارَهْ أخو أَحْمَدُ شَيْخُو بلاد جُلُفْ سنة ١٨٧٧ م فهزمه عَلْبُرِ وقتله فتزوّج عَلْبُرِ بأخت لَتْجُورْ .

وفي سنة ١٨٨١ م هزم عَلْبُرِ في جَمّجَايْ بِرَمْ جيمي كُمْبَهْ المطالب بعرش جُلُفْ بعد قتالين ضروسين .

وفي سنة ١٨٨٣ م غزا لَتْجُورْ دُدْسَهْ قائد لجيش الاستعمار فقاتلهما عَلْبُرِ وسَمْبَهْ لَوْبي .

وفي عام ١٨٨٥ م أبرم عَلْبُرِ والمستعمرون ميثاقاً صارت به جُلُفْ حماية فرنسية وفي سنة ١٨٨٧ م كانت حرب غِلّي قد هزم أثناءها سَمْبَهْ لَوْبي فَالْ ملك كَجُورْ . وفي سنة ١٨٩٠ م فتح المستعمر دُدْسَهْ عاصمة جُلُفْ وهي يَنْكَ يَنْكَ . وبعد محادثته الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ . عزم عَلْبُرِ علي ذهابه إلى ابعاد نفسه عن السنغَالْ وسار إلى نِيُورُ في مَالِي عند أَحْمَدُ بْنُ الْحَاجِ عُمَرْ تَالْ . وصار سَمْبَهْ لَوْبي بنْدَهْ ملكاً لجُلُفْ وكان أخاً لعَلْبُرِ لكنّه أبعده الفرنسيون إلى غَبُنْغُ سنة ١٨٩٥ م فمات هاهنا .

ذهب عَلْبُرِ إلى مُورِيتَانِيَا ثمّ إلى خَايْ وهي مدينة في مَالِي وكان يحارب هو وأَحْمَدُ بنُ الحجِ عُمَرْ تَالْ المستعمرين . وصار ابنه بُونَهْ أنْجَايْ ملكاً لجُلُفْ وفي سنة ١٩٠٢ م رماه بسهم مسموم أصابه في خنصر يمناه فمات ودفن في جامع دُوسُهْ في النِيجِرْ .

وكان من أشجع فرسان عصره وأعظم ملوك دهره وأذكاهم وأحزمهم كان « طويل القامة حسن الهيئة نشيطاً ومحباً للجياد وجليلاً جهوريّ صوت ، أنيق ملبس مغطّى بتمائم ذات الوان شتّى وذا هيبة ووقار » وكثيراً ما كان منصوراً في الحروب ومن المعروف أنّ أَحْمَدَ شَيْخُو التُكُلُورِيَّ المهديَّ الشهير بالتِّجَانِيِّ قد غزا جُلُفْ وكان بَارَهْ أخوه يقود جيوشه المتكونة من طلّابه حتى صار ملكاً لجُلُفْ .

وقد عظّم القاضي شجاعة عَلْبُرِ « أسد الغابة » بهذه القصيدة :

« نهيت عن حصن بَكَيْكْ قوم تجَانِي[1] وقلت لا يقربنّ دارتي جان

(١) أي جيش أحمد شيخو الشهير بالتجاني .

لكن قد اقتحموا نهبي لأنّهم ... عمي البصائر بكم صمّ آذان
قد غرّهم أنّ يوم كُك [1] ارتفعوا ... مستدرجين كيومي سَقْ وجُوّان [2]
فألفوا الحصن غاب الليث منقبضا ... على براثينه مصطاد الاقران
حتى إذا فاجاؤوا الضرغام أفزعهم ... للشّبل وعوعة من نحو بُيَنَّان
وانقضّ مثل انقضاض البازي مختطفا ... طيراً بغاثا رآها فوق أغصان
وجى وخضّب مرّات بمهجتهم ... حسامه قدر طرف العين من ران
وكرّ كرّة أيضاً ثمّ ثلّثهم ... داميهم أو صريع كبّ أو عان
وزادهم خامعات والنسور معا ... فما رئي من كلى منهم ومصران
وأعملت ميتاً عن مدفع يده ... مخصوبة بد ما حنا باد هان
والأبيض الناصع الطرف المكرّ لهم ... تحوّل اللون لون الأحمر القاني
كأنّ خرق الرصاص القوم ملبسه ... خرق الكسا السوس ذا نحت بأسنان
فخلّوا الحصن لأيا ماً له ونحوا ... نحو الغدير فرادى جلّهم فان
والبير هنا حمى الضرغام واجتنبوا ... وروده لم يكن منهم له دان
تالله قد خانت الأوراد من وردوا ... ماء الغدير وهل ريّ لظمآن
بل بينما جرعة منه إذا أسد ... على جواد وفرسان بفرسان
لأيا بلأي تولّوا مدبرين إلى ... وَرْخُوخ [3] ثم بني حصناهم بان
وأغضبوا ابن أباة الضيم عَلَّبر من ... يصلي لكلّ حروب كلّ نيران
وقام في عسكر لم يذعنوا أبدا ... وقلّهم في الوغى والكثر سيّان
وبايعوه رجالاً لا يهوّلهم ... صفّ العداة وآلوا كلّ أيمان
لنهدمنّ عليهم حصنهم بغد ... ولا نبالي بآطام وبنيان
وسار بالجيش من حاف ومنتعل ... وراكبين غضاباً أيّ فتيان
انّ الرّصاص مع البارود اذ وصلوا ... لهم رعود مع أمطار وتهتان
لقيت منهزماً منهم أسائله ... فقال لم ينفلت منّا من انسان

---

(١) كك : اسم قرية وقعت فيها حرب ضروس .
(٢) سوق وجوان : اسما قريتين .
(٣) ور خوخ : اسم قرية في جلف .

أنّا دهانـا بحصن ثـمّ مفـترس ضار فلم يبق من شاب وشبـان
فقلت تلك السّجايا قد توارثها آبـاء آبـائـه قدمـا من أزمـان
نعم الفتى عَلْبُرِ المأمول نائلـه والمتّقى بأسـه في كـل أحيـان
بدء الكماة وبدء الأسخياء إذا عـدّواً وغيظ عـداة ترحة الثان
منـاخ ركـب المنى مذ كان منفطما لم يختلف في مزايـاه العلى اثنـان

قال صَمْبَهْ لَوْبي بنْدَهْ أخوه الذي ملك جُلُفْ عام ١٨٩٠ م : « انّ عَلْبُرِ هو لأكمل السّودانيّين الذين علمت في السنغَال حيث الرجال عند الوُلُفِّينَ يتميّزون بفضائل القلوب ومكارم الأخلاق » .

ومعلوم أنه كان بين عَلْبُرِ اَنْجَايْ أمير جُلُفْ ودَميلْ صَمْبَ لَوْبي أمير كَجُورْ مشاجرة سببت بينهما الحرب المشهورة بحرب كِلّ (٦ يونيه ١٨٨٦ م) انتصر فيها عَلْبُرِ على أمير كَجُورْ . سرّ القاضي مَجَخَت كَلَ بهذا الانتصار فكتب هذه القصيدة يمدح بها عَلْبُرِ ويصف شجاعته موبّخاً ميلْ صَمْبَ لَوْبي . فقال :

سلام كما بدر الدجنّة أو أجلى وكالزّهر أو أبهى وكالشّهد أو أحلى
به طار قلبي مترفاً قلمي بـه بخطّ بناني حـين جسمي قد كلا
إلى هازم الجيش الكماة مفـرّق كتائبهم ذاقـوا به الموت والغلا
إلى ابن أباة الضيم يحمي شجـاعة وجود مميت الجبن والشّحّ والبخلا
إلى عَلْبُرِ الليث الـذي لم يـلاقـه من أصيد إلّا باد أو لبس الـذلا
فتـى صـاح غيظاً يوم بلّـغ صيحة بهـا أيتم الصبيان واعتدت الكحلا
لنعم امرؤ راع الجنود عشيّـة وظالمـه مستبطئ الليـل إذ ولّـى
أمـا اقتعمت أمري رجـال نهيتهـم عن اتيان يَكَيْكْ من برازهـم الشبلا
سلوا أهل سَالُمْ واذكروا بُرَ واذكروا بَرَمْ جـيم والصرعـى هنالك والقتلا
فقلت لهم لا تقربوا الضيغم الساري ولا أرضه إن لم تكن امّكم ثكلى
وإنّ افتراساً وإنتسابا ببرثـن لأطعن مـن طاعون كلّا تقوا كلّا
ولولا غروب الشمس من حيث أدبروا أذاق المنايا كُلّهم غير مـن خلّى
فآلوا جموعاً من صفوف عرمرم لنقتسمنّ مـال عَلْبُـرِ واهـلا
فقلت لهم بعد القـلاة وأوبـة أكفّـارة الايمـان تلزمكـم أو لا

لنعـم الذي تعطي ألوفاً يمينـه . وتهـزم آلافاً مُذِ افطـامـه طفلا
سلام كما بدر الدجنـــة أو أجـلى وكالزهر أو أبهى وكالشهد أو أحلى

القَاضِي مَجَخَت كَلَ والولاة المستعمرون

ولمّا كان القاضي مَجَخَت كَلَ مثل مؤرخ أيّد ملوك البلاد كلَتْجُورْ وعَلْبُر بمدائحه وبمساهمته الفعالة في حروبهم بين أظهرهم وبينهم وبين الغزاة المستعمرين حذر هؤلاء الغزاة من تأثير قريحة القاضي ومن نصائحه للملوك ومن حملاته الحربية متحزباً لدَميلْ وبُورْبَا [1] وقد عدّوه رئيساً دينياً عالياً مكانة ولا يخفى على أحد انّ المستعمر كان يقاتل جميع رؤساء الدين الذين حذر منهم مثل الحاج عُمْرْ ومَابَهْ جَخْ وأَحْمَدُ شَيْخُو المهديّ وأحْمَدُ الأَمِينْ وفُودي كَبَا ومُوسَى مُولُ وغيرهم حتى ممّن لم يحمل أيّ سلاح ولم يجاهد وحتّى ممّن يشك في أمرهم مثل الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَه الذي أبعده إلى غَبُنْكَ من سنّة ١٨٩٥ م إلى سنة ١٩٠٢ م . وقد قال القاضي :

« والله يعلم أنّي لم أكــن أبـــدا .أهوى أناساً أحيّيهـم بِبُنْسُورْ » [2]

لقد حاول الفرنسيون اكتساب ولائه لهم فعينوه قاضيـاً فخاب سعيهم فاستدعوه إلى سـنْتُوِي وأقاموه اقامة جبرية فنظم القاضي قصيدة محتجّاً على هذه الشروط القَسية ولشطر الأول لكلّ بيت منها بالعربية والشطر الثّني بـوُلُفِيّةِ . وألقاها أمام الحاكم الفرنسيّ فدونكم القصيدة :

هل من سبيل إلى داري ومسكنيه يَوْفي يَوْلاَدِ وَخْ وُنِمَهْ يَوْمِيْ فِتَلْ كُنُيَهْ
يا من أباد ملوك البرّ قاطبـة بَسِين رِسَّادِ قُنْتَلْ تَنّيَ أَكْ بُكِيَهْ
راعت رعودك في البلدان أفئـــدة دِبْكِ جَارْ ونِكَيْكَا بُسْلَ أَكْ كُمِيَهْ
فلا تنازع بالبارود في بـلـــد نَايَادِ دَنَّبَ أَمْنَكْ فتَّيَاكْ خلَيَـهْ
أنّي لمثلك شأنا أن يبالي بـي مَنْ جُمّنَا كُمَجِسْ وَخْتِلَلَ وَاجلِيَهْ
فقلت انّ القضاء والقدر قــد سبقا أَيْ لُولْ نَيْلُولْ مَنْ يَلاَدِ سَا أَمِيَهْ

---

(١) بُورْبَا : هو اسم مَلِكِ جُلُفْ بِالْوُلُفِيَّةِ .

(٢) بنسور : هو مساء الخير بالفرنسية .

أخبرت أنّ أميراً خيف أوعـدنـي
مهلاً فلا تصغ للواشين مستمعا
واسئل سوى حاسدي عنّي وعن سيري
وللملوك القلوب لا أخاطبهـم
ما كنت في الدهر إلا كاتباً حكمـا
بلا خيول ولا جيش وأسلحة
لم اعتزالي عن أرض ولدت بهـا
هلّا اذنت سريعاً في القـدوم لمـن
ولا تقل لي بماذا كنـت تكتب لـي
فانّ كتبي لم ينقصك مرتبـة
كتبت آلاف كتـب أشتكي ضررا
شكوت آلاف مـرّات لـه رسـلا
أرسلت آلاف مرّات لـه رجلا
وأنتم منتهى الشّكي وغايتـه

مَنْ وَارُنَـا كُدفُلْ نفَاوَّ نَمُسْ كَسُيَهْ
لَا جَلْ كُخَمْ لُمَدَادفْ أَكْ لُدَاسُلُيَهْ
تنَكْ قَمَلْ نِتُ تيْ بُلْ فَتّ مُكْ جكُيَهْ
تِسينْ قُلْيَا دِبُورُبْ قُلْيَ أَكْ كَنُيَهْ
دَا فيتُو وأَيْ بَتَاقلْ بُوبَ أَكْ أَتيَهْ
مَنْ سُخْلُوو وُلْ لُدُلْ أيْ تير أَكْ جَكَيَهْ
دُ مَنْ مَدَادَان تدُ مَنْ تيوُولْ خَرَيَهْ
دُ دفْ دُوَقْ لَفْ خَنَا تُولَمْبَ أَكْ جُلِيَهْ
تمَنْ دُ مَنْ مِي دُيَوْدُ لـن تالبيـه
فَنَا نُكَابْبَ لَبَابَيْ نَان أَكْ خَتِيَهْ
تكَنْ وَخُلْ نِكْ بِينَكْ لَا تَقُل جُنَّيهْ
وَقُلْمَ لُلْ وَاجِ تَيَلْ بَلْمَخَمْ بغيَهْ
مُنَامَ بَلْ بَلْ تبَلْ بَلْ كَنْ قَمُلْ دُيَيَهْ
يَرْ لَادِوَخْ وُيمَهْ يَوْمِي فِتَلْ كَنَيَهْ

وفي الوثائق الوطنية نجد رسالة كتبها القاضي إلى أمير اندر في ١٤ من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٨٦ م قال فيها : « لما تمنعني عن الرجوع إلى داري ؟ عشت عابداً الله وحده معلما تلاميذي وأولادي حارثاً حقولي ... طلب منّي لَتْجُورْ أن أكتب رسالاته إلى والي أَنْدَرْ ورسمت كلّ ما أملى عليّ بلا زيادة ولا نقصان . لا فعلت سوى ذلك . فلم أك مرتكباً شيئاً من السّلب أو السرقة وما ظلمت أحداً وإنما أنا قاض قضى بين الناس بالعدل لا غير » . فهذه الرسالة احتوت على ما في القصيدة السابقة من الوُلْفيَّة . فلا نعلم جواب الأمير ومهما يكن من الأمر نظن أنّ القاضي مكث وقتاً طويلاً في أَنْدَرْ سيأتي ذكرنا اقامته في سَانْ لُوِي إن شاء الله .

القاضي مَجَخَت وشعراء عصره المشهورون

إنّ للعلاقات بين القـاضي مَجَخَت كَلَ ومعاصريه الأدباء ولا سيما بينه وبين الشيوخ الأكابر مثل أَحْمَدْ بَمْبَهْ ومَابَهْ جَخْ والحَاجْ مَالِكْ سِهْ وأَحْمَدْ أَنْجَايْ مَابِيي وابْنُ الْمَقْدَادْ أهميّة كبيرة في الميدان الأدبيّ . ومن المعروف أنّ له مدرسة

عظيمة كان طلّاب عديدون يختلفون اليها ومنهم هؤلاء الرجالات .

مُمَّرْ أَنْتَسَلِ والد الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ الذي قرأ التوحيد على القاضي والشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ الذي تعلّم العروض بين يدي القاضي وجرن إِبْرَفَاطِ آمْبَك أخو الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ ومَيَاسِينْ جِنْكْ الكُيَارِيُّ وبَارَ خَرِنيَانْكْ ومُمَّرْ صَا صُمْ وهو ابن له ومَصَلِ مَانِي وَمُوسَى مَانِي وَفَاسْ ثِيئَهْ تُوري والد الشيخ الهَادِي تُوري ومَمَّرْ أَنْتَسَلِ جَخَتْ والشيخ آمْبَك بُصَّ خال أَحْمَدُ بَمْبَهْ وسَرِنْجَ مَدِينَهْ صِلِّ وغيرهم وكل منهم كان مشهوراً بسعة علومه وتقواه .

القَاضِي وأَحْمَدُ بَمْبَهْ : قال لنا محمد جَخَت ابن القَاضِي مَجَخَت كَلَ « لقد عاش والد أَحْمَدُ بَمْبَهْ طويلاً عندنا في آنْيَاسِينْ وكان يقرأ على أبي التوحيد ومؤلفاً للسّنوسيّ ولما غادرنا قال لوالدي : « سأرجع بولدي اسمه أحمد » قال له أبي : « سأكون مهذّباً له ومعلّماً » . وعند وصول أَحْمَدُ بَمْبَهْ في دار والدي . كانت أمّي آنْدَاكْ آمْبَيْ تَبِيَ أطعمته وكان أَحْمَدُ يقرأ دروسه تحت ظلّ شجرة آنُوْ في قرية دَقَّارْ كُمْبَهْ » .

فلنذكر ما قد كتب السيد مَالِكْ آنْجَايْ : « والقَاضِي هو الذي درّب الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَ على قرض الشعر بإذن من والده الشيخ مُمَّرْ أَنْتَ سَلِ . وما زال القاضي يدرّب على النظم ويقوّم شعره إلى أن برع وأتقن فزكاه وما زالت العلاقات الشعرية تتمتن بين الخَدِيمِ ومدرّبه طول ما بقيا . ولقد نقلت من ثقة روي عمّن حضر المجلس أنّ القاضي أرسل إلى الخديم هذا البيت :

« حُقَّ الْبُكَاءُ عَلَى سَادَاتِ أَمْــوَاتِ ... تَبْكِي الأَرَاضِي عَلَيْهِمْ كَالسَّمَاوَاتِ »

فجعله مطلعاً لقصيدته الموسومة بالكلمة الأولى من البيت وهو من أروع ما قيل في الندب على السادات الصوفية ولما أرسل الشيخ القصيدة إلى القاضي استبشر وقال : الحمد لله الذي حبّب اليه مدح النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا ينظم قصيدة إلّا ولي منها أجر »[1] . وقد عهد القاضي بولديه أَبِي بَكْرٍ والمَخْتَارْ بِنْتَ

(١) راجع أيضاً هذه الحكاية في « منن الباقي الخديم في سيرة الشيخ الخديم » لمحمد البشير بن بمبه صفحة ١٧٢.

إلى أَحْمَدِ بَمْبَهْ ليعلمهما . مات المُخْتَارْ بِنْتَ في مُورِيتَانِيَا ودفن بإِينِلْفَ قرب سهوة الماء . كان القاضي يحب تلميذه الموهوب حبّاً جمّاً ويعجب به وإن كانت بين المعلم والتلميذ منافسة فهذا أمر طبيعيّ اذ التلميذ كلّ التلميذ يجب عليه أن يجتهد في اكتساب علم أكثر من علم شيخه وعلى المعلم أن لا يستحي إذا كان تلميذه أوسع منه علماً بل يكون به مفتخرا . فهذا هو عامل من عوامل التقدم في كلّ شيء .

شاجر القاضي تلميذه أَحْمَدَ بَمْبَهْ مبتدئاً بهذه القصيدة وهي على بحر البسيط وقافية كل بيت منها ولفية وهي :

لم انهمت بعد شيب عبرة وبمه … أراقها كلمتا سعدى بَمَهْ وَبُمَهْ[1]
اذ كلّمتني بتين الكلمتين بـلا … هزل ولا مزح إذ أنها بَنَمَـهْ[2]
وأنّ حبل وصال صار منصرما … أو واهناً خالقاً تجديده تَنَمَهْ[3]
مالي أراني إن لامست غانيـة … عصر الشّباب تقبل أو تقل بُبُمَهْ[4]
واليـوم إن لمست خـودا يدي لعبا … تأفّفت ثم نادت يا أبي سُرمَهْ[5]
وكلّ ناهدة الثديـين تلحظـني … بعين سخط فتعلى صوتها فُوُمَهْ[6]
وإن لهوت تلهّت أو دنوت نـأت … وان أسل فجواب عندها قَمُمَهْ[7]
كم كاعب واعدتني زورة عشقـا … زمـان شرخي ولمّا جئتها نَخُمَهْ[8]
ما قالت اذ كنت أملودا ككلمتها … بهيم ليل سوادا أو تقل مُنُمَهْ[9]

---

(١) بمه وبمه : أتركني وشأني .
(٢) بنمه : نسيني .
(٣) تنمة : لا أقدر عليه .
(٤) ببمه : اذهب بي .
(٥) سر مه : خلّ مكاني .
(٦) فومه : لا ألعب معك .
(٧) قممه : لا أعلم .
(٨) نخمه : لم تغررني .
(٩) منمه : لا أقدر عليه .

لكن لي الشّيب في فودي وجمجمتي … وخطا وخطًا فعذراء النسا نُبُمَهْ[1]

ألا ارعواء لمن ولّــت شبيبتــه … وآذنت بمشيب معلم هــرمه[2]

بل كل ضيف كريم القوم حقّ لــه … قرى عليه وهذا شيبه كَنَمَهْ[3]

فاقرؤوا ان ترى ما عشت شادي من … هو الشفيع وكلّ قائل طَلُمَهْ[4]

من ذاتــه كلّ ذات لازمت عرضــاً … في عشر شعرتها لو تفتدي سَفُمَهْ[5]

من كل جرم له قدر ليعمّـــره … عند الفراغ فداه والفدا دُبُمَهْ[6]

من دونه كلّ منطوق بحرف هجا … في الاسم إلّا الها غيره سَكُمَهْ[7]

من تحته كل موجود لــه جهة … من أيّ ستّ وربّي انّني نَرُمَهْ[8]

محمد سيد السادات لا أحــد … منهم مدانيه أو من قائل كَنُمَهْ[9]

صلّى عليه إلـٰه العرش مــا رجيت … شفاعة منه أو قول له وَلُمَـــهْ[10]

يا من شفاعته يرجو ويأملهــا … أهل الكبائر أمثالي غدا تِنُمَهْ[11]

فــانّ جاهــك عنــد الله منجعــل … هو العظيم ففي الأهـوال فَتَلِكُمَهْ[12]

أهـوال دنيــاي أو أهـوال آخـرتي … أو برزخ ثمّ عن ذكراك دُبُلَتِمَـــهْ[13]

---

(١) نبمه : لا تحبني .

(٢) هرمه : من الهرم العربيّ . بلوغ أقصى الكبر .

(٣) كنمه : ضيفه .

(٤) طلمه : لا أبالي بك .

(٥) سفمه : لا أماثله .

(٦) دبمه : لا يكفي .

(٧) سكمه : ما خلقني .

(٨) نرمه : لا أمين .

(٩) كنمه : ليس بخير مني .

(١٠) وله : أغثني .

(١١) تنمه : كن شفيعي .

(١٢) فتلكمه : لا تنسني .

(١٣) ديلتمه : أنت كاف لي .

لا زلت أثنيك واسمع ما أردّده   يا خير من يرتجيه مرتج وُيُمَهْ [1]

فأجابه الشيخ الخديم أحمد بمبه معنى ولفظاً وبحراً وقافية :

يا عبرة صبّها قولي بَمَهْ وبُمَهْ   هلاّ انكففت بقولي انّني مُرمهْ [2]
تكليمنا بهما لم يك يمنعنا   بعيده من وصال لا تقل بَنَمَهْ [3]
تجديد حبل وصالي ليس ذا تعب   إذ انّه اليوم وثق لا تقل تَنَمَهْ [4]
يا خلّ يا شيخ طب نفساً وظنّ بنا   خيراً كثيراً ولا فينا تقل بَكُمَهْ [5]
لأنّني كل حين أبتغي أبداً   اتيان منزلكم لاكنّني ورُمَهْ [6]
لو كان عندي جواد الخيل أركبه   ركبته اليوم لاكن كل ذي هَمُمَهْ [7]
متى حباني ربّ العرش عافية   زرناك يا خلّ فاعلم أنّني وُرُمَهْ [8]

وكان في هذا العصر أديب علاّمة قد تعرفنا اليه وهو الحَاجُ مَاجُورْ سِيسهْ الأَنْدَرِيُّ فحكم في مباراة القاضي وتلميذه أَحْمَدُ بَمْبَهْ فلاحظ ما للتلميذ من أدب ولياقة وتجمل في جوابه . فصار حكماً بينهما قائلاً :

أبدى الكَجُورِيُّ فناً في البديع كُمَنْ   نَدفْ قريضاً كما أبدى وما بدعا [9]
قالوا قوافيه سود مثله مَن دَغْ   لِمي وَلِفْ فاصنعوها مثل ما صنعا [10]
إنّ البلاغة بحر خاض فيه تفر   دَرَمْوَ عند التقاط الغائض الودعا [11]

(١) و يمه : أجب دعائي .
(٢) مرمه : لست غاضباً عليك .
(٣) بنمه : تركني .
(٤) تنمه : لا أقدر عليه .
(٥) بكمه : لم يحبني .
(٦) ورمه : ما بي صحة الجسم .
(٧) همه : ليس لي .
(٨) ورمه : ما خنت .
(٩) كمن ندف : فليفعل من هو قادر عليه :
(١٠) من دغ لمي ولف : قلت لأنه ولفيّ
(١١) تفر درّمو : التقط درّه .

أجـاد مدح النبي الهـاشميّ تـسَوَخْ شُغْلاَ مِتَمْ وأجاد المـدح وانقذعـــا [1]
سلك من الـدّرّ منظوم فـلا أَججسْ دِجسْ بديعـاً حوى مثل الذي جمعا [2]
لكن هنالك شبل جاذر بُجُكَـــي جُقَمْنِ أن سيجيد الصيد والنخعـــا [3]
لـــولا الحيـاء وتقـوى ربـــه أَكِتَمْ دِدَوْلِيُمْ شبّ بّراً عـالمــاً ورعـــا [4]
وحرمة الشيخ أَكّهِتْ مُوكُمَكّدِ بُدُوْن كُمِلْنِمَنْ ردّ مـاء حيث مـا نبعـــا [5]
وأرى فأورى الذي وارى بُسَفْتِمِـرُلْ كِرْجَـوْ أجـاد وفـاق كل من بدعا

ومن الملاحظ أنّ الحاجَ مَاجُوْر سِيبِيهْ حكم لأَحْمَدِ بَمْبَهْ على القَاضِي وإن موّه بإبداء الكَجُورِيُّ فناً في البديع إذ قال في حقّ أَحْمَدُ بَمْبَهْ أنّه « فاق كل من بدعا » ولمّا سمع القاضي حكمه هذا عليه قال :

وحيث لم تبـد السما إلا السّهي فمـن نهـاه من نحاه من سها

فأجاز مَاجُوْرْ سِيبِيهْ :

إنّ السّهــي نجـم رفيـع في السّمـا فلن يـراه مـن سهــا بـل من سمـا

فعلّق القاضي قائلاً : « إنّ الشّطر الأوّل هو حشو وقول محال إذ النجم لا يكون إلا في السّماء » .

تبادل الشعر بين القاضي مجخت كل والشيخ أحمد بمب أملك :

قال القاضي :

يا ربنـا أصلح بـالنا وبـالا أحمد بمب واكفنـا الوبـالا
والمتعلقـين بالأذيـــال من المريديـن أو العيـــال

---

(١) تورخ شغلامتم : عبّر عمّا أراد
(٢) فلا أججس د جس : رأى فيه البصير
(٣) بجكي حقمن : إذا كبر فهم الناس
(٤) أكتم د دوليم :لأنه أيضاً فتى عجيب
(٥) أكهت موكمكد بدون كملنمن : لأنّ القاضيَ هو أكبر منه سنّا = لكنه لو كان أحمد بمبه مثلي .

لا يقربنـا أبـداً مريـد	يا فاعلا ما شاء يا مريـد
ولا يحم في زرعنـا الجراد	يا واهب الكريم يا جـواد
وصلّ دائماً عـلى الرسول	محمد أقصى المنـى والسول

فقال أحمد بمب رداً له :

لي أغفـرن وعني طرد اللعين	وعن حبيبي ابن موسى يا معين
ولتكف كـل من بنـا تعلقـا	سوء الختام والبلايـا مطلقـا
وكـل ما يعوقنا عـن الوصول	اليك قاطعـه سريعاً إذ يصول
وعن بساتين قلوبنـا اكفيـا	جـراد شيطـان ودائياً اشفيـا
وصلين مـع سلام يتصل	على الذي من اقتدى به وصل

وعند إقامة القاضي الجبرية في أندر ذكر ابن المقداد ما جرى بينهما من المنافسة في القصائد المزدوجة بالعربية والولفية :

يا من أرى حسدي في القلب منه رسخ	وخـل بتي تور وخكت مدلّل وخ
ما أنت كفئي ولا أنت النظير فقف	دومل نمن لورل كي مل نمن لكتخ
بيني وبينـك بـون لو علمـت بـه	نبو مجـل ناركـور دفلول بربنسخ
يعييك إدراك شاوي إن هممت بـه	وُتُلْ تِدَوْمَكْ دُخَمْ بُوتُّمْ جكَوْ دِكَنَخْ
هذا هو الحـقّ لا تبغـي بـه بـدلا	مَنْ مَالَ وَخْ خَمْكْ والكلام فـرخ

فلم نر جواب القاضي لكنّنا على يقين أنّ جوابه موجود .

ولمّا ذهب لَتْجُورْ إلى ربْ عند أَلْمَام مَابَهْ جَخُ وبايعه وجعله شيخاً له رسخ حسد في قلب القاضي على مَابَهْ فهجاه قائلاً :

إمـارة الميم ثـمّ البـاء افتتاحهـا	والهـاء مسكنـة[1] أمّ البليـات
هو الأمير الـذي قد كـان عادتـه	في دهره نهب مـال المسلم الآتي

أليس غريباً أن يسمّى مربّ كبير وشيخ عظيم شهير بولايته وتقواه بأمير ؟

---

(١) أي امارة مَبَهْ أمّ البليات .

كان القاضي يسمّى لَتْجُورْ بأمير هل أراد به أنّ ولي رِبْ وسَالُمْ لم يبال إلا بالدنيا ؟ إن كان هذا مراد القاضي فلنقل ان هذا إلا بهتان إذ جاهد مَابَهْ جَخُ في سبيل الله حتّى قتل شهيداً .

وإن لم نجد جواب القاضي على نظم ابْنِ المَقْدَادْ فانه قال مادحاً لدُودُ سِكْ :

منّي إلى مـن إليـه تركض النجب	ومـن به يبتـدي إن عـدّت النخب
ابن مضاف إلى مفعال قدّ وان	أدخلت أل فاعلاً من حجّ فاللقب [1]
تحيّة ودّهـا في الرّوض زهـر ربى	طلّته إذ باكرته بالندى السّحب
مـا كـان مـوجبها إلا أوائـل ذي	الأبيـات مقلوبـة من مدفـع يهب

وإقامة القاضي في أَنْدَرْ كانت له مناسبة أدّت به إلى الدخول في خصامات جرت بين أهل حيّ سِنْدُون في جنوب الجزيرة وبين إمامهم أَحْمَدُ أَنْجَايْ آنْ لمّا أرادوا إتّخاذ أَحْمَدَ أَنْجَايْ مَابِيي إمَاماً لهم وكان القاضي لا يحبّ أن تكون الإمامة لأَحْمَدِ أَنْجَايْ مَابِيي فقال هذه القصيدة :

سألت سندون مَنْ ذا تسنـدون لـه	بعد المقسر حَمَّـادْ ابْنِ جَـايَانَـا
قالـوا لأحمد هـذا بعمـل آمِنَـة	شيخ الشيوخ فتى الفتيـان بشرانـا
فقلت إن آب هـذا ضيفكـم فلمنْ	قالوا لأَحْمَدَ أَنْجَايْ المعتـل شانـا
فقلت إن لم يكن هـذا وذا فلمـن	فاسترجعـوا وأشاروا نحو كَرْجَانَـا [2]
فقـال أوسطكـم ألم أقـل لكـم	يا فَوْزَ من سكنوا في لُودُ أوطانـا [3]
فقلت مـا بـال شخص قد أراه هنا	خوف المقسّر ينجو البّر عجلانـا
قشيش صوت شتيم الـوجه قـامتـه	قصيرة أمره الأجفان لحيانـا
وفي الأشد للخمسين جـاوزهـا	قد حجّ والله أحيانا وأحيانـا
يرجو ويحسب إن لـو حـجّ مـاثله	ألا يحجّ ويأتي مكـة الآنـا
تالله لو حـجّ بيت الله معتمراً	في لحظة عشر مرّات لمـا دانـا

---

(١) مقداد من فعل قدّ إذا أدخلت أل وفاعل على حجّ مع ابن قبله كان الحاج ابن المقداد .
(٢) كَرْجَانْ : حيّ النصارى في جنوب جزيرة أَنْدَرْ .
(٣) لُودُ : حارة في مدخل أَنْدَرْ.

شتّان ما لهلكوا يعلوا وما هلكوا والله ربّ السّما شتّان شتّانا

القاضي ومُورْ خُجَ كُمْبَ الْكُكيُّ

ولما كان القاضي محباً لمبارزة معاصريه فأمام أديب عظيم شأن ، جليل قدر ، صار كمبتغي الصّيد في عرّيسة الأسد ، إذ كان هذا الأديب مُورْ خُجَ كُمْبَ جُوبْ الْكُكِيُّ موطناً والشهير بالمقدمة الكُوكِيّة في النحو وهو منظومة لها ٤٦٩ بيتاً وهو كتاب لكلّ طالب يحبّ تعصّم النحو في السِّنِغَال . فهاكم بعض الأبيات منه :

قال محمد كُكِيُّ الدّار والأب من ذرّيّة المختار
حمداً لمن قال وما علّمنا الشّعر جلّ ملكاً عبدنا
ثم صلاته على المختار من العوالم بالاختيار
وآله المنوّرين المنهجا للناس إذ ليل ضلالهم دجا
ما دام عبد منشد القريض يحتاج للنحو وللعروض
والنظم للقارئ إن أرادا درس العلوم بالعطاء جادا
فرمت نظم هذه المقدمه لشيخنا ابْن بُونَ خذها محكمه
سمّيته هدية المجيد في النحو أو معونة البليد
جعلتها فاتحة الاعراب للمبتدي كافية الطّلاب

إلى أن قال خاتماً :

أبياته أصبتها[1] ان تعدد وانفع به يا ربّ كلّ مبتدي

وقد كتب مُورْ خُجَ إلى القَاضِي متحدّياً له هذه القطعة قائلاً :

إذا لم يكن باز لدى أيكة صاحا ترنّم فوق الغصن ورقاء ترتاحا
وأرعد منه كابة وفريصة تحذّر فصم وهو مصغ إذا ناحا
حذار حذار الشّد وكلا لعل ما دنا منك باز فصغ كلّما صاحا
فكيف أجش المرأ وهو يروثني سأهتك جلباب التفخّر أفصاحا

---

(١) وجمع أرقام حروف هذه الكلمة هو ٤٦٩ .

فيـا عجبـاً حتّى البغـات سمعتـه يعيك لـلاستنسار إذا جدل ساحـا
فيـا عجبـاً حتّى الأضات تبحّـرت وذا خرم لا يشاكـه ضحضاحـا

فأجاب القاضي في المعنى والبحر والقافية :

فيـا عجبـاً حتّى أخـيّ مُحَمَّـدُ ركيك غدا يهجو ابْنَ مُوسَى كاراحا
وليس بـذي نحـو ولا لغـة ولا عروض ولا شيء رضي لـه تاحـا
ألم ترتعـد كلتـا يديـه تـوجّسا وهـو غدير يلقـى قامـوساً ساحـا
ألا يـا المـزراء يـا أَحْمَدُ الكُكِـيُّ ألم تر أنّ الصرف لم يحك ذا لاحـا
سمعت من يهوى ويمضي تمنحـاً وما أنت يا دعبوس من حقّ الأمداحا
فهلاّ تمـوت الآن غيظـاً لأنّـه خملت خمول النجم إذ قمر لاحـا
أنا طعـام مرّ مـن يـذقني يمجّني ومـن ذاقـني لا بـدّ أن قاء أو طاحـا

هذه القصيدة رثى بها القاضي مَجَخَتِ كَلَّ الشاعر الوطني ابن عمته مُحَمَّدُ جُوبْ الشهير بمَخُجَ كُمْبَ صاحب المقدمة الكُوكِيَّةُ في النحو . لدغته حية في مصلاه الذي صلى فيه عشاء يومه فانتقل في الحين إلى رحمة المولى وعمره أربعون سنة . ولما بلغ الخبر القاضي مَجَخَتِ كَلَّ كتب هذه المرثية يبكيه بها . وكانا يتنافسان في النحو وفي اللغة وفي الشعر بل وفي العلم جلها حتى ظن بعض الناس أن أحدهما للآخر عدوّ . يرحمهما الحنان المنان :

نعـا لي نـاع أبـرع العلمـاء وأسبقهم في نهيـة ودهـاء
وأنبـأني أن ساورتـه ضئيلـة من الرّقش في المحراب وقت عشاء
فسالت على الخديـن منّي أدمع متى تمرهـا راحـي تفض بفجـاء
فللـه عين انقـدت عبراتهـا بكـاء فظلّت تهمـي بـدمـاء
تحرّق منّي الصّدر حتّى كأنّمـا بـه شعلـة تشويـه كـلّ شواء
لئن ركب الحدبـاء نعشا محمـد لقـد حملت ذارتيـة وعـلاء
فليس وإن حـلّ المقابـر مبعـداً بلى انّ من تحتَ اللحود لنـاء
لقـد جلب الناعي الكُكِـيّ مَحَمَّداً لنا ضحـوة الاثنين طـول بكـاء
فـوافائـق الأقران سيّـد جيلـه رئيسهم في فطنـةَ وذكـاء
أتمّهـم عقـلاً ودينـاً وشيمـة وأبهرهـم في جـودة وبهـاء

لأنّ تحريم ذاك الرفع أظهر من شمس الضحى كل آفاق فلا تهنا
لنا الأدلّة لا يحصى لها عدد آي حديث وإجماع ذروا الفتنا
إنّ الشريعة ما ترضى وما قبلت بشاهد وإمام أهله أذنا
إلى الخروج لهذا غير معتذر وراجعن كتب الأعلام والامنا
إهانة الشرع والتعظيم ما اجتمعا خافوا إهانة هذا الدين يا فطنا
بدا غريباً كما قال النبي به وعود كربته قد كان معتلنا
كفى من القبح إذ لم يأت فعلهم دين النصارى يهود فاتركوا الدّدنا
لو لم يكن غير تحقير الأجانب من طوائف ديننا يكفي لنا الوهنا
وهم يظنون جهلاً أن يثيبهم مولاهم وهو ذاك الجمع قد لعنا
بالله والله تالله العظيم فمن أعانهم نال ما للعن مفتتنا
وكل من سكتوا في ذا وقد قدروا تغيير أثمهم في الشرع ما كمنا
ثم الصلاة وتسليم الإله على هادي الخلائق آل صحبه الخذنا

وله أيضاً :

فمن لم يكن قبل الممات محاولاً من الزّاد تقوى الله فهو كمفسد
جميع منى الدنيا من العمر والترى كأحلام ذي نوم إذا قام يفقد
فمن لم يجاهد نفسه بزواجر من الخير والطاعات يندم ويبدد
توسل بخير الخلق من فعل طاعة وفي كل خير ان تهبت واقتد
ولا تك معفولاً عن السّرّ كالذي يظن قبول الفعل من دون أحمد
فمن لم يقدّمه إلى الله طالباً هنالك مقصود من الخير يردد
وليس يباليه الإله لكونه يخالفه نهج الحقّ في كل مورد
إلا انما الرحمان يجعل فضله ويعطي لمن يشاء من بيض واسود
ولكن بجاه المصطفى خير من مضى ومن هو يأتي في الزمان ويهتدي
أفض يا إلهي في الضريح ضريحه بقدرتك العظمى مواهب أجود

وقال القاضي مادحاً رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ألوذ بطه سيد الكون والعرب وأهل السما والأرض والشرق والغرب
به أرتجي تفريج همي وألتجي اليه من الخطب المروّع والكأب

تخـذت رسول الله يّسِّ ملجئـي ومنجاي من أمر يهال بـه قلبي
جـدير بأن يلجـى اليه ويرتجـى متى ناب أمر مفزع موجب الرعب
حمدت إلـه العرش جلّ جلالــه على جعله إيّــاي من أمّة الحبّ
خبأت لنفسي أن أحبّ محمـداً محبة ذاوي الزهر وأكفة السّحب
دلائلـه ألـف ونقـل كتابـه وحسبك نطق المنّ والريم والضبّ
ولـولاه لم يخـرج من الحوت يونس من النار إبراهيم أو يوسف الجبّ
لأدرك نوحـاً في السفينة جاهـه وأيوب في البلوى ويعقوب في الكرب

ولأمره مع الحاج مَالِك سِهْ قدّس الله سرّه راجع أيّها القارئ كتاب « مجهول الأمة »[1] للشيخ أَحْمَدْ التِّجَاني بْن أَبِي بَكْرٍ بْنِ الحَاج مَالِكْ . « وكان السيـد (مَجَخْتَكَلَ) مع ذلك عاقلاً لبقاً يملك قلوب الجبابرة ويسيطر على علماء الوقت وعلى غيرهم من الزعماء . كان في سنته أن يذهب إلى كل من هو من أهل الحظّ ليباحثه في العلم والسياسة وفي كل شيء . ولما سمع قدوم الإمام (الحَاجُ مَالِكْ سِهْ) في هذا القطر اهتمّ بملاقاته كأنه يرى في ذلك وعداً ووعيداً ويرى فيه نجاحاً وخسراناً حول سلطته . إن ظفر بالإمام فذلك الفوز العظيم وإلا فلا سبيل إلى إعادة السلطة . »

وقيل إنّ أول شيخ تكلوريّ دخل في سنغال بالورد التجانيّ هو صمبه جادنه وعند مروره بجيس عاج إلى جامع القاضي مجخت كل وأعطاه الورد والإجازة وعلّمه « جواهر المعاني » فصار القاضي تجانياً وقال الناس بعد أنّ الحاج مالك سه هو الذي أعطاه ورد التجانية فأنكر القاضي ذلك قائلاً :

عن صمبه جادنه عن عبد أضيف إلى الرحمان أحمد شيخي ابن مولود
عن المربّي المرقّي الموصـل العلـوي محمد الحافظ الدّالي إذا نـودي
عن خاتم الأوليا التجاني أحمد عن خير البرايا ممـدّ البيض والسّود
عن جبرئيـل أمين الـوحي حاملـه عن موجد باختيار كل موجـود

(١) طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٦١م ، انظر في صفحة ٥٥ وما يليها .

وهذه القصيدة في مدح أبي العباس أحمد التجاني :

تمادى جموح النفس في اللهو والدّد ... وطاعتها أمر الهوى والتمرّدّ
وفي حبّ رنّات المزامير والغنا ... ودمي كتمثال الكتابيّ أجرد
وغيد الغواني الحور عيناً كواعباً ... ذوات طموع في كمال التخرّد
لها من قنا الخطّي القوام أو الظبا ... طلا أو مها الوحش العيون بأثمد
اليهنّ قد أسرى بأسرى الهوى الرّدى ... فمن لي بردّ النفس عنها بمقود
ومن لي بأستاذ ألوذ بورده ... يقيني يقيناً كلّ هول بمورد
ومن لي بشيخ عالم ذي معارف ... طبيب لأدواء الفؤاد مسدد
يحيل نحاسي خالص الذّهب الذي ... يقلّب بين الناس باليد فاليد
ومن لي بشيخ بالشريعة كلّها ... بصير بأسرار الحقيقة مرتد
ومن لي بشيخ ذي علوم غزيرة ... يطهر أدناس الرذائل مرشد
ومن لي بشيخ ذي خوارق جمّة ... سراباته تهدي المريد فيهندي
ومن لي بشيخ لا يضام مريده ... يفرج غمّ اليوم أو فزع الغد
طلبت فجئت الناس في كل موطن ... وجلت فجبت البيد من كل فدفد
إلى أن أقرّوا بين باد وحاضر ... بأن لم تجد دهر بهذا ويوجد
وهل تكمل الأوصاف إلا لواحد ... يكنّى أبا العباس نجل محمد
سليل الرضى المختار نجلاً لأحمد ... وأحمد ذا نجل الوليّ محمد
وهذا أبوه سالم وهو خامس ... لأجداد شيخي سيداً بعد سيد
حوى الشرف الطينيّ حيث انتسابه ... لفاطمة الزّهراء بنت محمد
مع الشرف العلميّ من حيث كشفه ... عن الغامضات الحجب في كل مقصد
إلى الشرف الدينيّ حيث طريقه ... طريق الضمان الهاشميّ المؤيّد
أرى نظريّ العلم حتى أصاره ... ضرورية البادي لدى كل مبتدي
رضى يوسفّي الحسن والوبل لم يكن ... بأنفع منه للورى أو بأجود
فمن مثل هذا في المشائخ لا يرى ... ولم ير أو يسمع ويعلم ويولد
فقلت بمرأى من النهي ومسمع ... إلى ذاك القيت القياد وقد قد
وأنّي بأستاذ الأساتيذ وحده ... تقيّدت طول العمر كل التقيّد
فصار انخراطي اليوم في سلك عهده ... ولا شيء إلا كان عنه تجرّدي

فأصبحت أنّي فارقتني علائـــق عوائـــق عن ورد الشريف الممّجـد
مربّ مـرقّ من يكـن يستمـدّ من نحور الفيوضات الزّواخر يمـدد
الهيّـــة أنـــواره مستفيضـــة يروّي بامداداتـــه غلـل الصّدى
مفيض على أصحابـه لدنيّـة وكحل صحيح العين ليس كأرمد
رأى ما رأى في حضرة أحمديّـــة فنال بـه ما نـال من كـل سؤدد
له ما له في حضرة قدسيّـــة فـما زال بالنور الإلهيّ يرتدي
خضعنا رقاب الأولياء بأسرهـا إلى قدمي هذا التجانيّ أحمد
نسبنـاه في الاقطـاب نسبة منصـف بمثل الثريّا للثّري أو بأبعد
وثنّ أو أجمع غيره من رجالهم وما متأتْ كونـه غير مفرد
فـما الجوهر الفرد الـذي قـد علمته بمنقسم كلاّ ولا متعـــدّد
له منتهى الأوراد لا ورد بعده طريقته المهديّ يقفو ويقتدي
ومن بأبي العباس لاذ حياتـــه يعد مطلع الأبيات هذي ويردد
كما ردّدت ورقـاء في غصن أيكة وصوّت حادي العيش شوقاً لمرقـد

وله أيضاً يمدح المجاهد الكبير الشيخ الحَاجَ عُمَرْ بْنَ سَعِيدِ تَالْ :

نأى الجسم عن صَاصُمْ[1] وما لقلب نائياً ولا لاهيـاً عنها ولا هـو سـاليـــا
فعينان طـوراً تجمدان وتـــارة تسحان توكافـا يبل ردائيا
إلا انّ صَاصُمْ حائـل دون أرضهـا مسبر بريـدي حلعـد ليس وانيا
صبور على التأويب لا يشتكي الوجى لدى السير جواب الفلا والفيافيـــا
حثيث نشيط لا يمـــلّ مـــروره كماذأل السرحان للجنب طاريا
له طيران البرقيّ متى خطـــا يجـز ربـوة بالـوثبتين فـواديـا
عليه أمرؤ ما بان عن فيه قيله سبيلاً إلى القرم الحلاحـل هاديـا
إلى عمر الشيـخ الملقّـب فـاعـــلا من الحجّ لما كـان للبيت آويـــا
فنـال منـاه من طوافٍ وزورةٍ وسعي الصفا والمرو للجمر راميا
وآب وأمّ المشركين مجاهـــدا وقد هدّ آطا ما لهم وصياصيا

(١) إنّ صا صم هذه من زوجات القاضي وهي والدة ابنه مُمَّرْ صَا صُمْ .

وصعصعهم من حين باراه جيشهم وجاش الديار للحلائل سابيـــا
كـأن يـوم لاقـاهم كما قال قائل فراخ القطا لاقين أجـــدل بازيـــا
تعود إطعام ولنسور كلى العدى مع الهـام زايلن اللحى والنواصيـــا

ولمّا توفّي الحَاجُ عُمَرْ سنة ١٨٦٤ م كان القاضي مَجَخَتِ كَلَ ابْنُ ٢٩ عاماً .

القَاضِي شَاعِرُ الحُبِّ

وكانت للقاضي إمارة في الغزل ما استحى من أن يتحدّث عن صاحباته وان يسمّيهنّ كما فعله مثلاً في القصيدة التالية وكان اسم خليلته عائشة وما أجمل وصفه فرسه :

تذكرت أزمـان الهـوى فالليـاليـــا فالايــام من لـذات شرخي شبابيا
إذا اركب طرفـاً أسود الأون حالكا كما نشر المصبـوغ في اليل داجيا
أخـاً ملهـب ذي درة هـــديـــره دويّ كاصوات الخذاريف حاكيا
وثوبـاً كظبي مرتـع من خميلـــة وريـع بمصطـاد قد اخطأ راميـا
حوافر ضاهتها العقـاب ومسمع كما أنت حرفت البراعـة باريـنا
فمشي كفُلكٍ صار في اليمّ مـاخرا وعـدو كطير طـار في الجو ماضيا
وأنت متى أمسكتـه بعنانـــه ينازعك فيه وهو يعلك ثانيـا
فللـــه درّ المهر لمّا أمتطيتـــه فأبلغني دار الخريـــدة طافيـــا
فجئت وباب البيت أغلق مرتجاً فقالت من المستفتح الآن بابيـا
فقلت بأخفى الصوت سراً ولينـة أنـا مَكَلَ المعروف زرتك ساريـــا
معذّب قلب قد دعـاني إلى السرى دواعي هواكي فاستجبت الدّواعيـا
أعـائش قومي وافتـح الباب واسفيا لنا من لطـول العهد أوشك باليـــا
فقامت يهينـــوم قطـوفاً بطيئـــة خفيفـة خطـوات كما كنت راضيا
فلمّا دخلنـــاه وقـد نـام أهلهـــا بلغنــا بتعريس لـديها الأمانيــا
فبت لدى حـوراء تنسي ضجيعهـا أوامر ربي كلهـّـا ونـواهبـــا
منعّمة عجزاء أعـدل قامـــــة فلا قصر شين لا ولا طول غالبا
تميـس بـانبـوبي سقيّ وتنثني بجيـد محلى من ظباء لآليـــا
وتنظر بالعينين من نعجـة مّها على لحظات كـدن يقطعن باليـا

وتنفي بخاتام مسوّي معطّــــر برائحة من دونها المسك زاكيا

قال لنا مُحَمَّدُ جَخَتِ ابن القاضي إنّ والده قد عبّر ما عبّر عنه في هذه القصيدة من معان ومشاعر وكأنْنا أمام شعر امرئ القيس وأنا تذكرت الفرس ذا اللون الأسود صهيله مثل صوت قصف دَاكَارْ أثناء الحرب الثانية وكان حصاناً آثره والدي على جميع خيله . قال أبي في حقّ عائشة هذه و (فَضْلِ اللهِ) فرسه هذا هذين البيتين :

صفا لي صغيري اللـــذين همـا مهري وحرزي بأبيـــات حسان من الشعر
فهـــذه مسمّـــاة بسيـدة النّسا فذلك فضل الله ربّ الورى البّر

وفي القصيدة وجدنا كلمات شاذة غريبة مثل طرف وخذروف ويراعة وفلك ويمّ ومهر وهينوم وهي من المفردات « الشّريفة » وصورة عائشة متلائمة مع ما تصوّره السِنِغَالِيُّونَ من الجمال والحسن في المرأة .

وهاكم قصيدة غزلية سمّى القاضي فيها حبيبته وهي رقية قبل انّ بُورْ (أي ملك) كُمْبَ دُوفِيــنْ جُوْفْ ملك سِينْ كان يخطب هذه المرأة كما يحبها القاضي ومع كون كُمْبَ دُوفِيــنْ ملكاً عظيماً سيطر القاضي عليه في منافستهما :

ألا بلّـغ البيضاء مني التّحيّـتـا وقـل مرحباً والخلف بئس السّجيّتـا
وهل بيننا قد خاس بالعهد بيننا وللبين لازمت الجوى والبليتـــا
فلم أنس مـا وعدتّ فـوق فراشنـا لدى اصطبلنـا يـوم الثلاثـا عشيّتا
لدى مهرة حمراء جردة كالنّوى محجّلة غرّاء ليست بطيّتـــا
غدوت رديفاً فوقها مع رسولنا وبنت مع البنت الكحيل بهيّتا
ويَوْ [1] تناجينـــا هنالــك وقـــولنا كذا وكذا والنوم يغشي البريّتـــا
رُقَيَّ اذكري يوماً رفقتك ليلة بعضَ ابْنُ بُورٍ صِينِي البديّتـــا
فقلت تنحّي لا تبالي بغيظـــة فما غيظ صِينِيٍ بضرّ كُكَيَّتَا
رُقَيَّةُ لا تنسي المـــواثيق بيننـا ولا تنقضيها الدهر ما دمت حيّتـــا
رُقَيَّةُ [2] فِي لا تنكثنّ عهودنـــا فانّي وفّي فلتكـــوني وفيّتـــا

---

(١) يو : كلمة ولفية معناها : أنت .

(٢) في : هو الاسم العائليّ لرقيّة .

وسرّي اخفيه لا تبثّيه للورى ... فلم أرض أسراري تبيت جليّتا

وكان القاضي مَجَخَتٍ كَلَ يحبّ الهجاء جدّاً فهذه بعض أبيات هجا بها بعض خصومه هجاء مقذعاً :

يا من درى أنّه مخصوص أشعاري ... لما حوت من صفات الذّمّ والعار
كفاك ذلك ذلاً فلتخذه كما ... في السّجن قد ذقته طوراً من اوطار
وصوت ألْكَاتِ[1] لا تنكرو لطمته ... بين الأزقّة من دارٍ إلى دارِ
فاغتمّ حيث القوافي لا تساعده ... حتى استعان بأشعاري من اصرار
أمّا سعيد فقرد سوف يحرسه ... عن العرائش كلب عندنا ضار
هل تدّع العلم من جهل ومن حمق ... وأنت منذ دهور بائع سار

وفي القصيدة التالية ظهر القاضي شاعراً وطنيّاً :

بلاد الله أطيبها كَجُورُ ... وأهلوها لهم خصب كثير
لياليهم سرور قد توالى ... ويوم فيهم عيد كبير
غنيّ ضيفهم عن حمل زاد ... وعن حمل السّلاح لمن يجور
جفانهم ملاء كلّ حين ... بما تهوى ومرجلهم يفور
فعيشهم وكُسْكُسُهُمْ كثير ... غنيّهم سواء والفقير
مياههم أخي عذب فرات ... وزين كلّ ما يرنو البصير
ففيها كلّ ملبوس ثمين ... تقاصر دونه حسناً حرير
وأشجار طوال عاليات ... ظلال زانها ثمر كثير
وعلم ثم دين ثم أمن ... وفضل ثم مصباح منير
فإن كانت لدنيانا جنان ... فجنّتها بلا ثنيا كَجُورُ
وفي كَنّارٍ مأوى الشرّ كلا ... وفيها الفسق سرمداً يدور
وقطّاع الطريق بكل وقت ... بنهب المال يغريهم فجور
وفيها كلّ سرّاق لئيم ... صغيرهم يخنون كذا الكبير
إذا ما جئتها من غير زاد ... بسوق الموت نفسك ما تبور

---

(١) الكات : هو تغيير اسم القاضي معناه الشرطيّ في الولفية .

فـلا أدب يـرى فيهـم دوامـاً ولا يرضي كبيرهم الصّغير
بَنُـواْ وَبَنَتْ بيـوتاً عنكبـوت وليس مميّـز إلا الخبـير
وبردهـم لجسم المـرء شيـن فليلهـم ويـومهـم قريـر
فعيشهـم لآكلـه سقـام وتكّ عندهـم قـوت كبير
فـلا طرق بهـا تهـدي لأرض ولا ظلّ إذا اشتـدّ الحـرور

لا أعتقد أنّ القاضي قد ذهب إلى مُورِيتَانِيَا كلاّ ولا غادر كَجُورُهُ إلاّ عندما أقامه أميرِ آنْدَرْ إقامة إجبارية في سَانْ لُوي ولم يتجاوز الجزيرة قطّ وبالتالي كلّ ما قاله في كَنَارْ أي في مُورِيتَانِيَا ليس إلّا قول الذي هو ممن « في كلّ واد يهيمون و ... يقولون ما لا يفعلون » وقول من جعلته قوميته وحبّ وطنه لا يعرف قيمة ومجداً إلّا لقومه ووطنه . يا أيّها الأصدقاء المُورِيتَانِيُّونَ لا تؤاخذوا القاضي الجاهل كل الجهل بلادكم وإن كان جلّها متكوّناً من الفلا والصحراء ولله درّ قائل [1] :

يا عـاذراً لامرئ قد هـام في الحضر وعـاذلاً لمحبّ البـدو والقفـر
لا تذممـنّ بيـوتاً خـفّ محملها وتمـدحنّ بيـوت الطين والحجـر
لو كنت تعلم مـا في البـدو تعذرني لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر

وكان القاضي يحبّ المداعبة والفكاهة فهو الذي قال :

اسم الـذي شاقني إن كنت ذهنانـا حروفه أربـع في الأخـذ تبيانـا
فربـع رابعـه عشر لأوّلـه وثلث ثالثه عشر له كانـا
وعشر عشر الـذي قـد كـان أوّله ثـاني الحروف فقـد بيّنت تبيانـا

فالاسم هو القَاسِمُ إذ حرفه الرابع ميم قيمتها أربعون وربعها عشرة . وحرفه الأوّل قاف قيمتها مائة وعشرها عشرة . وحرفه الثالث سين قيمتها ثلاثمائة وثلثها مائة وعشرها عشرة . وحرفه الثاني ألف قيمتها واحد وهو مائة أجزاء حرف القاف .

وله مداعبة في ذكر جميع المحطّات التي رآها المسافر بالقطار من دَكَارْ إلى آنْدَرْ :

---

(١) هذه الأبيات من الأمير عبد القادر الجزائري .

وإن أردت يا أخبا الأسفار — معرفة الكَارَاتِ[1] بالقفار
فهي آنْدَكَارْ موضع الأحجار — ثم رِفِسْكَ موضع التجار
ثم سِبِخُتَانْ لها الكئوس — دار الكفّار وهم المجوس
ولتحسبن منها بلا نسيان — بُوتاً وكِيِسْ جَفْقِينْ بلا توان
ثمّ تِوَاوُنّ وبِرْكُرَيْ وكن — ملتحقاً بكَايْ وكلْ وع وصن
ودَنْدَ فيها هكذا قد اشتهر — كذا كِبميرْ وكُمْبَ للسّفر
واجمع بها لُوكَ وسَكَّلْ بَالِ — وكَيْنَ ثمّ تِينُ جِكَيْنْ يا تالي
جملتها في العدّ سبعة عشر — كَاراً ونبّهن بها أولي السّفر
ما رمت جمعه لكلّ لاه — قد انتهى هنا بحمد الله

وكما رأيناه كان القاضي يهمّه كلّ أمر جرى في عصره هزلاً كان أو جدّاً .

القاضي وعلم اللغة

كان القاضي مَجَخَتِ كَلَ عالماً عاملاً وقد لاحظنا فيما سبق رغبته في أخذ الألفاظ الغريبة والكلمات الشاذة وعلم أنّ المفردات تعلّقت بفن من الفنون فلذا كان القاضي لغويّاً وعروضيّاً ونحويّاً معاً .

كان القاضي يكتب ذات يوم كلمة خضمّ بتشديد الميم فقام من أدّعى علم اللغة وقال له : لقد أخطأت إذ الشدّة على الضاد . فألف القاضي ليثبت أنّه هو المصيب هذه القصيدة :

حبيب صكا فخذ بنصح تسربلا — وإنكار ما قا البليد مطنبلا
أتلميذ شيخ قرهب الطّمل كلّهم — وجيبه صريح البنك حتّى تنبّلا
خضمّ خضّماً راكباً وخصمّه — يروّي خضّماً غار برضهم ملا
فكن مبلغاً من شدّد الضاد مالكي — ومن شدّ هذا الضاد صار مزعفلا
وما سامني ضرورة شدّ ميمه — وذاك اختياريّ ثمّ لست مبرقلا
ألم يكف ما قال الفزازيّ مشعراً — بتشديد ميمه وتخفيف ماتلا

---

(١) الكَارَاتُ : اسم فرنسي معناه محطّة الخطوط الحديدية .

ألم يكف قول الجوهريّ دلالة على أنّه للميم قد كان موهلا
ألم يكف تشبيه الخضمّ فرانقا بلفظ مذب فارضاً ليس عفكلا
خضمّ بوازن القمطر بوزنه ومن قال غير ذا فلحن تبخلا
وما قلت ذا حقداً ولا دخلاً ولا قلى بل لطرد ما بدى لي ضئبلا
ولست على هذاك إلا منبهاً فبخدلت للذي المخائل دبكلا

وقد نسب بعض الناس هذه القطعة إلى مُورْ خُجَ كُمْبَ فمعاني الخضمّ كثيرة كما أشار الشاعر إلى ذلك فالخضمّ هو بحر عظيم أو الجوّاد المعطاء أو السّيف القاطع أو الجمع الكثير وغير ذلك . وفي القصيدة بعض كلمات غريبة مثل « مطتنبلا » و « مزعفلا » و « مبرقلا » و « عفكلا » و « دبكلا » .

ومما هو جدير بالذكر أنّ القاضي هو الذي علّم الشيخ أَحْمَدَ بَمْبَهْ العروض وفي « ايفان » كتاب العروض للقاضي وعدد أبياته ٣٨٤ بيتاً على بحر الرجز سمّاه « مبين الأشكال » وهذا مطلعه :

قال ابنُ مُوسَى مَكَلَ اسم جدّه مرتجياً عفو الرحيم ربّه
حمداً لربّي الواضع الميزان من قد نفى الشعر عن القرآن
سبحانه ربّاً حسابه سريع مد يد فضله على الخلق جميع
صلّى وسلّم على بحر النّدى خليله الأعظم ناهك العدى
محمد من كان سوء الدائرة على الذين خالفوه صائرة[1]
وآله وصحبه والقافيه آثارهم من القرون التاليه
ما أهزجت سكّان بيت الشعر ذا سبب ووتد في البرّ
هذا ومقصودي بذا القريض تبيين ما أشكل في العروض
سمّيته مبيّن الأشكال من علمي العروض والقوافي للفطن
وأسأل الرحمان أن يوفّقا وأن يثيبني وأن يحقّقا
فأصرف القول إلى المراد مبتدئاً باسم الإله الهادي
الشعر موزون كلام قصداً بوزن عرفيّ لدى من حدّى

(١) شرحه شارح : صائره : خبر كان .

وضع ميزان له معروضٍ هو عليه واسمه العروض
يدريك بالنقص وبالرجحان وذو الخلاف والوفاق ذان
أنواعه قد قيل خمسة عشر وقيل أيضاً زيد واحد ندر

إلى أن قال في الختام :

هذا وأحمد على اتمام مبيّن الأشكال ذا الانعام
حوى ثلاث مائة وأربعاً ثمّ ثمانين تعدّدت معاً
نظماً أبان المشكلات حاصداً قواعد العروض والمقاصدا
وبالشوائع وبالظواهر أتى وبالشّواذّ والنوادر

وقد شرحه القاضي بوجه أوضح وأبين . وقال لنا ابنه مُحَمَّدُ جَخَتِ إنّ والدي ألف أيضاً كتاباً في علم اللغة سمّاه « المعين » وزاد : « أضعت آثار هذا الكتاب في مدينة جِيسْ لم نجده مع تحرّينا له في أرجائها كلّها » .

القاضي والقضاء

وكما كان مَجَخَتِ كَلَ معلّماً وكاتباً لِلَنْجُورْ وشاعراً له رسمياً كذا كان قاضياً لدَميلْ هذا وللمستعمرين في كَجُورْ ولأجل ذلك كان القاضي لقبه وهو شهير به فغير الوُلُفِيُّونَ القاضي « خَال » لأنهم لم يحسنوا نطق حرفي الضّاد والقاف فصار « لاماً » و « خاء » ، قال لي ابنه مَحَمَّدُ جَخَتِ « عيّن أَمِيرُ أَنْدَرْ والدي قاضياً في كَجُورْ وفي بَوُلْ دا فعاله خمسين فَرَنْكاً في كل شهر وكان يقوم بالقضاء بالعدل والقسط . قال بعض الفقهاء إنّ أحكام القاضي كانت مبنية على قياس فاسد وعلى أغاليط منطقية شابهت أحكام النبيّ سليمان بن داوود عليهما السّلام . غير أن القاضي كان يعتمد على معرفته الصحيحة لفقه الإسلام وعلى تجاربه وعلى بعض حيل وحكمة حتّى أكّد : « لا تترك أحكامي وقراراتي أحداً غير مبال بها » .

ترافع رجلان إلى القاضي ذات يوم فأقام أحدهما الدّعوى على الآخر قائلاً : فإنّ لي ديناً على صاحبي هذا وفي وقت كذا تحت ظلّ شجرة كذا ، والآن أنكر عليّ هذا الدّين » فقال القاضي لصاحب الدعوى : « إذهب إلى هذه الشجرة وارجع إليّ بغصن منها . أمّا أنت الذي أنكر هذا الدّين امكث هنا وابق وانتظر » ولمّا خرج

صاحب الدعوى خطا القاضي معه بعض خطوات ورجع إلى مجلسه وقبل رجوعه إلى مجلسه هامس صاحب الدعوى : « لا تذهب بل انتح زاوية وانتظر » ولمّا طال الانتظار قال القاضي بغتة : « إنّ صاحب الدّعوى لبطيء لم يرجع إلى الآن » فقال من بقي في المجلس : « لأنّ الشجرة لبعيدة جدّاً » فصاح القاضي نحوه : « قد اعترفت بالدين يا خبيث وأقررت بأنّ صاحبك صدق في اتّهامه إيّاك وأنّ له ديناً عليك انعقد أمام شاهدين : الله والشجرة » ثمّ دعا بصاحب الدعوى فقال له « لقد صدقت فالدين لك » .

فلنذكر ما قد قاله مَالِكْ أَنْجَايْ في هذا الصدد : « ومن أشهر أعماله في القضاء فتواه بوجوب دفع الزكوات إلى لَتْجُورْ وذلك عقب عودة هذا الأخير من سَالُمْ بعد وفاة تفسير مَابَهْ جَخُ وإعلانه نفسه أميراً للمؤمنين في كَجُورْ ، فامتنع كبار العلماء وعلى رأسهم العالم الشهير الشَّيْخُ مَسِلَّهْ مَا ن عن دفع الزكوات اليه فقاضاهم إلى القاضي مَكَلَ جَخَتِ وكان قضاؤه : « أنّي قرأت في الكتب أنّ الزكاة تدفع للإمام » .

قد هجاه يوماً أحد فقهاء مُورِيتَانِيَا في فتاواه فقال القاضي هذا البيت :

ليعلم ولاد الـدّيمـان أهل أبي بكر بأن ليس حكمي كلّـه قابل النكر

قال بعض النّسابين إنّ أهل جَخَتِ في كَجُورْ أصلهم من مُورِيتَانِيَا وكانوا بطناً من أولاد بِيرِي ولمّا هاجروا إلى السِنِغَالْ في كَجُورْ حوّلوا اسمهم بِيرِي إلى جَخَتِ إذا صحّت هذه الرّواية فالقاضي مَجَخَتِ مُورِيتَانِيٌّ أصلاً .

قد أقرّ أهل عصره بأنّ القاضي كان حامل لواء شعراء دهره كما اعترف به ذُو النُّونِ في قصيدة بعث بها إلى ابن للقاضي وهو مُمَرّْ صَاصُمْ جَخَتِ :

أتـى مـن مُمَرّْ صَاصُمْ كـلام مزيّـن	ومـن درّة الغـوّاص أغـلى وأثمــن
هو ابن فريـــد الــدهر وابن فصيحه	هـو العالم العـلامـــة المتفنّــــن
أبــوه قمين بالفضائـــل كلّهـــا	سوى أنّـه منـه وربّي أقمــــن
أرى الناس مغبونين إن لم يمـــارسوا	فنـون علـوم بالمـوازين تعلـــن
أرى الشعراء الغـرّ مـن قبـل ستّـة	فسبعهم هــذا الهمـــام الملقّـــن

هو الشاعر المطبوع فيه سلافة ... وصدق المقالي بالقرائن يقرن
وكم من فصيح رام معنى كلامه ... فأصبح في قيد من العيّ يلكن
إذا كان هذا الشيخ داعية الورى ... لسانًا فهذا الشيخ أدهى وألسن

مُمَّرْ صَاصُمْ جَخَتِ

وكان الابن الكبير للقاضي مَجَخَتِ كَلَ مُمَّرْ صَاصُمْ . وإن لم نعرف سنة مولده عرفنا عام وفاته وهو ١٩٤٣ م . وكان معلماً لابن أخته الشَّيْخِ الْهَادِي تُورِي . فليس سوى شاعر صوفي ولم يؤلف إلا المدائح لِلشَّيْخِ أَحْمَدِ التِّجَانِيِّ ولرسول الله صلّى الله عليه وسلم أو لقصائد شكر بها الله أجزل الشكر .

وكان واعظاً أيضاً عندما كان يكتب هذه القصيدة :

إذا استرحت من الأزمان مقداراً ... فاذكر إلهك ولتكثره إكثاراً
وجاهد النفس واربطها لتترك ما ... كانت تحاول ممّا ليس مختارا
النفس أمّارة بالسوء حيلتها ... ترك الأوامر من جهل كمن جارا
واعلم بانك عبد سوف تدفن في ... هذي الأراضي التي أبصرت إبصارا
إن لم تكن فاعلاً خيراً يحدّثه ... بك الورى بعد موت فلتخف نارا
إنّ السلامة في فعل الهدى أبداً ... وترك ما قد نهاه الله أوطارا
سل الورى العلما واستخبرنّهم ... فالعلم شرط إذا لم تدر أخبارا
ولا تكن غافلاً عن صحبة الكبرا ... وخالط الحكما يحوون أسرارا
وأخرج القلب من دنياك منصرفا ... إلى الإله الذي تكليفه دارا
وعمّ بيض الورى والسود والعلما ... وكل من حضروا أو غاب أو سارا
إذ كل قوم من الدنيا وآخرة ... له عبيد ولم استثن ديارا
إذا علينا اجتهاد في أوامره ... من قبل أقبارنا من ثمّ أقبارا

وله مدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

قل للعواذل كي يمضوا وينصرفوا ... عنّي فليس لهم في اللوم مؤتلف
أنّى يلام على أمرئ يتيّمه ... حبّ الرسول الذي أنوارُه صلف
لا بارك الله فيمن كان يمنعني ... من أن أحسّن في المختار ما أصف

إنّ الرسول حبيب الله قد وجبت   على الورى طاعة إيّاه لو عرفوا
بجاهه أخرج الرحمان يوسفه   من جبّه بعد أن يخشى به تلف
ومن بلابل أيّوب الذي أكلت   جثمانه الدّود حيث الضّر والأسف
كما به نار إبراهيم أطفأها   ونوحَ أنجى فزال الماء والعنف
لولاه ما انفلق البحر الذي اشتهرت   أخباره للنبي موسى ومن نظفوا
أمداحه تنفع القارئ ومن كتبوا   ومن يصيغ لأجل الحبّ أو يقف
فهل يكون له مثل ينازعه   في الجاه أو مشبه يدريه معترف
كما لعمري إنّ الدّهر يعجزه   إتيانه بمضاهيه فينحرف
لا يمكن المثل في الدنيا وآخرة   مراتب الكلّ من أقداره تحف
فكيف تثمر أغصان وليس لها   من الأنابيب شيء ثابت رصف
دعوا الممارة فيما لا بقاء له   ولتعلموا أنّ طه خير من سلفوا

ومُمَّرْ صَاصُمْ جَخَتِ هو شاعر التقليد إذ جرى مجرى شعراء الدين بتشبيب وانكار لوم العاذل ثمّ أخذ في مدح من قصده كما رأيناه في القصيدة التالية في مدح الشيخ أحمد التجاني :

يا منكراً أحمد التجاني ما نطقا   لجهلك الله والقرآن والرّفقا
وللضلال الذي قد كنت مكتسبا   من الشياطين إذ لم تصلح الخلقا
تب ان تكن عاقلاً قبل الممات وذر   تلك الأباطيل إنّ الله قد خلقا
واختار من هاشم ياسين ثمّ له   أوحى وأعلمه الأحكام والطرقا
والشيخ أحمد لم يحدث طريقته   من نفسه دون قوم يعرف النسقا
ما قال إلا بما قال الرسول له   دون المنام الذي كالموت ان علقا
فكلّ من سمعت أذناه كلمة من   هو الرسول ولم يقبل فقد فسقا
بل أنه كافر والقوم ما ذكروا   غير الذي لهم من أحمد طرقا
إنّ الفتى أحمد التجاني ليس له   من المشائخ مثل سؤددا وتقى
هل يشبه الشمس في نور نجوم سما   أم العصافير كالصقر الذي أرقا
كلا وربّ السّما والأرض لا أحد   منهم يدانيه لا جاء ومن سبقا

وبجانب هذه القصائد التقليدية في المعنى وفي اللفظ ذكر فيها الشاعر ما يهمّ

أحوال حياته المادّيّة طالباً من الأغنياء أو شاكراً لمواليه ولمن أنعم عليه . وهناك قصيدة نسبوها إلى مُمَرّ صَاصُمْ أمّا أنا فأعتقد أنّ صاحبها والده القاضي :

ترنّم وقت السّحر في البـان أورق ... عليه من الخـطّ السواد المعلّـق
فهيّج أشواق الفـؤاد إلى الغنـى ... وذكّره غيـداً لهـا المسك يعبـق
نساء خريدات من البيض أوجهـا ... يتمـن بألحـظ تقيـا فيعشق
كواعب كانت من دمشق ربوعها ... لهـنّ عيـون من مها الوحش ترمق
من اسمائهـا ليـلى وسلمي وزينب ... وأسما التي بالحسن تنسي وتسبـق
أصابعها ان شئت تعقـد بعضهـا ... ببعض وتثني البعض إذ هي ترفـق
لهـا طليـة كالظبي غير معطّـل ... مثانيـه عن درّ يضيء ويبـرق
وقدّ كخطّيّ وأسود فـاحـم ... قريب زمـان الـدّهر فالجعد يمحق
ووجـه كبـدر لاح في الحسن والبها ... وساقان لونالتهمـا البـان يشفـق
إلا ليت لي مـن عبـده خير أجـرد ... نجيبـاً كقرطاس المكاتب يعـرق
بياضاً قصير الظهر يفنيه سرجه ... حوافره تحكي القعـاب وتعتـق
كما أنت بالسكين حرّفت باريا ... مسامعـه للحبر فالخطّ ينسق
إذا شاط في المضمار يـذري ترابـه ... على رامـق بالعين كالريـح تخفـق
سريـع كـأن المشي فلك لنوطيء ... يمـرّ بيمّ ماخر ليس يلحـق
إذا كنت بالمهماز تغمـز عطفـه ... يثب بك حتّى صرت في الجوّ تمرق
ويرقص ان أمسكت يومـاً عنانـه ... ويعلك ان ترخ الشّكيم فيبصـق
على مثل هذا الطرف أعلوا واعتدي ... إلى تلك كي يشفي الفؤاد المعوّق
فمن لامـني فيها ففي الاذن مانـع ... ومن شتم الجثمان فالعقـل أحمـق
ففي ذكرها للقلب بشرى ولـذّة ... كما كانتا في ذكر من هـو أصدق
وأفضل عنـد الله من كـل صالح ... وأكرم من يعطي تليـداً وينفـق
ملاذي في الدنيـا وفي الـدين مع غد ... محمداً المختار من هـو أوفـق
رسول إلـه العرش عيبـة سره ... وما مونـه فيما يقـول وينطـق
به فتح الله الخزائـن كلّهـا ... وأخرج من قد كان في العدم يعمق
وجا بتجلّ لم يكن قطّ قبلـه ... فتيل ولا شيء من الحكم يخلـق
وصورنا بالجـاه والنـور لامـع ... به يثبت الإيمان فينا ويطفـق

إذا قالت الأرواح في الغيب أزمناً بلى فبخير الخلق تحيا وترزق
شراب ذوي الإسلام أنوار ذاته وغيرهم بالقلب يسقي فيصعق
فللرّسل آيات وللقطب رتبة وللأوليا فضل وعلم محقّق
ولكنهم في المصطفى شهب السّما هو الشمس منها البدر والشهب تفرق
أنامله يوم المنافع والعطا أبرّ وأجدى من غمام وأودق
فمن مثله في الخافقين من الورى ومَن مِن محيّاه البروق تألّق
رئيس الورى أندي البريّة أنملا وأتقاهم قلباً وأنقى وأشرق
رسول أتى بالذّكر والناس نوّم فأنقذنا من بعد ما نحن نفسق
وأيقظ من كانوا يضلّون عن هدى وأعلمهم في الدين ما هو أليق
براهينه كالشهب نوراً وكثرة وأنواره ينفي الضلال فيزهق
بدا كوكباً قدماً من المجد والهدى فما شبّ إلّا في صلاح يوثّق
هو السيد السّامي على الكل سرمدا اليه وجوه الناس يوم تعنّقوا
مصاحبة المختار أفضل صحبة بها يفتح الخير الذي كان يغلق
ألوذ به ما دمت حيّاً وباقياً وأرجو من الباري مغافر يحدق
ففي بابه كل المكارم والندى وفي وجهه كل البشاشة أطلق
أتيتك يا خير البريّة تائباً فلا تتركن جسمي من الغد يحرق
فلي منك يا خير البريّة ذمّة محمد اسمي [1] من أساميك يلفق

فالمدح لرسول الله صلّى الله عليه وسلم حضّني على أن أعود إلى حكمي الأوّل فالقصيدة منسوبة إلى مُمَّرْ صَاصُمْ لا إلى أبيه .

قال مُمَّرْ صَاصُمْ لمَحَمْدِ جَخَتِ أخيه حينما يدفع له نعليه :

جزاك ربّك نعلي فضّة بغد وزاد دينك والأرزاق ـ مع سدد
علمت أنّك مرؤ لا تحبّ لنا إلّا صلاحاً وخيرات من الصمد
تلك المحبّة فضل قد أتاك به مولاك ربّ الورى الباري بلا فند
الله ينقش ان شا في فؤاد فتى فعلاً جميلاً فيأتي المرء بالرشد

---

(١) لقد صدق الشاعر اذ مُمَّرْ تغيير مَحَمَّدْ عند الوُلُفِيِّين .

وأنت ان عضّني دهر بناجذة | يخور قلبك حتّى صرت في كمد
وتبتغي لي زوال الضّر مجتهداً | في كلّ ما يدفع الترحات عن جسد
وكلّ ذلك خير واكتفاؤك بي | إنّ المريد لعالي الجاه ان يجد
لا زلت ما دمت في الدارين مرتدياً | بثوب مجد وذا مال بلا عدد
آمين بالمصطفى من من فضائله | يأتي وينفع أهل الفضل كل يد

وقال أيضاً لمَحَمْدِ جَخَتِ أخيه :

قضى الله حاج القلب يا رجل | كما قضيت لباناتي وتفتضل
أمحمد الذي كالغيث أنمله | بل دونها وابل قد ظلّ ينهمل
ألبست مهدي لباساً لم ينل ملك | ولا وزير يجبه المال والأمل
أنت الأخ الصالح التلميذ لا أحد | أحبّ منّي لقلب كنت تشتمل
رأيت فعلك والأقوام كلّهم | رأوه فالحمد فيك اليوم يعتمل
أنت الذي تخرج الأيتام والضعفا | بكفّك الباسط المجدي لمن سألوا
فلم تكن أنت مغلاقاً ومنصرفا | للبخل باباً بوجه عن ورى نزلوا
لا زلت تحوي ثراً ما دمت في زمن | وفائقاً كلّ من يأتي ومن رحلوا
بجاه خير رسول جاء في زمن | محمد خير من يقفوه ممتثل
صلى الإله عليه ثمّ أكرمه | بخير ما ناله قرم ومن يصل

قال مُمَّرْ لمَحَمْدِ أيضاً :

إذا كان رضوان المشائخ ينفع | فرضوان من يأتي بذا النظم برفع
أخاه المسمّى بالرسول محمدٍ | هديّته الفاقات تنفي وتدفع
وتخرج بؤسي من فؤاد وجنّة | وتقضي لمن يحوي حوائج يفزع
أخ ماجد ما اهتمّ إلا بحاجتي | وسرّ قلبي من منافع يجمع
يحاول ما قد كان يصلح حالتي | وداري وأزواجي وضري يمنع
وليس بمرء فاعل ما يسوءني | ويفسد أحواليَ إذا الخير بسمع
بل افكاره تزداد فينا محبّة | كما أنّ نور البدر ينمو ويلمع
إذا المرء لم يدر الأحبّة من هم | فأفعالهم مثل الأقاويل مرجع
فلا زلت ملبوساً بخير وغنية | كما يغتني مهدي الذي كان يرفع

ولا زال ربّ العرش يعطيك فضّــة ويغفر عصيانـاً لنـا حيث يخشع

قال مُمَرّ صَاصُمْ لمَحَمْدِ الحَبِيبِ مريده :

على الفضّة البيضاء أحمدك الحمدا وأشكرك الشكر الذي يوجب المجدا
فكن واثقـاً بالله واعلـم بـأنّمـا فعـال جميل يوجب العـزّ والرفدا
ولا تترك الإحسان والتـوبـة التي تبّعد عنك السوء والشرّ والجهـدا
جميـع المريـديـن الـذيـن تخلّفوا عن الحضرة العلياء لم يصلحوا القصد
فلو أصلحوه عاينوا النـور والهـدى وجاءهم الفضل الذي يوجب السّعدا
يد الجـود خير من يد البخل يا أخي فأعط لوجـه الله ولتـذكر اللحدا
ولا تجعـل النفس التي فيـك تختفي أحب من الشيخ الذي يعلم الـوردا
فما ارتفـع الإنسان فـوق قـرونه بطاعـة نفس تمنـع الحقّ والرّشدا
ومـا نـال فضل الله مرء من الـورى وفاق سوى إلّا بشيـخ يـرى الجدّا
ويخرج ما في القلب من ظلمة الردى ومن كل ما قد يوجب العيبَ والطردا
فشيخ المريدين الـذي كـان صادقا اطاعته فرضاً لدى من يرى العهدا
أصخ بفـؤاد ان ترد نيـل رحمـة إلى قيل من قد تاب حتّى رأى الفردا

وله أيضاً لمَحَمْدِ :

مَحَمْدِ إذا أصبحت في الغـد ذاهبا إلى جِلْمَخِ [1] فـانظر مَدِكَ [2] وارقبا
وأبلغـه من هـذا العبيـد تحيّـــة وأعلمـه أنّي اليـوم شاك مـآربا
فان يقض حـاجتي بمـا كـان قائلا فحمدي له كالطـود يثبت دائبـا
وقال لي إن جئت من كَـايَ [3] راجعا فارسل متى تسمع مجيئـي طالبـا
ولكن إذا ألقيتـه في جمـاعـــة فحـاول مناجـاة وأخف الرغـائبا
فان مـدت اليمنى اليك دراهمـا ثمانيـة فالمـرء أوفى مخاطبـا
والا بـأن لم يعط شيئاً بـل اشتكى كـذا وكـذا فـالله يـرزق كاتبا

(١) جِلْمُخَ : اسم قرية قريبة من عَيْنُمَانْ .
(٢) مَدِكَ : هو رجل تاجر في جِلْمَخَ .
(٣) كَايْمخَ : اسم مدينة قريبة من عَيْنُمَانْ .

صوالجة في ذا الزمان عسيرة ... معاقلنا بالدفع يمنع ضاربا
وبالجلب يبغي كلّ خير وغنية ... ولا يحقرنّ الدّرْهَمَيْن تراكبا
فأنت أخي في نسبة وعبادة ... خبير بحاجي فلتكن أنت نائبا
أبان لك الباري ولي كلّ حكمة ... وأصلح حالاتي وحالك واهبا

وقال أيضاً :

إن كان عندكم بُوبَرْ مع السُّكَّرِ ... فاطبخ ثلاثاً من الكَاسَاتِ لي وَأَرِ [1]
أو لم يكن منهما شيء فقل لاجي ... بما به تستري كلا من الوطر
فانّ قلبي في ليل وبارحة ... قد مسّه مرض ان لم يزل يضر
بيّن لي الثمن الكافي لأعرفه ... إذ لم أكن دارياً كم ذاك في السّعر
إن كان عشراً فعندي عشرة حضرت ... أو كان أكثر فاذكر ذاك أو تشري
تمّ المقال الذي لولاه ما كتبت ... أناملي هذه الأبيات مذ عصر
بحمد ربّ السّما والأرض من وجبت ... له المحامد سود الناس والخمر

وله مدح في حقّ الحَاجّ مَالِكْ سِهْ :

من أَحْمَدِ سبط مُوسَى والد العلم ... مَكَّلَ من قد فشا في العرب والعجم
إلى كريم تقيّ ماجد ورع ... كما تورّع أهل المجد والكرم
مَالِكْ سِهْ من لم يزل مذ كان منفطماً ... يدعو إلى الله أقواماً من الأمم
أمّا بذكراه ايّاهم بقول فم ... يصوم ان لم يقل خيراً عن اللمم
أو فعل ما يرتضي الرحمان فاعله ... ويغفر الذنب ان يخلصه بالكرم
كم مدرس في أراضي الله مشتهر ... بين البلاد وبين الناس كلهم
فيه تلاميذ لا تحصى لكثرتهم ... ما بين طالب قرآن وذي حكم
وعالم ماهر بالعلم يصلحهم ... اصلاح تلك الأراضي الغيث بالدّيم
ومجمع فيه تقري كل أزمنة ... وظيفة لذوي الأوراد والهمم
يقيم أصيد من يقري ويفعلها ... كلّ المريد بتأسرار من الكلم
إلى أبرّ طريق الورد صاحبه ... أبرّ كل وليّ جا بمحترم

(1) أر : فعل أمر ولفيّ معناه : أعط .

لـولاك لم يصلحـا أصـلاً وأهلهما ولم يزالـوا على الأشكـال والظلم
تحيـة تفضـح الأزهـار مـوجبها أعـلامكم حمدنـا إيـاكم بفم
وبفـؤاد الـذي مـا زال ملتفتـا بعين ودّ إلى عدل يرى لكم

وكان مُمَّرْ صَاصُمْ خالاً لِلشَّيْخِ الْهادِي تُوري الشهير بشعره بقريته فَاسْ على عشرين كِيلُمِتْراً من « عَيْنِ مَاضِي » وقد بارز خاله في الشعر . فهذه قطعة يمدح بها مُمَّرْ صَاصُمْ الهَادِي تُوري :

سلام على هَـادِي تُرِ العـالم الحبر فريـد زمـان الله في السرّ والجهر
كبـدر قـد لاح في ليلـة الـدجى أو ان ذقت من بيسان لحجوه كالخمر
فـا موجب التسليم إلا لتعلمـوا بأني في ذا النظم قد قلت في الشعر
رأيت أمينـاً قـد أتـاني بفضّـة عددتّ فكان العدّ كالكاف في القدر
فبشّر قلبي بالـدراهم أغننـي بها عن سؤال الناس في البرّ والبحر
دراهم في ذا الـدهر ينفي مـلامـة ويثبت إيمـانـاً وينجي من الكفر
فمن نالهـا يأتيـه كل من الـورى ومن لم يحز في الناس لم يدر بالذكر
فـواهبها كـالقـدم هَادِي تُرِ الذي أناملـه كـالغيث أفضل في العصر
يعين ويقضي الحَاجُ بالبـذل والندى وليس لغير الله يفعـل في البـرّ
هو السيد السّامي الذي يخرج الورى من الجهل بالعرفـان والبؤس بالنصر
فهل لك يـا هَـادِي من الناس مشبه يحـدّثنا في الله بـالقلب والفكـر
فمثلك في الآداب والدين والهـدى وفي العلم لم يوجد من الناس في الدهر
حمـدتك حمـداً لا يجيء بمثلـه ذوو الحمد لا في النثر كلا ولا الشعر
أطال لك الرحمان في الـدين قائماً بطاعـة أمـر الله نفساً من العمر

أظهر الشاعر منه جانباً مادياً أو ذمّ زمانه الذي جعل المال إلـهـا ومنبعاً لكل خير فهذا يتبين في ذاك البيت :

« فمن نالهـا يأتيـه كـل من الـورى ومن لم يحز في الناس لم يدر بالذّكر »

والضمير هنا في « نالها » يرجع إلى دراهم .

كان الهَادِي تُورِي في صباه يؤلف ما يمليه عليه من الانفعالات والمشاعر

حسب رغبته فيكتب جلّ أشعاره في الفخر والعلم والشجاعة فحضّه الخال على مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم فلذا بعث اليه هذه القطعة :

يا ابني المسمّى بهَادِي تُرِّ خـذ قلمـاً ... وصف ودادك لي في خير من علما
انّي أحبّ جميـع المسلمين ولـــ ... ـكن قد يزيد ودادي في فتى الكرما
المحسن الـدين والأبيـات محترماً ... خير الرسول الذي ساد الورى العظما
أعني بـه نجـلي المـذكـور أنّ لـه ... خـوارقاً في جـادات إذا نظما
حتّي محـادثـة إيّـاك مـذ زمـن ... بأحسن البيت لا ينفك منبرمـا
إن كـان قلبك عن خالـك مصطبرا ... فليس للخال صبر يمسك القلمـا
أجب بـأكـرم بيت يـزدري درراً ... وقلـه في خير من فـاق الورى وسما
إنّ الرسول علينا بـذل حـرمتـه ... وان نجوّد فيـه المـدح والكلمـا
أمـداحه تطرد الشيطـان ان قرئت ... وتدفع السوء والكفـران والنقمـا
وكم تطهّر قلب القـارئين بهـا ... فجاءهم منـه نـور يمنـع الظلما
ولا تكن غـافـلاً كـلا ولا فشلا ... فالمدح ينفع بعد الموت من درمـا
أهـل المكـارم والآداب أيّدهـم ... هـداه في فعـل خير إن حووا سئما
هو الملاذ الذي يكفي لمـن عقلـوا ... فالجـاهلون ولا قصـد ولا وهما
لا زال سيدنـا المختـار مرتفعـاً ... ونائـلا خير مـا ربّ الـورى ختما

كتب أيضاً إلى الهَادِي تُورِي مادحاً له :

يـا من يحـاول حكمـة وتـأدبّـاً ... ومعـارفـاً لا تشتكيـه معيبـاً
قم راحلاً واسأل أخي هَادِي الـذي ... ذكرتـه بالعلـم البريّـة والنبـا
فـإذا وصلت فـلا تبـال بغير مـا ... يلقي من الفـاظ يزيـدك مرحبـا
واقـرأ عليـه كـلّ فـنّ إنـه ... جمـع العلـوم بهمّـة والمنصبـا
عظم مجـالسه ولا تك غـافـلا ... وذر المعـاصي كلهـا وتجنّبـا
أكثر منـافـع قـد تسوق اليـه كي ... تحـوي بها البركـات أو كي تقربا
طلب العلـوم أجلّ ما يبغي الفتـى ... ان نـالـه نـال المنـى والمطلبـا
ولتنـأ عن كـل الغـواني ان تـرد ... نـوراً من الله الكريـم مهـذّبـا
إن كـان شيخك حـاضراً فـوقـاره ... فرض عليك وكـن لـه مسترهبـا

إنّ الفضائــل كلهـا مجموعـة ... في اثنين لا تنكر ولا تستغربـا
علم وطاعـة ربّك الفرد الـذي ... في أصبعيـه القلب صار مقلبا
وأصابـع الرحمان فسر أحمـد ... قد كـان بالتجـاني ثـمّ ملقّبـا
علم التقـاة فتى الـورى فضلاً معـاً ... وأبرّ من يـدري الهـادي والمذهبـا
بمشيئـة وبقـدرة صفتان مـن ... أوصاف من خلق الأنام ورتّبا

وسائر قصائد مُمَّرْ صَاصُمْ مدائح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للشيخ أَحْمَدَ التِّجَانِي قدّس الله سره . ولكن اعتقدنا أنّ ما سبق من آثاره قد دلّ على أنه كان شاعراً مفلقاً ذا براعة في اللفظ وذا قريحة أصيلة في المعنى ومع مُمَّرْ صَاصُمْ يسعنا أن نقول أنّ الابن سرّ أبيه .

عُثْمَانْ جَخَتِ ابْنُ القَاضِي مَجَخَتِ كَلَ

وما لنا من عُثْمَانْ جَخَتِ ابنُ القَاضِي مَجَخَتِ كَلَ إلا بعض قصائد غير أنه كان مثل اخوته شاعراً . هاكم قطعة أثنى بها على الحاج الشَيخْ جُوبْ وهو تاجر شهير في جِلْمَخَ على أربعة أميال من « عَيْنِ مَاضِي » . وقد لقيته غير مرّة عند زوج أخت لي في أَنْكَايْ مخ :

إلى ابن محمود شِيخْ جُـوبْ من هـو العلم
مـن تعـرف الفضل فيـه العرب والعجـم
وهو الذي نـال علماً واحتوى أدبـاً ... يعلو بـه الجيـل والأقـوام كلّهم
فتى حوى ذين مـا يحـويهما أحـد ... من البريـة الا وهـو محترم
علمـاً نفيساً ومـالاً لا نفـاد لـه ... إذ ليس يـدخلـه جهل ولا عدم
يـا أهـل جِلْمَخَ فيكـم سيّـد سنـد ... أن تسنـدوا والحـماة تغنكم نعم
برّ مطيـع لربّ العرش خـالقـه ... وللرسول لـه دانت لـه الأمم
رحيب ظـلّ فمـن ينـزل بمنزلـه ... يأمن من البـأس وهـو الحلّ والحرم
تحيّـة من محبّ قـاده عشـق ... لحضرة الحبّ حين اشتدّت الهمـم
إنّي أحبّـك حبّـاً لا انتقـال لـه ... ما دام تجري على أفلاكهـا النجم
هـاك تحيّـة يا شِيخْ والمحبّـة من ... عُثْمَـانَ من جـاء منه القيـل والكلم

ولمّا توفّي مُمَّرْ صَاصُمْ رثاه عُثْمَانْ أخوه بهذه الأبيات :

أبكي على شيخ الشيوخ مُحَمَّـدٍ[1] نجـل الفتى مَكَـلَ ابْنِ مُوسَى الأمجد
أبكـي عليـه ولا أبـالي بلـومـــة مـن لامـني فهـو المـلام المعتدي
تبكـي الأراضي كالسّماوات العـلى مـن مـوت هـذا السّيـد المتهجّد
أقفـرت الـدنيـا وأظلـم جـوّهـا حتّى السّما لم تبـق نجمـاً نهتـدي
شمس الهدى أفلت وعسعس أفقهـا مـا للبريّـة في الـدّنى من مرشد
مـا لي وللـدنيـا إذا لا تطلــــع من شرقها شمس ولا بـدر اليــد
مـات الرئيس مـلاذ أهـل زمـانـه علم الهـداة منـار دبـن محمــد
هـو سيـد مـا ضمّ قبر مثلــــه من بيض أو سودان أو مـن عبّــد
أكـرم بـأحْمَـدَ صَاصُمٍ مجداً حوى مـن ربّـه وفضائـلاً لم تعــدد
أنــواره في الأوليـــاء وقـــدره في نسبـة مثـل الذكـا في الفرقـد
هـو سيّد مـا زال يعبـد ربّــه في ليلـه ونهـاره لم يرقــد
جـلّ الخـلائـق حيث نامـوا كلّهم قـام الكريـم مصليـاً في المسجـد
غفر الإلـه لـه غـدا ولمـن بـه علقـوا بجـاه محمـد ذي المجتـد
والآل والأهـل الـذبن ذوي الهـدى والتـابعين لسنّـة ومحمـــد

إنّ السِينِغَالْ بلاد كثيراً ما مسّها الجفاف حتّى صار المطر نادراً في بعض الأحيان في وسط فصل الأمطار فأمام هذه المصيبة أقام الفلاحون ألعاباً وثنية مسمّاة بـ (بَاوْنَانْ) وفي أثنائها تنكّرت النساء رجالاً ووسمن وجوههنّ بمداد الفحم وجعلن لحية تحت أذقانهنّ وجرى بعضهنّ وراء بعض بكرة ناعمة رمى البعض به بعضاً . وهذا للاستسقاء فعلن ذلك حين اجتمع المسلمون في الجوامع يقرؤون القرآن ويدعون الله للمطر .

وفي مناسبة جفاف أصاب كَجُورْ ألّف عُثْمَانْ جَخَتٍ ابن القاضي مَجَخَتٍ كَلَ هذه القطعة مستقسياً :

يا منقـذ الكـون من ضيق ومن ضرر يــا مـالك الثقلين منـزل المطـر

(١) ممّر : هو تغيير محمد .

يـا من يغيث الـورى من بعد ما يئسوا — من نيل الرحمة يـا ذا الحول والقدر
يشكو اليك العبـاد كلّهم حـزنـاً — لفقد مـاء يروّي الـزرع منهمـر
إنّ البساتين والأنبـات يـابسـة — إن لم تـروّ لنـا نهلـك ونفتقـر
أنت المعين بـلا من ولا عتب — بل ذاك شيمتك الحسنى ولم تجـز
مـا كنت تتّخـذ العـاصي بزلّتـه — أنت الغفـور لذي ذنب وذي وزر
أمطر علينـا ولا تكـن بمنتظـر — بجـاه سيدنـا يـاسين من مضر

ولعُثْمَانْ أيضاً لمَحَمَدِ جَخَتِ أخيه :

إن لم تكـن نائـلاً شيئـاً من السّكر — فلتخبرنّي بمـا هنـا مـن الخبر
فـإنني منـذ يـوم الأمس مستمـع — اليك بـالأذن حتّى والفكـر
لم لا وكـلّ مـن الأقـوام معتبر — في حاجـة أينـال أو ليس ذا ظفر
فـإن أجبت استراح القلب مرتضياً — لنيل ما كنت أبغي من قضا الـوطر
أو لابساً حزنـه ان كنت مفتقـدا — كعادة الناس عنـد الفقـد والضرر
هـذا كلامي فكن عنّي المجيب كما — نظمت أعثر بعين القلب والبصر
أو باللسان فـانّ الكـلّ ينفعنـي — ويدفـع الجهـل عن قلبي وعن عبر
ولا تكـن ساكتـاً أو غافـلاً أبـداً — عنّي فـذلك أمر مـن ذوي الخور
الله يجمعنـا في الخبر مـذ عمـري — ويصلح الكـلّ منّـا دون محتـزر
بجـاه من نـوره يهـدي ويخرجنـا — من الظّلام الـذي يخشاه كـلّ سر
محمد خير من فـاق الـورى حسباً — وحـلّ منزلـة من واهب البـشر

الشَّيْخُ ٱلحَاجُّ ٱلْهَادِي تُورِي

لقد سبق لنا ذكر ثلاثة شعراء من مدرسة عَيْثْمَانْ وهم القاضي مَجَخَتِ كَلَ وابناه مُمَّرْ صَاصُمْ وعُثْمَانْ فهاكم سيّداً كبيراً شهيراً بالشعر وبالحساب وعلم الفلك يختم هذه القائمة النفسية ان هو إلّا مَحَمَّدُ ٱلْهَادِي تُورِي المشهور بشِيخْ هَادِي تُورِي ولد سنة ١٨٩٤ م في فَاسْ وهي قرية أسّسها والده شِيثُ الذي كان تلميذاً للقاضي مَجَخَتِ وهو الذي علّم ابنه الهَادِي القرآن ولمّا حفظ الابن الذّكر الحكيم ذهب إلى تِوَاوُنْ حيث أخذ عن الحَاجّ مَالِكْ سِهْ رحمة الله عليه – حتى قرأ على

مؤسّس زاوية تِوَاوُنْ علوم الدين وفنون الدنيا مثل الرّياضيّات وعلم الفلك وله ذكاء حادّ وذاكرة عجيبة فاستوعب في سنوات قليلة كثيراً من العلوم كالتفسير والفقه والأدب العربيّ شرقاً وغرباً والحساب والفلك . بدأ التدريس في تِوَاوُنْ ومن تلاميذه الشّيخُ عَبْدُ ٱلْعَزِيْز سِهْ الخليفة للطائفة التجانيّة السِنِغَالِيَّةِ في الحال . ثمّ حلّ الشيخ الهَادِي تُوري بكِبِميـْرْ بضع سنوات قبل ذهابه إلى القرب من عَيْنُمَانْ ومـن دَارُمُسْتِ[1] فأسَّس هنا قرية سمّاها فَاسَا وفي خلال هذا الزمان كلّه ألّف أشعاراً وزرع حقوله وعلّم تلاميذه .

ومن ناحية الأدب فهو ينسب إلى مدرسة عَيْنُمَانْ إذ كاد أن يكون جلّ قصائده أجوبة إلى خاله مُمَّرْ صَاصُمْ جَخَتِ . أمّا في ناحية الطريقة الصوفية فهو منسوب إلى زاوية تِوَاوُنْ . وليس له نظير في السِنِغَالْ اليوم بكونه فلاّحاً ومعلّماً وعالماً وشاعراً وصوفياً وسنقدمه إلى القارئ الكريم اعتباراً لتعليمه وعلمه وأشعاره . وفي رأينا نعرفه حقّ المعرفة ومن لم يعرفه في السِنِغَالْ ؟ فما زالت الاذاعة تنشر قصائده الوُلُفِيَّةِ التي يترنمّ بها المغنّون حتّى سار صيت صاحبها إلى جميع الآفاق . قد تعرفنا اليه عندما كان يقطن كِبِميـْرْ مسقط رأسنا وان كنّا في ذلك الزمن في نعومة أظفارنا ولكنّه كان حبيباً حميماً لعمّنا الشيخ أَحْمَدَ أَنْتَ صَمْبَهْ وقال لنا أيضاً ذات يوم في مجلسه بفَاسْ : « كان والدكم رحمه الله هو الذي كنت منه أبيع فستقي في كِبِميـْرْ وكان رجلاً كريماً تقيّاً كثير رماد سهل جانب » وكان كثيراً ما يزور عمّي المذكور .

قد زرناه في قرية فَاسْ ، قرية هادئة أعلنتها للركبان وأهل السّفر من بعيد المنارات الساحقة لجامعها ذي اللون الفيروزيّ .

ٱلشَّيْخُ ٱلْهَادِي ٱلْأُسْتَاذُ

كنّا في زوال نهار بهيج من شهر شباط سنة ١٩٦٩ م نعبر دغلاً أرهقته حرارة

---

(١) قرية أسسها الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ وسمّاها بدَارِ الْمُعْطِي فغيّرها الوُلُفِيُّونَ « دَارْ مُسْتِ » .

وخدشه ألف خيط من السّراب القلّب قد غادرنا مدينة « دَارُ مَرْنَانْ »[1] منذ نصف ساعة حتّى وصلنا إلى قرية فَاسْ فوجدنا في ظلّ جامع شامخ رجلاً متقدماً في السّنّ جليل هيئة ذا وقار وضّاح لون غير طويل لحية ، أبيض شعر ، نافذ عينين زكيّهما ، مرتدياً بلباس كبير ذي لون نيليّ فوق قفطان أبيض جالساً على كرسيّ طويل وكان يطرح أسئلة على تلميذ بينما سأل سائر التلاميذ اثنين اثنين فاثنين عن الألفية لابن مالك وهذا الشيخ الجليل هو الشيخ الهَادِي تُورِي صاحب الذّكر الجميل . وحتّى الآن يقرأ التلاميذ عليه القرآن والنحو والأدب وشتّى فنون عربية وعلوم دينية وإن كان له ولدان قادران على التعليم لكنّه آثر أن يعلّم هو نفسه .

فأكرم مثوانا إذ رقدنا في مضاجع اسفنجية وثيرة مغطّاة بغطاء أبيض ناصع نظيف . وغنيّ عن البيان أن نقول إنّ كلاً منّا نام ملء جفونه في جوف ليلة ملأها طائر سميناه « جَبَ جِيرِيرْ » بالوُلُفِيَّةِ بأنغامه الرّخيمة وألحانه المطربة بعد أن نتغذّى غذاء يليق بالملوك وأن ننغمس في حديث ممتع مع أولاده الكرام لا سيّما مع ولده الشيخ التجانيّ .

اَلشَّيْخُ أَلْهَادِي أَلْعَالِمْ

أخبرنا أولاد الشيخ أنّ والدهم قد صنع ساعة تأخرت بخمس وأربعين دقيقة بالنسبة إلى الساعة الرسمية . أعطانا ابنه الكريم السّهل الجناب الشَّيْخُ التِّجَانِي ديوان والده . فوجدنا في حاشية من صفحة للديوان ما يلي :

« مكة المكرمة قطب الشمال بينه وبين الأرض احدى وعشرون درجة مع ثمان وعشرين دقيقة . وأما بلادنا هنا السِنِكَالي أربع عشرة درجة واثنتان الخطّ الذي يقبل إلى قطب الشمال يسمّيه خط نصف الليل والنهار والدائرة التي فوقها تسمّى أمّ السّماوات » وفي أثناء حديث بيننا وبين الشيخ الهَادِي تُورِي أعلمنا تغيير نظام التوقيت بين مكّة المكرمة والسِنِغَالْ ولمّا حقّقنا وجدناه مصيباً في اعلامه لنا بأنّ

---

(١) اسم مدينة أسّسها أيضاً الشيخ أَحْمَدْ بَمْبَهْ وسمّاها « دَارُ الْمَنَّانِ » فأحالها الوُلُفِيُّونَ إلى « دَارُ مَرْنَانْ » .

السّاعة في بلادنا تأخرت بأربع ساعات بالنسبة إلى السّاعة في بيت الله الحرام . وقال لنا أيضاً : « سأخبركم عند سفركم المقبل الينا عن يوم عيد الأضحى في سنة ٢٠٠٠ ميلاديّة إن شاء الله » فلنعترف بأنّ معرفتنا من علم الفلك لا تتيح لنا أن نصدّقه بتدقيق ولكن الذين لهم علم بهذا الفنّ مثل الشّيْخْ عَلِيٌّ فَيْ الغَمْبِيٌّ والشيخ أمبك بصّ السنغاليّ يعجبون بالعلم الفلكيّ للهادي توري .

فانّ علم الفلك همّه حينما اعتنى بعلم المواقيت للصّلوات الخمس قد ألّف الشّيْخُ الهَادِي كتاب « تحقيق المقال على ظلّ الزّوال » وكتاب كشف جلباب اللبس عن أوقات الصّلوات الخمس » وفي هذا التأليف الأخير حدّد الشيخُ أوقات الصلوات بالخطوات وله مقدمة وفصلان وخاتمة . أمّا في علم الحساب فقد كتب العالم لتلاميذه كتاب « تبصرة الطّلاّب بمبادئ الحساب » . وله توطئة وأربعة فصول وخاتمة . قال المؤلف : « إنّ نبيّ الله ادريس هو الذي صنع علم الحساب – وهذه نظريّة أهل ملّة الإسلام – ثمّ خاض في ذكر العمليّات الأربع الجمع والضرب والقسمة والطرح وفوائد هذا العلم . قال مثلاً : « اعلم أنّ علم الحساب من أجل ما يعتني به أولو الألباب لما فيه من منافع الدين والدنيا وإذا رأيت من يتعلّمه فانّما يتعلّمه غالباً بالفرنسيّة ويكتفي بما لا بدّ منه للتاجر وأكثر شيوخ العصر في بلادنا هذه زهدوا في نفعه النفيس وهجروه كالطلل الدريس كأن لا أصل له في العلوم الدينية ولا وجود له في الكتب العربية مع أنّهم مضطرون اليه في المواريث والمواقيت بل في كثير من أمور دينهم ودنياهم . وبسبب هذا كنت أتكلّم مع بعض طلبة العلم ، وحثثتهم على تعلّمه ... ومن فوائد الحساب : زيادة الذّكاء والتّبحر في علم المواقيت والمواريث والفلك والهندسة والمساحة والقبلة وغيرها . فانّ كثيراً من العلوم مفتاحها الحساب . فلذلك ضاعت بضياعه » ثم ذكر الأرقام التسعة وفائدة الصفر والآحاد فالعشرات فالمآت فالآلاف . وفي وقت الناظمات الآلية فانّ لقول الشيخ الهَادِي أهمية ذات بال بأن « يجب حفظ حساب أبجد والتفصّح به لما يتعلّق به من حمالة الضرب الآتية المصطلح عليها بالحروف الأبجدية لما في قولك : بَبْدٌ من الاختصار دون قولك : اثنان في اثنين الحاصل : أربعة » لقد صدق الشيخ لأنّ القول الأوّل (بَبْدٌ) هو أكثراً اقتصاداً في الوقت من القول الثاني .

ٱلشَّيْخُ الهَادِي تُورِي ٱلشَّاعِرُ

فلننزلن من أعلى الفكرة التّجريديّة نحو الثّرى راكبين (بِيغَازَ) ويترنّم قيثار الشيخ الهَادِي تُورِي الذي ديوانه ضمّ بين طيّاته ٥٨ قصيدة . وقد أخبرنا الشيخ تُورِي ابن أخ للهَادِي تُورِي عمّا يلي : « قد ضاعت لعمّي في بعض أسفاره إلى الحجّ حقيبة فيها ديوانه كان يريد أن يطبعه » ومن حسن الحظّ للأدب العربي في السِنِغَالْ تذكّر ابنه الشيخ التجاني جميع الآثار الشعرية لوالده أو كاد[1] . قد سبق القول أنّ جلّ أشعار الوالد أجوبة إلى خال الهَادِي مَمَّرْ صَاصُمْ أو تلبيات نداء لدعوة الخال إلى الأخذ في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذا وجدنا بعض قصائد في حقّه صلى الله عليه وسلم ، وفي حقّ الشيخ أحمد التّجانيّ قدّس الله سرّه .

ولمّا كان فتى ألّف قصيدة طويلة (٤٤٠ بيتاً) جرى فيها مجرى أَحْمَدُ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحَمَّدِ ابْنِ الوَنّانْ المغربيّ الفاسيّ المشهور بأبي الشمقمق الذي مدح في قافيته السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي شبّب الشيخ الهَادِي في قصيدته ووصف الدّمن والأطلال والبيداء وفرسه وحبّه . ثم ندم على ما مضى من شبابه ثم زهد في الدّنيا فهاكم نبذة منها :

لمعان برق الليل نحو المشرق ... أبدي هوى قلبي بنور مشرق
وأثار لي خفقان قلب دائم الـ ... ـأفكار في بحر الخبال مغرّق
وأصارني متردّداً متحيّرا ... ليت السّما بمشرق لم تبرق
آه على أطلال دار أحبّه ... لي البرق خيّلها كرؤيا المخفق
فتخيّلت لي دار عزّة والرّبا ... ب وفرتني والكلّ كالمتحقّق
فوقفت أبكيها ولا كبكاء خنـ ... ـساء على صخر ولا كالخرنق
حقّ البكاء لعاشق متخيّل ... دون الأحبة في الزمان الأسبق
أبكي عليهم بالدموع ويزدري ... صوب الدّموع حيا السحاب الدغفق[2]

---

(١) وفي ايفان مجموعة الأشعار للحاج الهَادِي تُوري .

(٢) الدّغفق : الواسع .

أفــلا أبكّـي فتيــة غــرّا كــرا ... مــا مرفــدي اللهفــان عند المقلق [١]
١٠ أفـلا أبكّـي فتيـة أهل القرى ... ومزوّدي الضّيفــان عنــد تفــرّق
١١ أبكي عليهم في الحياة وان أمت ... قسم البكــاء على جميـع العشّق
١٢ أبكي عليهم ما حييت وان أمت ... وكّلت من يبكي بدمــع مطبــق
١٤ والعيش أحسن عجوة ومياههم ... كالسلسبيل فضيفهــم كــالمـوهق
١٦ والنخل بـاسقة لهـا طلع نضيـ ... ـد رزق كــلّ مـؤمّـل مسترزق
١٧ أعــوامها مثل الشهــور شهورها ... مثــل الليــالي ليلهــا كــالمبرق
١٨ ونساؤهـا حـور حسان خـرّد ... ظبيات وجـرة كامـلات الرّونـق
١٩ فلئـن رنـون فـذاك أقتل للفتى ... من ضرب أسياف ورمي البنـدق
٢٠ ان قمن أوهمت الخصور بأنّها ... أمثـال أحقــاف بـدعص أمهــق
٢١ رقّ الخصور وراق دمعي دهشة ... وكفلت للكفلات زيـد المخرق
٢٢ يقتلن بالغنج المليـح مخاطبا ... وفتـور أعينهنّ عنـد المـرهـق [٢]
٢٣ يتركن أفكـار الأريب بحيرة ... ويملــن قلب المتّــقي للمفســق
٢٤ فحـذراهنّ فهـنّ عين الغول لو ... لاهنّ لا يلفى الجنــون بمطبــق [٣]
٢٥ يا راكبا وجنـاء مرقـالا متى ... أرخى الزمـام لهـا سواهـا تسبق
٢٦ يسراتهـا مثل الزّمـاح وعينهـا ... مثل الزّجـاج ورأسهـا كـالمطرق
٢٧ تختال في رمل التّـلاع وتوقد الـ ... ـنيران في حـزن أمــام الأينــق
٣٠ أرق الزّمـــام لها وأوب دائمـاً ... وذر البطالـة فهي شرّ معــوّق
٣١ واذا وصلت الحيّ فإسأل دارهنـ ... ـن وبلّغن عنّي أمـانـة معشق
٣٤ راد [٤] تخجّل فيه يوحـا وجهها ... بـدل السّراج لدى الدّجى للطرق
٣٥ لا علم لي أبقدّها أم خـدّهــا ... أم جيـدهـا أم قـولهـا المترقّـق

---

(١) المقلق : الأهوال .

(٢) المرهق : النّظر .

(٣) المطبق : المجنون .

(٤) راد : جميلة وضحى أيضاً .

٣٦ تسبي العقول وتسترقّ قلوب جنـ ... ـسي غير أنّي كـالأسير المـوثـق
٣٨ والقـدّ غصن واللهيب كخدّها ... والجيـد جيـد الرّيم عنـد المطرق .
٣٩ لو نـال ذو سقم بفيها قبلــة ... كـان الشّفاء لـه بـدون ترنّـق
٤١ كنت السعيد بلهـوها ودلالها ... وغـدت تباعـدني فـالآن انا الشّق
٤٢ لرهقتني يـا ذا الزمـان بفقدها ... فجزاك ربّـك يا زمـان بمرهـق
٤٤ أنا بعدهـا ما بين جوف مهامه ... وتجـاوب لصياح كـلّ مطـوّق
٤٥ فأقول عند سماع نـوح حمامة ... يا جارتي ماذا دعـاك لمـأمـق[1]
٤٦ ما تشتكين أتفقديـن معيشـة ... أم خلّة أم اخاً يمـوت فتشهقي
٤٨ ذا ساق حرّ مؤنساً لك مخلصا ... لك ودّه مـاذا طلابـك فانطقي
٥١ وتنزّهي بين الرّيـاض وبختري ... بين الحيـاض وغرّدي وتمشدق[2]
٥٢ أمـا البكـاء فلم تكوني أهلـه ... فدعي البكـاء لذي الفـؤاد المحرق
٥٣ فلو ابتليت بمـا ابتليت بمثلـه ... لذريت دمعاً كـالحميم المـذعق
٥٧ فقفي نبكّ ولا نمـلّ ولا نميـ ... ـل للائم وثيـاب ريشك شقّقي
٥٨ نبكي على ليلى وما يدريك من ... ليلى فلـو تدرينهـا لم تطـــرق
٥٩ مهمـا تـذكّرت المسامـرة التي ... جـدت بهـا في بـالبكـاء اشرورق
٦٠ فلربّ ليل مثـل ابهـام القطـا ... بتنـاه فـوق سريرهـا في عيهـق[3]
٦١ لا سيّما ليل طرقت خباءهـــا ... وهنا وبتنـا في تمـام المـأنـق[4]
٦٣ حتّى إذا استبدلت نكهة ثغرها ... من أذفر المسك الزّكـيّ المعبـق
٦٤ نبح الكلاب وصاح ديك الحيّ ... وانتشر الضّياء فبانـا كمصفّـق
٦٥ قلقت وقامت تشتكي غير الرّقيـ ... ـب ووجهـا متغيّر للمقلـــق
٦٦ قالت لاشفاق الهلاك عليّ يـا ... هذا ألا تحت السّرير اخـرنبق

---

(١) المأمق : البكاء .
(٢) تمشدق : وتغنّي .
(٣) عيهق : السّرور .
(٤) مـأنق : تمام السّرور .

٦٧ كثر الرّجال على الطريق وكلّهم بطل غيور رمحه ذو ممرق
٦٨ فأجبتها والله لست بفاعل وستعملين بأنّني لم أخفق
٦٩ أمّا القتال إذا تعرّض لي فلا أبداً أرى بمجنّ عمر وأتّقي
٧٠ علم القرون بسالتي وتقدّمي في الحرب مثل الخادر المستمزق
٧١ فليعلمنّ بأنّني أسد له ناب وأظفار سراع المرشق
٧٢ بكّي عليهم ما استطعت فانّهم همد بهم حدّ البكاء استغرقي
٧٣ ان كان فيهم والد لك أو أخ فعليهما أغلى ثيابك شقّقي
٧٤ وسللت سيفاً مثل برق دقّة وتلألؤا والحدّ من سمّ سقي
٧٥ عضب إذا وقف الذّباب بحدّه قطع الذّباب فيا له من محذق
٧٦ فحديده من خالص الكبريت بالقدر المواتي من صنوّ الزّئبق
٨٠ ذاك السّلاح إذا تمكّن في يدي فسلاح غيري مثل عود الخربق
٨١ وفتحت باب البيت بعد تزوّدي منها بقبلة ساقب عن مفرق
٨٢ وبرزت من بين الكماة كهنبس يأتي بظلم ثمّ غيظ محنق
٨٣ فصرخت فيهم صيحة جرعت بها الأطفال من مغمى ومن مستزهق[1]
٨٤ لقلقت فيهم كي يصيخوا كلّهم قولي وقد فعلوا بغير تفرّق
٨٥ حتّى أراني كالإمام بخطبة يوم العروبة للمنابر مرتقي
٨٦ قلنا لهم والقول حقّ بعضكم بي كان بسمع وهو غير محقّق
٨٧ من كان يعرفني فذاك أنا ومن لا فليصغ رجلاً فصيح المنطق
٩١ من ذاقني يوم الطّعان يمجّني إذ حنظل ان ذقت مرّ الملعق
٩٢ سيفي خفير الموت وهو رأيتمو ه ممزّق الأشخاص كلّ ممزّق
٩٣ يبتلّ من دهن الدّماغ بعيدما قدّ لترس كان فوق المفرق
٩٤ فلربّما بارزت وحدي فتية كعديدكم بطعان رمح مرزق
٩٥ وأثرت فيهم قسطلا متراكما طاشت به ألباب ذاك الفيلق
٩٦ حتّى تبدّل ليلة ذاك النها ر وما النجوم سوى السيوف البرّق

---

(١) المستزهق : الموت.

٩٧ أطلقت فيهم صائحاً شبه الشّبـ ـب أو العرير عنـان طرف أبلـق
٩٨ يجري فتنفلق الأزجّـة والقـوا رير العليـة مـن دوي المصـدق
٩٩ حتّى إذا استصدرت في غلب الوغى ومعي خفير الموت نير مألـق
١٠٠ فحملت حملة ساخط متسلّط فتك قتـول مهمـد مسترهـق
١٠١ جلّنا به فيهم وطلّ دمـاؤهـم وأنلت شوكتهم فظيـع تـدهـدق
١٠٢ فتفرّقـوا ما بين مقتـول لقي ومعبّـد وأخي الفـرار لـمرهـق
١٠٣ وغدا الجواد مطأطئا نحو اليميـ ـن مع اليسار برأسه من مأنـق
١٠٤ أذنـاه مثـل يراعتين براهما الـ ـكتّاب ناوي أن يشي في مهـرق
١٠٥ كرّار أعداء الجحافل هيكل مخلـولـق عـرد نقـيّ الـزّرق
١٠٦ ردیانه طيران بـاشق بـاشق يكفيك عن جري لسبق المطلـق
١٠٧ ومطاه نبرق حـابيـا متطـاولا أعلى ذرى نيـق الجبـال الشّهّـق
١٠٨ فكأنّما وقع السّنابك في الكدى زنـد المقدّح أو حبا حب مخفـق
١١١ ساط أقيـدر لا أحقّ ولا شئيـ ـت مجمح بحر وليس بـأفـرق
١١٧ عرّفتكم نفسي وما فاجئتكـم فعليكم الأسيـاف حتّى نلتـق
١١٨ لمّا وعوا منّي الكـلام وايقنوا أنّ الطّلاسم عـن قساور قد تقي
١١٩ بـذال مـالي للرّفيـق وغيره بل لست زاجر بـاسط عن مبشق
١٢٠ ولـذا حـديثي لا يمـلّ لأنّني عذب الدّعـاب ومرفـق المسترفق
١٢١ وأقول شعراً لا يجـود بمثلـه أفكار غيري مـن جميـع الحـذّق
١٢٢ أنـا شاعر بـا صاح لا متشاعر شتّان مـا بين العيـيّ والأشدق
١٢٣ آتي بنظم دونـه وشي الـبرو د ولا يـرى مثـل لـه لفـرزدق
١٢٤ بقصيـدة طنّـانـة رنّـانة حسّانـة تنسيك زينـة دیسق[١]
١٢٥ أكسي القصائد بالبديع ملابسا فـوق الحرير فتزدهـي للرّونـق
١٢٦ قـول الهجاء وانّني لقليلـه أفري بـه عنـق المهاجي الأجـوق
١٢٧ فإذا هجوت أخا العلا غادرته كالقرد ان رام السّمـوّ يتفتـق

---

(١) الدّيسق : الفضّة البضاء .

١٢٨ فتراه في خجل وذلّ قائلاً | انّ البلاء موكلّ بالمنطق
١٤٣ هذا ومدحي للعليل شفاؤه | طيباً وحلواً واجتلاب المشمق [1]
١٤٤ ما كان ترماق الضريب مروّقا | بالقند ممزوجاً بماء السّيق
١٤٥ ساقت به الأرياح من أفق السّما | ء تدينه فزعاته للمشرق
١٤٦ حتّى إذا التأم الجميع غمامة | سوداء حالكة ببرق مشرق
١٤٧ سحراً وأرعد تحتها رعد حدا | فسخت لها حبك بوابل مطبق
١٤٨ جادت بوابلها وريّق صوبها | شيب الشّراب به بكأس مشنق
١٤٩ تسقيكه راد على ظمإ لدى | وسط الرّياض وتحت سرح مورق
١٥٠ يوماً بأعلى من مديحي الفائق الز | زاري جمان خريدة في المخنق
١٥١ لكنّما الكرماء قلّوا في الزّما | ن لذاك لست إلى الثّنا بشمقمق
١٥٢ لم يبق إلاّ باخلون وعندهم | جود الجواد كمثل حمق الأحمق
١٥٤ والمدح أغلى ما يباح فصنه لا | تسمح به فتكون مثل الأومق
١٥٦ عقل الفتى مثل القليب وانّما | مسباره لفظات فيه بمنطق
١٥٧ فمقاله لا بدّ امّا أن يبي | ن بفضله أو عيبه المسترق
١٥٩ سبحان ربّك من يروض لعبده | نظم القريض وصوغ شعر عسنق
١٦٠ انّ القوافي والبحور جميعها | ذلل المطايا لي فلم تتصفّق
١٦٥ ولطالما سرّجت كهل كامل | وشننت غارات بسيف الأشدق
١٦٧ سل كاملاً عن ذا وها هو حاضر | كلاّ فانّك ان سألت يصدّق
١٧٤ فإذا أردت الشّعر بأواكاملا | مثل الجمان وفوقها في العسنق
١٧٥ فأنا الذي آتي بذلك مرغما | أنف العدوّ ومفرحاً لصديّق
١٧٦ وأغوص في لجج البيان وأنتقي | فيقال نعم المنتقى والمنتقي
١٧٧ فإذا ترى متعلماً سحر الكلا | م فدلّه داري لبابل يرتقي
١٧٨ أنا ساحر ومعلم سحراً وأعـ | ني بالقريض وبالبيان المبرق
١٧٩ فقصائدي موشية ورسائلي | مكسيّة حلل البديع المشنق

(١) المشمق : النشاط .

١٨٠ فإذا تلـوت قصيدتي في محفل   مزت الكريم [١] عن اللئيم المصمق [٢]
١٨١ فكـلام ذا في كل بيت قلتـه   لله درّك من بليـغ مفلـــق
١٨٢ وكأن تقول لذاك عند تلفّـظ   بالـدّرة البيضـاء صـه لا تنطـق
١٨٣ فتراه يطرق مثـل مشتوم بـــه   ويـرمّ [٣] من حسد بقلب محرق
١٨٤ ويغيظ بي أبـداً ولست بظالم   مـا لي ومـا للحا سد المترهّـــق
١٨٥ والله يكثر حاسديّ فـانّهـــم   أفشي لفضلي من حبيبي الأشفـق
١٨٦ انّ الدليل على المكارم كثرة الـ   ـأعـداء فهي علامـة المتبسّق [٤]
١٨٩ وإذا فنيت وصار جسمي ثاوياً   تحت التّراب فـذاك شعري قد بقي
١٩٠ وإذا رأى الأولاد والأسباط ذا   علمـوا بأنّ الجـدّ ليس برمّـق [٥]
١٩١ ولعلّهم يـدعـون لي بـدعيّة   تمحـو الـذّنـوب وبي السّلالم ترتقي
١٩٤ لو مـال ذي مـال يزيد بعمره   لجمعتـه وحـرستـه بالمسفـق [٦]
١٩٥ ولـرمتـه بتجـارة وحراثـة   وطعـان قرني بالرّمـاح المـرّق
١٩٩ لا حـاجبـاً أعطي مفاتيحي ولا   ربضـا [٧] ولا ولـداً ولا للمشفـق
٢٠٠ لكنّني عند المنـام ويقظـة   بيـدي بها أبداً دوام تعلّـــق
٢٠١ لكنّ ذلك لا يفيد سوى الفشو   وبوصفـه في جبلـه بالخنبق [٨]
٢٠٢ لو كان مال المرء يحمي عن ردى   لحمى الغني فرعـون عنـد المغرق
٢٠٣ ولكان نمرود بـن كنعان الذي   جمـع النّفائس سالمـاً مـن مزهـق

---

(١) مزت : علمت .
(٢) مصمق : كثير التكبّر والحسد .
(٣) يرمّ : يسكت .
(٤) المتبسّق : الرفيع القدر .
(٥) الرّمق : كقنّب الرجل الضعيف الحقير الذي لا بال له .
(٦) المفسق : الأغلاف عليه .
(٧) ربض : زوجة .
(٨) الخنبق : الخيل .

٢٠٦ أو لم يكن قارون ذا وفر وصا	ربخسفه في الأرض عبرة متّـق
٢٠٩ والبخل ليس يزيـد رزقاً لا ولا	يجـدي سوى العـارات للمتحـزّق
٢١١ صاح اسمعن قـولي وراع وصيتي	ونصيحتي تصب الصّواب وترفـق
٢١٣ وتذكّر الـذنب المقـدّم وابكه	واستغفرنـه وبالمخـارق رتّـق
٢١٦ أقم الصلاة ولا تؤخرها عن الـ	ـأوقات فهي عماد دينك فـارعق
٢١٩ والزّهـد في الـدنيا ولا تجنح لها	فهوانهـا كهـوان بيت خـدرنق [1]
٢٢٠ وطلاب علماً كي تكون على	البصيرة في الأمـور وعلم فقه دقّـق
٢٢١ واحرص على علم الحساب فنفعه	بادي العموم لدى جميـع الحذق
٢٢٢ ومن الحديث احفظ رواية مسلم	بعـد البخاري ثمّ مـا للبيهقي
٢٢٣ ورم الأصول أصول فقه الدين	تظفر بالفروع مع الأصول وتسبق
٢٢٤ والنحو مفتاح العلـوم جميعهـا	من كان يفتح فليكن بـالمصفـق [2]
٢٢٥ واقرأ على حبر وبحر كـامـل	متفنّن ورع يسير المـأنـق
٢٢٦ لا بالصّغير الأمـرد الغير الأريـ	ـب ولا المخرّف والشّريص الدّيسق
٢٢٧ سهل السجية ذي نشاط قـائـل	فصل الخطاب بلا كلام مذلـق
٢٢٨ فطن فصيح فـاصل صور المسا	ئل بالبيان الـواضح المتحقّـق
٢٣٠ ولدى التعلّم فاجتهد واصبر وجع	واظمأ وطالع واعتزم واستـأرق
٢٣١ درساً فليـلاً واعتزل متفكّـراً	متبيناً حـلّ المسائـل وازعـق
٢٣٢ ثمّ ارعين حق المعلّم طـالبـاً	مرضاته فبـذاك نيـل تحبّـق
٢٣٤ إنّ المعلّم والطبيب كلاهمـا	لا ينصحان لـذي جفـاء مثلـق
٢٣٥ ان كنت ذا نشب فجد بعطائه	أو لم تكن فبخدمة الشيخ اعـرق
٢٣٧ فإذا حويت رضاه حقّاً جاءك الـ	ـعلم المبارك فيـه دون تحذلـق
٢٣٨ واصبر على كدّ المذاكرة الموا	ظبـة الدقيقة في المعـاني الرّتّـق
٢٤٠ ولدى التناهي في التّعلم فاحتزم	واعمل بعلمك للمعالي ترتـق

(١) خدرنق : عنكبوت .

(٢) المصفق : المفتاح .

٢٤١ فالواجبات مع النوافل والرغا ئب فـأت جملتهـا ولا تترقّـــق
٢٤٢ وعليك بر الوالدين وأكرم الـ ـجيران والأرحـام صل وتبلصق
٢٤٣ ببشاشة للملتقي وتسامـــح للظالمين وبـذل رفـد مخـرق
٢٤٤ جـد بالمرافق للمرافـق والمعـا رف للمعارف يرض عنك ويعشق

ثم تصدّى لمسائل التعليم والتربويّة وعلمي الأخلاق والاجتماع :

٢٥٧ يـوم يساق بـه البريّـة كلّهم ولا يليـا المنحى كتلّـة مرهـق
٢٦١ ذكـر وأنثى ثـمّ لا يتعارفـا ن لما هنالك من شديـد المغلـق[1]
٢٦٣ وهنـاك للعاصين عـار مسبد يفشى ويسمع أهل ذاك المخفـق
٢٦٤ يـوم القيامـة ذاك منـه يفـرّ زو ج زوجـة عشقتـه كـلّ المعشق
٢٦٥ ويفرّ مـولـود برؤيـة والديـ ـن ولات حين فـراره لتأبّـــق
٢٦٦ وترى مطالبة الشقيق شقيقـه والأمّ لابنتها كـان لم تـدحـق[2]
٢٦٧ فترى مطالبة الخليل خليلـه والزّوج زوجتـه كـأن لم يعشق
٢٦٨ وترى مطالبة الضعيف أخا القوي والحاكم العـدل الفريـد بمصدق
٢٧٢ ذاك المقام إذا وقفت بـه غدا تحتج إلى زاد هناك وتشتـــق
٢٧٣ والزاد ثم تـلاوة القرآن قبـ ـل وكثرة الطاعات والقلب النّقي
٢٧٨ فهو[3] الذي لا خوف يلحقه ولا قتر ولا خجـل ولـم يستخرق[4]
٢٧٩ فهو الذي للخلق يشفع بعد عذ ر المرسلين من البـلاء المرهـق
٢٨٤ ذاك ابن عبد الله أفصح ناطق بالضاد أسمح واهب متخـرّق
٢٨٥ جمع السّماحة والشّجاعة والدّيا نة لا محالـة بـاسق للبسق
٢٨٦ فالمسلمون ببسطه والكـافـرو ن ببطشه في مخصب وتصلّـق
٢٨٧ ان كنت تمدح فامدحن محمداً فهو الجدير بكـلّ شعر عسنـق

---

(١) المغلق : الأهوال .
(٢) كأن لم تدحق : كأن لم تلدها .
(٣) أي محمد صلى الله عليه وسلم .
(٤) لم يستخرق : لم يتحيّر .

٢٨٩ فإذا فعلت وجدتّ كل الصّيد في جوف الفرى فإلى المدائح زرفــق
٢٩٤ يا لهف نفسي من شديد عيايــة حصرت لساني عن مديح مشنــق
٢٩٧ والله لَست أراك إلّا بـاقــلاً بجنابــه العـالي الرفيـع الأسمق
٢٩٩ أثنى عليه الله في التــوريــة والا نجيـل والفرقــان حــدّ تفــوّق
٣٠٠ إن كنت أمدح كان بيت قصيدتي نطقي بعجزي دون نظمـي مرمّق

وإلى البيت الأربعين والأربعمائة لم يمدح الشيخ الهَادِي تُورِي إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وأتى بسيرة شعرية ذكر فيها معجزاته وكراماته ومكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم . انّ مطلع القصيدة سطوع نار شبابة وانفجار رُومَنْطِيقِيٌّ ، ووسطها تعليم ، وخاتمتها سيرة الرّسول صلى الله عليه وسلم . والشاعر غيّر لهجته بالنسبة إلى الغرض الذي طرق بابه فصار اسلوبه بالتناوب سائطاً حمساً عرماً ملحميّاً فهادئاً سائلاً سلساً فغريباً فصيحاً .

ولمّا رأى خاله مُمَّرْ صَاصُمْ ان القصيدة حوت جزءاً غير زهيد ممّا يتعلق بأمور الدنيا دعا الهادي إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم لا غير .

فأجاب الهَادِي في شتّى قصائد يمدح بها سيد الأولين :

خالي دعاني وقال لي اتّخذ قلماً وامــدح نبيّ الهــدى ولا تكن سئما
لبّيــك يــا خير خـــال آمــر رشداً ألزمت حقّــاً وأنّي كنت ملتزمـــا
لكن أقــرّ بــأنّي عـــاجز أبـــداً عن جري شأوك في هذا يداً وفمـــا
وابن اللبــون إذا ما لزّ من قرن لم يستطـع صولـة العلكوم إذ هجما
ولا يكلّف نفساً فــوق طـاقتهـــا ربّ الثّرى والسّما لأنّــه رحمـــا
فالحمـــد لله ربّ العـالمين عــلى كــون النّبيّ على كـل الأنـام سما
نحن انتسبنـــا لـــه إذ غيرنا انتسبوا لغـيره ولهـــذا سبقنـــا الأممـــا
لله درّ إمـــام المـادحين لــــدى مقـالــه في قصيــد بـــردة وسما
« بشرى لنا معشر الإسلام إنّ لنـــا من العنايــة ركنــاً » ليس منهدمـــا
« لمّــا دعــا الله داعينـــا لطاعتـــه بأكرم الرّسل كنّـا » سادة العظما [1]

(١) إنّ هذين البيتين من بردة محمد البوصيري رحمة الله عليه .

أتت بـذلك آيـات منزّلـة … من الإلـه الـذي وجوده قدمـا
فلتتل «كنتم خير أمّـة أخرجت» … للنـاس إذ تأمرون النّاس ما لزمـا
محمد المصطفى المختار سيدنا الـ … ـهادي الأمين الذي اصطفاؤه علما
خـير الأنـام هيـولاهم وملجأهم … ومنقـذ الخلق يـوم الكل قد وجما
فلم يماثـل ولم يشبـه لبهجتـه … ولـم يزاحم ولـم ولـم ولـم ولـما
من ظنّ أن انقلاب الدهر سوف يجي … بمثلـه فغبيّ جهلـه عظمـا
هو الحبيب لدى أهل الرّشاد معـاً … فليس يقليـه إلّا عـابـد صنمـا
فـدمّر الله أمـراً كـان يبغضـه … وجدّع الأنف والعينين والقـدمـا
ثمّ الصلاة على الهـادي وشيعتـه … من بلغـوا الفعـل والأحوال والكلما

وله أيضاً مجيباً إلى خاله :

أتـاني أمـر مـن أمير وعنـدنـا … دوام امتثـال المـرء أمـر تعيّنـا
أتـاني مـن خـالي كتـاب يحثّني … لانشاء شعر نظمـه محكـم البنـا
فلبيك يـا خـالي وسعـديك أنّني … فتى في عـويصات القـوافي تمرّنـا
أتـأمرني بـالسّبك والصّـوغ إنّمـا … نُـون[1] أمرت العوم لا شكّ أمكنـا
على أنّني خـالي وان كنت مفلقـاً … فـأنّى بشعر مثل شعرك في السّنـا
كـلام كمنظـوم اللآلي مفصّـلا … بـأفراد يـاقـوت ودراً وأحسنـا
أتـأمرني مـدح النبي محمـد … فلبيك يـا خـالي ودونك بـالمنى
يميناً بربّ خـالـق بـارئ لـه … مسير الحجيج النّاسِكِينَ لدن منى
يضيفـون للتّكبير رمـي جمـارهم … وقد راقبـوا المـولى قلوبـاً وألسنـا
لقد وجـد المـدّاح في مـدح أحمـد … مجـالاً رحيبـاً للمـديح وللثّنـا
هو النّـور نـور الله في الأرض والسّما … هو الرحمة المهداة في الدين والدنـا
رسول دعـا كل الأنـام إلى الهدى … وجـاء ببرهـان وبالحـقّ بيّنـا
وإنّ جنان الخلـد يا صاح زخرفت … لمـن كان والاه وللـدين أذعنـا
وهـذا ونيران الجحيم تضرّمت … لمـن كـان عادى دينـه وتفرّعنـا

(١) النّون : هو السّمك .

نبيّ سخيّ أريحيّ لـه الحيـا وصفح وإحسان سجايا تضمّنـا
وأيّـده بالمعجزات الهـه فشقّ لـه البـدر المنير المـزيّنـا
وكلّم من في القبر والنـاس حولـه وحيّ اليـه الجذع والكـل قد رنا
وأخبر مـرّات عن الغيب للـورى وجاء كما قـد كان مـن قبل أعلنا
دع القـول في تعـداد أمـواج بحره فتعـداد أمـواج لـه ليس ممكنـا
فمـاذا عسى أن يبلغ الشعر في الذي له محكم التنزيـل قـد جاء بالثّنـا
لقد كـلّ كـلّ القول عن كنه وصفه فسيّان منطيـق ومن كـان ألكنـا
قصارى مـديحي أنّـه أفضل الورى جميعاً وإنّ الكون من نـوره انبنـا
سلامـان مـن ربّي عليـه وآلـه ومن بحلى الإسلام كـان تزيّنـا

وله حين شاعره خاله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهيّج منه في ذلك ساكناً :

يـا ذا الـذي أثـار درّاً خـفـي في مدح طه المصطفى الأشرف
كم غـايـة في ذاك بلغتـني وكنت قبـلاً دونهـا أكتفـي
شكريـك حتم لازم واجـب ان كنت لم أفعـل فلم أنصف
فهـاك يـا خـالي ويـا سيّـدي حمـداً لفرط الحسن لم يـوصف
فكيف بالمـدح الـذي صغتـه لي وهـو بزري الـدر من زخرف
وكـل حرف فمنـة قـومتـه بـألف دينـار ولـم أسرّف
هـذا لعمري بـاهر للحجـى مـلك الفرانسا كلّـه لم يف

وله يجيب خاله الذي قد عزّى الهَادِي في موت أخيه مُحَمَّدِ تُورِي قبل أن ينعي الخال بوفاة المرحوم . فاعتذر الهَادِي إلى مُمَّرْ صَاصُمْ :

أهـدي سلامـاً عرفـه متضـوّع لجناب خـال قـدره مترفـع
خـال خليـل قلبـه خـال عـن الأ سواء فليس لـه هنالك مـوضع
فـإذا جرى بعض الخطوب فحسن تا ويـلاتـه زين لما قـد يشنـع
فـإذا تكلّمت الـوشاة فبخ بـه مـن سامع وكـأنّـه لا يسمـع
نـدب تزكى من صدى نـاسوتـه فجنابـه منـه المعـارف تنبـع
يـا سيّـدي انّي أعزّكم عـلى كـون المنايا بـابن أختك تصرع

فـالله يرحمـه ويغفـر ذنبـه ويجبره مـن هـول قبر يفـزع
والله يـوجركـم عـلى فقـدانـه وينيلكم من كـل خير تطمـع
كتبتـه يمنى البـاعث المنشي عـلى ضيق الزمـان وقلبـه يتـوجّـع
وهو ابن أختك واسمه الهَادِي التِّجَا نِي المـالكيّ بعين قلب تـدمـع
مـن مـات والـده ومـاتت أمّـه وشقيقـه فمـمـاتـه يتـوقّـع
انّي نعيتـك أوّلاً نفسي بنفـ ـسي قبـل يـوم للقبـور أشيّـع
واجعـل عزائي دعـوة مـرجـوّة إنـا بدعـوة مثلكـم نستنفـع
ثـمّ الصلاة عـلى النبي وآلـه أهـل الصفـاء وكـلّ آت يتبـع

ٱلشَّاعِرُ الْعَاشِقُ

عـذولي تراك اللـولم لم أستطع صبراً بل امري شئون الدّمع أو أنزل القبرا
زفيري ودمعي جمرة تحت وابـل فيا عجباً من وابـل جاوز الجمرا
فكيف تسوم الصبر صبا متيّمـاً وفي قلبـه تجري جيوش الهوى تترا
وكيف يطيق الصبر من كـان تائهاً وكـان جـواه يملأ البرّ والبحرا
وأفتى شيوخ الشرع شرع ذوي الهوى بأن سلوّي محرماً يوجب الخسرا
وقالـوا ممـاتي في جـواي شهـادة بها أستحقّ الوصل والفـوز والأجرا
وإن سلوّ الصبّ عـين ارتداده كذا الحكم في شرع الهوى فاعلم الأمرا
وانّي وإن كنت المعنّى كما تـرى فكل ذنـوب العالمين ولا كفـرا
وهـذا الـذي لقيت عنـدي هيّن وفي جنب من أهوى أرى كل ذا نزرا
لأقسمت أنّي لا أفيـق مـن الجوى ومن سكرة تنمو ولا أشرب الخمرا

وله أيضاً في الغزل :

ألا يا عـذولي لا تلمني عـلى الحبّ فلومك لـو تـدري ثقيل عـلى قلبي
ولا تنكرن منّي دمـوعـاً كصيّب ولا ما خفوقاً كان في القلب كاللهب
لقد كنت في بعض الملامات ناصحاً ولكن سماع اللوم ما كان من دأب
لنا في الهـوى شرع وفيـه استماعنـا لمن كان لوّاماً حرّام على الصّب
رجال الهوى قالـوا إذا ما الفتى سلا فقد كان مرتدّاً كما نصّ في الكتب
ومن يرتـدد عن دينـه فهـو كافر وهل كان فوق الكفر شيء من الذنب

فـدعني وديني أنّني غـير صـابـر ... وحاشا وكلا انّ دين الهوى حسبي
ولي في نحيب الليـل للعشق عـادة ... كذا في غناء الليل شوق إلى الحبّ
فإن كنت مجنـوناً فـدعني وجنّتـي ... وإن كنت ذا نحس إذاً فرّ من قربي
فلـو كنت مجنـوناً لمـا جـاد خاطري ... بأعجـوبة للأعجميّـين والعـرب
ولو كنت ذا نحس كما كنت زاعماً ... لما كنت في خفض المعيشة والخصب
ولو كـان بي بـؤس ونحس وجنّـة ... لما طار لي بَأْوٌ إلى الشرق والغرب
ولي في هوى المحبوب سعد مخصّص ... وتخصيصنا من عند مولاي بالوهب
ولي في هوى المحبوب سعد مبـارك ... فمـا مشتر يشريـه بالمـاء والكسب
وتخصيصنا من بين جنسي وشيعتـي ... بما ليس يخفى عن عدوّ ولا حب
أما كنت مخصوصاً بملك من الهوى ... تلاشي بـه ملك الفرنسا وأيجب [1]
فـأني إذا يسلـو أمـير بعقـلـه ... عن الملك ذا والله من أصعب الصعب [2]

للحاج محمد الهَادِي تُورِي حين تمشّى خطوات قليلة في دَكَارْ :

ومـن العجـائب في دَكَـارَ لمبصر ... كـون الأسود تصيدهـا الغزلان
واهـا لظبي إذ يصيـد غضنفـراً ... بـل للغضنفـر إذ عراه هـوان
أيـن افتراس الليث في غـابـاتـه ... أيـن النيـاب وبطشه والشان
كيف السلامـة في زمـان هكـذا ... فالطف بنـا مـولاي يـا رحمان

ولمّا شاب رأسه قال واعظاً :

ضاع الشباب بـلا علم ولا عمـل ... وشاب رأسي شيب الذل والخجل
فليتعظ بي غيري إنّني رجـل ... غرّتـه دنيـاه أو نفس على فشل
يـا ليتني اليـوم مـا قلبي بمحتجب ... أو ليتني اليـوم مـا رأسي بمشتعل
فالمـدلجـون إلى مـولاهم وصلوا ... قبل المشيب فنالـوا أفضل النحل
نفسي الفـداء لهم من قـادة زهـدوا ... في دار خلـدهم فضلاً عن الطّلل
لله درّهـم مـن فتيـة لهـم ... سيما التميّز بين النـاس بـالقهـل

---

(١) أيجب : هي مملكة الحبشة .

(٢) في الأبيات التالية ذكر اسم المحبوب بل سلوه فهو محمد صلى الله عليه وسلم .

مـا أن لهم طمع من غير سيـدهـم ففكرهم عن سوى المـولى بمنعزل

أولائك المـلأ العـالـون مـرتبـــة ومن سواهم فمـا مقامـــه بعـــلي

أمـا المساكين أمثـــالي فـإنّهـــم شابـوا بدون حصول النفع للعلل

إذا أرادوا نجـــاء في مسيرهم كيف النجاء لذي شيب على قزل

وإن أرادوا الهـوينا كـان أزعجهم خوف التّخلف خلف الكلّ في ألوحل

كيف الخلاص لمن مثلي وهـــل أحد مثلي الشيخ بـلا علم ولا عمـــل

لكنّ لي سلفـاً إذا اقتـديت بهـم أطير مثل القطا إلى مـدى زحل

أردتّ قفـوهم والنفس قـائلـــة لا تهلكنّي وليس النّمـل كالجمــل

بـالله قـد صدقت لكنّهـا كـذبت وقـادعتني بخلـط الجـدّ بالهـزل

يا نفس ويحك قد أضمرت لي وغلاً وانّ ربّـك بالمرصاد للـوغـــل

أمـا تخـافين ربّ العرش خـالقنـا حتّى تصاممت عن وعظ وعن عذل

يـا ليت شعري مـاذا أنت قائلـــة يوم القيامة عند الله وا خجـل

الله حسبي من نفس أريـــد لهـــا خيراً وتـوردني مـوارد الشّلـــل

حسبي الحـي مـن نفس أقـول لهـا ضيري وقالت أريد الموت في وحل

فالله يقتّـلها في فضـله كـرماً فأستريح ويصفو الوقت عن طهل

والله يقبرهـا وليس ينشرهـــا لكي تدوم كما كانت لدى الأزل

أعـوذ بـالله من فعلي ومـن صفتي ومن وجودي فإنّي معـدن الزلـــل

يـا الله يـا ربّنـا قـدنـا اليـك ولا تكل قيـادتنـا للغير يـا أمـــلي

لقـد عجزت وانّ العجز مرتبـتي إذ لست ذا قـوّة كلا ولا حيـــل

يـا أرحم الرّاحمين الأمر أمرك يـا ربّ أغثني من نفسي ومن كسل

ومـن منامي ومـن ريّي ومـن شبعي ومن جميع الذي يفضي إلى الدّغل

فـإنني ربّ لا أرجـو سواك وإنـــ ـني مشفق دنف يـا شـافي العـلل

إذا وصلت فنيـل الـوصل فضلكم أولى فـــذلك يـا رحمان مـن قبل

قـدني اليك بـأيـد اللطف مـوصلني اليك بـالسّتر قبـل منتهى أجـــل

آمين يـا ربّ بـالهـادي النبي وبالأ صحاب والآل والأتبـاع والعسل

عليـه ثمّ عليهـم الصّلاة مـع السـ ـلام مـن ربّنـا مـع سائر الرّسل

وفي صفحة ١٠٥ من ديوانه وجدنا ما نصّه : « في سنة ١٩٥٨ ميلادية وعام

١٣٧٧ هجرية في شهر رجب أرسل السَّيِّدُ الحَاجُ ابنُ عَبَّاسْ صَلَّهْ رسولاً من لُوكَ إلى فَاسْ لِلْحَاجِ مُحَمَّدِ الهَادِي تُورِي من جملة ما أتى به ذلك الرسول ، رسالة فيها هذه الأبيات :

يا حادي العيس نحو العالم الهَـادِي رفقـاً بشوق عميد شوقـه بادي
تراه يشبه ملفـوظ النـوى لنـوى جسم حـوى قلب صبّ فوق معتاد
كم أرسل الروح والقلب المحاط بها اليـه والجسم محبـوس بـأقعـاد
بلّـغ اليـه سلامـاً ليس يشبهـه حسناً سوى حالـه في سنة الهادي
عليه أزكى سلام الله مـا سلفـت ورق الحمام وما يحدو به الحادي

وممّا ردّ ل جَ بْنِ عَبَاسْ هذه الأبيات امتثالاً لأوامر والدنا ولو بمحاذاة القذة بالقذة قلت :

مـا قلت إذ قلت عند الروض مع راد تميس في البرد حول الروض في الوادي
مبسوطة الكل ذات الـدّلّ من غنج لك الأمـاني لـديها دون مرصاد
اليـك عنّي إذا فضلـت ذاك عـلى أبيات سيدنـا العبـاس للهـادي
يا من تراعين عهد الـودّ في صمد شد اشتياقي إليكم مهلك العاد
ثمّ الصلاة عـلى مـن حبـه نعـم يـوم الحمام ويـوم الحشر من زاد

وممّا ردّ أيضاً جَ ع صَلَّهْ من جانب حضرة الشيخ جَ محمد الهَادِي هذه الأبيات :

الا بلغن سلامي إلى حبّي الهمـام أبي أحمد الذي صيته شاع في الأنام
سلاماً يفوح مسكاً إذا فضّ من ختام سلاماً كمثل بدر إذا لاح في الظّلام
أحيّيك يا حبيبي سلاماً على سلام تحيات ذي وداد بتشبّـع الاحترام
فلا زلت يا حبيبي فتى الفتية الكرام فكن عابداً لمولا ك لا طالب المرام

وفي ديوانه وجدنا رسالتين : فالأولى بعث بها إلى حفيدِ للشيخ أحمد التجاني والثانية إلى طبيب اسمه صِلَّهْ سَاجْ .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام ، وعلى آله وصحبه بحار المعارف والعلوم . الذين هم كالنجوم ، بأيهم اقتدينا

فأهدينا : أما بعد فإلى من هويته ، وما رأيته ، نعم وومقته ، وما رمقته ، لكنه سمعت انه ، شعر :

ندب سمعت به من قبل رؤيتـه   سبى فـؤادي جمال ذكره الحسن
فاختـار قصر خيـالي طيفـه وطنـاً   ربي يبـارك في السكنى وفي السكن
هب لي إلهي نيـل الاجتماع بـه   والفــوز إذ ذاك بالبغيـا من المنن
بجــده المصطفى المختـار من مضر   من حبـه سلم يـرقى إلى القـنن

ألا وهو سيدنا مرشد الأمة . ومزحزح الغمة . مصباح الظلام . وغياث الأنام . سبط رسول الله عليه الصلاة والسلام . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من كاتبه المشتاق إلى لقياكم الكثير الاشتياق . إلى شهود محياكم مَحَمَّدُ الهَادِي المالكي التجاني السِنِكَالِيُّ الفَاسِيُّ . كان الله له في كل ما يقاسي . المتعجب بما بلغه من كمال مروأتكم الطاهرة . وغرابة شناشنكم الباهرة . التي منها إرشاد المسلمين وافادتهم بمحض النصيحة لا بالمال ، بل في ذات الكبير المتعال ، كما هو مقتضى قول جدك عليه السلام « الدين النصيحة » قلنا لمن الحديث رواه البخاري وغيره والعمل بذلك الآن من غير أسرار حسو في ارتغاء أغرب من كل غريب . ونتيجته رغبة كل لبيب . ولذا خرجت اليوم يا سيّدي من فاس يوم الجمعة ١٣٦٩/٧/٢٧ على نية تعجيل زيارتكم . واغتنام فرصة معارفتكم . وما عسى أن يتولد من ذلك ببركاتكم . فالله يتم لنا ذلك . ويرزقنا خير ما هنالك . آمين ويا من أحببته وما أبصرته . أسأل الله تعالى أن أكون من خاصة أصحابك . أو من جملة أحبابك . وبالله عليك الا ما قلت آمين . يا ابن خير العالمين . عليك صلوات أرحم الراحمين . في كل حين » .

« أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم هذه أيضاً من رسائله إلى بعض الأطباء الحكماء » الحمد لله الملك الجواد ، المنعم على كافة العباد ، بنعمتي الإيجاد والإمداد . المتقدس عن الآباء والأولاد ، والمتنزه عن الأنداد والأضداد ، أشهد انه الله الذي لا إله إلا هو ووجوده لا عن إيجاد ، وانه لبالمرصاد ، وهو الأول والآخر ، والباطن والظاهر ، وأوليته بلا بداية ، وآخريته بلا نهاية ، وأشهد ان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الصادق الأمين ، ، الذي

أرسل رحمة للعالمين ، وخاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد فتبصرنا في رحلة هؤلاء السادة ، أهل الإفادة والإجادة ، سيّدي (أَمْبَوْ) وسيّدي (دُكْتُورْ صِلَّهْ) وسيّدي (مَالِكْ أَنْجَايْ) وأصحابهم . فألفيت معناها إيفاد نبأ ريس الاستبصار ، لأهل هذه الديار ، من الصغار والكبار ، وان تأملت أمر هؤلاء القوم وجدتهم كل يوم مغورين ومنجدين ، في إرشاد الفقراء والمساكين ، من الرعاء والفلاحين ، إلى كيفية حصوله على الألوف والملايين ، بمشيئة ربّ العالمين ، وينصحون فيما هو أفضل من ذلك ، وأكبر مما هنالك ، وهو على كيفية حفظ الصحة الموجودة ، واسترداد القوة ، ولله درّ من قال :

مـا صح جسمك فـاغتنبط واعلم   ان الغنـى هـو صحـة الجسم
هبك الخليفـة لست منتقصـا   بخضـارة الـدنيا مـع السقم

فالله يجازيهم عنا بالخير ، وحفظنا وإياهم من الضير ، آمين . ثم اني أستلفت الأنظار ، وأستميل الأفكار ، إلى ما تصفوا به من النباهة الرائقة والآداب الفائقة ، وإلى ما هم فيه من القناعة والتعفف ، وترك التكلف ، فكأنما سقوا كلهم بكأس قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف » . قلت فبمثل هذه الرجالات ، من أمثال هؤلاء السادات ، عمارة البلدان ، وانتقاص الجهل والغفلان ، وإذا تأملت صنائعهم في بلادنا مع قوله صلى الله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » ! علمت انه واجب علينا شكرهم ، وان يعظم لدينا أمرهم ، وما عدا ذلك فكفران ، وذلك لا يرضى به الرحمن ، ولذلك أقول : عني وعن أهل بلادي فرداً فرداً ذكراً وأنثى : شكراً لكم أيها القوم الكرام ما تعاقب الضوء والظلام ، وما أرعد الرعد وأمطر الغمام ، ، ، شكراً لكم يقوم شكر نبت البساتين ، لأمطار الوابلين . شكراً لكم يقوم شكراً يعمكم أنتم ومرسليكم ومكرميكم ، جدد الله لنا خضارة السير ، ونقا عنا وعنكم وعن المسلمين الضير . آمين والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الرسل الكرام » .

قد رأينا في قرية فاس معلّماً ذا مرتبة عالية ، وفلكيًّا ذا مكانة مرموقة ، وعالماً في الحساب بارزاً ، وشاعراً ذا قريحة مطبوعة شهيرة ، وهو أحسن جريان طرفه

في جادة كل ميدان من الأدب فيستحقّ الشيخ الهادي توري ما يتمتّع به من حظوة وجاه واعجاب عند مواطنيه وأهل بلاده فشكراً له على ما أتى به من مساهمة ذات بال في الأدب العربي السِنِغَالِيِّ فبخ بخ لفحول مدرسة عَيْنُمَانْ ! ! !

مدرسة تِوَاُوُنْ

الشَّيْخُ الحَاجُ مَالِكْ سِهْ

لقد رأينا مثلاً أنّ القَاضِي مَجَخَتِ كَلَ أنكر كونه تابعاً للشَّيْخِ الحَاجِ مَالِكْ سِهْ قدّس الله سرّه ، في قطعة قال فيها : انّه أخذ سلسلته التجانية عن الشيخ صَمْبَهْ جَادَنَهْ من جهة ومن جهة أخرى قد قلنا انّ من شيوخ الشيخ الحاج مُحَمَّد الهَادِي تُورِي الشَّيْخَ الحَاجَّ مَالِكْ سِهْ صهره .

أمّا مدينة تِوَاُوُنْ فهي على تسعين كيلمتراً من دَكَارْ وقد مرّ بها الخطّ الحديديّ للقطار والطريق للسّيّارات فهي مدينة مرصّعة في خضرة الأشجار المنجاة ترصيع خاتم في علبة جواهر من الزّمرد . وهي من أهمّ مراكز الدّين الإسلامي في السِنِغَالْ وهي عاصمة للطائفة التجانية السِنِغَالِيَّةِ وهي من أشهر مراكز الثقافة التي قد سار بصيتها الركبان إلى ما جوز حدود السِنِغَالْ من البلدان وقد علا بها الحَاجُ مَالِكْ سِهْ إلى ما دونه الثّريّا قبل مائة عام تقريباً . وهي ما افتخر به الإسلام والأدب العربي في السِنِغَالْ .

ومن هو الشيخُ الحاجُ مَالِكْ سِهْ المؤسّس لزاوية التجانية في تِوَاُوُنْ ؟ ومن هو الذي نشر الطريقة التجانية في السِنِغَالْ في الحقيقة إذ لم يبق أثر ذو بال عن الشيوخ المجاهدين مثل الحَاجِ عُمَرْ وأَحْمَدُ شَيْخُو ومَابَهْ جَخُ من جهة النفوذ الصوفي ؟

فهاكم شتّى عناصر المعلومات والوثائق المتعلقة بالحاجِ مَالِكْ سِهْ منها الوثائق الوطنية ومؤلفات مؤسس زاوية تِوَاُوُنْ والتراجم له بالعربية (وهي-الترجمة التي كتبها السَّيِّدْ مَحَمَّدْ تَابَانْ الْمُورِيتَانِيُّ والترجمة التي الفها الشيخ إِبْرَاهِيمَ جُوبْ اَلْاَنْدَرِيُّ وسمّاها « تحفة الأخوان » والترجمة التي وضعها حفيده الشَّيْخُ أَحْمَدُ التِّجَانِي سِهْ بن بَكْرٍ سِهْ بن الْحَاجِ مَالِكْ سِهْ . غير انّ معلومات الوثائق الوطنية ضئيلة لأنّ هذه الشخصية الفذّة لم تتعرض للمستعمرين في الشّؤون السّياسية ؛

ولأنها لم تقم بجهاد شأن الحَاجُّ عُمَرْ ومَابَهْ جَخُ ومُحَمَّدُ ألأمِينْ دِمْبَهْ دِيَا سِهْ فلماذا يبالي الاستعمار بشيخ دبني أعلن تمسّكه السّرمديّ بموقف أهل السّنة والجماعة و « أجاد بأنه لا يحبّ إلا نشر الدين الإسلاميّ ونصب كرسي التدريس وبناء مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً وتحصيل مزارع يعمل فيها هو وأصحابه [1] » ؟ .

مؤلّفات الحاج مالك سه

١) له ديوان طبع بالمطبعة الأهلية بتونس عام ١٣٣٣ هـ .
٢) « كفاية الراغبين » وهو دفاع عن الإسلام عند أهل السنة والجماعة .
٣) « إفحام المنكر الجاني » وهو دفاع عن الطريقة التجانية .

وأمّا ترجمتا الشيخ إبْرَاهِيمَ جُوبْ وتَابَانْ فلهما أهمية كبيرة وهناك من كتبوا بالفرنسية في حياة الحاج مَالِكْ مثل بُولْ مَرْتَ في كتابه « الإسلام في سِنِغَالْ » والسيد إبْرَاهِيمَ مَرُونْ في كتابه « الطريقة التجانية في السِّنِغَالْ » (١٩٦٨ م) . ولقد قمنا بزيارة للشيخ الحَاجّ عَبْدَ الْعَزِيْز سِهْ بن الحَاجّ مَالِكْ سِهْ الخليفة للطائفة التجانية السِنِغَالِيَّةِ في قريته (جَكْسَاوْ) فحدّثنا وأطال الحديث في والده الكريم .

حَيَاةُ الْحَاجُّ مَالِكْ سِهْ

هو مَالِكْ بنْ عُثْمَانْ بن مُعَاذ بن مُحَمَّدْ بن عَلِي بن يُوسُفَ وهو تُكُلُوريُّ أصلاً ولد حوالي سنة ١٨٥٥ م في قرية (كَايَهْ) وهي قريبة من مدينة (دَكَنَهْ) في منطقة (وَالُو) التي تأثرت بموريتانيا تأثراً ثقافياً عميقاً . وعائلته غادرت منطقة (بُنْدْ) وحلت بقرية « سِيُمَهْ » بالقرب من « بُدُوْر » ثم انتقلت إلى قرية (رُيَلْتُو) في جُلُفْ ثمّ وافت بلاد (سِينْ) فرجع محمد جدّ مَالِكْ إلى جُلُفْ حيث تزوّج فولد له أولاد منهم عُثْمَانْ . ولعُثْمَانْ هذا شيخ مُورِيتَانِيٌّ اسمه مُحَمَّدُ بَابَهْ وشيخ تُكُلُورِيٌّ اسمه مَالِكْ فتزوّج عُثْمَانْ بـ (فَاوَدْ وِلِّي) وهي امرأة وُلُفِيَّةٌ جُلُفِيَّةٌ . وفي

---

(١) راجع : « مجهول الأمة » للشيخ أَحْمَدْ التِجَانِي سِهْ المطبوع بمطبعة السعادة في صفحة ٣٢ للطبعة الأولى .

بعض أسفاره قتله رجل من حشم سِلْمَخَهْ جنْكْ الشهير بـ « تَنُورْ) وهو قبل من الأقيال الذين هم وأتباعهم (جدُّو) الشّغاب كانوا لا يبقون نفساً ولا نفيساً في البــلاد ولا يذرون . فقتل عُثْمَانْ وهو ابن ثلاثين سنة وقبل أن يلفظ نفسه الأخير أوصى أهله بأن يسمّوا الولد الذي كان حينئذ في بطن زوجته (فَاوَدْ ولّي) إن كان ذكراً اسم مَالِكْ تذكاراً وتبجيلاً لشيخه مَالِكْ وقال محتضراً في حقّ مكتبته النفيسة : « عليكم بكتبي هذه فيأتي مَالِكٌ إن شاء الله تعالى » .

فلمّا ولد الابن ذكراً سمّوه مالكاً لا يعرف والده ولكن صار مالكاً لمكتبة مهمّة وله أخ من الأمّ اسمه (عَبْدُ بُول) وأخت من الأمّ هي فَاطِمَةُ .

وقرأ مَالِكْ سِهْ على سميه مَالِكْ وعلى عمّه أَحْمَدُ سِهْ وعلى خاله (أَلْفَ مَابُرْ ولّي) وبعد أن حفظ القرآن على ظهر قلبه ذهب مَالِكْ سِهْ إلى سَالُمْ ثمّ رجع إلى كَجُورْ في قرية (كَادِمْبَهْ) فقرأ المختصر لخليل على الشيخ (مَكّيْ حَوَا) ثم واصل أسفاره للتعلّم فسار إلى (كَرُووِدِي أَلْحَسَنْ) فدرس في هذه القرية رسالة ابن أبي زيد القيرواني على الشيخ (مُورْ جُوبْ) ثم ذهب عنه إلى قرية (طَيْبَهْ سِيْ) حيث علّمه الشيخ (كَلُوسِيْ) الآجرومية وملحة الاعراب للحريري وكتاب التصريف والمقدمة لِمُورْ خُجَّ كُمْبَهْ الكُوكِيُّ ، ثم وافى قرية (نِيلَنْدَرَمَانْ) حيث تعلّم الألفية لابن مالك على الشيخ (مَسِلَّهْ مَانِي) ثم ذهب عنه إلى قرية (أنْجَا بَالِهْ) فعلّمه الشيخ إبْرَاهِيمَ جَخَتِ المختصر الخليلي أيضاً فعاد مَالِكْ سِهْ إلى سان لوي عند الشيخ أَحْمَدُ أنْجَايْ مَابِيِيْ الذي علمه المقامات الحريرية فأخذ يدرّس . وبعد مدّة من الزمان استحضره أمّه إلى (كَايَهْ) مسقط رأسه فأقام فيها سنتين ثم ذهب إلى (كَبَنْجَل) حيث اعتنى بحرث حقوله ثم ارتحل إلى جِلُونْ على حدّ قول صديقنا الْمُصْطَفَى آنْ عند جـِـرْنْ بُرْ بَالْ وقرأ عليه كتاب الاحمرار في النحو لابن تُونَهْ . ثم ذهب إلى مُورِيتَانِيَا حيث تعمّق في درس الصحاح الستّة على الشَّيْخِ مُحَمَّد عَلِيٍّ . ثم حجّ بيت الله الحرام سنة ١٨٨٩ م قال بعضهم سنة ١٨٧٩ م وعاد إلى (كَايَهْ) .

ثم ذهب الحاجُّ مَالِكْ سِهْ إلى (وَقّ) عند صديقه وزميله في الدراسات الشيخ بَلّ أنْجَايْ ثم وصل إلى (كَرْبَاسِينْ) فإلى أنْدَرْ وقضى فيها حولاً ورجع إلى (كَرْبَا

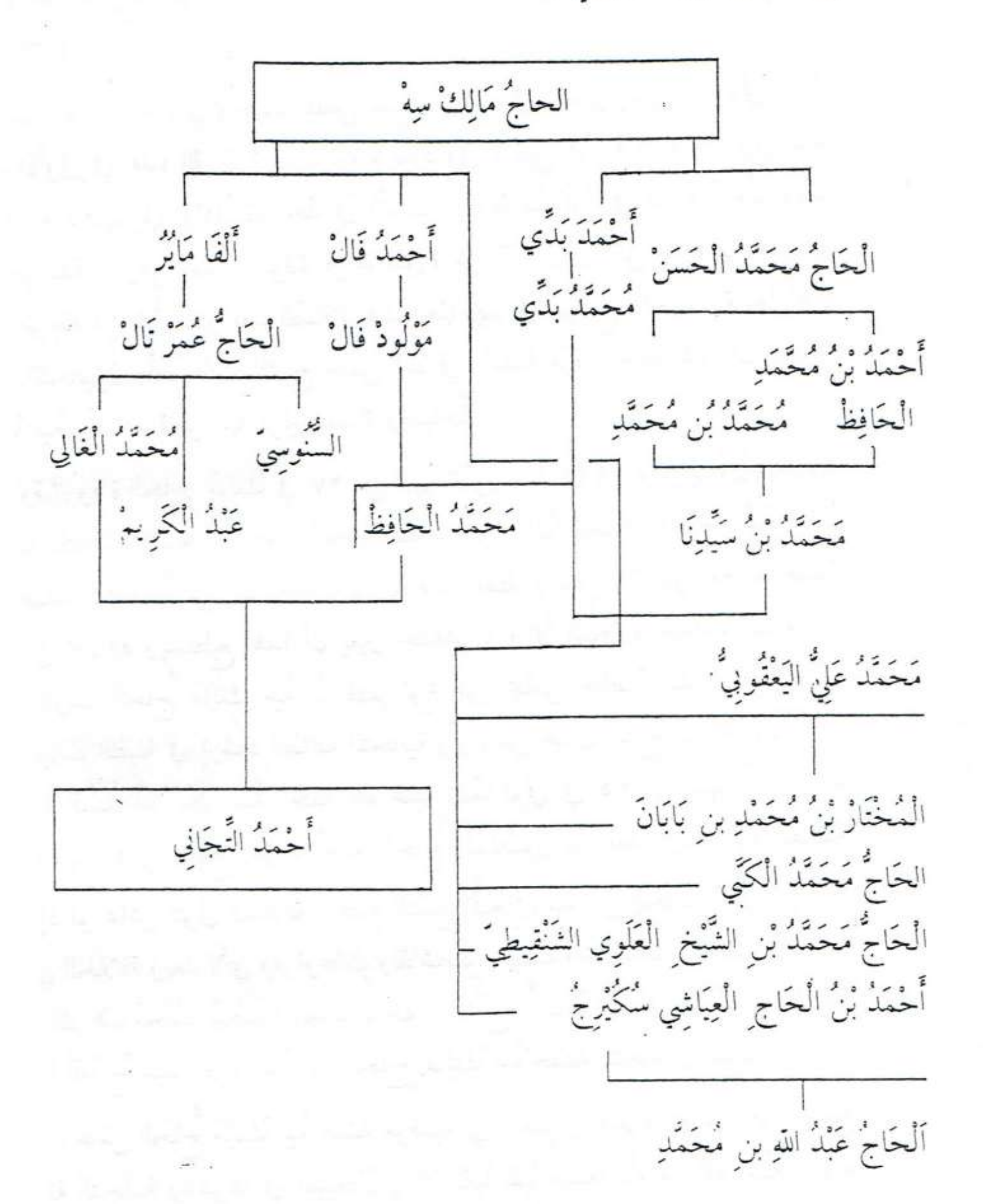
سينْ) ثم انصرف إلى (كُكِ) عندما كان يعزم عَلْبُرِ أَنْجَايْ على مغادرة وطنه سنة ١٨٩٠ م .

ثم وافى (أَنْجَرْدِي) حيث قضى سبع سنوات في التعليم والزراعة . وفي نهاية السنة الأولى في هذه القرية توفّيت أمّه (فَاوَدْ ولي) نعني عام ١٨٩٥ م . وفي سنة ١٩٠٢ م ذهب إلى تِوَاوُنْ ثم أخذ في تأسيس زاوية بدَاكَارْ في شارع مَاجِنُو وهنا أقام الوظيفة ، وهي عند الصوفية قراءة سورة من القرآن في كلّ يوم وهي ما قرأه أهل طريقة من الأذكار بعد الصّلاة عند اجتماعهم في موضع واحد . أقامها أهل فَاسْ التجانيون وأصحاب الشيخ حمى الله في العشية مرّة واحدة غير أنّ الحاج مَالِكْ سِهْ وأتباعه قاموا بها مرّتين مساءً وصباحاً .

وقبل وفاة الحاج مَالِكْ في ٢٧ من شهر تمّوز سنة ١٩٢٢ م في تِوَاوُنْ عاصمة الطائفة التجانية السِنِغَالِيَّةِ جعل الحاجّ سَعِيدَ النُّورِ تَالْ الحفيد للحاج عُمَرْ تَالْ وليّ عهده الرّوحانيّ بل انّما جعله منفذ الوصية فقط وينبغي أن يقوم مقامه خليفة عامّ من أولاده ويستطيع هذا أن يعين خليفته ، وإلاّ فليختره جماعة المقدّمين . وأمّا أقارب الحاجّ مَالِكِ سِهْ . فهم نوع من مجلس خاصّ مشير لمن تحمّل المسؤوليات الثقيلة في إرشاد الطائفة التجانية وأوّل من خلف الشيخ الحَاجّ مَالِكْ سِهْ هو ابنه السَّيِّدُ أَبُو بَكَرْ سِهْ رحمة الله عليه ولمّا توفّي في ٢٥ من شهر آذار سنة ١٩٥٧ م أدهش وفجع موت أخيه الحاجّ الْمَنْصُورْ سِهْ بعد أربعة أيام الطائفة كلّها إذ لو عاش لتولّى الخلافة . فقام الشَّيْخُ التِّجَانِي سِهْ ابن الخليفة الأوّل وأعلن حقّه في الخلافة وبعد لأيٍ ومراوغاتٍ ونقاشاتٍ وعيصَةٍ ومنازعاتٍ انتخب المقدّمون تحت اشراف مُحَمَّد مَحْمُود الحَبِيبِ حفيد الشَّيْخِ أَحْمَدَ التِّجَانِي المؤسّس للطريقة التجانية الحَاجَّ عَبْدَ الْعَزِيزْ سِهْ ابنَ الحَاجِ مَالِكْ سِهْ خليفة للتجانيين السِنِغَالِيِّينَ .

قد عاش الحَاجُّ مَالِكْ سِهْ عيشة مرضية في التعلّم والتعليم والتقوى وهو مصلح للطريقة التجانية وناشرها في السِنِغَالْ وكان تقياً نقياً مطيعاً لأوامر الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم وكان صالحاً ومرشداً ومعلماً في أَنْدَرْ أو في دَكَارْ أو في أَنْجَرْدِي أو في تِوَاوُنْ محظيًّا عند أهل العقد والحل ومتمسّكاً بسلام الأمّة المحمدية وشاعراً دينياً مفلقاً .

فهذه سلسلة وردة التجانيّ :



وفي مقدمة كتابه (إفحام المنكر الجانيّ) ذكر جميع شيوخه في التصوّف وسلسلته للورد إلى الشيخ أحمد التجاني . وكان لثلاثة من شيوخه دور كبير في إرشاده وهم خاله (آلَفَامَايُرْ ولِي) والسيد أَحْمَدُ فَالْ بن مَوْلُودْ فَالْ الْمُورِيتَانِيُّ ومُحَمَّدُ عَلِيٌّ اليَعْقُوبِيُّ . وله عشرة شيوخ صوفيين وأعطاه كلّ منهم الإجازة . والمراد بها أنّه استطاع أن يعطي الورد التجاني .

ومن المعروف أنّ خاله (آلَفَا مَايُرْ) قد أخذ الورد عن الحاج عُمَرْ تَالْ وأنّ الحاجّ مَالِكْ سِهْ تلقى الورد من قبل خاله هذا فنشره في السِنِغَالْ نشراً عامًّا عميقاً . ونجح في نشره الورد لما في سيرته من مرونة وبساطة ونجح فيه أيضاً بتعليمه وحياته المقتدى بها .

ولنجاحه عليه أن يجابه أهل النظام الاقطاعيّ و « جيدُّو » السّكاري المشاغبين الوثنيّين الذين كانوا واقعين على « بَادُولُو » أي على الفلاحين الخالين من الدفاع عنهم . ويجب أيضاً على الحَاجِّ أن يتصرف بدهاء حتى لا يصطدم بمنافع الإدارات الاستعماريّة التي ورثتها الشّركات التجارية والتي رضّها حملات الجهاد للحاج عُمَرْ ودِيلِي وأَحْمَدْ شَيْخُو ومَابَهْ جَخْ ومَحَمَّدْ ٱلْأَمِينْ وفَودِي كَبَا وقد انتخب الحَاجُّ مَالِكْ سِهْ أصحابه من الأوساط البُرْجُوَازِيَّةِ وأهل الأراضي والاقطاعات وذوي اليسر والرّقي والموظّفين المتغربين . وكان أيضاً يدعو مواطنيه إلى الاتّحاد والاتفاق والالتئام والمواساة بينهم وكان لم يتقهقر أمام عدوان الجهل والتّطيّر والتعصّب الدينيّ والشّعوذة .

أسّس ثلاث زوايا في دَكَارْ وسان لوي وتِوَاوُونْ وله أصحاب كثيرون ذوو نفوذ كبير كانوا هم مقدّمبه مثل مُمَّرْ أَنْتَ كِي وأَبِي بَكْرٍ آنْجَايْ ومَاكُو آيِنْكَ ومُمَّرْ بِنْتَ سِهْ والحَاجُّ رَوْحَانْ آنْكُمْ وبَابَهْ اجْنْكَهْ ومَالِكْ آنْكَرَانْ وإِلِمَانْ سَاخُو ومُمَّرْ كِيْ وسَرَقَةَ جَمِي ودَاوُودَ فَالْ وأَحْمَدْ أَنْتَ صَمْبَهْ في كِبِمِيـرْ والهَادِي تُورِي وكان كل منهم ذا تجارة مهمّة ومزارع شهيرة ومعارف كثيرة .

وقد نظّم الحاجُّ مَالِكْ سِهْ الطريقة كما يلي : كان هو رئيس الطائفة ثم جاء المقدّمون وهم من (ٱلإِخْوَانِ) الذين اشتهروا بعلومهم الدينية وبمعارفهم الصوفية

وقد أعطاهم شهادة وبعض التفويضات وقسم هذه التفويضات إلى ثلاث مراتب حسب استعدادات كل منهم .

١) فالتفويض الأوّل يقابل الاجازة وسمّي صاحبه مقدّماً كبيراً .

٢) والتفويض الثاني يبيح تعيين مقدّمين آخرين .

٣) وقلّما أعطي التفويض الثالث الذي كان مطلقاً ويستطيع صاحبه أن يطلع على جميع أسرار الورد .

ويجب على المقدم أن يكون مضرب المثل في إنكار الذات والتضحية والتفاني في شؤون الطريقة ، واليه يرجع دور الحكم بين الطّلاب والاخوان والاتباع إذا قام نزاع بينهم ، ودور الفصل في خصومتهم ، ودور تسوية خلافهم وعليه أن لا يألو جهداً من علمه وعمله ودعائه والآمه كي ينجح في مهمّته هذه .

يوجد الاتباع التجانيون في كل ناحية من البلاد وعددهم في سنة ١٩٥٨ بلغ ٦٧٧ ٠٣٩ ١ تجانيًّا حينما كان عدد سكّان السِنِغَالْ ٠٠٠ ٨٠٠ ٢ .

وقد أسّست شتى جمعيّات لبثّ دم جديد في جسم الطريقة ولكل جمعيّة أو (دَائِرَةٍ) رئيسها وكاتب سرّها وأمين خزانتها أمّا مكتب تنسيقها فهو تِوَاوُنْ وان تقفت سوق هذه الطائفة فأسباب ذلك عديدة وأهمها هو أنّ الحَاجَّ مَالِكْ سِهْ ، شأن الشيخ أَحْمَدَ بَمْبَهْ مؤسّس الطريقة المريدية ، كان محطّ رحال للفلاحين الذين أرهقهم (جدُّو) والأقيال المشاغبون الظالمون بتحكّمهم الاقطاعيّ وبحروبهم الأهليّة بدلاً من أن يكونوا يداً واحدة على أصحاب الاستعمار .

ومن أسباب نجاح الطريقة ما جناه الأصحاب من فوائد ماديّة ومنافع عقلية وطائلات معنويّة ومع ما يتعلّق بذلك لهم من الطمأنينة والسلامة ومكارم الأخلاق مثل حبّ القريب والمساواة والأمانة والاحسان والشعور بالعدل وما في هذه الآية التالية من ترغيب في اعتناق الإسلام وهي « إنّما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخوتكم » إذ ليست سرد كلمات باطلة ولا آمال وهميّة .

وهل غنيّ بالبيان أن نلاحظ أنّ الأحزاب السياسية والمستعمرين قد رغبوا في استغلال ما أصاب الحاج مالك سه من قوّة ونفوذ كلما حان وقت الانتخابات لأجل كثرتهم ؟ فإنّ البلديات مثل سان لوي ورُوفِسْكَ ودَكَارْ وكُورِي حيث كانوا

جمّاً غفيراً كانت تصوّت لهذا أو لذاك من المرشّحين منذ (بِلِيَزْ جَانْجَ)[1] إلى عهد (لَمِيْن كِيْ) الذي كان يُمثل الرّجل السّياسيّ للتجانيّين .

وقد هدمت منافسات الأحزاب السياسيّة ما في الطريقة التجانية من الارتباط والوحدة والتكافل وما عكّرت صفو صفوف أتباع زاوية تِوَاوُنْ فحسب بل أورثت خلافاً بين رؤساء الطريقة . ومن الذي نسي القتلى والجرحى والخسائر التي سجلها اليوم الثالث عشر في سنة ١٩٥١ م أثناء اقامة (لَمِيْن كِيْ) في تِوَاوُنْ قبل انتخابات السنة هذه بأربعة أيّام ؟ فوقعت بذاك صدمة عظيمة على البلاد كلها ومن هذه الحادثات صدرت هزيمة الحزب الاشتراكي للَمِيْن كِيْ وانتصار (لِوُبُولْ سِدَارُ سَنْغُورْ) . وفي ٦ من شهر آذار سنة ١٩٥٢ م صارت تِوَاوُنْ محلّ نزاع دام شتّت قطعيّاً شمل الطريقة التجانيّة السِنِغَالِيَّةِ وكادت هذه السّنوات القائمة أن تضرب ضربة قاضية على زاوية تِوَاوُنْ من سنة ١٩٥١ م إلى سنة ١٩٥٧ م تاريخ وفاة الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ سِهْ والحاجِ الْمَنْصُورْ سِهْ رحمة الله عليهما غير أنّ تولّي الحاجّ عَبْد الْعَزِيزْ سِهْ للخلافة قد بثّ نشاطاً وقوّة في الطريقة التجانيّة ، لأنّ رئيس الطّريقة الحاضر شهير بسعة معارفه وفضائله المعنوية والروحانية ولأنّ له حظوة ثابتة عند الجميع وقد تعدّى صيته بكثير حدود الطّريقة والبلاد .

قد قلنا إنّه قام بأسفار كثيرة للتعلّم وطلب العلم فجال في « فُوتَ » و « جُلُفْ » و « كَجُورْ »[2] و « سَالُمْ » و « وَالُو » وفي مدينة أَنْدَرْ وكان مثابراً على التّعلم وقد كانت له مكتبة والده وتتلمذ على عشرة مشائخ صوفيين وعلى عشرة معلّمين آخرين أخذ عنهم كثيراً من العلوم والفنون وقائمة أسمائهم توجد في « تحفة الأخوان » وهو ترجمة الحاج مالك سِهْ لإبْرَاهِيمَ جُوبْ ألأَنْدَرِيِّ .

كان يدرّس في سان لوي وفي « أَنْجَرْدِي » وفي تِوَاوُنْ وفي دَكَارْ . وها هو ذا

---

(١) كان بليز جانج أوّل نائب أسود في مجلس النّوّاب الفرنسي وكان وزيراً للمستعمرات السّوداء مات سنة ١٩٣٤م .

(٢) هو تعلّم في جامعة « بِرْكُرَيْ » الشهيرة شأن كبار شيوخ السّنِغَالْ والعلماء والأدباء و« بر » واقع في كَجُورْ .

برنامج تعليمه : القرآن والتفسير والتلاوة القرآنية والتوحيد والفقه وأصول الفقه والحديث والمنطق والنحو والبيان والعروض وعلم الفلك وغيرها . كان يعلّم ويزرع حقوله ويؤلّف ولنا في « إيفَانْ » كثير من مؤلّفاته مثل « كفاية الراغبين » و « إفحام المنكر الجاني » وديوانه وبعض قصائده لم تطبع بعد .

ضمّ « كفاية الراغبين » بين طياته ٢٢٧ صفحة مخطوطة وفي « إفحام المنكر الجاني » ٢٩٠ صفحة وأمّا ديوانه المطبوع بتونس في عام ١٩١٥ م قد احتوى على ٥٠٦ صفحات ونحن على يقين أنّ هذا الدّيوان ليس فيه جميع انتاجه الشعريّ إذ لا شكّ في أنّ الحَاجّ مَالِكْ سِهْ قد ألّف في إقامته بتِوَاوُنْ من ١٩٠٢ م إلى ١٩٢٢ م سنة وفاته . ربّما ألّف أثناء هذه المدّة من السّنوات قصيدتين طويلتين فلإحداهما ٤٣٥ بيتاً وللأخرى ١٢٥ بيتاً من الرّجز .

الحَاجُّ مَالِكْ سِهْ في كِفَايَةِ الرَّاغِبِينَ

فدونكم فهرست كتاب « كفاية الراغبين فيما يهدى إلى حضرة ربّ العالمين واقماع المحدثين في الشعرية ما ليس له أصل » .

١) الفصل الأوّل في بيان أنّ فساد الزمان من قبل زماننا بكثير .
٢) الفصل الثاني في وصية جامعة نافعة إن شاء الله .
٣) الفصل الثالث في اختلاف الائمة في حمل المصلّي الصبّي والصّبية والحيوان الطاهر .
٤) الفصل الرابع في اختلاف الائمة في بعض هيئات الصلاة .
٥) الفصل الخامس في اختلاف الائمة في البسملة في الفريضة .
٦) الفصل السادس في الاختلاف الواقع في رفع اليدين وفي الدعاء ومسح اليدين على الوجه .
٧) الفصل السابع في الحثّ على ايقاع الصلاة في الجماعة .
٨) الفصل الثامن في التنازع الواقع بين مخرجي الضاد والجيم .
٩) الفصل التاسع في وجوب الجمعة على القرى والمدن وعلى الأسارى المسلمين إذا لم يمنعهم العدوّ ومن اقامتها .
١٠) الفصل العاشر في اختلاف الأئمة في زكاة الحبوب .

١١) الفصل الحادي عشر في الاختلاف الواقع بين أهل الشام في ثبوت الصوم بالسلك المعروف بالتلغراف .

١٢) الفصل الثاني عشر في اختلاف العلماء في حكم تعليم القرآن بالاجارة وفي تغيير الزمان بوجوب تغيير الجواب في الأحكام .

وفي الختام اختصر الحاجُ مَالِكْ سِهْ في قصيدة أهمّ المحاور التي قد طرق بابها بالنثر .

وعلى ضوء هذا الفهرست قد عالج الكاتب شتّى مبادئ الشّريعة الإسلامية وكيفيات اقامة الفرائض وحدود الله تغيير الأحكام بتغيير الزمان والأحوال . قد يظنّ البعض أوّل وهلة أنّ موقف الحاجّ مَالِكْ سِهْ القائم بنشر الإسلام تعليماً وأسوة حسنة موقف المحافظ المتجمد فليثب هؤلاء إلى الرّشد ، إذ كان مؤسّس زاوية تِوَاوُنْ يعتني بفهم الإسلام اعتباراً لتغيير زمانه وبيئته وعقلية أهل بلاده .

غير أنّ عنوان الفصل الأوّل هو الذي أظهر ما حثّ الحاج مالك سه في الحقيقة على «كفاية الراغبين» وهو قلّة وجود الإيمان مع عزيمته على نشر الإسلام في السِينِغَالْ بواسطة تعليم الشّريعة الملائم فلم نعرف في أيّ زمان ألّف الشيخ هذا الكتاب . قال في بدء الفصل الأوّل : «روى البخاريّ ... كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت [1] أسأله عن الشّر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله انا كنّا في جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد الخير من شرّ قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشرّ من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم قوم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم اليها فذفوه فيها قلت صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلّمون بألسننا قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك الزمان قال فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» .

(١) المتكلّم هو حذيفة بن اليمان .

« تفسير ما في هذا الحديث قوله دخن الدّخين بالتحريك مصدر دخنت النار تدخن إذا ألقي اليها حطب رطب وكثر دخانها وفي الحديث « الفتنة هدنة على دخن وجماعة على أقناء » قال أبو عبيد قوله هدنة على دخن تفسيره لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه أي لا يصفو بعضها لبعض ولا ينصع حبها كالكدرة التي في لون الدّابّة وقيل هدنة على دخن أي سكون لعلّة لا لصلح قال ابن الأثير شبّهها بدخان الحطب الرطب لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصّلاح الظاهر ... » وواصل الحَاجُّ مَالِكْ سِهْ ملاحظاته اللغويّة بتبيين معنى قوله صلى الله عليه وسلم .

فلننظر في الفصل الثاني عشر : « وبوصيّة سيدنا الامام مالك لسيّدنا الشّافعيّ رضي الله عنهما وأرضاهما وجعل أعلا عليين مأواهما عند فراقه : لا تسكن الريف يذهب علمك واكتسب الدرهم ولا تكن عالة على الناس واتخذ لك ذا جاه ظهراً ليلاً يستخف بك العامّة ولا تدخل على ذي سلطنة إلا وعنده من يعرفك وإذا جلست عند كبير فليكن بينك وبينه فسحة ليلا يأتي من هو أقرب منك اليه فيدنيه ويبعدك فيحصل في نفسك شيء . وبوصية بعض الأئمة لبعض أصحابه : لا تنزعن يدك من أصحاب شوكة بفتح المعجمة السلاح أوحدته أي لا تخرج نفسك من حمى وصحبة من له الشّوكة والسطوة والجاه والسلطة على العامّة وقد قيل لا يعبد الله تعالى في هذا الزمان إلا تحت جناح الظلم ... وقد قال الله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين »[1] .

قد أظهرت كل هذه الوصايا موقف الحاج مالك سه من أمر المستعمر الذي يستطيع أن يكون سبب نجاحه في دعوته الناس إلى الإسلام فكيف لا ولقد ذكر قول محمد بن عبد الواحد النظيفّي في الدرة الخريدة « ما حاصله أنه لا بأس بالاستيجار بجوار صاحب الرياسة والاستحماء بحماه من أذى الناس الذين لا يراقبون الله ولا يخافونه ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » . بناءً على ذلك فلم يجد الحاج مَالِكْ سِهْ غضاضة في أن يستجير الدّاعي إلى الإسلام بأصحاب الاستعمار الذين اضطهدوا أقيال السِنِغَالْ الوثنيين البغاة . غير أنّه لقد أخطأ من أخذ في القول

(١) سورة الممتحنة الآية ٨ .

بأنّ الْحَاجَّ مَالِكْ سِهْ كان متعاوناً مع العدوّ الاستعماريّ إذ لما انصرف عن مقاومة الإدارة الفرنسية وقتالها بالسيف سَاهَمَ في نشر الإسلام والطريقة التجانية بصلح في السِنِغَالْ .

فلنعترفن والسيد إبْرَاهِيمَ مَرُونْ بأنّ السلطات الاستعمارية لمّا تركت رؤساء الدين وشأنهم في نشر الإسلام أرادت أن تبقي وفية بروح جودها وتسامحها ، روح حدّدتها فرنسا في قوانينها الأساسيّة . وكما حارب الأمّيّة والأمراض كذا أسّست مساجد وجوامع ونظّمت الحجّ الذي هو أهم ملتقى عالميّ للمسلمين وكلّ ذلك يجب أن نقرّ به .

وفي الخلاصة انّ « كفاية الرّاغبين » هو تأليف المتمسّك بالعقيدة الحريص على نشر الإسلام في بلاده معلّماً أركان الدّين بقصد المحافظة والتجديد والسّلام والدبلوماسية والنزاهة والترفّع معاً . وقد اختصر الحاجُّ مَالِكْ سِهْ الكتاب في الختام بقصيدة نونيّة لها أربعة وستّون بيتاً على بحر البسيط .

وها هي ذي طريقته في التأليف : عرض موضوعه ثمّ فصّله ودافع عنه مستشهداً بآي القرآن وبالاحاديث وبآراء الأئمة مثل مالك ابن أنس وأبي حنيفة وابن حنبل والشافعيّ والمفسّرين لفقه مالك مثل سحنون وابن القاسم والسيد خليل وكل ذا دليل على أنّ له ثقافة إسلاميّة واسعة ومفردات اللغة والنحو وهو استخدم ألفاظ بسيطة وبيّنها إذا كانت غريبة شاذّاً تبييناً . أمّا جمله فقصيرة ، قطّعها بالاستشهادات في أسلوب صحيح ، قريب أخذ ، بعيد عن السّجع والتكلّف .

الْحَاجُّ مَالِكْ سِهْ في « إِفْحَامِ الْمُنكِرِ الْجَانِي »

سنجد الصفات السّابق ذكرها في كتاب الحاجّ مَالِكْ سِهْ المسمّى بـ « إفحام المنكر الجاني على طريقة سيدنا ووسيلتنا إلى ربّنا أحمد بن محمد التجاني » فانّ هذا العنوان يساوي دفاعاً عن هذه الطريقة الصوفية وتأييداً لها . فهذا هو قصده وللكتاب ٢٩٠ صفحة فلنورد جزءاً من المقدّمة : « رتّبتها [١] على مقدّمة في التعريف

(١) يعود الضمير إلى الرسالة .

بسندي شريعة وحقيقة وسبغة فصول الفصل الأوّل في بيان سلسلة نسب الشيخ (رضي الله تعالى عنه) الذهبية الحائزة الفخر والمزيّة ، ومولده وعشيرته الأقربين . الفصل الثاني في مبدأ أمره مختصراً ومنشأ طريقته المبتدر اليه بالانكار لمّا شرع بنشره في الأقطار . والفصل الثالث في بيان أنّ التربية بالهمّة التي هي الأصل لأنّه صلّى الله عليه وسلم ربّى جميع أصحابه بها أولى في زماننا هذا لفساد الوقت . والفصل الرابع في بيان طريقتنا المحمديّة الأحمديّة [1] ما فارق تصديق المصدّقين المنخرطين في السلك وغيرهم وانكار المنكرين إلى هلّم جرّاً . والفصل الخامس في ردّ بعض ما أنكره المنكر في طريقتنا المحمديّة الأحمديّة . والفصل السادس ما لا يسمّى إنكاراً وهو أشدّ منه في فوائد الطريق . والفصل السابع في المسألتين [2] المهمّتين اللتين فرغ منهما قبل ختمتها بقصيدة في ضمنها خلاصة ما في الكتاب . »

كاد الْحَاجُّ مَالِكْ أن يؤلّف ترجمته في المقدّمة وأتاح لنا أن نستمدّ منها شتّى سلاسل شيوخه في الورد من الشيخ أحمد التجاني إلى الحَاجّ مَالِكْ سِهْ .

ولقد كتب « كَبِيِنْ مَرْتِ » في سنة ١٩١٧ م كتاباً سمّاه (الدّراسات الإسلامية في السِنِغَالْ) وعقد في تأليفه هذا ثلاثة فصول للحاجّ مَالِكْ سِهْ ولهذه الصفحات الأربعين أهميّة كبيرة لأنّ صاحب الكتاب ألّف والشيخ الحاج مالك سه في قيد الحياة حينذاك .

ولورد الحاج مالك سه أصلان مُورِيتَانِيٌّ وأسود ، فمن جهة أخذ أوّلاً عن خاله « أَلْفَا مَايْرْ وِلِي » وأخذه الخال عن الحاج عُمَرْ تَالْ الْفُوتِيِّ وأخذه الحاج عُمَرْ تَالْ عن محمد الغالي وأخذه هو عن الشيخ أحمد التجاني ومن جهة أخرى أعطاه السّيد أَحْمَدُ الْمُورِيتَانِيُّ الورد وأخذ أَحْمَدُ فَالْ الورد عن والده مَوْلُودْ فَالْ عن محمد الحافظ عن الشيخ أحمد التجاني . قال الحاجُّ مالك سِهْ في المقدّمة : « فإنّي بعد تحصيل ما قدر الله لي من القرآن وأريد ابتداء قراءة العلم في البلدان

---

(١) المحمدية : هي نسبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم . وأمّا الأحمديّة فهي نسبة إلى أحمد التجانيّ قدّس الله سرّه .

(٢) المسألة الأولى أمر التدخين والمسألة الثانية هي زيارة الأولياء الصالحين .

نظمني في سلك رجالها أهل الفضل والعدل والعرفان خالي الشقيق محمد بن أبي بكر بن عبد الرّحمان المشهور عند أهله بألْفَ مَيْرٌ بفتح الهمزة وسكون اللام آخره فاء يعنون به الفاهم وبلحنهم رخّموه وهو أخذ عند حُورِ فُودِ قرية كبيرة من قرى فُوتَ ممّن أنار الله به الطريق في هذه الأقطار حتى صار في ضيائها كالنهار جزاه الله عنّا وعن المسلمين خيراً ووقانا بجاهه ضيراً . أوّل من حج في بلادنا بيت الله الحرام فيما نعرف خديم الحضرتين في كل مقام ومرام الحاج عمر بن سعيد المتبّحر في علمي الظاهر والباطن القطب الشهير من جميع الأماكن وهو رضي الله تعالى عنه ما أخذ منه من الاختيارية إلاّ حزب السّيْفي المجرد عن حزب المغني »[1] وذكره سنة كاملة مع زيادة أشهر ثم واعد مع شيخه عبد الكريم المرافقة إلى الحج بيت الله الكريم وزيارة نبيّه الصّميم . ولم يقض الله اللقاء بينهما بعد ذلك . ومنّ الله له رضي الله عنه بالوصول إلى بيته الكريم ووجد هنالك الشيخ النبيه العالي سيدي محمد الغَالِي مُجَاوِراً » .

ثم فصّل سلاسله المنسوبة إلى الشيخ أحمد التجاني وتاريخ الطّريقة وعقائدها وشروط نفوذيّتها ووردها واذكارها والوظيفة .

عندما كان الشيخ أحمد التجاني يعتزل في الخلوة بواحة بوصنغم سنة ١٧٨١ م رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حدّ قول بعضهم فقال له الرسول انّه هو وسيلته المباشرة إلى الله تعالى ويجب إذاً أن ينصرف عن الطرائق الأخرى أي عن القادرية والخلوتية والطيبيّة لتأسيس طريقته الخاصّة .

أمّا الانخراط في الطريقة التجانية فساوى طاعة رهبانية كليّة لمؤسّسها والإيمان بحقيقتها الإلهامية ولا يستطيع أصحابها إذن أن ينصرفوا عن التجانية إلى طريقة أخرى وألاّ يبدّلوا منها طريقة ومن شروط النفوذيّة للطريقة .

١) لا يجب على التابع التجانيّ أن يتوسّل إلى أيّ وليّ إلاّ إلى شيخه أحمد التجاني وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

---

(١) . هو كتيب فيه أدعية كثيراً ما يقرأها لبركاتها الفعّالة الاتباع التجانيّون .

٢) لا يجب عليه أن يترك ورده التجانيّ لاتّخاذ ورد آخر .
٣) يجب عليه أن يحفظ ورده إلى وفاته .

وها هو ذا الورد اللازم : هو أن يذكر التابع في الصباح والمساء مائة مرّة : « أستغفر الله » ومائة مرّة : « اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم » ومائة مرّة : « لا إله إلّا الله » .

أمّا الوظيفة فهي ما نصّه : أن يقرأ التابع ثلاثين مرّة « أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم » وخمسين مرّة صلاة الفاتح وهي : « اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم » ومائة مرّة : « لا إله إلّا الله » واثنتي عشرة مرّة : « جوهرة الكمال » وهي :

اللهم صلِّ وسلّم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحقّقة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الادميّ صاحب الحقّ الرّباني البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرّض من البحور والأواني ، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني ، اللهم صلِّ وسلم على عين الحقّ التي تتجلّى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التامّ الأسقم اللهم صلِّ وسلم على طلعة الحقّ بالحقّ الكنز الأعظم أفاضتك منك اليك احاطة النور المطلسم صلّى الله عليه وعلى آله صلاة تعرّفنا بها إيّاه .

أو أن يذكر عشرين مرّة صلاة الفاتح المذكورة .

ويقوم التجانيّ بالوظيفة مرّة في اليوم صباحاً أو مساءً غير أنّ الحاج مالك سه قد أوصى « الأخوان » بذكر الوظيفة مرّتين في الغدوّ والآصال . مع زيادة ذكر « الله . الله . لا إله إلا الله » ما بين ألف مرّة وألف وخمسمائة مرّة « لا إله إلّا الله » بعد صلاة العصر في يوم الجمعة . وفي أثناء هذه الأذكار من المستحب أن يكون أمام المريد التجانيّ خرقة ثياب بيضاء مربّعة . ويقال إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم والشيخ أحمد التجاني يجالسانه عليها . وإذا ترك المريد ثلاث مرّات وظيفة الجمعة بغير عذر صحيح فعليه أن يجدّد ورده من عند شيخه .

قد وجدنا في « إفحام المنكر » بعض عبارات غريبة مثل « فإنّ مرتدّ الطريقة

أعظم ذنباً من مرتد الشريعة » أو « ومن يريد السلوك والتربية يحرم عليه الخروج عن شيخه ... يتعين الاستمساك بهديه والدخول تحت أوامره ونواهيه ورسومه حتى يصير كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كما يشاء » قال في فاكهة الطّلاب ما يلي :

ومـن يقـل لشيخـه هـذا لمـــه   لم ينتفـع منـه بمـا تعلّمـــه !!!

وفي عهد الحاج مالك سِهْ فالمراعاة الدقيقة لتلك الوظيفة كانت تتّفق وصدر الإسلام الحقيقيّ وبدء نشر الطريقة التجانية في السِنِغَالْ كان المريدون أقلّ انْشغال بَال ماديّاً من أهل عصرنا المؤمنين الذين صرّحوا بأنّ هذه الرّياضات الصوفية مغلوطة تاريخياً لإرهاق المشكلات الدنيوية مثل العمل في المكتب أو في المصنع أو في « المحرف » وما تقتضيه الحياة الشخصية والعائليّة والاجتماعية ، وفضلاً عن أن أغلب المريدين التجانيين من أهل المدن فانّنا نرجو أن تنجب الطريقة التجانية عن قريب رؤساء شاعرون بضرورة الاصلاح لتلك الرياضات والتيسير لها اعتباراً لتطوّر شئون المجتمع السِنِغَالِيّ هذا وكان الحاجُ مالك سِهْ في طول حياته يبدي واقعية وليونة ويعلم أنّه قد دارت الدوائر على أقيال البلاد وكانت قدم الاستعمار راسخة في السِّنِغَالْ مؤقّتاً .

وفي كتاب « الإسلام في السِنِغَالْ » (١) نُبُولْ مَرْتِ وصيّة الحاج مالك سِهْ لاخوانِهِ التجانيين في ١٤ من شهر رمضان سنة ١٣٣٠ للهجرة . هل هي صحيحة ؟ لا ندري : « اقبلوا الحكومة الفرنسية بالكليّة لقد خصّ الله تعالى الفرنسيين بالانتصار والنعمة والمنة . قد اختارهم كي يحمو أنفسنا وأموالنا ... وقبل وصولهم إلى بلادنا كان بعضنا يسبي بعضاً ويقتله ويسلبه سواء كنّا مسلمين أو كافرين ... »

لقد تميّز « إفحام المنكر » بعرارة لهجته وبالنضالية في الرّدّ وبالحميّا في الهجوم وبالأناقة في الأسلوب وبالبساطة في الألفاظ .

الْحَاجُّ مَالِكْ سِهْ شَاعِرُ الدِّينِ

لقد قلنا إنّ خاتمتي « الكفاية والإفحام » قصيدتان نونيّتان فللأولى ٦٤ بيتاً

(١) راجع صفحة ٢٠٨ للجزء الأول .

وللأخرى ٤٦ بيتاً في البحر البسيط . أمّا ديوان الحاج مالك سِهْ ففيه ٥١ قصيدة وأطول منها هي الواحدة والخمسون لها ٨٦١ بيتاً والقصيدة الثالثة فلها ٧٣١ بيتاً والقصيدة العاشرة فلها ٦٣١ بيتاً والقصيدة الأولى فلها ٥٣٤ بيتاً والقصيدة التاسعة فلها ٥٢٣ بيتاً والقصيدة السابعة فلها ٢٦١ بيتاً وعدد أبيات الديوان كله بلغ ٥٣٨٥ بيتاً وإذا زدنا عدد أبيات القصّيدتين للكفاية والإفحام صار العدد ٥٤٩٥ بيتاً .

أمّا الأغراض التي عالجها الحاجّ مَالِكْ سِهْ فهي عديدة ومنها المدح والتعليم والرثاء والعروض والتفكيرات في الحياة والموت والشيب ومنها أيضاً سيرة نبوية سمّاها « خلاص الذّهب » ٨٦١ بيتاً ومنها أيضاً المدائح للشيخ أحمد التجاني ولِلْحَاجِّ عُمَرْ ولِأَحْمَدِ بْنِ الْحَاجِ عُمَرْ رحمة الله عليهما ومنها أيضاً قصائد تتعلق بأركان الإسلام الخمسة ومنها أيضاً مواعظ ونصائح ووصايا لمريدي زاوية تِوَاوُنْ وعدد كثير من الأذكار والأوراد ومنها أخيراً خطبتان بمناسبة عيد الأضحى وعيد الفطر .

« قال في الردّ على من أنكر ثبوت الصوم بالتلغراف ولم يكن بقبول ذلك من أهل الاعتراف أو ثبوته بالبارود والنار وقانا الله يوم القيامة العار . » :

١) وقــال نجـل سيدي عُثْمَانَــا	المـرتجي مـن ربّـه الغفـرانـا
٢) حمـداً لمـن علّمنـا النجـدين	جـلّ إلهـاً مـالك الكـونين
٣) مصلّيـاً مسلّمـاً عـلى النّبي	وآلـه والصحب أهـل الرتّب
٤) إذ كـان جـلّ القطر في إنكار	ذي الصوم بالسلـك أو الافطـار
٥) خصّوا وجـوب الصوم بالرائينا	وعـم أن نقـل جاتبينـا
٦) لقلّـة العلم وبعـد المـدن	المثبتـين الأمـر بالتّفطّـن
٧) أتيتهم بالحجـج القـواطـع	مـع البراهين الـرضي السواطـع
٨) يقبلهـا الـذي لـه المعقـول	في قلبـه قـد قـدر القبـول
٩) بلادنـا مثـل بـلاد الباديـة	لـذا علينـا حسن الطـواعيـة
١٠) ويثبت الصيـام بـالنـيران	ابن سراج قـال ذا يـا جـاني
١١) ان جرت العـادة بـا لا يقـاد	لأجـل ذلـك بـلا تـرداد
١٢) وهكـذا يثبت بـالبـارود	عنـد الرهـوني بـلا جحـود

١٣) كـذاك بالسلك لـدى عليش	مفتي ديـار مصر ذي التفتيش
١٤) وهـو الـذي كفارة قد أوجبا	عـلى الـذي أنكـر ذاك وأبى
١٥) وجعـل المهـدي فيـه النظرا	أمـا لزوم الصوم كـل قـرّرا
١٧) قـال السلاطين به قـد انفقوا	كثير أمـوال لنفـع حقّقـوا
٢٠) إنكـاره حمـاقـة شديـده	انّ لـه لمـدد أمـد يـده
٢١) والمسلمون وافقـوا الكفّـارا	في شأنـه فجـانب الأنكـارا
٢٢) ولا تكن منكراً أو مصدّقـاً	لكلّ مـا سمعتـه بـل حقّقـا
٤٠) ومن رأى كـلام هـؤلاء	ولم يكـن بـذاك ذا اكتفـاء
٤١) فـانّني مـا دمت حيّاً أكتفي	بـلا تردّد ولا تـعسّف

وإلى البيت السبعين آخر القصيدة أدلى الحاج مالك سه بحجج أخرى ، وما هو معنى موقفه هذا ؟ فهو امام لا يخاف التقدم ويستفيد منه بلا تردّد ويعترف بوجوب الاستفدة من الوسائل العصرية قد أنفق عليها السلاطين « كثير أموال لنفع الجميع » فهذا هو تفسير الشريعة بتغيير الأحوال والأزمان فصار هنا الحاج مَالِكْ سِهْ مجتهداً .

وهناك نظريّتن في مسألة وجوب اخراج المؤمن الزكاة من الفستق (أو حبّ فول السودان كما قال الحاج مالك سه) فالنظرية الأولى قالت بوجوب اخراجها والأخرى تخالف . اعتد أئمة النظرية الثانية على عشرين نوعاً من الحبوب التي حصرها خليل بدون حب الفستق ومن هؤلاء الأئمة عَلِيٌّ الأجهوريُّ الذي اعتمد أيضاً على كتاب (الموطّأ) لمالك بن أنس وهو لم ير فيه الفستق . وأمّا أهل النظرية المؤاتية فقالوا بأنّ سيدي خليل لم يتمّم أنواع الحبوب و « بأنّ الحبّ لا مانع من أن يشمله اسم الفول وما أشبه ذلك من الحبوب التي تصير طعاماً وهو مقتات ومدخر ويزرع كثيراً في القطر السِنِغَالِيِّ الذي نحن فيه وعليه مدار تجارة النصارى عندنا معتمداً على ما في أجوبة سيدي عليش من نفي الاتفاق على الحصر :

وزكّ حـبّ الفـول لـلسودان	بالاحتيـاط مثـل ذي العرفان
ذاك الـذي يطلبـه القيـاس	واسلك سبيلاً مـا بـه التبـاس
وليس شركـاش وحب فنـدي	أولى بهـا منـه لأهـل النقـد

والظاهر الـوجــوب في الحبّــين   عنـد ميّسر بـدون مـين
معلـلاً من اقتيـات وادخـــار   قنا إلهي ربّ من بـؤس وعـــار
حصر زكـاة الحبّ في عشرينـــا   عنـد خليـل مـع شارحينـــا
لكنّـــه ليس بـأمـر متّفـــق   أعـاننـا إلهنـا ربّ الفلـــق
حكى التّنائي اختـلافـاً كـثرا   بـذاك قـد حجّ على من حصرا
وفي فتـــاوى سيـدي عليـش   شفا الغليـل لـذوي التفتيش

وبعد ذكر الموطّأ للإمام مالك والمقدمات لابن رشد قال :

وكـل مزروع ومـأكـــول على الا   طلاق وزكّـه على القـول الأجّـل
وذو احتيـــاط في أمــور الـدّين   مـن فـرّ مـن شك إلى يقـــين

عالج الحاجُ مَالِكْ سِهْ فريضة من فرائض الإسلام وهي الزكاة وتصدّى لها وفق أحوال البلاد الحقيقيّة وزمانه فهناك أيضاً هو مجتهد .

وها هو ذا أعطى ابن عمّه مُحَمَّدَ سِهْ وصايا في التقوى والطاعة لله :

محمد يا ابن عمّي أحمـد العلـم   خذ الوصية ذي في ضمنها الحكم
أوصيك تقوى وتقوى الله أفضل ما   يرومـه عنـد ربّي من لـــه القـدم
فاتّق ان رمت علماً أو تريـد نجـا   ق ....
وغمض العين واخضع وامددن عنقا   تحت المقـادير لا تسأل فتظلم
ألا لـه الخلـق والأمر المبين فـلا   ترى بنا غير ما يقضي بـه الحكم
غير الصواب فـلا يقضي بـه أبـداً   لا تعترض حكم من يقضي ويحتكم
أحسن أو اعف أو اعرض من اليك أسا   فتلك شيمة من طابت لـه الشيم
تلك المراتب لا تعـدل بها أبـــداً   ترضي الإلـــه وإلّا زلت القـــدم
فهل يزيدن مطفي النـار من حطب   ان الزيـادة تـذكيها فتضطـرم
والنـاس فاخشهم مسلطـون بتسـ   ـليط الإلـه ولا تهجـو وتختصم
فهم مظاهر للرحمـان مـن عرفـوا   لذاك ما حقروا خلقاً ولم يصمـوا
كف لسانك عن فعل العمـوم وعن   فعل الملوك ولـو جـاروا ولو ظلموا
من حسن إسلام مرء تركه أبداً   ما ليس يعنيه ذاك الفوز والعصم
بطنـاً لسانـاً وقلبـاً منظـراً وعـين   أكلاً وجمعاً ووحداناً كذا اللقم

عليك ما عشت علم العلما وكـــذا طبّ الأطبّــا وحكم الحكما الكرم
وان أتــاك كروب فــافرحن بهـــا فما من الله . إلا الفضل والـنعم
ان أرهقتـك ليــالي الله مــأزمـــة فاصبر فبعد انشداد تفرج الهمم
وسورة الشرح [1] فــاقرأ كي تقر بها عينا متى جـاءك الأوجـال والغمم
إن معدمــاً عدمــة أو كنت ذا سعة فــلازم القصـد والأحزان تكتتم
سوّ الأحبّــاء والأعــداء معـدلـــة وأكرم الضيف مهما جاء تحترم
ومثل ذا خدمة الأشياخ والفرس الـ ـغزو فعنها الريــا ينفى وينحسم
انـــا نطــوف دنيــا مــا نطوّفـــه وبعـد يعلـو علينا ويلنـا الأكم
مثل الجرادة دنيــا ان قطعت لهـــا رأساً تحـل وخفهـا قبل تغتنم
ورأسها حبّها يــا فـوز من زهـــدوا وفيـه راحـة من لـلابل ينجزم
واحــذر مخالطة الأخــلاق ليس لها إلا المضرّة والخسران والظلـــم
لا تخط من خطــوة لغير ربّـــك لا إذ كل شيء سوى الرحمان مصطلم
والعبــد ان كــان يلفى عنـد سيـده كل الذي احتيج لم يحس له العشم
أركــان بيت الــولايــا يــا حبيب إلى جــوع وصمت وسهر عزلة قسموا

احتوت القصيدة ـ ولها ٤٦ بيتاً ـ على التعليم والدعوة إلى التخلّق بمكارم الأخلاق مثل الخضوع والصبر والجود والتسامح وحفظ اللسان وتسوية العدل بين الأحبّاء والأعداء ، والضيافة وترك المرء حسن الإسلام كل ما ليس يعنيه وهلمّ جرًّا وما زال الحاجُّ مالك سِهْ يعلّم هذه الصفات الحسنى ما دام حيًّا فلنراجع هذين البيتين :

والناس فاخشهم مسلطــون بتسـ ـليط الإلــه ولا تهجو وتختصم
فهم مظاهر للرحمــان من عرفــوا لــذاك ما حقروا خلقــاً ولم يصموا

فهو أوصى بقبول أهل العقد والحل وان كانوا بغاة والظالمين لأنّهم مظاهر الله . فكيف لا ترى الإدارة الاستعمارية بعين الرّضى الشيخ الذي أعطى أتباعه هذه الوصيّة ؟

---

(١) هو أشار إلى : « فإنّ مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا » .

فهذا دعاء وتوسّل :

١) يا دافعاً كـل أوجـال وآفـات	محي الرفات ويـا واقي المخافـات
٢) ويا كـريم مكـافـات أؤمله	يا صاحب العفـو ربّي والمعافات
٣) يا كافياً شافياً ملجأ العفاة ويـا	عافي الجُناة ويا كـافي البليـات
١٧) وكن مجيري من حقد الحسود ومن	نزغ الشياطين يـا ربّ البريـات
١٨) أعذ عبيدك من نزو الملوك ومن	عـدوان كل معـاد والمعانـات
١٩) ومن معادات عـاد جائر شبرشٍ	وباغتيـال مغيـل والمغيـلات
٢٩) نفائسي عددي عرضي كذا عددي	وسكني مسكني عـرضي وحالات
٣٥) كن لي ولياً حفيـاً ناصراً رحماً	جـاراً مغيثـاً ومفراجاً مهمات
٣٩) كن لي دليلاً على نهج النّجاة ولا	نهج المهالك بل سبل السلامـات
٤٢) واجعل قلادة جيدي في أصابع	مـن عليـه أنزلت آيات كريمـات

لهذه القصيدة الدعائية ٥٢ بيتاً غير أنّ الحاجّ مَالِكْ سِهْ عالج أيضاً التصوّف المشوب بالعروض فدونكم نبذة (صفحة ٩٦) .

ومصراع [1] بيت قـد تـولاه ظـالم	فما عشت لا تقصد له [2] تنج من ردى
وأم عروض الصدر والحشو [3] أولـه	كـذا عجز [4] ضرباً وصفحاً تمكدا
وكن سيّداً تاماً [5] وفيـا مصمتـــا	مصرع ذي بغي مقفي من هـدى
ولا ترض جزء من فعالـك دائمـاً	وشطراً ونهكـاً للدعـات مميـدا

فهي قصيدة طويلة لها ٤٥ بيتاً وفيها جمع الحاجُّ مَالِكْ سِهْ بين المهـارة والبراعة والتعبير الصوفي العميق .

---

(١) مصراع : معروف .

(٢) لا تقصد له أي لا تقصد إلى بيت ظالم إلا الخوف .

(٣) الحشو أوله رذال الناس .

(٤) عجز : جمع عاجز أي ضعيف يتشوف .

(٥) تامّا : بتخفيف الميم للوزن والتام من الأبيات ما أو في أجزاء دائرته من عروض وضرب بلا نقص إلى آخر الشرح .

قد أنشأ سيرة نبويّة عنوانها « خلاص الذهب » ولها ٨٦١ بيتاً وهي أشهر قصائد الشاعر بل هي أشهر قصيدة في السِنِغَالْ وكثيراً ما يغنّيها مغنّو الدين ساهرين ولا سيما بمناسبة المزار في تِوَاوُنْ في ليلة مولده صلّى الله عليه وسلم حينما زارت مئات من الآلاف من المريدين التجانيين ضريح الحاجّ مَالِكْ سِهْ . فشرحها الحاج عبد العزيز بن الحاج مالك الخليفة العام للتجانيين أمام المقدمين والأخوان بينما خلّل المغنّون صوتهم الرّخيم بشرح الخليفة المفسّر .

انقسمت القصيدة إلى ثلاثة وعشرين فصلاً وإلى مقدمة قصيرة ورد فيها ذكر جملة من المراجع والمصادر وهي :

- المواهب اللدنيّة للسيد القسطلاني بشرح السيد سرقاري .
- والسيرة الحلبيّة لعليّ بن برهان الدين الحلبي .
- والتاريخ الكامل لابن الأثير .
- والسيرة لابن هشام .
- والشفاء للقاضي عياض .

ورد أيضاً انّه استخدم معجمي « لسان العرب » و « تاج العروس » لتبيين الشّواذ فيها هي ذي المقدمة : (راجع صفحة ٣٠٩) .

الحمـد لله ذي الإيجـاد والقـدم ممـدنا بوجـود البـدر ذي القدم
ثم الصلاة وتسليم يفـوق عـلى مسك ورنـد على ذي الفضل والقدم
وآلـه المهتـدين الخيرة الكرمـا المـأتمي سيرة المختـار والقـدم
ما أرعد الرعد والورقـاء تنحب من هـديلها وجرى دمـع من القلم
وانـه إذ أراد الله نشأتنـا أبان نور الهدى من نور ذي القدم
إنّ العـوالم عاليها وسافلهـا أشعّة طلعت من أفضل النسم
وأعلم الله هـادينـا نبـوّتـه وكـان آدم بين النفس والنسم
عيون الأرواح من نور الهدى انبجست فانـه الجنس الأعلى معـدن السطم
وخلق الأخـلاق بعث الأنبيا لظهو ره مقدمـة فاعلم ولا تنم
في عـالم الملك والأرواح تـابعـة للـروح والجسم هـذا غاية الكرم
وكان محتجبـاً من قبـل في حجب يسبّـح الله فيها غير منصم

وخـاض عشرة أنهـار بهـا سبق الجـ ـمبع من نظرة والحبّ والرحم
وقـدرة ثـم اكـرام ومعـرفـة شفاعة وهـدى جود ومن حكم
لله نـور يكـون الله مودعـه أبا الورى طاهراً في الطاهر الشيم
وكان شيث وصيّ الأصـل منتقـلا من خيرة كرم للخيرة الكـرم
حتّى انتهى بالشموس النور محتقرا لقـادة العرب فهر الجلّـة النظم
وغير شيث فما تأتيـه منفـردا حـواء تكريم نـور غير مزدحم [1]

وبعد هذه التوطئة الشعرية فلنوردن عنوان كل فصل للقصيدة :

١) ذكر آبائه صلى الله عليه وسلم .
٢) قصة الفيل وما يتعلّق بها .
٣) ذكر من ولي البيت بعد أبناء اسماعيل وذكر أمر بئر زمزم والذبح .
٤) باب تزويج عبد الله آمنة أمّه صلى الله عليه وسلم وحمل أمه صلى الله عليه وسلم وموت والده صلى الله عليه وسلم ورضاعه واظئاره وما يتعلّق بذلك إلى وقت مبعثه صلى الله عليه وسلم .
٥) باب بدء الوحي له وذكر بعثه صلى الله عليه وسلم .
٦) ذكر المستهزئين ومن كان أشدّ أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وذكر تعذيب المستضعفين من المسلمين وذكر هجرتي الحبشة .
٧) ذكر الصحيفة والحصار .
٨) ذكر الاسراء والهجرة إلى المدينة المنوّرة .
٩) باب مغازيه صلى الله عليه وسلم وحججه وعمره .
١٠) أولاده صلى الله عليه وسلم .
١١) أزواجه الطاهرات صلى الله عليه وسلم وسراريه المطهرات رضي الله عنهنّ .
١٢) الفواطم التي ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم والعواتك .
١٣) أعمامه وعمّاته وأخواله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أي لم تلد أمّنا حواء ولداً مفرداً إلا شيث كرامة لهذا النور قبل مكث في بطنها حتى نبتت أسنانه وكان ينظر إلى وجهه من صفاء بطنها وهو الثالث من ولد آدم عليه السلام .

١٤) المشاهير من خدمه الأحرار صلى الله عليه وسلم .
١٥) ذكر من كان يضرب الأعناق وحرسه ومن يحدو له الابل ومفتيه ومؤذنيه ونوابه وأمرائه صلى الله عليه وسلم .
١٦) ذكر النقباء والنجباء والحواريين والقضاة ومن يقطع بالجنان لهم ومن ولي السوق في زمنه صلى الله عليه وسلم والأمناء والشعراء والكتّاب ومن جمع القرآن من عهده صلى الله عليه وسلم حفظاً والرسل إلى الملوك ومن كان يضحكه صلى الله عليه وسلم .
١٧) ذكر ما له صلى الله عليه وسلم من الحيوان .
١٨) ذكر ما له صلى الله عليه وسلم من السلاح .
١٩) ذكر بعض حليته وصفته صلى الله عليه وسلم .
٢٠) باب في وجوب طاعته ومحبته واتباع طريقته صلى الله عليه وسلم .
٢١) بيان بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم .
٢٢) أسماء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .
٢٣) مرضه وانتقاله إلى دار البقاء صلى الله تعالى عليه وسلم .

فهذه نبذة من باب تزويج [1] عبد الله آمنه أمّه صلى الله عليه وسلم :

وعبـد مطلب مـن بعـد مـرّ إلى ... فتاة زهرة ذات المجـد والكرم
مـرا عـلى امـرأة تـدهى بفاطمـة ... تبغي الممـال اليها وهي لم تـرم
وحـاز إذ ذاك عبـد الله سيّدنـا ... حـدواً إلى الخير في الضمير والنقم
لكي يصيرهـا صـدفاً الـدرّتـه ... آمنـة نقيت عـن سائر التّهـم
في الشعب يوم الثنى المختار قد حملت ... وقـال سهل بن عبـد الله ذو الوذم
ليل العروبـة حـلّ الـدرّ في رجب ... ثم المنادي ينادي مسمع الفهـم
تنبهـوا انّ نـور الختـم ليلكـم ... قـد حـلّ في خيمة من أطهر الخيم

وله أيضاً في الهجرة إلى المدينة المنورة [2]

---

(١) راجع صفحة ٣٢٦ من الديوان .
(٢) راجع صفحة ٣٧٨ من الديوان .

والروح قد أذن المختار هجرته	إلى مقام وفاء العهد والذمم
وقال لا تستبيت يا خيرة الكرما	على فراشك والأعداء في همم
وقد أناب عليّا كي يردّ إلى	ذوي الأمانات ايّاها بلا يتم
على الفراش يبيت الحبر متشحا	ببرده يحسبون الليث في الأجم

إلى أن قال :

في يوم الاثنين قد كان الخروج كما	كان الدخول والاستنباء فيه نم [1]
عام الثلاثة والخمسين بان بمن	فدى به نفسه في الغار ذي القسم
... يبيت عندهما عبد الإله وير	عى عامر لهما قل منحة الغنم

وله في ذكر بعض صفاته صلى الله عليه وسلم (راجع صفحة ٤٧٤) .

لله درّ مجيب قال سائله	إنَّ الرسول بقدر المرسل احتكم
وكان فخماً حبيب الله مرشدنا	مفخماً غاية التفخيم ذا العضم
ووجه خير الورى المختار من مضر	من التلالؤ بدر في دجى الظلم
كأنّما الشمس تجري فوق صفحته	وفي الأسيرة يجري رونق العظم
... وأنجل أدعج العينين أكحل قل	أسيل خدين عرق الوجه كالتوم
... حوى الكثافة في التحقيق لحيته	وكان يخضب بالحناء والكتم

وله أيضاً في موته صلى الله عليه وسلم (راجع صفحة ٤٩٩) .

وعام اهدئ [2] محتازاً على جلل	دعاه في صفر مولاه للكرم
... حوى بدا [3] عند بعض في تأهبه	حان الرحيل له في يومه العلم
... وكان أخرس عثمان وأخبل فا	روق وأقعد ليث البهم والصمم
... إنَّ الجنان على التزيين يوم قدو	م روحه تارك الدنيا على الظلم

أليس غريباً إن أوردوا أحداث طول حياته صلى الله عليه وسلم في صورة

---

(١) نم : أي نسب وهو نمي وتوفي أيضاً يوم الاثنين .

(٢) هو أحد عشر من الهجرة .

(٣) يعني مدة مرضه أربعة عشر .

أُسطورة ؟ فقلّما روى شُعراء العرب وشعراء السُّودان ما يتعلّق بحياته صلى الله عليه وسلم من أُمور واقعيّة فكأنّما كانت حياة رسول الله حياة معجزات لا غير . أمَّا رئيس الدولة والمشرّع والدوبلوماسيّ المحنَّك والرجل الذي قال فيه القرآن : « إنّما أنا بشر مثلكم يوحى » فلم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كلّ ذلك وشعراؤه لم يحفظوا إلا صاحب المعجزات . والمسلم الذي دعاه الله إلى أن يقتدي بأسوته الحسنة يكون في رتبة أسفل من أن يعلو بنفسه إلى هذا المثال الصانع للمعجزات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّما يريد كونه بشراً بسيطاً متواضعاً طيلة عمره . وكم قاسى من بلايا وصعوبات ماديّة ؟ وفي قصيدة كاملية مدح بها خير البريّة لا نجد إلاّ معجزات وهذا هو منهاجه : شبّب ووصف الأطلال وذكر الحبيبة ذات النوى فمدح أخيراً صلى الله عليه وسلم وهي من أشهر قصائد ديوانه :

١ أبدا بروق تحت جنح ظلام — أم وجه ميت أم ربوع شمام
٢ إنَّ الربوع بشارتي وأمانتي — وربيع قلبي وهي خير شيام
٣ والدّمع ان بعدت ربوع ربوعنا — جار وجارح منحري بسهام
٤ مه عاذلي لو حزت علماً لم تلم — هل عذل مثلي لم يكن بحرام
٥ ملأً الفؤاد قضاة شوقي والهوى — الما ووجدا يا لطول هيام
٦ يا غاديا يعلو السناد فبلغن — سلعا وسل عن جيرني بسلام
٧ فاربع على مجنون ليلى إنَّ لي — داء دوياً ما أبل سقام
٨ واقرأ سلاماً طيّباً تفشيه من — حب إلى ناس هديت همام
٩ بين لهم تبيين برّ صادق — اني بهم حلف الجوى وغرام
١٠ يارُبّ ليل بتّ سامرأ نقد — متجاوباً متساجلات حمام
١١ أرعى الكواكب في الصريم كأنّها — شدت بأهدابي صمام صمام
١٢ عتم ظراف كمل لكنّهم — لم يعرفوا النقوى بوقت هشام
١٣ عدل كرام معدنا لكنّهم — نالوا لدى التقسيم خير سهام
١٤ الطيبون معاقداً لكنّهم — من جودهم قطرات غيث ركام
١٥ لا عيب فيهم غير أنَّ جموعهم — سم العداة سعود كل ادام
١٦ عسل صفاة معتفون نثالهم — ينسون أهلهم لطيب مقام

١٧ وهم النجـوم لمقتـد بسماهم بـدر الـدجى منـه انجـلاء ظلام
١٨ شمس الهدى منه النهار وجودنا أكرم ببـدر أول وختـام
١٩ مـذ كان أطلع قـد أتى فوز لنا والكفر في كفر بدى وسدام
٢٠ أوقى وأوفى قطبنـا وأمامنـا وزراً وعهـداً من جميع أنام
٢١ وبخيله وبخـيره جلب الورى ولمن أجابوا نيل خـير مرام
٢٢ هو سرنا هو نورنا هو مجدنا وهو المشفع عنـد يوم خصام
٢٣ وسعـادة وأمـانة ومـكانـة ومفـازة غـنم وخـير امام
٢٦ ابريق سام عنقه قل عرقه كلآلئ بـل فوقهـا بمقـام
٢٧ ومرجل سـبط العظام مطيب وكان في العرنين وصف شمام
٢٩ في كفه ريح تفوح وتزدري ريح الخزامى أو صفي مدام
٣٠ أصحابه قـد يرتوون جميعهم وتوضؤوا من ماء فيض بنام
٣١ وحصاتهـا قد سبحت تسبيح من حاز الحصاة ففار ماء ذمام
٣٢ وبريقه فيض القليل شفاء دا ء سل عليا كيف ريق ادام
٣٥ رضعاؤه رضعا البتول بريقه اس تغنـوا بعاشـوراء بالامـام
٣٨ طيب وماء قد تسلسل ريقـه عسل مذاقتـه دواء عقـام
٤٠ وبرجـله تسكين صخر قل لها أثر متى تمشي فويق أكام
٤٢ توصيفه بالزهـد عين جهالة هل كان اقبـال لخير إمام
٤٥ هو حامد هو أحمـد ومحمّـد وهو المناجى حاز طيب كلام
٤٧ ومخـير يختـار نيـل عبـودة لهـوان دار هي شر مقـام
٥٠ بدر تمـنى الأنبيـاء مقـامه ولقـاءه إذ فـات نيـل مرام
٥٢ شمس الضحى أملت عشير ضيائه إذ فاتها ائتمرت لأمر إمام
٥٤ وانشق بدراً إذ تمنى خائبـا ليكون من خـدام خير كرام
٥٦ ان النعامة في اتباع نعـامة تبعت نعامتـه مريـد سـلام
٥٨ فئة رضى قد بايعوه لربهـم ورضـاهم مـولاهم بامـام
٦١ وبصاحب الخاتا خاتم الأنبياء فأمنن علينا ربّ حسن ختام
٦٣ يا منتهى الآمال يا ربّ الورى أني أتيتـك لابسـاً باثـام
٦٤ ثم الصلاة مع السلام تبـاريا أمـد الدهور على الشفيع الانام

٦٥ والآل والصحب اكرام جميعهم ما لاح برق أو بدور ظلام

هذه قصيدة نونية دانية في آخرها من الملحمة ظهر بها الحاجُّ مَالِكْ رسّاماً ولغوياً وصوفياً وهو جدير بأن يعدّ من كبار شعراء المصطفى صلى الله عليه وسلم فلنذكر أنَّ محمد الأمين بن از بير قد قام بتخميسها :

١ ألا يا وعد ويحك نبئيني بذكر البان تهتان العيون
٢ أفي بين حبالك أم ببين لعشاق برامة خبريني
٣ قفي نبكي الأحبة كي نداوي ضنى فينا بأجراء الشئون
٤ ألاما تأتيني بكي قلبي بنار الحبّ كيا غير هون
٥ تعيرين الهوى في كل يوم مدى نفر الفؤاد مع الوتين
٦ دعي عنك التغنج ذات دل به يزداد قلبي من فتون
٧ الا حبل المودة جدديها ففي التجديد نحيا كل حين
٨ وناجيني بسرّ غير فاش وكوني بالمعاهد ذكريني
٩ منازل قد عهدت بها بسلع وكاظمة جنانا للقطين
١٠ عهدت بها وكنت رخي بال أحادث من حديث ذي شجون
١١ ندامانا بدور نيرات يقر العين خدن من تنين
١٢ وصرعى صرخد كنا نياما فما يقظان في داج الجنون
١٣ فنصبح أمّ موسى من فراغ وقد كنا على طيب القرون
١٤ وخلنا والظنون لها غرور مسالمة من الدهر الخئون
١٥ وما كذب الزمان بأن أتانا ونحن ذووا اغترار بالحجون
١٦ وكان الدهر يرمينا سهاما فأفنى ذاك عادته قرون
١٧ وكنت أروم عتبي الدهر حتى أيست بذاك من علم اليقين
١٨ تداولني الأماكن لا أنيس سوى شدو الحمام على الغصون
١٩ ودعدا قد أوعد أن تسلي فؤادي أو أراح عن الهنين
٢٠ و تسخر بي لبوس واضطرار وما حنت بلى زادت شجوني
٢٢ متى ما دان بحرك من كدور فصاف سلسل بحر الأمين
٢٣ نبي عبقري أريحي صفي الله ذي خلق بيون
٢٤ هو العرنين عرنين البرايا صبيح الوجه ذو خلق حسين

٢٧ منـاجاً مرتضى هاد بشير　　وليس على المغيب بالظنـين
٣٠ واظلال بعـين في هجـير　　فارهاص لـه كل العيـون
٣١ سراج من أشعتـه استنرنا　　وعـين قـد زرت كل العيون
٣٢ فياعجبا لـذي نور منـير　　ونور الأصل في ماء وطين
٣٣ وفي صلب لاليـاس يلبي　　ويسمعـه المواسـم بالأذين
٣٤ سبائكه الجواهـر مزريات　　ولم لا وهو عين للعيون
٣٥ لــه قبل الولادة معجزات　　تراها أمّـه دون الظنـون
٣٦ نقي في ولادتـه عجـاب　　يعي كل ذي عقـل بنـين
٣٧ ومكحولا ومسروراً نظيفـاً　　أتى يوم الولادة في عيون
٣٨ يسبح ربّه تسبيـح عبـد　　برور ذي انكسار مستكين
٤٠ ومال البيت بالأركان حتّى　　تكبر ساجداً مثـل الفطـين
٤١ دعى الرّهبان إن جاء مبـين　　تتابعت الهـواتف للثقـين
٤٢ بها حل الكواكب مشرقات　　كما حل الملائك للحسين
٤٤ بها نيران فرس هامـدات　　وما للبحـر من ماء معين
٤٥ سل الأصنام هل نكست برغم　　ذوو الأوثان في دين ودين
٤٧ مجاوب سائلي الأصنام ماذا　　يميلكم ودمتم في الركون
٥٠ سرور في سرور في سرور　　وعيد دون أعيـاد العيـون
٥٣ ألا سرر الملوك لهـا جفول　　ونجم لكفر ذو نحس مهين
٥٤ ونازعت الطيور كذا وحوش　　لحنان يكون رضى القطين
٥٥ لسان القدر قد نادى جهاراً　　به اختصت حليمتنا بـدون
٥٦ بـه تـاب الأله على أبينا　　به ذو النون زايل بطن نون
٦٠ بـه ذو الفلك غيض الماء عنه　　بـه موسى ينجي من شجون
٦٤ رقى فوق البراق إلى سماء　　ودان لـه الملائك أيّ دين
٦٦ علينا الحمد حمداً قر حينا　　شفى عنا المقفي كل دين
٧١ دعى من لم يحبه ينال هلكاً　　ومؤتمر يثاب بغـير دين
٧٤ وقل قرشي وقل عربي تصدق　　وصدق القول حقًّا زين دين
٨١ وسنّته تخجـل من بـدور　　ولا تطلب لهـذا من حنين

٨٣ ومدح المصطفى فوز وغنم   فما حرج على من الحنين
٨٦ هو الختم الامام وذوا اقتداء   مكانته المكانة دون دون
٩١ به فار الركايا شق بدر   كشق الصدر هاء دون ذين
٩٢ وربّ بهيمة شهدت بحقّ   رسالته كما ضب مبين
٩٦ غناء الجن أطرب سامعيه   ويعلم ركنه منوى المصون
٩٧ غزا الغزوات مردية الأعادي   وكلهم على هون وهون
٩٩ وما يغني الدروع ولا العوالي   وما لهم تفلّل من حصون
١٠٠ ولا تعجب ويوم البدر جاؤوا   جنود الله من أمر المعين
١٠١ وقد سمع الصحابة قول جبر   يل يا حيزوم اقدم بالمزون
١٠٣ وأصوات الخيول رعود برق   قتان الحرب يزري بالرعون
١٠٤ ويوم قد تسجد فيه حمداً   غرابيب ونسر فعل نون
١٠٥ وعثمان بألواح الأعادي   بنوان بخط كمثل نون
١٠٨ وقد دخلوا بدين الله فوجاً   وأفواجاً على حذر القفون
١١٢ حنان الله من نهج سوى ما   قد انتهجوا ومن شر القرين
١١٣ مدحت المصطفى مزن عجيب   ليغفر لي الغفور بيوم دين
١١٥ إلهي يا إلهي يا إلهي   إلهي توبة قبل المنون
١٢٠ وإن نظم يكفي ذا طلاب   فنظمي حفظه حوز الشجون

وهي قصيدة يغنيها المغنّون في اجتماع سهرات على وزن شهير حتّى أنشأ الناس عليه أغاني وُلْغِيَةً منها أغنية مطلعها :

« مَيَاسِينْ جَالْ مَيَاسِينْ جَالْ مَيَاسِينْ   مَيَاسِينْ جَالْ جَرَلْنِمْ أَنْجِيْ يُرِيْ بَلْ »

وقد مدح الحاجُّ مَالِكْ سِهْ الشَّيخْ أحمد التيجاني في شتى قصائد ومن صفحة ٢٥٨ إلى صفحة ٢٦٥ وجدنا أربع قصائد أثنى بها على مؤسس الطريقة التجانية . قال في القصيدة التي توجد في صفحة ٢٦٠ ما نظمه :

قضى الله قاضي الشوق والبين والوصل   مديحي أبا العباس أحمد ذا الفضل
دوأبي على دأبي زيارة روضة   وإن لم أنل فالداء في المزيد والعضل
مدى الدهر ما زلنا بتوصيف فضله   هو البرزخ المكتوم والختم للكل

أخا اللوم لا تكثر فتتعب أنّنا بني نهشل نابي ادعاء إلى العدل[1]
يليق بمن يخلو حشاه عن الهوى سكوت وتصديق والاسلام للأهل
هـداني إلى زور المغاني وأهلها وان فقد المحبوب ذو الحول والعدل
إلاَّ أُيها الحادي النيـاق إليهم سلاماً سليماً شامل الكل والجلّ
تقول لهم إنّي ولو كنت ذا نوى فأمرهم أمري وشملهم شملي
أخلاني لو غير القضا يعوقني شكوت النوى والبعد عن صاحب النبل
نلاقيه معني والجسـوم بعيـدة والأرض تنوب المـاء إن بان في الفعل
عليه رضى الرحمان ما حن عاشق إلى رؤية المحبوب للجمع والوصل
لئن مدّني الرحمان علماً وقدرة أصوغ بما يزري اللآلي بلا هزل
أتانا جزاه الله خـير جـواهر وياقوته فوق البواقيت في الفصل
رزين عفيف ما يزن بريبـة موالاته سعد وأمن لدى الوهل
قصاراه في الإحسان والعدل والتقى فوات المنى أكرم بذي خلق سهل
بريئ واسأل القلب والدمع حبه بتذكاره نشفي القلوب من الوجل
كليم رسـول الله وارث سرّه لـه شرف في عالم العلو والسفل
لنـا العروة الوثقى هو الغنم والمنى هو البرء والغيث المريع على النسل
لنـا الفوز إذ كنا كأصحاب جدّه ويحضرنا في الموت والحشر ذي الأزل
ولي تقـيّ مهتـد متـورّع عليم حليم طيب الأصل والفصل
يعاب على قفو الرسول وصحبه وتكثير ذكر الله والبرّ والبذل
لـه الورد ينفي كل بؤس وشدّة فيا أمن من يسقى بذا الورد من غل
هو البدر والمصباح والنجم في الدجى ومرقى إلى بيت المكارم والعدل

وكثير ما يغنّيها المغنّون في زاوية دَكَارْ أو في تِوَاوُنْ والبيت الأوَّل هو ردّة ودور إذا غنّيت هذه القصيدة .

وله أيضاً يمدح الحاجَّ عُمَرَ الذي أدخل الورد التجانيّ في السنغَالْ وأعطى

---

(١) فهو تذكّر بيتاً لبشّام بن حزن النهشلي الشاعر الجاهليّ فراجع الكامل للمبرد في صفحة ٧٦ والجزء الأول وطبعة القاهرة ١٩٢٠م .

خاله اَلْفَامَايُرُ هذا الورد فأخذه الحاجُّ مَالِكْ عن خاله ويمدح أيضاً الشيخَ أَحْمَدَ بْنَ الحَاجِ عُمَرْ ويرثيه أيضاً .

من لي وقد غاب عني سيدي عمر ... بطيب عمر أبي عن طيبه القدر
من لي وقد غاب نافي الباس ديدنه ... إرداء من بدلوا دينا ومن كفروا
من لي وقد غاب بدر الدين عمدته ... شمس الزمان معين من به انتصروا
من لي وقد غاب نبراس انـارته ... دجى الديانات يجلوها فتنحسر
أطاع أمر الإلـه المستعان بـه ... لم يأل حتّى أتاه النصر والأثر
لا غالب في فؤادي يا وسيلتنا ... سوى محبتكم مولاي يا قمر
وافيت والدين مطموس المعالم مف ... قود المناشد محراب ومنتزر
لكن لـما زلت تدراء مفاسده ... فالحمد لله كسر الدين منجبر
وبرك الـبربر العادون إذ علموا ... لأن موقـد نـار مخراب مقتدر
إذ كل من عاف منهم ما تدين به ... قراه يوم التلاقي الصارم الذكر
وربّ يوم به العقبان قد حمدت ... فعل العوالي وفعل البيض والنسر
ظنوا وخاب إذا ما غبت يا لهم ... في خيبة من فراغ الأمر إذ غمروا
إذا بشبل يباري الأصل شأوته ... لولا الإمام وربّي عمّنا الضّرر
أعن إلهي أمـير المؤمنين لنـا ... وجازه خير ما جازيت من غبروا
ثم الصلاة وتسليم الإلـه على ... رسولنا المصطفى ما شعشع القمر

إنَّ تشبيه هذه القصيدة بقصائد القاضي مَجَخَت كَلَ في مدحه عَلْبُرِ اَنْجَايْ لمثع والفرق بينهما هو أن الشاعر أبطاله بالنسبة إلى الإسلام والإيمان فازداد التعمـق هنا أمّا القاضي فوطنيّته أدّت إلى تمجيد عَلْبرِ أو لَتْجُورْ.

وله أيضاً يمدح الحاجَّ عُمَرَ وابنَهُ الشيخ أَحْمَدَ خليفته :

يا الله أنت الإلـه الواحد الأحد ... يا الله يا برّ يا مولاي يا صمد
يا ذا الجلال والإكرام الفعول لـما ... يريده حيّ .يا قيُّوم يا فـرد
وأنت يا الله يا لطيف مقتدر ... أنت الرؤوف الرحيم المانع السند
يا الله يا الله يا ملجا العفاة ويا ... من كان يرجوه مزؤود ومكتمد
أنصر أمير جيوش المسلمين على ... من حاربوه ومن عادوا ومن حسدوا
نجل الذي حجّ بيت الله مشتهرا ... بوصفه ربّ يا مولاي يا شهدوا

هو الوليّ الذي لا شيء يزعجه … عن نصر دينك مرد كل من عندوا

ولىّ وسافر عن (حَلْوَار)[1] مسكنه … (لِكَرْتَ) يصحبه صبر كذا جلد

حج وهاجر ثم بعد جاهدهم … كرّ وغار عليهم خلية الجرد

فأصبحوا لا ترى إلاَّ مساكنهم … يا ذلّ من كفروا بالله والتحدوا

ولوا وهم يتخافــون بينهـــم … أين المفرّ لنا يا أيهُّا الحشد

وكان من قبل ملقى من ورأئهم … لكنّه لم يزل بالله يعتضــد

مستعطفاً مستغيثاً خاشعاً متوا … ضعاً ومستنصراً مولاه يعتمد

إعلاء كلمته العليــا بلا فخر … من ينصر الله ينصر حيث يمتكد

واستفتح الباب أهل (تَنْبَ) لو علموا[2] … ما يعقب الفتح أيم الله ما بعدوا

ويح المعسل مختاباً وكان لــه … لسع الزنابير والتحيير والكمد

أراهم الشيخ أمراً من أعاجبه … وزارهم خلف ظنّ بعده البعد

أعطاهم المال ثم بعد أنحلهم … جرحا وقتلا وأسرا ذلك الصمد

فتصبح الأرض يا لله مخضرة … يعمها الأمن والإسلام والرغد

أكرم بمن ساق أهل (فُوتَ) جلّهم … فجاهدوا كل آبي الدين واجتهدوا

يا حبّذا ابن سعيد سيدي عمر … يا حبّذا حبّذا يا حبّذا الولد

نعم الوليد إذا ما حذو والده … يحذوه يا فوز من دانوا ومن رشدوا

نعم الخليفة نصر الدين قدوتنا … قد انتهى الجور والإشراك والنكد

أعني به أحمد المعروف سيدنا … قطب رحى الدين يا ويلا لمن جحدوا

وساعدا الدين ممدودان يا لهما … والشمس طالعة والبدر متّقد

وغادروه وسل عمّا بدا لهم … من هلكة وهروب إذ هم قصدوا

يا ربّ من كان يهديه لمهلكة … حديث نفس أتاه الذلّ والوبد

واها لشبل وليّ قام مجتهـدا … يكفي دواهــي كفر كلما تردوا

مستنكفاً هدم ما بناه مجتــده … كأنّه لم يغب عن ديننا الأسد

---

(١) ولد الشيخ عمر في قرية حَلْوَارْ بفُوتَ طُورُ وكَرْتَ : بلاد في مَالي.

(٢) هي بلاد في فوت جلو بغينيا.

لا زال يغزو وجند الله يوزره مهما يكابر من عادوا ومن حقدوا
ثم على الرحمة العظمى سعادتنا والآل والصحب شهب الخير من رشوا
صلّ وسلم سلاماً دأئمـاً أبداً يا الله يا برّ يا رحمان يا صمد

قال أيضاً مرثية لخاله (مَآيُرُ) :

إن انتقا الدهر أهل الخير والخبر يدري فناء الدنى يا فوز منجزر
ومن يكن راقبا بالموت لاق به أدامة الجوع صمة عزلة سهر
كن قأئماً ان دجى الليل البهيم وكن تبكي ذنوبك حتى ساعة السَّحَر
فلنطلب الزاد يا اخوان إنَّ لنا عمّا قليل لسيراً أثقل السفر
لله قابض أرواح الخلائق لا ينسى على الأرض من جنّ ولا بشر
يستأصل الجيل ثم الجيل ويلتنا لم يبق من أحد كلا ولم يذر
يأتي ممـاتك بغتـا فاستعدّ لـه ودم حياتك بالمرصاد والجذر
ويوم تدخل بيتـاً لا أنيس بـه ليس المجاور إلاّ الدود فادكر
نعى النعاة أمينى سيدي ثقتي خالي وشيخي رجأني كل ما عصر
لا طيب للعيش ان ترب يضم به وأنّني بعد صفو العيش في الكدر
والعين عمياء سمعي كان في صمم والقلب أودع بالجمرات والشرور
انا معزون لا انا على ثقة من الحيـاة ولكن جاء في الخبر
يا عين أعطي عقيقاً كلما زمن ولا تملي مدى الأزمان منتحر
ضريح شيخي خالي ربّ يا أملي نور بحرمة طـه سيد البشر
لا زال أمطار رحمى ربّ هاطلة روض حبيبي وخالي الفاهِمُ الوزر
وارحم به رحمة عمّت بشيعته بجاه أحمد ربّ الشمس والقمر
فاغفر لنـا وله والوالدين معاً مع الشيوخ وأهل الدين ذا القدر
ثم الصلاة وتسـليم الإلـه عـلى رسوله المصطفى مع صحبه الغرر

وله مرثية لكل صديقه وشيخه . وكأنه يتمرد على « الدهر الذي انتقى أهل الخير » والذي « لا يبقي ولا يذر » ومن هنا قال اعتبارات في الموت وفي الحياة وفي ضرورة اختيار سيرة التقوى والورع والعدل والأخاء والحلم وصدر عن كل ذلك لهجة متشأئمة كما فعل في قصيدته المسماة « زجير القلوب عن حبّ الدار الخلوب » .

هل الدهر إن طار الغراب يطيب		وجاء رسول الموت بعد ينوب
أراك نسيت الموت والموت مورد		فللكل من بحر الممات نصيب
ألا كلّ مولود وان طال عمره		سيدعوه داعي هلكة ويجيب
وإيَّاك تدبيراً فما هو نافع		وسلّم إلى الله الأمور تتوب
وخير ولا تختر فكيف اختيارنا		وان مغبات الأمور تغيب
الا فارض ما يقضي الإله بملكه		ففيه رضى من بالمطيع يثيب
وما يفعل الهادي الجليل بخلقه		فذاك جميل يرتضيه منيب
إلا إنها دار الغرور فمن صفى		له العيش منها فالكدور عقيب
إلا دار دنيا دار نوكى وجيفة		يجاذبها فاحذر بتلك كليب
إلا إنَّما الدنيا سراب بقيعة		فيحسبه الظامي الشراب يجوب
إليه مسافات وإيَّاه لم يجد		بشيء وإنَّ الحين منه مصيب
لا سحر من هاروت ماروت قال ذا		شفيع لكل المذنبين حبيب
إلا حبها رأس الخطايا جميعها		ويلقي الدنى ظهر الوراء لبيب
عجوز فروك في ثياب عروبة		غرور الدنيا الماضين قبل عجيب
وإن أضحكت يوماً ستبكي بسرعة		ولا خير في اللذات بعد لهيب
إلا مثل دود القزّ يجمعه الدنى		وللدود في منسوجه لتبوب
... ولا تنس طول الدهر لا تنس ليلة		صبيحتها فيها يعد عيوب
فيا أيُّها الباني محل ضيافة		ألم تعلمن أن الجلاء قريب
ستخبرك الأيام أنّك لاعب		كأنّك يا هذا الغبيّ سليب
... فيا ويح فإن كان يشتد فانياً		تمسّك بباق ليس عنك يغيب
... كفى عالما ان التراب يضمه		صراء شراباً والفنا وخشيب
لذيذ طعام والملا ونعومة		لركس وخرق والبلا سيؤوب
... ألا ان خير الزاد تقوى الهنا		ولا تخش غير الله فهو حسيب
... أنشركه غيرا ولم يك حاضراً		لديه لدى خلق الوجود عريب
... جليس مليك لم يكن متأدباً		طريد ذليل صاغر وحجيب
... فكيف يكون الفرح والموت منظر		ومن بعد أهوال الردى وكروب
... متى تعطي حبي أجوفيك بغاهما		أنى لك عار مسبد ومعيب

... وان تردن عوناً عليك بعزلة	وجوع وصمت انّه لنجيب
... الا قل لمن قد خالط الناس صامتاً	فلا بدّ من قيل وقال يريب
... ونفسك شارط ثم راقب وحاسبن	وعاقب وجاهد عاتبين تنوب
ولا تك كذّاباً أمامك موقف	مهيب سوى المختار فيه رعيب
وواجبه انقاذ . نفس لمسلم	وندب لإرهاب العدو يثوب
وجائزه الاصلاح كره لزوجة	سوى ذاك للعالين عنه نكوب
أينفع من لا ينفع الغير نفسه	ومن لا يقي ضراً فكيف نصيب
أشدّ وأدنى من ثلاثين زينة	لدى البعض في الإسلام ساء ثلوب
ولاتك جسّاساً ولا ترض فعله	لذاك متي جاء القتوت وجوب
وفعلك لا تعجب ولا تتكبّرن	لأنك في شك هديت يريب
ولا تعتقد فضلا على الغير تغترر	فإنّ ختام الأمر عنك يغيب
ولا ترض غير الله يوماً وكالة	إلا أنّه كافي الأنام حسيب
وإيّاكَ إيّاكَ الغضاب لقوله	خذ العفو وامر [1] إنّ ذا لعجيب
إذا ما ابتليت اصبر أو أعطيت فاشكرن	وعاف ظلوما إن ظلمت تتوب
ألا قلل الهمات إن قال كن يكن	وما لم يكن يأتيه ليس يصوب

ولهذه القصيدة ١٢٩ بيتاً ولقد انتخبنا أبياتاً أشدّ تمثيلاً وظهر هنا الحاجُ مَالِكْ سِهْ واعظاً .

– الحاجُ مَالِكْ سِهْ الخطيب الواعظ –

في صفحة ٥٦ لزهور البساتين أورد الشيخ مُوسَى كَمَرَا ما نصّه من الحاجِ مَالِكْ سِهْ : هذه رسالة كتبها الشيخُ الحاجُ مَالِكْ سِهْ السنغَاليّ التِوَاوُنِيُّ نصيحة للإخوان وهي تدل على نورانية عقله ونصها « الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وبعد فهذه وصية جلبها قوله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة » « قيل له عليه السلام لمن يا رسول الله فقال لله تعالى ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم » من العبد الفقير الحَاجِ مَالِكْ سلك الله به أحسن المسالك إلى جميع

(١) أشار إلى الآية ١٩٨ في سورة الأعراف .

الإخوان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أحذّركم يا اخواني ثلاثة من يضمن لكم الجنة ومن يأتي مريضكم ويدعي أنه قادر على إبرائه فإن الجنة والشفاء بيد الله فليس للعبد إلاّ الدّلالة على الخير والدعاء إليه وغير ذلك دعوى لا بينة لها ومن يأتيكم وقت الوباء فيقول إن لم تكتبوا الشيء الفلانيّ أو تدعوا بالدعاء الفلاني أو يأمركم بذبح شيء من الحيوان أو يأمركم بتزويج بناتكم بغير مهر من الزواج ، وذلك ضرر لمن لم يكن له قوّة على تجهيز البنت من جهة ، أو يقول لكم هذا الكتاب من أحد الحرمين وكل ذاك كذب وغرور وتجنين إذ لو كان ذلك حقًّا لأتى به الحجاج كونه بعقولكم ومن أراد منكم الاستعاذة فليستعذ بالآيات القرآنية أو بالدعوات النبوية كلّ الصيد في جوف الفرى وشرّ الأمور محدثاتها وفي رسالة ابن أبي زيد رضي الله عنه وترك كل ما أحدثه المحدثون وأكَّد ما أحذّركم به بعد نفسي كلمة توارثتموها منذ زمان وهي قولكم فلان يأكل الناس ومن مات منكم لا تقولون انقضى أجله بل تقولون مات بسبب المخصوصين منكم بتلك الكلمة ولا يقولها إلا من لم يرد نجاة نفسه غداً يوم الحساب ليس بيوم الظنّ ولا سيما الوهم وكل ما لا تجاوبون به مولاكم غداً الا ظننت وأولى توّهمت فموجب للهلاك لأنّ ذلك الأمر وان كان فلبس لنا علم بتحقيقه ولذلك وجب السّكوت عنه قال تعالى « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم »[1] ورأيت في بعض الكتب أنّ اسمه وحجابه كذا ولكن ذلك لا يكفي دليلاً . واعلموا أنّ جور الملوك بسبب المعاصي لأنهم سوط الله في أرضه قال عليه السلام « كما تكونوا يولّى عليكم » وراعوا قول الله تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها »[2] ومن الأمانات ما يتعلّق بالله تعالى وما يتعلّق بالناس فلا بدّ من إيفاء كلا الأمرين واحذروا اجتناب بعض الأيام فإنّ إمَامَ المدينة مَالِك بن أنس رضي الله عنه ردّ جميع ما روي فيه من الأحاديث . قال رضي الله عنه الأيام كلّها لله وافشوا السلام بينكم ولو في المساجد وراعوا حقوق

---

(١) الآية ١٤ في سورة النور .

(٢) الآية ٦١ في سورة النساء .

عيال الله الذين تحت أيديكم وصلوا أرحامكم لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يصل من لا يصل والجزاء من جنس العمل وبرّوا والديكم لأن القرآن مشحون بذلك وبجّلوا المشايخ لأنهم الهداة ، ارحموا ترحموا ومن كان منكم يعامل أحداً مؤمناً أو كافراً فليعامله بالصدق والعدل ولا تغتروا بالمسائل الملقوطة فإن ابن الجرة لا يفتي بالطرّة وفي المعاملة يتساوى مال المؤمن ومال الكافر قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحبّ المقسطين »[1] وما يقوله بعض من يدعي العلم ان أموالهم حلال لنا ليس بشيء لأن الحلال له شروط لا يعرفها إلاَّ ذوو العلم وراجعوا قول الإمام فخر الدين الرّازي في تفسيره عند قوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »[2] ولازموا تلاوة كتاب الله العزيز لا يتوصل إليه إلا بكلامه أو بمثل كلامه والصلاة على النبي عليه السلام ويكفي في فضلها الآية الكريمة . وأما القرآن فإنه حبل الله المتين الذي لا يخف من انفصامه وهو الذي يقبّل الملائكة فم قارئه أعاننا الله وإياكم من ملازمتهما وحشرنا في زمرة أهلها آمين » .

فلهذه الرسالة أهمية كبيرة عند المسلمين السّنِغَالِيِّينَ . وما أشدّ تعلّقهم بالخرافات والمعتقدات الباطلة والتطيّرات وكم من مرّة خانهم مشعوذ جاءهم . وكم من مرّة خدعهم أوّل دجّال أتاهم . وما أكثر نغمسهم في النميمة وفي الفرية والوشاية لا مبرّر لها ! وما أخطأ عملهم بعدل لا يقومون به إلا لأهل دينهم وإن كتبت هذه الرسالة قبل عام ١٩٢٢م سنة وفاة صاحبها فكأنّما أنشئت الآن لقتال هذه الآفات بالذات : الشعوذة والنميمة والغرور والظلم واستغلال سرعة التصديق لعامة الناس والعمل بالتمائم وغيرها .

وها هي ذي نبذة من خطبته[3] لعيد النحر بعد المقدمة : « أمّا بعد فيا عباد الله جدّدوا الإيمان في كل ساعة وأوان وصحّحوا النّيات قبل الدخول في العبادات .

---

(١) الآية ٨ في سورة الممتحنة .

(٢) الآية ١٨٤ في سورة البقرة .

(٣) راجع صفحة ١٤٦ من الديوان .

إيّاكم والانهماك في المعاصي والشهوات ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان المضلات ، واتقوا الله فيما تأتون وما تذرون ، قال تعالى : « انما يتقبل الله من المتقين »[1] وفي الحديث : إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » قال عليه السلام : « اخلصوا عبادة الله وأقيموا خمسكم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وصوموا شهركم وحجّوا بيت ربّكم تدخلوا جنّة ربكم » ، الله أكبر من كل كبير ، وهو على كل شيء قدير وبالاجابة جدير نعم المولى ونعم النصير ، اعلموا أن قد سنّ نحر مسلم قادر غير حاج ضحية عنه وعن أبويه الفقيرين وعن الولد الصغير ذي الاحتياج ، لا غيرهم من الأقربين ، وان يتيماً فيضحي له من له عليه تمكين ، وذلك مشروع من زمن أبينا الخليل ، حيث أمر بذبح ولده اسحاق أو اسماعيل والقادر عند مالك الإمام أن لا يحتاج لثمنها في العام ولا يتسلف لها خلافاً لابن رشد العلاّمة النّاقد البصير الفهّامة ، وقال بعض العلماء من له ثوبان أحدهما يكفيه باع الثاني واشترى به الأضحية كما يبيع ثوب الجمعة لذي القربة العالية ومن له قبل مضي زمنها يسار فليضح من غير استيخار بجذع ضأن وهو ما أوفى سنة ودخل دخولاً ما . في ثاني العام وثني معز وهو ما أوفي سنة ودخل في الثانية دخولاً بيناً كالشهر التام . وثني بقر ما أوفي ثلاث سنين ودخل في الرابعة . وثنى ابل ما أفي خمس سنين ودخل في السادسة ولا شركة في ذاتها بل في أجرها بشرط قرابة وسكنى وانفاق وكان ذلك قبل ذبح المالك . وفائدة التشريع سقوطها عن الأصل والفروع واجزأت المقعدة لشحم ومكسورة القرن ان بريئ والجماء لا ذات مرض بين وعرجاء وعوراء ولو بقيت العين بصورتها وناقصة جزء غير الخصاء ، وذا هبة ذنب وما فوقه من اذن ومشقوقة إذن كذلك وصمعاء جداً وبتراء . وذا هبة ما فوق الواحدة من أسنانها لغير إثغار وكبر وبخراء وبكماء، ويابس جميع الضرع وعجفاء . والظاهر في الاذنين اغتفار الأقل ، واحتمل عدم التلفيق في الذهاب والشق ولو في اذن إلا أن يكون ذلك في محل وفحول كل نوع أفضل من خصيانه . وخصيانه أفضل من اناثه . وإناثة افضل من فحول النوع

(١) الآية ٣٠ في سورة المائدة .

الذي يليه ، سبحان من كل نوع جعل زوجين فيه . وذكور الضأن أعلاها ، واناث الإبل أدناها ، ووقتها للإمام بعد صلاته وخطبته ، ولغيره بعد ذبحه ، وفي غروب الشمس في اليوم الثالث التمام ، ولا يراعى في غير الأول ذبح الإمام ومن ذبح قبل الإمام فليس له إلاَّ اللجام . وندب أن يكون لها ممّا لا يمنع إلا جزاء السلام . وأن تكون من أعلى الأنعام . وندب سمين وذكر وأقرن ، وأبيض وفحل إن لم يكن الخصي أسمن . ولا يجوز بيع شيء منها ولا أجرة ولا بدل . فمن فعل واحداً منها فقد عدل . وقد ضحى عليه السلام بكبشين أملحين أقرنين ينظران في سواد ويبركان في سواد ويمشيان في سواد ذبحهما بيده الشريفة وفي رواية وقال : « بسم الله والله أكبر اللهم هذا عني وعمّن لم يضحّ- بتشديد الحاء – من أُمّتي » وعنه عليه أفضل الصلاة والسلام « ما من مسلم توجه بأضحيته إلى القبلة إلا كان دمها وفرثها وصوفها حسنات محضرات في ميزانه يوم القيامة » وعنه أيضاً « عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم » عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً « ما من صدقة بعد صلة الرحم أفضل من اراقة الدم » . واعلموا أن عيد النحر أكبر العيدين . وهو الذي قال فيه عليه السلام سيد الثقلين : « إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم ألا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » الحديث يتجلى فيه مولانا ليزوره المؤمنون . فيعتق الوفا من المجرمين . والملائكة شهود . ليشهدوا عظيم عفوه عن العبيد والصدقة في يومهما تزيد على الصدقة فيما سواهما بسبعين . والله يضاعف لمن يشاء من العاملين والصلاة والنحر في عيد النحر أفضل من الصلاة والصدقة في عيد الفطر . ولذا أمر عليه السلام أن يصلي وينحر شكراً على اعطائه الكوثر ، والضحية في يومها أفضل من العتق والصدقة لأنها سنة موكدة . قال الإمام مالك وعنه غير ذلك والسنة للقادر أن يذبحها لنفسه اقتداء به عليه السلام ، والسلف الصالح الاعلام فإن عجز مسلم استناب وحضر معه ولا يعطي المناب . في نظير عمله شيئاً منها كالجزار في جزارته ، إلاَّ إذا علم أن الاعطاء للمكارمة لا لخدمته وكذلك القرآن ، يجري على ذلك الميدان ويطلب من ظهر هذا اليوم عقب الفرائض التكبير لصبح رابعه عند مالك بن أنس الإمام الشهير وندب فيه تأخير الفطور

ولو في حق من لا أضحية له صوناً لفعل البشير النذير وندب أحياء ليلتي العيد بعبادة المهيمن الشهيد وغسل ومبدأ وقته من السدس الأخير وبعد الصبح أفضل عند الخبير وتطيب والتحلي ولو في حق من لا يصلي وحرم على امرأة تخرج لذلك ولو بإذن زوجها المالك والمشي والجهر بالتكبير إلى أن يجيء الإمام أو إلى الصلاة قام وتتأكد الصدقة وصلة الأرحام ومواساة المساكين والرفق بالأيتام قال جلّ وعلا ربنا السلام : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام »[1] والجنة لا يجدر ريحها القاطع والعاق جعلنا الله من زمرة العشاق ومن جاء من سبيل فليرجع من غير ذلك السبيل واعلموا أن « ما عندكم ينفد وما عند الله باق »[2] وما الحياة الدنيا إلا متاع من لا خلاق له ، قال عليه الصلاة والسلام : « أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي ثم نرجع فننحر من فعل ذلك فقد أصاب سنتنا من ضحى طيبة بها نفسه كانت له حجاباً من النار « الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا سبحان ربّك ربّ العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين » .

قد رصّع الحاج مالك سه خطبته بكثير من التفصيلات حتى نسأل من أين استطاع الخطيب أن يقتبسه . فمهما يكن من الأمر عرفنا بهذه الخطبة ما هو عيد الأضحى حق المعرفة وتقسيم تصميمه واضح جدّ الإيضاح وأدلى بحجج دامغة ؛ لأنه استشهد بالقرآن والأحاديث ، وبآراء الإمام مالك بن أنس وابن رشد والأئمة الآخرين .

وسنجد هذه الصفات في الخطبة التالية التي ألقاها بمناسبة عيد الفطر وهي خطبة ممتازة في جودة معانيها وفي أناقة لفظها فالخطيب أتقن سجعه وهذا دليل على براعته في اللغة العربية . انظر أيها القارئ إلى هذه الفقرة (أن ليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن طاعته تزيد) ، (أما بعد يا أيها الإخوان وقانا الله وإياكم كيد الخوّان فاعلموا أن بارك الله على هذا اليوم وعظم قدره وحرم صيامه

(١) الآية ١ في سورة النساء .

(٢) الآية ٩٨ في سورة النحل .

وأوجب فطره وأمر عباده أن يظهروا فيه شكره ليرى عليهم من انعامه أثره ، إن الله يحب أن يرى أثر نعمته كما جاء في حديث خبرته فشرع التزين لغير من يخرج من النسوان وتزينهن عند الخروج في جميع الأوان فإن بني إسرائيل نالوا بذلك لعنة الجليل ... وتنزل الملائكة الكرام في يوم العيد لأهل الإسلام فيتصفحون القبول في وجه من صام وقام ، فيا سعادة من قبل له الصيام والقيام والرجوع إلى طاعة الرحمن علامة القبول والرضوان وإلى المعصية علامة الطرد والخذلان من الله عباد الله ففي التقى السعادة والنجاح والكرامة والفوز والفلاح اياكم ثم اياكم الكذب والخيانة فجميع الخير في الصدق والأمانة قال تعالى : ألا لعنة الله على الكاذبين »[1] وقال أيضاً «وإن الله لا يهدي كيد الخائنين »[2] وفي الحديث : « أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » وعن إمامنا مالك تعالى الله المالك أن الناس كانوا يؤمرون بالأكل يوم الفطر قبل الغدو إلى صلاة العيد ... وبادروا بإخراج زكاة الفطر المطهرة لصيامكم فادفعوا للفقراء إخوانكم وأغنوهم عن الجولان وفي تأخير القادر عن اليوم العصيان وأخرجوها ندباً قبل البكور تعجيلاً لمسرة الفقير ... وهي صاع أو جزؤه عن كل مسلم ومن يمونه لزوما وينفق عنه بقرابة أو زوجة وأن لأبيه وخادمها[3] إن كان رقيقاً وكانت من أهاليه أو رق لا رقيق الرقيق ولا الأجير عند أهل التحقيق فضل عن قوته وقوت عياله في يومه ولو خاف ضرراً من بعده وفي المدوّنة وجوب سلفه إن رجا الوفاء أو علم مسلفه بحالته والصاع أربعة أمداد بمدّ سيّد العباد عليه أفضل الصلاة والسلام ما دام ملك الله السلام ومده عند أهل التحقيق والبحث الأنيق ملء الكفين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين وتؤدي من جل عيش أهل ذلك البلد ... إذ المقصود إغناؤهم[4] في اليوم بما كان ممكناً . والمعتمد أن يخرج منهما[5] قدر الصاع من الميزان وصوب

---

(١) الآية ٥٤ في سورة البقرة .

(٢) الآية ٥٢ في سورة يوسف .

(٣) أي خادم الجهة التي بها النفقة .

(٤) الضمير عائد إلى الفقراء .

(٥) الضمير عائد إلى اللحم واللبن .

ما يشبع الإنسان وندب اخراجها من قوته الأحسن ... وندب في القمح غير الغلث غربلة وتهذيب وفي غربلة الغلث الوجوب ودفعها لزوال فقر ورق في يومه . واخراج مسافر عن نفسه إن ظنّ إخراج أهله عنه لاحتمال النسيان وإلا فالإخراج واجب عليه حيث كان ...

... وجاز دفع صاع لمساكين وصاع لمسكين واختلف في دفعها لفقير مخرجها وقال البعض هذا إذ رد عليه عين ما أخذ منه الإمام ، وإلا فلا مَلاَم . والراجح من التأويلين جواز الإخراج قبل الوجوب باليومين ويطلب عند الإخراج للنفس والصدر طيب وانشراح وأن لا يرى المعطي لنفسه على المعطي الفضل والصلاح بل يعتقد أنَّ ذلك من واجب الحقوق من الله عليه لأدائها بالتوفيق . ومن جاء منكم من طريق فليرجع من غير ذلك الطريق لتظهر الشعائر ويزداد حسرة كل كافر . واسألوا الله من فيض فضله الوافر واستمطروا بحر احسانه الزاخر . قال عليه السلام : شهر رمضان معلّق بين السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر » وقال ايضاً : « إن الله يطلع في العيدين إلى الأرض فابرزوا من المنازل تلحقكم الرحمة ولا تحزنوا لفقد جميل الثياب والله عنده حسن المآب إن متاع الدنيا قليل وما يختارها إلا الجهول » .

قد رأينا مؤسّس زاوية تجانية في تِوَاوُنْ وملماً منصفاً دقيقاً ومؤمناً مستقيماً نزيهاً وشيخاً تقدّمياً مصلحاً وباني مساجد وجوامع ومادحاً مفلقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللشيخ أحمد التجاني قدس الله سرّه وشاعراً دينياً ممتازاً غنائيًّا أتقن ذكر أحزانه ومسراته وأحلامه وخطيباً كثير مواهب أنيقاً وكاتباً كبيراً . فلكل ذلك تفتخر السّنِغَالْ بالحَاجِّ مَالِكْ سِهْ الذي ترك إنتاجاً خصباً متنوّعاً .

وله أيضاً بعض حكم واعتبارات أخلاقية لأجل ذلك كان الحاجُّ مَالِكْ سِهْ مفكّراً وهو القائل :

كم غر ذو زخرف من كان ذا سفه ... بعض الشياطين يوحي شر إيحاء
ومن على نفسه نادى بنقض عهو ... د ويليه حسرة من ترك إيفاء
لكل داء دواء يستطبّ بـه ... إلاّ الحماقة أعيت للأطبّاء

وله أيضاً :

هذا زمان سكوت مع لزوم بيو ت قائل الحق يعصي دون عصيان
الصمت حكم ولكن قلّ فاعله فلازموه لتنجو من مصيبات

وله أيضاً

وإلا فانَّ النّخل ليست بنافع إذا لم يكن فيها الثمار تطيب
لسانك إن أطلقت يأكلك إنّه كليث الشرى العادي الجرئ وثوب
وحق على التجار أن لا يفاخروا قبيل رباح والحساب حزيب
ولكن جدوى الذكر إن لم يكن به حضور قليل والحضور غريب

وله أيضاً :

من لم يطر عنه طيور أربع فروحه إلى العلى لا ترفع
النسر والطاووس والغراب والديك رعيها عداك العاب
لأننا كالنسر والطاووس في الأكل والزينة بالمقيس
كما لنا حرص الغراب وكذا شهوة ديك فلتراع المأخذا

وله أيضاً :

لقينا زماناً لا يبالون بالهدى وما همهم إلا طويل بناء
زمان طموح العين دون قناعة وما دينهم إلا امتياز ثراء

ومهما يكن من الأمر كان الحاجُّ مَالِكْ سِه سريع التأثر رقيق الجانب كما دلّت على ذلك هذه الأبيات :

أنوح كما ناحت حمامة أيكة يهيجها نحو البكاء هديل
ودوني يعقوب على فقد يوسف وترحمني وقت النواح ثكول
فوا كبدا من حب من لم ألاقه وبحر اشتياقي للهيام يهول
لبحر الهوى قعر فمن رام نيله بكل ولا يعزى إليه وصول
فنار الهوى تذكى من البعد والكلى تقد ولا تدوى جواي عتيل

ولقد أشاد به كبار المشائخ شأن الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ أَمْبَك الذي كان دأباً يسلم عليه بقصيدة لطيفة كالمدح الذي هذا مطلعه :

وما اتخذت خليلا كنت أعرفه الا جعلتك فوق الكل بالرتب

وقال الشاعر محمد بن عبد الله بن قفا العلوي حين زار ضريح الحاجّ مَالِكْ سِهْ :

ألا أيها القبر الذي ضمّ جسمه ضممت الذي فاق البرية في الدهر
ضممت جمال الدين بدر كماله وشمس هداه في الظهيرة والعصر

وقال في حقه أيضاً الشيخ سَعْدُ أَبِيهِ :

على فائق الأقران مالك دهره يعود سلام طاب ليس له حدّ
تطيب به الأرواح إن فاح نشره وفي طيّه من عندنا الود والعهد
فوجبه إنا جعلنا جزاءكم يقوم به عنا لك الصمد الفرد
فأفضالك السّامى عزيز مناله وان سامه المخلوق يقصر به الجهد
وأن يكن الأشراف حازوا سعادة وسعدا من المختار ما مثله سعد
فمالكنا المشهور حازا اجتناءه فنال مقاماً دونه النشر والسعد
مدارسه في العلم خير مدارس وأوراده في الذكر ما مثله ورد
ولا زالت الأيام بيضي بنوره وسود المعاني من عبارته تبدو
ولا زال في الارغام ضدّك دأئماً ولا زال يحوى ما يروم به الودّ ..

السَّيِّدْ أَبو بَكْرْ سِهْ

كانت بنات الحاج مَالِكْ سِهْ أكثر عدداً من أبنائه ومنهن زوجة الحاج سَعِيدُ نُورُ تَالْ للحاجِّ عُمَرْ ومنهنّ أيضاً زوجة الحاج الهَادِي نُوري وكان للحاج مَالِكْ ستّة أبناء : أَحْمَدُ[1] القتيل في وِرْدَنْ سنة ١٩١٤ م وَأَبو بَكْرْ وَالْمَنْصُورْ وَعَبْدُ الْعَزِيزْ وَالحَبِيبْ وَعُثْمَانْ الذي توفيّ في صغر سنّه .

وعند وفاة الحاج مَالِكْ سِهْ في عام ١٩٢٢ م صار ابنه أَبو بَكْرْ سِهْ خليفة

(١) ولما طلبت منه فرنسا جنداً أرسل الحاج مالك سه ابنه هذا قائلا : إن سائر طلابي هم أولاد المسلمين الذين عهدوا بهم إليه وأنه ليس له الحق أن يرسلهم إلى القتال في الحرب العالمية الأولى .

للطائفة التجانية السِّنِغَالِيَّةِ ومن المعروف أن مؤسّس زاوية تِوَاوُونْ قد جعل الحاج سَعِيدَ نُورُ تَالْ منفذ وصيّته وفوّض إليه أُمور عائلته غير أن حفيد الحاج عُمَرْ ترك أهلية الإرث بل الخلافة لأَبِي بَكْرِ سِهْ . وليست الخلافة بيسيرة حينذاك إذ كان على الخليفة الحديث السّن أن يسلك بالطريقة التجانية مسلك أبيه و « أن يواجه منافسة الطريقة المريدية وطريقة حماه الله . كانت سنة وفاة الحاج مالك رحمة الله عليه تقابل وقت تجدد نشاط الدعوة إلى المريدية . وكان التجانيون يعتمدون على تعليم إمامهم المغفور له ، وعلى نشر الشريعة والقرآن والسُّنة النبوية ، وكان أساس تعليم الحاج مَالِكْ سِهْ تقليداً أسوة به عليه السلام وإقامة الفرائض وحدود الله والجهاد للأهواء التي تحول بين المرء وبين وجوب الصعود من الانحدار الوعر نحو الارتقاء الروحانيّ بينما كان في جانب المريدين الصالحين الذين امتثلوا تعليم الشيخ أَحْمَد بَمْبَهْ بعض اتباع متحمّسين قليلي التعلّم كأنّهم كانوا يعبدون إمامهم [1].

لم يقل إبْرَاهِيمَ مَرُونْ في حكمه الحقّ كل الحق إذ فاته التصريح بأن هؤلاء المريدين الصالحين هم يمثلون الأغلبية المطلقة من طريقة أَحْمَدْ بَمْبَهْ .

ولكنه كان حينئذٍ عامل آخر يعكر صفو أمور الخليفة الجديد وهو السياسة فإنّ توسّلات نائبين « أَنْكَلاَنْدُوجُوفْ » و « لامِينْ كَيْ » إلى أبي بكر سه ظهرت وأخلّت بنظام صفوف أتباع التجانيين فأطال الخليفة مدّ صوت الامين كي كما فعله الجاج الشّيخْ أَمْبَك الجفيد لأَحْمَدْ بَمْبَهْ وكان الجاجُّ الفَاضِلُ أَمْبَكْ الخليفة العام للمريدين السيد لُوْثُولْ سِدَارْ سَنْغُورْ ولا ينبغي لنا أن نذكر القتلى والجرحى والخسائر في ١٣ حزيران سنة ١٩٥١ وكان الشيخ أَحْمَدْ التِّجَانِي سِهْ ابن الخليفة ينصر أيضاً لُوثُولْ سِدَارْ سَنْغُورْ وبقيت جمعية تجانية اسمها « دائرة الكرام » وفيّة بالخليفة ضدّ أخويه الحاج مَنْصُورْ سِهْ والحاج عَبْدُ الْعَزِيزْ سِهْ فأورث هذا الفرق الكثير من الحوادث التي جرت في ١٦ من شهر آذار سنة ١٩٥٦م وسفك الدم فيها .

فتوفي بغتة السيد ابو بَكْرْ سِهْ رحمة الله عليه في ٢٥ من شهر آذار سنة ١٩٥٧م

---

(١) راجع كتاب « الطريقة التجانية » لإبْرَاهِيمَ مَرُونْ .

ومات أخوه الحاج المَنْصُورْ سِهْ بعد بأربعة أيّام . قال إِبْرَاهِيمَ مَرُونْ : « إن الخليفة أَبا بَكَرْ سِهْ قبل موته دعا بأخيه المَنْصُورْ للاصلاح بين ذاتيهما فعاق أهل الخليفة عن تلبية أخيه لدعوته فانتقل إلى جوار ربّه قبل أن يجمع شمل الطريقة »[1]

لقد أكّد بعض أولاد السيد أبي بَكَرْ سِهْ أنّ لوالده ديواناً ضخماً . غير أنّنا لم نعثر إلا على قليل من قصائد الخليفة الأوّل . والاغراض التي تناولها هي المدح لأبيه الحاج مَالِكْ سِهْ أَحْمَدِ التِّجَاني والرثاء وغيرهما .

مدح السيد أَبو بَكَرْ سِهْ رحمة الله عليه الشيخ أَحْمَدَ التِّجَاني بهذه القصيدة :

قد انقطعت للأرض عنك المجامع ... وباللهف والأحزان ها أنت جامع
ألا أرحن نّفسا تكاد تقول من ... طلابك أخباراً وصمّت مسامع
فمن أين تدري من درى بعد رحلة ... دواء افطمام ضلّ عنك المهايع
فمالك من طيب المعايش نحـلة ... تروم على طول فما هو نافع
الا فاصبرن لا تبعدن صاح إنّما ... تباري حمام الايك وهي تساجع
وتغري دموعاً بالبكاء مجاوباً ... بغمرية والقوت فيك مدافع
واختنك أشواق وأنت بمعزل ... وقلبك في حوم وصوتك رافع
تبيت بـأم أليـلٍ متعـاكر ... فلم يتميز جامع وصوامع
كأنّك لم تعرف معاهد بعدهم ... وتسحق كل السّحق عنك المهاجع
أجل زارني طيف الخيال ببعدهم ... فلم يبق لي نحض إذا الودّ ناصع
فمن كان ما يشكو الجوى بعدما هوى ... فمن كان ما يشكوَ النوى وهو قاطع
أيا لأمي لمت السّليم وعقله ... تعلّق في فيز وما هو سامع
فمن أين يأتيك العزول ومنجد ... ألم تعلمن أني على الشح بائع
ستأتي به أعجوبة قبل لومة ... لعذر تلا بالحق ما الله صانع
فلو صار يلحاني ملمّا لفاته ... مرام بعلم السّرّ ما هو شافع
أخا اللوم لا تطنب فيا لك من ذلّ ... عداك عداك الحال والحال واسع
فيا أسفي قد ضقت ذرعاً للوعة ... فوا كبدا ملحبّ والقلب لاذع

---

(١) راجع صفحة ١٣٥ لكتاب إِبْرَاهِيمَ مَرُونْ .

فبحر اشتياقي قد تموّج قهره   أيا منقذاً اني غريق وفازع
فإن ضنّ دهري أو يكاد يزيغني   جناب ولي الله وهو المراتع
جناب وليّ الله منقذ مهجتي   بلا مهلة يا صالح ها أنا طامع
مكارم أخلاق وتزري بنسبة   لأصـــداف بحر فار وهي لوامع
ذكاء وفاء بل سخاء أناته   وحلم وصبر انّه متواضع
وعفو وايثار عفاف صيانة   وسعي حنان واحتمال يتـابع
له أدب بل نجدة وشجاعة   فتـوّته حقّـا عـلوّ يـرافـع
له رحمة بل فطيـة بعد رأفـة   له شفعة بل همّـة ومنـافع
متبع بخمد الله مرماه وصلة   فمن عـزّه بيض الأنوق يمانع
عجيب بنصر الله في كل حالة   مهمّ بـآراء إذا هو راضع
جليل حفيظ عالم هو عيلم   وحزم متين بالاوامر طائع
قويّ رويّ بل هدى متبين   ونور سنيّ نيّر وهو ساطع
لقد خصّه الرّحمان ختم ولاية   فذاك وارث بالختام مقـانع
علا وعلى الأقطاب دروة مجـده   قد استسلموا حقًّا إذا الحكم واضع
أيكفيك ظنّ الحاتمي يظنّه   لرتبة هذا القطب وهو منازع
وأنشأه الرحمان ما شاء نشأة   قياسك في حق [illegible]ذي وهو قاطع
فذلك فضل الله يوتيه من يشا   مشيئته تعي [illegible] المفـازع
أيا سالكاً أسلوب شيخي تفرّدن   فجمعك بالمولى مع الغير شانع
لقد حرّم المولى عليك تناكحاً   بأن تجمع الأختين فالحكم شائع
فإيّاك إيّاك إنخــرامك فاغتبط   قد انخرطت عين وعينك وازع
فمن ذا الذي يأوي إليه ولم ينل   بسعد من الدّارين لو هو ضاجع
تكلّ به الأعلاق حين سلوكه   وتذييل أطراف المطارف واسع
وترفيـله رحب المعيشـة خـالداً   ويعلو فويق المستمى وهو بارع
فمن ذاق اريا لا يكاد يمجّه   مناهله لا تنقضي تي مرابع
ولم لا فذاك المصطفى الحبّ جدّه   رسول هدى بالحشر بالكلّ شافع
فمن يقظة يأتي له عن منـامه   عيانا فذاك الفضل والفضل رافع
فلقّنه بالورد تلقين صـــدقه   وأورثه جمعاً إلا وهو جامع

لقد ترك الكمّال لمّا بدى له   مربّ وجدّ كامل وهو تابع
فواسطة الأقطاب بعـد وسائط   ويمددهم بالفيض فالـكل ناصع
لقد قال ملحق البقين عناية   على حوز هزّ قول حق يقارع
فقد حال ما قد حال والحال هالهم   كفى ساحل للبحر بالفكر دافع
فما رأت العينان مثـل أميننـا   عجائبه حقّ القياس بدائع
حمى أهله بالشكر حقّ حماية   قبيل رجوع للعلي . وهو راجع
تحيّر أبليس الأباليس خيبـة   وقد عزّه البطلان بل وهو هالع
يدرّس تنزيلا على حين سبعه   كما أنزل الرحمان ما هو ضالع
فخاض بجوار بعد ذكر زواخر   فلما انتهى ضاع الأماني الوقائع
لقد أرجح المختار بالحق حبّه   إليه تمنّاه الرجال الرّوائع
لقد خصّه حبّا وقد عمّم الورى   وأورثنا التخصيص والبدر طالع
ضمـانته محمـودة لسـوالك   طريقة محمود أتتها المجامع
فلا تقصرن يا صاح بخثاً بفضله   بكتب ترى كشف الحجاب تراجع
فمت غمّة يا منكر الحقّ دهمة   أتطفئ نور الحقّ والنور ساطع
تخلد من قد أصدق الحقّ حسبة   أخي ثمر الأفضال للقرم يانع
له رتب تزداد من كل مسند   بتزداد حصر في الصّبي وهو يافع
فكم عرصات من علوم تعدّدت   بها خيم الالهام والكلّ ماصع
فما الحقّ حقّا مبلغاً حقّ قدره   به بشر لا غير والفيض مائع
شجيت لأقدار الحكيم ولم تدع   عناني لأوطان الحليم أهارع
فكيف يطيب العمر والحال بعدما   يئست بنظر الرّوض والحزن نافع
هناك بصير الدّاء داء بصيرتي   طبيب قلوب والقلوب قواطع
هناك كمين كامل متصرّف   رضاء بساط الحقّ ما يشاء صانع
هناك خضم قد طمى بعد ما انتمى   لبحر غزير قد طمى وهو هامع
صلاة وتسليم على شافع الورى   محمد المحمود وهو المطالع
مع الآل والأصحاب أنصاره كذا   ومن ساجد طوعا لذي العرش راكع

وليس غنياً عن البيـان أن نحلّل هذه القطعة في معناها وفي لفظها لأنّ الشاعر قد شبّب وناح كحمامة هيّجها بكاء الهديل ومدح ولم يغير المنهاج لكن أبرز قريحة

صحيحة وبساطة أسلوب بإيقاع رخيم جدير بالإعجاب .

وهذا تقريظ عبد ربّه أبي بكر سه في خلاص الذهب في سيرة خير العرب لوالده وشيخه ومربيه السيد الحاجّ مَالِكْ عليه رضى المالك :

١ يا من أتى بخلاص فائق درراً   قد جئت ما يعجب السّودان والغررا
٢ قد صغت في سيرة المختار شافعنا   ما يخجل الجوهر الياقوت والدّررا
٤ وما أتي خالص الأبريز مجلسه   درّ اليتيم لدى أرجائه اعتذرا
٥ كم جئت بدعا وتعيي في معانيه   أهل القرائح كم أفحمت من شعرا
٩ والاعتماد كثير عليم العلما   بحر الندى حيث جئت النظم والطّررا
١٠ إنَّ المواهب تأتي من مواهبكم   والشرح والحلبي التاريخ قد حضرا
١١ إنَّ الشفاء شفاء للصدور فلم   تبق الجوائج في يعقوب حيث جرا
١٢ وسيرة ابن هشام غير باقية   عدّ عتمادك في الآداب والنّظرا
١٣ قد كنت مجتهداً في الحلّ معتمداً   على اللسان كذا القاموس ما اقتصر
١٤ تاج العروس من الإيضاح جئت به   ونشر الطّيّ ممّا حبّر البشرا
١٥ وغير ذلك ممّا قد ذكرت من لـ   عصفين من سير والحلّ دون مرا
١٦ هذا كتاب نفيس قد جمعت لنا   فيه الأحاديث والآيات والسّيرا
١٧ هذا كتاب عجيب جامع حكماً   تزري الرياحين والنسرين والعطرا
١٩ والنظم والنثر مشهوران عندك والـ   افلاج ما أحسن الاسجاع والفقرا
٢٢ كم دار فكرك آفاق العلوم وكم   أخرجت منها مفيداً قاضياً وطرا
٢٣ وكل فنّ لسان الحال قال لكم   ألق العصا تلق من تيسيرنا ما عسرا
٢٤ أمنعت أتقنت أكملت الجميع وقد   أنكحت من عمل علما كفى انتشرا
٢٥ وبحر علمك يكفي الناس ساحله   سيّان فيه قريب باعد شمرا
٢٧ يا مادح الخير والمختار من مضر   جزيت خيراً عميماً شاملاً وفرا
٢٨ أحسنت مدحته وزرت روضته   وطفت بيت إلهي الحجر والحجرا
٢٩ وقمت في حقّه لله مجتهدا   أفنيت منك بمرضاة العلي العمرا
٣٠ مدحت من طيبه طيب الأصول ومن   ضمّ الإله له اسماً للسّما وسرا
٣٦ هذا كتاب الإمام الحبر مالكنا   يا تحفة المالك المولى الذي اقتدرا

٣٧ تنافسوا أيها الإخوان جاءكم   منّا من الله مدح قد فشا خبرا
٣٨ وحصّلوه ولا تنحوا إلى ضجر   قوموا إليه سراعاً دون من فترا
٣٩ وقابلوه بحسن من ينـابله   يحوي المسرّة والخيرات والفخرا
٤١ وكلّ صيد لدى جوف الفرى مثل   فمن يدلّ على جوف الفرى فقرا
٤٣ تنبّهوا يا أناسي واتركوا دعة   توجّهوا وهو ينفي عنكم ضررا
٤٤ قد قال ربّي جلّ الله فاستبقوا الـ   خيرات بل سابقوا من بعد ذا أمرا
٤٥ لله لله من مدح برى كبـدا   فيا لراحٍ يميل القلب وهو كرى
٤٦ فيا سعادة من قد كان لازمه   من اللوازم في أوقاته نظرا
٤٨ قوت القلوب لأهل العشق زائدهم   مودّة خير ممدوح قد اشتهرا

وقد جمع الشاعر بين المدح والدعوة إلى الطريقة التجانية ومهما يكن من الأمر فقد استحقّ الممدوح الثناء عليه وأحسن المادح مديحه كما أتقنه في قصيدة نونية فهاكم نبذة :

وقـلبي في العـلاقة قد كفاني   أنا والله حقًّا فيـك فـان
فدارك بالسليم بتيـه شـوقاً   على تيـه الصبـابة يا لعـاني
فردّ اللـوم لا تطنب حسـيرا   نبا سمعي بلومـة من لحـاني

وقبل أن نودّع السيد أَبَا بَكْرٍ سِهْ نورد بعض أبيات من مرثيته لألفا الهاشمي ابن أحمد بن سعيد أي كان الهاشميّ هذا أبناً لأخي الحاج عمر :

١ إنّي نعيت بحبّنا أَلْفَا هَاشِمٍ   نعم المجاور بالنـبي الهاشمي
٢ ولقد قضي ربّ الورى بوفاته   نسشا بهجرة خير الخلق الرّاحم
٣ طابت حياة مجاور ومجـاور   برضي العلي أكرم بعيش الفاهم
٤ أرض المدينة قد بكته بظاهر   لكن لباطنها السّرور القادم
٥ نعم الوفيّ المرتضى بجـواره   أرض البقيع حوت بروضة عالم
٦ علم وجود والتقى وسيـادة   حشو الضريح وحكمه بمكارم
٧ مأوى الضيوف إذا أتوه زيارة   روض الرسول وحجّ بيت الحاكم
٩ والله ما ضحكت أخي دنياه من   أخراه قيد حيـاته بلوازم
١٠ فالموت مجتاح الورى ولـكلّنا   منه النصيب فلا محيض لنا ثم

١٣ أن تحشر الرضي الْفُوتي الصّفي في زمرة الفيض الإلهي الخاتم

وان كان الخليفة أَبُو بَكْرْ سِهْ قد تهمّه أمور الدنيا ودوره في إدارة الطريقة التجانية كانت له قريحة شاعرٍ أخّاذ مشبوب عاطفةٍ ، وغنائيٍّ ، وذي مواهب حتى أنشأ قصائد بالْوُلُفِيَّةِ .

الشَّيْـخُ أَحْمَـدُ التِّجَـاني سِهْ

لقد كان للخليفة أَبي بَكْرٍ سِهْ اثنتا عشرة بنتاً وسبعة أبناء وهم الْمُصْطَفَى ، والْمَنْصُورْ ، والشَّيْخ أَحْمَدْ التِّجَاني ، وَعَبْدُ الْعَزِيزْ ، وَالْحَبِيبْ ، وَأَحْمَدُ سِهْ (وكانت أمّها من قبيلة لِيبُهْ) وَمَالِكْ . وبعد وفاة والدهم ظهرت عند الملاحظين نزعتـان انتمت إحداهما إلى المُصْطَفَى وأَحْمَدْ سِهْ في دَكَارْ ومالت الأخرى إلى الشَّيْـخْ أحْمَـدْ التِّجَـاني مـع الْمَنْصُورْ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ وَالْحَبِيبْ وَمَالِكْ في تِوَاوُنْ . والذي فرض نفسه على الجمهور بذكائه وبحب المغامرة وبثقافته ونشاطه الجارّ وشعوره بالتقدم هو الشَّيْخُ أَحْمَدْ التِّجَاني الذي قد وُلدَ في سنة ١٩٢٤ م وما زال يقدّم نفسه الوارث المعنويّ والحقيقيّ لوالده بل لجدّه ولقد أعطى نفسه لقب « خليفة التجانيين في السِّنِغَالْ » في كتابه « مجهول الأمّة السِّنِغَالِيَّةِ » أو أعطاه إيّاه الطابع لكتابه هذا في سنة ١٩٦١ م . ومن المعروف أنّه كان في الطليعة للحركات التي فتقت بين التجانيين أو كادت وكان كثيراً ما ينصر نُوبُونْ سِدَارْ سَنْغَـوْر ويؤيّده حتّى عيّنه سفيراً مثّل السِّنِغَالْ في الجمهورية العربية المتّحدة عند استقلال البلاد .

وفي الحال إذا تكلّف أخوه المَنْصُورْ سِهْ بالتعليم فهو الذي يدير الأمور المادّية مثل بناء الجوامع والعلاقات بين العائلة وأولي الأمر في الدولة . وهو الذي يستقبل في حفلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بتِوَاوُنْ الممثّلين الرّسميين ويلقي بعض كلمات في افتتاح الحفلات الدينية بهذه المناسبة .

الشَّيْـخُ التِّجَـانيُّ الشَّاعِـرُ

ولقد تعلّم الْفَرَنْسِيَّةَ ، ولكن فهمه للعربية أحسن ، وأتقن كتابتها ولمّا كدر صفو العلاقات بينه وبين أهل العقد والحل ألّف هجاء مقذعاً قائلاً مثلاً سنة ١٩٦٣ م :

يا سادة الإسلام يا نجم الورى ما أكرم الإسلام إن لم يشترى
طفت الحكومة والحكومة إن طغت يوماً تقابل بالفؤاد كما جرى
مسّت بكلّ كرامة أعضاؤها وبمسّها تمشي الحكومة قهقرى
علموا بأنّ الدين يقوى بالأولى جعلوا العقيدة مغنماً لن يخسرا
ولـذاك يخـبرونكم بـدراهم إنّ الدراهم رزق من خلق الثرى
قوموا أئمة ديننا واستيقظوا ودعوا التنازع والتكاثر والمرى
فلطـالما أهمـلتم لرقـودكم شيئاً يطالبكم به ربّ الورى
إنّ التشيّخ في الزمـان تزلّق وكذا التكسّر لا يفيد لمن درى
كونوا رجال الله مثل محمّـد والآل بل أصحابه أسد الضرى
فتحوا المشارق والمغارب كلها لا بالتشيّخ والتكسّر والكرى
وإذا تركتم للحكومة فرصة تطغى على الإسلام في كل القرى
مـاذا يغـركم بشـر حـكومة خانت أذل خيانة ما أخسرى
إنّي أسلّ مجاهداً ومكافحـاً سيف الإله ولا أجانب من عرى
فالسجن ليس برادع ذا همّـة والسجن نعم حمى الشجاع إذا طرى
كذّبوا عليّ لجورهم ونضعفهم والجور بئس حمى اللئيم المكترى
انّي أخاطب باللسان ’حجّـتي أو لا فبالقلم الذي لا يشترى

هذه الأبيات قالها الشيخ أحمد التجاني واعظاً شبّان السّنِغَالْ :

يا سِنِغَالُ بكيت كلّ بكاء لتوغل الشّبان في البـاساء
وبكيت حيث أرى بكاءك واجباً وبكى سواك من اكثر العقلاء
فغلوّنا شبان أرضك دائمـاً عمّا يزيد المرء كل ثنـاء
أدّى إلى هذا الذي قـد ذمّـه لسان كل مفكّر صرفـاء
ما للشّباب إذا غدا لم يجن من ثمر المعارف خير كل جناء
وإذا غدا لم يحترف ليجوز ما يقضي به الحوجاء كل قضاء
إن الجمال في الزمان رذيـلة والفقر شر نكاية وشقـاء
ولذي التقاليد القديمة منتهى والمنتهى لـذوي البصائر جاء
هذا التجوّل لا يفيد إفـادة معـلومة إلا أخـا الإيـذاء

إلا الذي يغتاب ذاك لـذا ومن يهجو فتى لسواه شر هجاء
فعبادة الرحمان دون طهارة ونظافة للقلب عين رياء
تبًّا لمن يجري اللسان على امرئ ليحوز بعد بذاك كلّ جزاء
ولمن تجسّس وافترى ولمفسد بين الورى بنميمة مشّاء
ولمن تنابز والتنابز آفة بشرائر الألقاب يوم تراء
إن الحياة قصيرة وكأنّها لحظات ملتفت مريد جلاء
فنظام يومك لا يفيد لضيقه ولضيقه ما فيه من إيفاء
أطلب لنفسك مسلكاً تعتامه وأجد نظامك مرّة الانواء
لك في النهار إذا أردت صناعة سبح طويل فيه كلّ غناء
لا تهملنّ نهارك الميمون بالـ جولان والتطواف في الأنحاء
وتفحّصنْ عن شأن ذاك وشأن ذا وتتبّع الأفعال والأسماء
وثناء ذاك وذمّ ذا وتقوّل حيناً على الأفراد والفضلاء
واحذر ملازمة الزعانفة الأولى من شأنهم بـذر لكلّ تواء
قوم عقولهم خلت من فكرة طهرت وكان قلوبهم بخلاء
قوم رأوا نهج التعصّب سائدا ورأو بأنّ التحيّر في الشحناء
قوم أبوا الا العشوّ وإنّما جزى لعشاة الهنا بجفاء
سيماهم عرض البسامة عدّة تهكّم الأدباء والنجباء
وتكاتف عند التسرّح في الرّبى وتبختر بملوّن الأزياء
وتداول العلمات حيث تظلّلوا وتساءل عن أسوء الأنباء
إنّ اعتزالك عنهم لسعادة وسعادة الإنسان خير عطاء
بعد التعلّم واحترف وتطوّرن كتطوّر العلماء والحكماء
ودع الجمود فإنّه لمذلّة فكما الرّكود مضرّة للماء
اعدد ضميرك آمراً ومشاوراً واترك سواه تجنباً لمراء
واعرف حقيقة ما يكون فإنّما تهد الأمور بصائر العرفاء
هذي نصيحة صادق لك يا فتى فاتبع ولا تهمل لذي الآراء

وصاحب هذه الأبيات يرغب في أن يسمى بـ (فَيْلَسُوفِ الإسْلاَمِ) فرأيناه يحض الشباب على طلب العلم وتعلم الحرفة وتنظيم حركات النهار تنظيماً دقيقاً

واجتناب النميمة والرياء والتجوّل والذّم .

وله أيضاً يفكّر :

أحبّ من الدنيا طبائع أهلها وفي حبّها حبّ الذي خلق الدّنيا
ففي كلّ شيء للمفكّر حكمة نقود ذوي الألباب للحكمة العليا
إذا ما أصاب البرد فالبرد عبرة وإن ما أصاب الحرّ فالحرّ ما أحيا
ترى الشمس نوراً بالحياة يمدّنا وريح الهواء الطلق يورثنا الغنيا
ففي حشرات الأرض ألف عجيبة وجدّت عقول الناس عن حصرها تعيا

وله أيضاً :

أيا دولـة الإسلام والدولـة التي يرفرف في آفاقها علم النصر
عليك سلام الله من آل مالك ومن كل من يستجلب الذكر بالذكر
سلام يعمّ الأرض والماء والهوى ويستنزل الخيرات من قبل النّسر

قال مسلّما على أهل مدينة (سُوكُونْ) :

يا مسكن الخير يا سُوكُونُ سُكُونُ جئنا إليك صحابا من نِوَاوُونُ

ولما لاحظ الكثير من الحوادث للسّيّارات في دَكَارْ قال :

لا تمـش زمـنـاً في دَكَارَا إلاّ إنّ الإلـه أباد (كَارَا)[1]

وله أيضاً في الفكاهة والهزل :

أريـني يا سـعاد هنا أريـني فأني إذ رأيت أَريَنَ ريَنَا[2]

وله أيضاً في هذه الحروف (الْخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرْ سِهْ) :

أبونا أبو بكر وإن كان في القبر رضينا به شيخاً إلى آخر الدّهر
لمن أنتمي إن لم يكن لجنابه بمن أقتدي إن لم يكن بأبي بكر

---

(١) كَارَ : اسم فرنسيّ لعربة النقل .
(٢) فاجعـلني أنظـر إلى الفستـق فإنّي إذ رأيت الفستق ضحكنا
أَرينْ : اسم وُلُفيّ للفستق .

خلا لك جوّ القلب يا طير حبّه فبيضي بخير واصفري أسعد الطير
لطيف بنا في النفس والرّوح ذكره وألطف منه فيهما نكتة الذكر
يزيد علينا أخذه وهو غائب فأكرم به من غائب وهو في حجر
فتي عاش محموداً ومات محمداً ففي حالة يهدي وفي حالة يقري
تربّى على هاتين ارثا ونشأة كريماً وفي هاتين رمز من السّرّ
أخلاي إن أحسنتم غير وصلة فدونكم عهدي ودونكم وصري
بلاء على أهل الطريقة سخطه بقول من الحبر الذي أعظم الجبر
وقانا به الرحمان كيد عدونا ونجّا به الأصحاب من قبضة الشّرّ
بأحمد بالمحمود بالختم بالرّضى وبالمصطفى بالمنتقى بالهدى البدر
كفانا لباس الخير إن كان عهده لدينا ثنيّا في لباس من الخبر
رمى فأصاب الصيد كلّ اصابة فلم يبق إلا أن نقابل بالشكر
سماحته تغني المريدين عن ندى ورأفته بالمؤمنين عن الصبر
يمينك لا أنسى يمينك دائماً أبا الفضل ما لي غير ذكرك من ذكري

وله يمدح والده ٱلْخَلِيفَةَ أَبَا بَكْرٍ المرحوم :

بارك الله للخليفة إنّه وأنّه عن نوائب الدهر جنّه
ينصر المؤمنين نصراً عزيزاً معطياً كلّ ذي الخوئج جنّه

وكثيراً ما يأتي هذا المفكر « سان لوى » ليعظ أهلها وبهذه الأبيات يمدح الشيخ أَحْمَدُ التِّجَاني سِهْ عاصمة السنغال سابقاً :

خير الجزيرة ما أجلّ سماك في قلب كلّ مؤرخ بغشاك
آه على سلف بنوا لك ما بنوا من خير مجد لا يفوت ذراك
تركوك ناشئة كأنّك نجمة للفنّ تخترمين من يهواك
جعلوك مخزن فضلهم لا عينهم ورأوك بعض الجزائر الأفلاك
وحموا كرائم فيك عن ذي علّة إنّ الكرائم آمنات حماك
أنجبن فتياناً تحقّق فيهم من خير ما قدمنّ جل مناك
نشروا علوم سياسة وحضارة نشراً يعود لرفع عيش قراك
وتعاهدوا أن لا تكون حياتهم إلا لدفع مضرّة عن شاك

طلبوا لأولاد لهم وأقارب سبلا يقود إلى النصيب الزّاك
وعلى الألى خلقوهم أن يأتموا بهم ويتّصفوا لخير ملاك
إنّ المجادة لا تنال براحة وتكاسل ومؤبد امساك

ومن معلّمي الشيخ أحمد العلامة الشيخ عَلِيٌّ كيْ وكان إماماً شهيراً لجامع تِوَاوُنْ قبل حوادث سنة ١٩٥٧ م ويذكر التلميذ غير مرّة اسم شيخه هذا وهذه الأبيات قالها في حقّه :

تركت مريضاً كنت أرجو لأهله من الله أن يلفى صحيحاً وسالماً
ولكنّ ضيف الموت قد زار ظلّه ونادى منادي السّلك ينعاه قادما
فقلت له والقلب في غاية الأسى نعيت عليّا أم نعيت المكارما
ألفناه شيخاً قد نأى الكبر نفسه وعافت سجاياه اللهى والمآثما
خفيف على الأشياخ يقبل عذرهم لطيف على الشّبّان يرضي الملازما

وله أيضاً :

بقدوم خلّي ذي الوفى وفخار بدر الغياهب سعد ذي الأقطن
فذ الوف ليس نعتا فأحكمن لخلّي إنّما هو مضاف صاح فاستبن
نون المثنّى ونون الجمع تحذف ن أضفت نحو رأيت قاصدي وضني
وَيْمَنْ خَنَادُ [1] تِجَانُ ابن الْخَلِيفَةِ مَنْ لكَنّا [2] عقيقته في سالف الزّمن
وَيْمَنْ فلولا مقال الصالحين معا أنا أنا ليس هو أحكيك بالمنن
وَيْمَنْ خَنَادُ مَحَمَّدْ عَالِ وارث من له المراتب في سرّ وفي علن
أجداده قد حووا فضلا ومكرمة بقفو تنزيل ربّ الناس والسنن
ولا يهيبون خوف الذمّ يا لهم مع كل ريح فذا دأب لمضطعن
خذ ما ترمّى من ابن يا بن لكم ذا الابن ليكُك كينْتُمْ قبل ذا الزمن

---

(١) وَيْمَنْ خَنَادُ : ويحي أليس ؟
(٢) لِكَنّا : أكلت الطعام في عقيقته . لِيكُكَ كينْتُمْ : أكلت الطعام في عقيقته بالوُلْفِيَّةِ .

الشَّيْخُ أَحْمَدُ التِّجَانِيّ سِهْ الكَاتِبُ

قد سبق لنا القول أن الشيخ أَحْمَدَ التِّجَانِي سِهْ أَلَّف كتاباً سمَّاه (مجهول الأُمَّة السنغالية) قال في بدء الكلام ما نصّه : « إنّه من الخدمة العسيرة وضع كلمات يفهم منها الناس حياة رجل عظيم وأعسر من ذلك مراعاة ما صح ، وترك ما لم يكن إلا أحاديث المتعصبين الذين لا يهمهم إلا تأييد من يتعصبون له بخرافات تائهة يستعينون على اختلافها بشيء من الأكاذيب وشيء من الجنونات كما هي العادة في هذا القطر الأسود .

« ومن أجل هذه الآفة يمتنع أو يعسر على كلّ من يبحث عن الحق والحقيقة أن يجد سبيلاً إلى معرفة حياة زعمائنا حيث أنَّ تابعيهم لا ينقلون إلينا إلا هذه الخرافات التي تمجّها آذان العقلاء وتكرهها قلوب ذوي الألباب إلى حدّ بعيد ... »

ولقد أفرط الشيخ أحمد في حكمه إذ ظننت أنّه ليس من الإنصاف أن يجعل الشيخَ تَابَانْ والشيخ إِبْرَاهِيمَ في تابعي جدّه الذين « لا ينقلون إلينا إلا هذه الخرافات » إذ كلاهما ألف ترجمة للحاج مَالِكْ سِهْ بغير نقل الخرافات وليسا من الذين « كانت همّتهم تتوقف على مجالسة الزعماء والضحك معهم ومرافقتهم إلى بعض المحلات ومطالبتهم بالإجازات والرسائل التي يجوّلون بها في البلاد للحصول على شيء من النفقة وعلى عدد من الدراهم هذا وأكّد ما يلي : « اعتمدت أيضاً على رسالة أخينا الفاضل . السيد محمد تَابَانْ » ثم واصل الكتابة : « هذا مالك بن عثمان بن معاذ بن محمد . وأبوه عثمان من الذين لهم حظّ في العلم وحظّ في الشجاعة . كان عالماً وكان شجاعاً وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره وكان من أجمل أقرانه لا يشغله إلا ما يشغل أهل الفضل من الدين والصلاح . وكان أبوه معاذ بن محمد يحبه من ذلك حبّاً جمّاً بل كان يوافقه على مغادرة الوطن للتجوّل في البلاد ولملاقاة علماء الوقت لأن في الخروج والسياح في الأرض علماً آخر ... فأخذ يطوف الآفاق ويتتبع آثار الفحول وما أقلّهم في ذلك الزمن إلا أنه كان موفقاً إلى ملاقاة بعضهم من المُورِيتَانِيِّينَ وَالسِّنِغَالِيِّينَ . وعثمان هذا يتلقى عن العلماء ما يتلقى عنهم من العلم كعادة كلّ صالح وكلّ كريم ... قدم الإمام (الحاجُّ مَالِكْ سِهْ) من حجّه ولم يجد إلا أُناساً لا يعرفون

الدين إلا تحت سحنة العادة ولا العلم إلا تحت نسيج التقليد مع ما يملك طبائعهم من تأثرات تركها فيهم أهل الجبابرة الإمام يتوقف على هذه المشكلة الخطيرة التي لا يمكن حلها إلا بعد حين وإلا بعد تعب شديد ، الإمام يفكّر في ذلك ويرى أنّ هذا كلّه لا يمكن دون نصرة وصحبة . من أين يجد الأنصار ؟ ومن أين يجد الأصحاب ؟ إنّه إذا دعا الناس إلى دين الله عزّ وجلّ لا يجيب إلى دعوته إلا وزراء الجبابرة الذين تفرق جمعهم وفني ملكهم بدخول القوات المستعمرة في البلاد . ولم يبق لهم إلا إجابة أول داع يدعو ، وإذا أجابوه لا يقوى على مخالفة أهوأبهم ولا على رد طغيانهم فيصير دينه كلّه سحنة من العادة ونتيجة من التقليد ... كيف يفعل ؟ وأي نظام يختار ؟ هذه الأفكار لا تترك الإمام يتسرع إلى تحقيق أي مشروع . فأخذ يغالب النفس ويدافع عن الرغبة إلا أنه قبل كلّ شيء يجب أن يصل إلى أخواله كعادة كل قادم من الأراضي المقدسة وإلى أعمامه ؛ ليسرهم بشيء من الهدايا . وليتبركوا به . قضى معهم حاجة الأنس بعد الوحشة وحاجة المتعة بعد الاشتياق وقضوا معهم ما قضى معهم من ذلك ...

« ... من طبيعة هذه الأمّة السوداء أنها لا تعرف قيمة أي ذي قيمة إلا بعد ارتحاله إلى الدار الأبدية أو إذا عرفت قيمته فلا تعترف بها إلا بعد موته ... ولذلك يعسر على كلّ من يدعو إلى دين أو فلسفة ما أن ينشر دعوته بوجه محمود ومن طبيعتها انكار ما شاءت ولو ظهرت لها منفعة ذلك . ولذلك كان الإمام يقاسي من المضرات ما لا يقاسيه إلا الأقوياء » .

لقد قال الشيخ أحمد التجاني في المقدمة : « أيها الشبان لا تنظروا في هذه الورقات إلا نظرة العفو والصفح واعلموا أني لست بكاتب ولا شاعر » غير أن كلّ ما أوردناه دلّ على كونه شاعراً مفلقاً وكاتباً ممتازاً دلالة بيّنة .

الحاجّ المَنْصُور سِهْ

هو مُحَمَّدْ المَنْصُورْ سِهْ ابنُ الحَاجِّ مَالِكْ سِهْ نفعنا الله ببركاتهما وُلدَ سنة ١٨٩٢ م وتوفي عام ١٩٥٧ م بعد وفاة أخيه السيد أَبِي بَكْرٍ سِهْ رحمة الله عليه بأربعة أيّام وكان عالم الأخلاق لعائلته وحكيمها والدليل على ذلك وصيّته لأخيه

الصّغير الحاج عَبْدُ العَزِيزْ الخليفة الحاليّ للطائفة التجانية ، نظم هذه الوصية حين وقعت حوادث مؤسفة وفرّقت شمل عائلة الحاج مَالِك سِهْ وأورثت جلّها أسباب سياسيّة . ولهجة القصيدة تثير العطف وتحرك الشّفقة وتشجي القلوب لأنهّا تكون على مستوى هذه الحوادث والخطوب .

عَبْدُ الْعَزِيزْ أعرني القلب أوصيكا ... وصية عنك تشفي كلّ ما فيكا
في ذا الزمان الذي عم الفساد به ... ولا ترى أحد فيه يصافيكا
فغض طرفك لا تفحصَ أخي أبدا ... ولا تكونن تعادي من يعاديكا
لا ترفعن خطوة إلا وترفعها ... إلى الذي كان عنه البر يجزيكا
للمرء لا شك أخلاق تدلّ به ... عن السؤال فأحسن ما أمانيكا
وحيث كنت فقرب للجناب أخي ... يخض في الله أوقاتا يواسيكا
يحتاج كلّ جليس من مجالسة ... من المجالس فاختر من يواخيكا
تخالف الجنس حالاً قد يضرّ أخي ... وعاص من بخطوظ النفس يعديكا
ومن أساء فسامحه وصل أبدا ... من قاطع هاتك بالقذف يرميكا
وساو أهل الغنى والفقر فيك ومن ... أتى يذم ومن قد كان يطريكا
والصبر والعفو والإحسان من شيم ... ترضي الإله وللخيرات تغريكا
ولا تزك بدعوى النفس معتقدا ... فضلاً على الغير فاحذر من أمانيكا
فالصدق أن يدعي حالا يصدقه ... لسان حالك حقًا من دعاويكا
تخاف مكر الإله الدهر معتقدا ... فضلاً على الغير فاحذر من أمانيكا
تخاف مكر الإله الدهر معتكفا ... تحت المشيئة لا تختر فيهويكا
وذو العمى لا يقود النفس خل على ... تدبير نفسك من يدري مغازيكا
كم من جبال كبار حط منصبهم ... أمن من المكر لا تأمن مرافيكا
واطرد وكذب لواش وابغضنّ به ... ولا تان جانباً منه فيبليكا
أهل الزمان جواسيس القلوب فلا ... تأمن على أحد فيما يداريكا
فأحذر وحاذر برفق عن غوائله ... فالله من كان ذا رفق يعافيكا
إن الكريم الذي يحمي مآثره ... ولا يجازى مسيئا كان يغذيكا
كن للعظيم الذي والاك محترما ... فللعظيم علا في الخلو يغليكا
واحذر شياطين انس واخش حزبهم ... كم أوغلوك بمكر في مراقيكا

تان لاتك من أقوالهم أبدا مستعجلا عن جناب الله واقيكا
كم منهم ابتاع دنيا الشيخ من طمع بدينهم بئس من بالله يخزيكا
ومن رضياه بسخط الرب منهمكا واحدثوا بدعا منهم تنافيكا
خافوك في الله توقيرا لجرمتكم ومازعوا حقّ باريهم وباريكا
على أمانات مولاك ائتمن أبدا منهم صفيا يصافي من يصافيكا
والظلم والافك أقصى قربهم ولهم من بالنميمة يمشي بين ناديكا
وأنت يا ندب مسئول بما اجترحوا وهم على العكس فيما كان يعنيكا
هم الرعية يا راعي فيسأل عن تلك الرقيب ولا تخفى خوافيكا
ما العيش فاربا على الدنيا سوى كدر ولا بها لذة في الحال تجديكا
لا تتعب النفس فيما لست تدركه لو دامت النفس لا تعبد تراجيكا
لقد خلقنا أخي الإنسان في كبد تسلية من كلام الله تكفيكا
وانهض إليه بقلب ليس يشغله عن العوائق شيء جل هاديكا
فلا تزيدك اقبال الورى شرفا عند الكريم ولا الأدبار يقصيكا
هذي النصيحة خذها يا أخي ثقة لا زال يكلؤك المولى ويعليكا
يا رب صلّ على المختار من مضر والآل والصحب ما دامت أياديكا

ألّف هذه الوصية وهو محتضر ومنغمس في غياهب الحزن والغم والألم ومهما كان من الأمر لا شكّ في صدقه واخلاصه ورغبته في إعطاء نصائح وتحاذير . وفي هذه القصيدة التالية أوصى أخوته وذمّ الوشاة .

فيا أيها المغرور قد لعب الدّهر بعمرك حتّى فات ما يجبر الكسر
كأنّك للتّفريط أنت مخلّد وقد عظمت منك القبائح والأصر
تناسيت من لم ينس في الملك خردلا على صخرة رسلا فموعدك الحسر
ألم يان أن تخشي القلوب رقيبها وتحصيل زاد بعد ما حثحث السّير
أغـــركم طيب المغاني وأهلها كما غرّ جيلا في حياتكم الدّهر
وتأتون افكا للتجارة بيننـا ففي كل قلب في افترائكم جمر
وترمون أعراض الكرام جنابة لقد جئتموا نكرا فما فوقه نكر
فلا بارك الله الوشاة وما طوت دخيلتهم من مكرهم دونه مكر
وقد هدموا ما لا يبان بمسحل على الشرع لم يرض الإله ولا البدر

وصاروا على تنكيث ما الشيخ مبرم … به وكسرتم ما يعزّ به الجبر
تعاطيتم كأس العلى من هواكم … سبت كل عقل منكم تالك الخمر
وأنستكم النفس المضلة والهـوى … على ما به الإرضاء لله والذخر
وان كنتم في حيلة الهدم ما بنى … وغركم من ظل والفهم الأصر
كفاكم بذا داء دويّا وقاطعا … عن السّلك مطرودين ما ربح التجر
إذا المرء لم يرزق عليه مروءة … على الدّين فالأعمال من نحوه غبر
ومن لم يكن يرعى أمانة مالك … ولم يستح المولى فقد حجر الحجر
مجرّد أعمال الجـوارح تعتني … بها لن ينال الله أنّى لك الظّفر
فـردّ جماح النفس في شأو غيها … وقد أعذر المولى إليها فما العذر
فبنيان هذا الشيخ أسّس بالتقى … ومن يحمه منا له الحمد والشكر
يد الله تحمي عنه من كلّ آفة … فأصبح مأمولاً يحط به الوزر
وهذا ضريح الشيخ بين ظهوركم … ومن لم يؤدّ حقّه انقشع السّتر
بتوقيره عين السعادة والجـدى … فمن شطّ من زيغ فقد حبط السّر
فما كان في قيد الحياة يسوؤه … فلا تقربوه فهو فيه لكم ضرّ
تَوَاْوُنْكُمْ هذي محل استقامة … إلا فاستقيموا مثل من قبلكم مرّوا
تَوَاْوُنْكُمْ هذي محـل تعـاون … على البر والتقوى به يحتوى نصر
مجل اكتساب لا مجل تعصّب … فعضوا على ما أتانا به الخبر
نهى وانتهى إذ كان يأمر مخلصاً … ومؤتمراً يا حبّذا النهي والأمر
فلا تحسبوه ميتاً في ضريحه … هم الشهداء أحياء ضمّهم القبر
ولا يلهكم جمع الحطام فإنّه … مدى الدّهر لا يخشى على جاره الفقر
هو البحر والأنهار في جنباته … أيخشى الطما من كان في جنبه النهر
أحباء هبّوا الدهر والعمر قائن … قصير فما فيها اتّساع ولا خير
وخلوا سبيل الجاهلين بربهم … فبعد نزول الذّكر ليس لهم عذر
إذا دبّ من قوم إليكم عداوة … ففرّوا إلى الرّحمان يندفع الشرّ
ولو أخذوا منك القلاصم فاصبروا … معيّة مولانا بها العزّ والوفر
ولا تظلموا عبداً ولا تحقروا أخا … فما المرء يدري ما به يطلع الفجر
وإيّاكم الأقوال والقيل والمرا … فما أحد يرضاه في ذلك البرّ

صلوا قاطعاً لله واعفوا ومن عفا وأصلح من فضل المنيل له الأجر
ولا تصحبوا من ليس ينهض حاله وليس له في الله طي ولا نشر
عليكم بحسن الصّبر في كل أزمن فإنّ ملاك الأمر أجمعه الصّبر
وصونوا على هذا الوليّ حريمه بهتك حريم الشيخ ينقصم الظهر
وفي كل فيض يا أخي زبد يرى ورا السّيل ملقى بعد ما أزبد البحر
نصحتكمو لله قـومي نصيحة ليقبلها من ليس في قلبه كـبر
وأزكى صلاة الله ثم سلامه عل البدر والأصحاب ما غرّد القمر

وله أيضاً :

أخلاّي انّي قد دهتني أقـاول تدور وافك بيننا متــداول
دهتني أقاويل الوشاة وسعيهم ولا ظفر الواشي بما هو آمل
بلا علّة تدري ولا سبب يرى بلى ذا تجن عندهم وحبائل
تغافلت حتي قيل ليس له حجى ولكنّما دأب الكرام التغافل
ولست لقول الناعقين بجازع وما تيلك الأقوال الا قساطل
لنا أسوة فيمن تقدّم قبلنا لنا ولهم في الأقربين المنازل
أتحسب أنّ الله تاركنا سدى ويغفل عنا لا وما الله غافل
وتأمل في دار المشقّة راحة وقد تخطئ الآمال فيما تحاول
تبيت كما بات السّليم لغمّة تحار لها الألباب إذ أنت جاهل
الا فاعلمن انّ الأماني ضلّه واحلامها عند التناهي خواذل
وقد نبّهتك الحـادثات ببعضها تبارزها جهلاً وهنّ عوامل
جهلت الذي في كل يوم وليلة له في الورى شأن درته الأماثل
وفي سورة الإنسان والحج عبرة لمعتبر لا تخطبيك الاسافــل
وما خلق الإنسان الا لفتنة ليعلم عاص والذي هو عامل
ألم يك خير العالمين تصيبه صروف الليالي قبلنا والنوازل
أشدّ بلاء كان من كلّ مبتلى وقد تبتلى بعد النبّي الافاضل
وفي ذاك تنبيه لكلّ أخي حجى ألا فليقل ما شاء من هو قائل
وكم لامني من ليس يعرف ديدني ولم يدر ما قصدي ولا ما أحاول
ويعجبه مني السكوت وانّني إذا فهت بالحقّ اضمحلّ الأباطل

مروءتنا تأبى الدّنية أنفة ... مدى الدهر لا القى عريبا أجادل

ولو كانت الدّنيا عليّ عزيزة ... لـكنت كمن جهـلا عليها يقاتل

وقاسيت من مرّ الليالي وحلوها ... فما غرّ نفسي صرفها المتماول

وقد راض شيخي قبل قلبي مربيّا ... فرانت لدورات الخطوب المفاصل

وزودني دينا ودنيا كفاية ... فاحمد ربيّ الله إذ هو واصل

أأصحاب شيخ الحاج مالك مالكم ... تخلون حبلا أحكمته الأوائل

أبوكم عماد الدين يحمي ذماره ... له في سبيل المكرمات الوسائل

وأى أنّ كل المسلمين عياله ... أباعـدهم والأقربون الفضائل

يعولهم من ماله وبجاهـه ... فما بينهم فيما ترى العين فاصل

بني بيت عزّ بالتقى متطاولا ... فيقصر حقّا دونه المتطاول

ومن أجله زدتم على الخلق رتبة ... فيغبطكم للفضل من هو عاقل

فلا تنزلوا للناس بعد ارتفاعكم ... فتغمزكم بين الأنام الأنامل

ومن قبل كنا في التئام وجدّنا ... بصان ولا تعزى إلينا الأباطل

وقد كان ذاك الدين فينا علامة ... وقد طوّحتنا بعد ذاك الدّغائل

وقد لعب الشيطان والنفس والهوى ... على الدّين حتّى أنّه متضائل

ترحّم لو يجدي الترحّم غربة ... متي نفرت عنه القلوب تغوفل

وما الدّين في هذا الزمان لمبصر ... تربّح من مولاه الا تناضل

وإنّي أرى حبّ الظهور بلّية ... رمانا ببحر ما له ثم ساحل

ومن سابق الأقدار لم ير عمره ... سوى ما قضى الباري الذي هو غافل

وما ضرّنا إلا التّعمّق في الدّنى ... وترك نظام الشيخ نعم الجلائل

وكم مدّعي العرفان للشيخ ينتمي ... وما صدّقت ما يدّعيه الشمائل

ملازمه لا شك يشبه خلقه ... فضـائله معـروفة والفـواصل

حرام على من نال بعض فضائل ... من الله أن يعزى إليه التّفاعل

لكل فتى شكل له يقتدى به ... ومن شاكل الآباء طاب المناهل

أفيقوا وأدّوا شكر من قد حباكم ... يزدكم لهذا الفضل والله عادل

فتى باسل يحمي العشيرة حاملاً ... إذاهـم إذا ما الخطب في القوم نازل

إذا ما بدت من صاحب بعض جفوة ... فبالعفو والصفح الجميل يعامل

ويستر عورات الأنام تفضّلاً ويدفع بالحسنى الخني ويجامل
هو الله يجزي كلّ عبد بسعيه وكلّ امرئ رهن بما هو عامل
تزوّد فما الأعمار إلا معارة وكلّ معار فهو للرّد آئـل
ولا تشتر الدّنيا بأخراك فاذّكر «إلا كل شيء ما خلا الله باطل»
وكن زاهداً عنها بقلب وقالب فأيّام عمر المرء فيها مراحل
فما جابها الا أخو أينق التقى يرافق من طابت لديه الشّمائل
وإنّي أرى في ذا الزمان عجائبا تغول بها قلب اللبيب الغوائل
زمان أناس للتّعصّب والهـوى تضاووا وكلّ بالهوى متشاغل
وممّا به البلوى تعمّ اختلافهم به نال من سوط العذاب الأوائل
تعاور أعراض الكرام تحاسد وحقد وذاك الدّاء للناس شامل
وتغيير معروف واقرار منكر وانكار عادات لهنّ الدّلائل
وصافح بعضا بعضهم من تقيّة يدأ بيد والكل للنفس مائل
فيا ربّ سلمنا من الشّر كلّه ولا زال فينا عاقل متغافل
أغثنا فقد غاشت بنا وحلة الهوى ولم ينج منّا غير من هو بازل
ولم يبق منّا غير شكوى جوانح على حدثان الدهر والكل مائل
قلوب بها جمر الغضا وخبيه كنار اللظى في الحر والخب قابل
إذا أهمل الرّاعي الرّعية أصبحت بمرعى وخيم تختليها الغوائل
وصل على الهادي الأمين الهنا وسلم وبارك ما تنبّه كاهل

وقال أيضاً :

أشكو إلى الله ما بالقلب من حزن وما أقاسي به من مضجع خشن
أنفقت كنز مدارتي لنيل سلا مة ولم يغن شيئاً في بني زمن
لولا المروءة أخت الدّين ما انبسطت روحي إلى أحد خوفا من الفتن
ولا أخالط من يردي بصحبته ديني ودنياي من غش ومن دخن
ما زلت آمل ذا ودّ يوافقني به أرمّق ودّي غير مضطفن
والأمر بالعكس انّي كنت في سنة وأيقظتني صروف الدّهر من وسن
رمت السّلامة فانسدّت مسالكها انّ السّلامة أمر غير ممتهن

طرق أحمد الْمَنْصُورْ سِهْ باباً واحداً في جلّ قصائده وهو فساد الأخلاق بل النميمة ومن ذاك وصل إلى اعتبارات في القدور والحياة والموت وبني آدم .

قالَ الحاج مَنْصُورْ ابنُ المعلم الكبير الحاجّ مَالِكْ سِهْ رحمة الله عليهما . متوسلاً بربه شاكياً من فساد الأخلاق في عصره .

أيا خالقي أني إليك فقير أتوب وأرضى ما قضيت قدير
أيرضى أديب أن يكون لغيره مطيعاً ويستحمي بذاك شكور
وما العبد إلا في مشيئة ربّه تدور به الأقدار حيث يدور
وسلّم إليه الأمر يصنع ما يشاء وليس سواه بالإلـه خبـير
وكن يا أخي عبداً لمولاك تسترح من الدّين والدّنيا سواه يبور
وقد جفّت الأقلام والحكم نافذ وتقضي ولا يقضى عليه بصير
أراك إذا ما كنت تختار غيره تكن عبد غير فالضلال جدير
وكن حاذراً أبنا الزمان بعفّة وعاملهم قدر العقول تجبر
واني حلبت الدّهر شطريه لم أنل به راحة والقلب عنه نفور
ثلاثة أشيا في الزّمان عديمة مريد وحب صادق ووزير
وان رمتها رمت المحالة فاستعن بربّك إنّ العون منه يسير
وما كان دأب القوم مات لذبحكا هـداة سـراة قبـل عم شـرور
زمان أناس في مكاثرة الثّرى تمالوا وصدق القول فيه غرور
وتكنيث عهد والأمانة دابهم وتأويل أقوال تشقّ صدور
زمان إذا مسّ الكريم خصاصة رموه وهو عند الإله خطير

وقال أيضاً :

أخي أعرني بأذن القلب مستمعاً يفدك من كان في الأحوال نقّاداً
من حكم من قد أرت في نظمها درراً تكون أفضل زاد ان ترد زادا
ورأس مال الفتي عقل ومعرفة وان هما فقدا حقّا فقد بادا
دع معشرا حجبوا عن ربّهم وعموا ملازما عارفا في الله منجادا
حبّ الرّياسة دع إن كنت معتنياً بما اعتني القوم في مولاك مقصادا
والقوم هم حيثمـــا كانوا على حذر خوفا باخلاصهم سلبا وأبعادا

للكبر ابليس أضحى خاسـاً حسراً | ونال قابل منه الدهر أصْفَادَا
لا شيء في الدين بعد الكبر أفسد من | حقد ولاتك أهل الفضل حسّادا
من آثر العرض الدنيا المعرّض للـ | ـفنا فقد جاء بالخسران الحادا
ولا تسئ أدبا بالله وارض بما | جرى به الحكم امضاء واشهادا
فكل ما شاءه في الكون صاح يكن | كما اقتضي وقضي حكما وإيجادا
سلّم عليه قياد النفس واسترحن | عن المعونات تسلم نعم من قادا
معتقداً أنّه في الملك لا أحد | سواه يفعل لا يحتاج اعضادا
هو المسلّط تسليط الخلائق في | تسليطه لا ترم للغير اسنادا
من يعرف الله حقّا ليس يزعجه | شيء سواه وينفي عنه تعدادا
إذ كل ما كان مقدوراً فليس له | فوت وما لم يقدّر فات ابرادا
إنّ الفتى من سما نحو العلى ودنا | يوحّد الله توحيدا وأفرادا
ويقطع الوقت قبل القطع منسلكا | مدارج الحمق عن دنياه زهّادا
وكن ملازم آداب لحضرته | واستعمل الفكر في الآيات مسهادا
ان التخلّي مطلوب هديت أخي | قبل التخلّي به قد ساد من سادا
وخالف النفس مهما تشتهي فلكم | يحوى بها الحظّ غضّ الطرف جلادا
مجاهداً عاصماً واحذره سادسها | كم تقعد البرء عن دنياه اقعادا
تفاضل القوم عند الله - صاح - على | صدق التوجّه دع في الله تردادا
ولا ترم غير ما يرضيه إنّ له | من العنايات تأييداً وارشادا
وأنت في زمن تحتاج أسلحة | تجاهد النفس تهديداً وارصادا
لا تفتح العين فافهم فيه محتذرا | من الأعاصير كم أرديـن من حادا
من عامل الناس في غير الإله فلا | تزال تشفع نار الغيظ أكبادا
لا تنظرن ما عليهم في جنابك بل | ره ما عليك تحز بالله انحادا

اغراء وحض على طلب العلم :

أوصيكم أيها الشّبان في عصر | على التعلم والتعليم في صغر
نحو التعلّم قم بالجدّ في صغر | وجاء في خبر كالنقش في الحجر
لا تهمل الدّرس فالإهمال متلفة | إلا لعذر من الأعذار معتبر

وكلّ وقت له ما يستحقّ فلا		تقل سأفعل ان العمر ذو القصر
والوقت كالسّيف فافعل ما تشاء به		الا فأنّك مقطوع عن النظر
بالحفظ والبحث والتكرار فاجتهدن		في الدّرس حرّرعلى ما كان في الزبر
وألق سمعك وافهم كلّ مسألة		تأمّلن شبهات الآي والسّور
لا تسألنّ الا عن المهم وسل		مع التأدّب والتوقير وانتصر
وللمعلّم حقّ حين قمت به		وجدّت من بركات العلم والعمر
وقّر وعظّم وكرّم واحترم أبدا		إن كان يحتاج شيأً فيه فابتدر
من همّة قد عرت أو خدمة حضرت		ساعده في كل ما يبغيه من وطر
رضى الإله رضي الأشياخ فاجتنبنْ		ممّا استطعت عن العصيان وانزجر
لا ينسك الدّهر ما للوالدين أتى		من الحقوق وحق الله لا تذر
ولا يغرّنّك الشيطان وادّكرن		مقام ابليس إذ عادى أبا البشر
وحافظن بمقام الشيخ حرمته		فإنّه بمرعاة المقام حري
من غرّه زخرف الدّنيا على سفه		حتى تعسّف جهلا فهو في خطر
هذا المقام مقام العلم والأدب		لا دار خلف ولا لهو لمعتبر
دار ائتلاف واصلاح لمنبته		والاعتصام بحبل الله وانحدر
إن جاءكم أخوتي من فاسق نبأ		تبيّنوا واضربوا ما قال في الحجر

وله أيضاً :

إذ كل ما كان عيباً صار في زمن		حسناً فثق بإله العرش منهادا
ولا يضرّ أخا صدق بخالقه		إن لم يكن في سبيل الخير شرّادا
وكلّ ما كان يبكي القطب مالكنا		في الدين مذ كان تغييرا وابرادا
أشدّ ما كان يخشي في الطّريقة ما		يخشى أبو الفيض حرماناً واطرادا
إذابة البعض بعضاً في حمايته		ولم يزل زاجراً في ذاك أفرادا
فالخلف شوم به عض الزّمان بنا		قد أوعد الله في التفريق ابعادا
ومن يخالف لأمر الشيخ منقذنا		فقد دعا نفسه للذلّ وانقادا
ان انتفى الشرط فالمشروط منتفي		في البيع لا ترج بعد النكث اسعادا
اني نصحتكم حرصاً لدينكم		وحفظ ما كان قبل اليوم معتادا

أزكى الصلاة على المختار شافعنا   محمد من حوى في الله أمجادا
والآل والصحب آساد الوغى وهم   قتاد شوك على من كان قد عادا

وله أيضاً :

أيـــا صاح صبرا والكريم صبور   سيفصل ما بين العباد خبير
فإن لم يكن في اليوم لا بدّ من غد   تبصّر في عقبي الأمور أمور
وانا نرى تلك الأمور بعيدة   فنغـتّر ما للغـافلين شعـور
إذا ما بدا أمر فكن تحت حكم من   على كل شيء في الأمور قدير
ولا تنظرن قول الوشاة فإنّه   هباء وقد دمّ الوشاة نـذير
حديث وكل صحّ عمن بهديه   هدانا به المولى فنعم بشـير
وما أحد في الله حبّه خردل   ينال به لو في الهواء يطير
ولو داهن الأشياخ يبدي خلاف ما   على القلب لا يأتي بذاك نقير

وله في مدح والده الحاج مَالِكْ سِهْ :

ذهبنا وزرنا روضة الندب مَالِكٍ   جميعاً وابنا في كلاءة مالك
برافقنا حبّ من احباب والدي   همام منير مشكلات الحوالك
أديب بعيد الشأو بالعلم ماهر   يعشّف في فيح الفنون الحواشك
مريد له حظّ التبـــني لصدقه   من الشيخ مسلوكاً بخير المسالك
يلازمه حتى أنيل مرامـــه   ونال بأعلى من صفيّ السّبائك
وما زال هذا الدّأب قيد حياته   فزوّده زادا ينير النـــاسك
إذا ذكرت فتّ الغرام فؤاده   مآثر شيخ فاق أعلى المدارك
بشدّة شوق منه والحال غالب   عليه فأكرم بالمريد المشارك
مربّ مرقّ للمريد بهمّـة   إلى كل من يرضاه ربّ الممالك
طبيب يداوي كل داء مجرّب   رؤوف برور موهل بالمناسك
مدّك واكسير وسعد مريده   وصول حمول خالص الثوب عاتك
فدونك يا حاوي المحبّة نفحة   من الحبّ أهداها محبّة مالك
ودم تسترح في ورده وطريقه   سراج منير كان منجى لسالك
ولا تغترر بالناعقين كقولـه   يحذّر عن أهل الدّواعي الغوامك

علمت بأنّ الجبل في كل حالة نجاة من الدّارين من كل ماسك
إذا أنت قد حزت الأمانة عنده فلا تحزني يا نفس لا خير فاتك
صلاة على المختار ذي الصدق والوفي مع الآل والأصحاب أسد المعارك

وله أيضاً في الثناء على والده الكريم :

أبا من يروم شفاء السّقم وحليا من اللؤلؤ المنتظم
بأخبار شيخي رويداً وسل خبيراً به ثم قل لي نعم
فشيخي المربي المرقّي المدرّ س كل العلوم الشّهير العلم
إمام به يقتدى للهدى وركن الأنام الذي ما انهدم
ونادرة الوقت ما ان يرى مثيل يقاربه بل وكم
وصدر الشريعة ثم الحقيقـ ـة فلك النجاة الذي ما انحطم
ونجم الهداية أنواره تدلّت لارشاد من قد قحم
هو العين عين الوصول وعيـ ـن منبع مشرب أهل الحكم
فلله إن نره مقبلا أو إن نره مدبراً ذا همم
منار الهدى للذي يقتدي سراج به يستضا في الظلم
ووابل جود لباغي الندى هو العابد الزّاهد المحترم
سموح فسوح لمن أمّه وفي ماله حقّ من قد خرم
له ظلّ فضل وسعد ضفي وفيء فشى في الهدى لا جرم
فيا روض حسن لورّاده ويا كنز فضل لمن قد وأم
فما شئت فيه من أنواعه تنله وسل تعط من غير ذم
فأكرم بهاد هدى واستقم وكن تابعاً هديه واستقم
وبدّل من مالك مالك بجمع الفنون التي قد علم
وما زاد شيئاً على ما أتى به أفضل الأنبيا وارتسم
يراعي حقوق الإله الكريـ ـم مستبعداً كل من قد ظلم
ويبحث بحثاً لقفو الكتا ب مع سنن المصطفى ذا شمم
وما باع في عاجل آجلا مدى الدّهر كلاً ولمّا يسم
فما كان يأكل مال الأسير وأحرى اليتامى وأحرى التّكم

وما كان قطّ إلى نفسه يميل لما يشتهي من نعم
محطّ رحال ذي الفضل وال كرام أولي الخير أهل العصم
فيوما تراه لتدريسه ويوما لوعظ وهدي الأمم
ويبعد وقتا يروم الرّضي يناجي الإله بقلب سلم
ووقتا ' لتأليف مدح النبي ووقتاً لمن شكره قد حتم
ووفد المساكين في داره مسيلا بحور الندى كالديم
ووقتاً يؤمّ إلى القوم سا ئساً ماجداً جوده منسجم
يعلّم هذا ويقضي لذا حوأبجه شافيا ذا سقم
وكلّ ففي شغل شاغل لما ينبغي وبما قد أهم
غمام إذا اشتدّ محمل وعم ملاذ إذا اشتدّ هم وغم
ولم لا وحمّال كلّ الورى هو الحاج مالك سامي القيم
هل الدّهر يأتي لنا مثله هو الفرد ما مثله من أرم
زماني بخيل بأمثاله ومن مثله أينه في العجم
فنعم التّقي النّقي الصّفي ونعم المجير إذا الخطب عم
هو الشيخ من كل فيض يرى أسرّ له الله سرًّا كتم
وسعد السّوادين في أفقهم وفوز البياضين في المغتنم
ولا زال رضوان باري البري لروضته دأئماً قد سجم
وأزكى صلاة على من له النبوة إذ آدم في العدم
مع الآل والصحب والتابعيـ ـن سنّته مع سلام أتم

وأنشأ هذه القصيدة مهنّئاً لأهل (دَائِرَةِ الْكِرَامِ) :

هذي نحبة فتية الأنصار تزري النسيم الأسّ في الأسحار
وصفت مواردها لطالب وردها من حبّكم من خليصة الأكدار
أهلاً وسهلاً مرحباً بأحبّة وردوا بزروة مركز الأنوار
مخّ العشيرة نجل عثمان الذي سعد الأنام ومهبط الأسرار
ثغر السّرور بدا لدائرة الكرا م هم الذين تنافسوا للباري
شمس الزمان بيومكم طلعت لسا ن الجال شاهد جوهر الأحرار

بمناقب ومواهب لقدومكم كل الورى بالعدّ والاحصار
بشرى لنا من مالك إذ كان خير وسيلة ننجو به من نار
عين السيادة معدن الأمداد زينة صحبه علم الهدى للسّاري
قد خصّه المولى خصائص جمّة ربّ اسقنا من فيضه المدار
يا أهل دائرة الكرام أدمتم في الخير والإسلام مع ايسار
فلقد قبلتم فانعموا يا اخوتي خير القبول مع انتفاء العار
فليفتخر أهل دكار بمالك فخر القريش بمفخر المختار
بدكار كم رفعت لكم رايات ما لكنا وصار الفضل شمس نهار
راقت أساليب الهمام وأظهرت للسّالكين معالم الأخيار
إنّ العصور تنافست لمناقب بحجّاج مالك دهرنا المنصار
عنه رضى ربّ البريّة مالك مع كل من يقفوه كالأنصار

دلت هذه القصائد على أنّ الحاج أَحْمَدَ الْمَنْصُورْ سِهْ كان شاعراً كبيراً. مدرك جانب، أخا صدق واخلاص، وذا استقامة وأمانة، قد ذمّ انحلال الأخلاق، وصدق ولو لم تكن في تِوَاوُونْ النميمة والفريّة لم يفرق شمل عشيرة الحاج مَالِكْ سِهْ. ويا شفقة على ذاك العظيم الذي تشكّي من يأسه من الناس، والذي لم يعلم من وثق بكلامه والذي لم يعهد بغمّه إلا إلى الورقات والأقلام وذكرى والده وربّ العالمين!

الحَاجُّ عَبْدُ الْعَزِيز سِهْ

ومن المعروف أنّ الحاج أَحْمَدَ الْمَنْصُور سِهْ قد أعطى أخاه الحاجَّ عَبْدَ الْعَزِيز سِهْ وصية منظومة قبل ارتحاله إلى ربّه الأعلى، فإنّ تولّيه الخلافة بعد وفاة السيد أَبِي بَكْرٍ سِهْ الخليفة الأول لعسيرٌ جدًّا. وُلدَ الشيخ عَبْدُ الْعَزِيز سِهْ ابنُ الحاجِّ مَالِكْ سِهْ في سنة ١٩٠٤ م وليفرض نفوذه على الجميع وليَحلّ عدّة مشكلات كان لينصرف عمّا لوّث شرفه من توسّلات السياسيّين إليه وعن القوات النابذة النحسة على وحدة الطريقة التجانية ويحبط خطط من كان يسابقه في الخلافة. لكن أعطاه النصر سعة معارفه ومكارم أخلاقه ومرونة جانبه وشعوره للتسامح

وللتوفيق ونزاهة سيرته . وتولى الخلافة في شهر آذار سنة ١٩٥٧ م تحت إشراف السيد أحمد التجاني محمد محمود الحبيب من ذريّة الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية حين صرّحت جماعة من المقدّمين بأنّه أحقّ من كلّ منافس بالخلافة وإدارة زاوية تِوَاوُونْ وبأنّه أكثر كفاءة لهدي التجانيّين إلى مستقبل نيّر . فإنّ الخليفة الثاني يشبه والده بعلومه وفضائله الخلقية والمعنوية . ويحظى عند الجميع حظوة كبيرة وقد سار الركبان بسمعته إلى سائر البلدان وهو يساهم في ملتقيات المؤتمرات الإسلامية في البلاد العربية واستحسن كلّ من قرب منه صفاته القلبية وتقواه وحكمته وبساطته ودماثته ولما كان الله يفتح باب ذهنه لكلّ ما يهبّ من ريح التقدّم لحلّ جميع المشكلات التي يثيرها العالم العصري بعد أن جبر ما كسر من هيكل الطريقة التجانية حين تولى الخلافة .

قد زرنا حضرته في قرية (جَكُصَاوْ) في ٤ من شباط سنة ١٩٦٩ م وكان مريضاً لكنه نهض اكراماً لنا وتبجيلاً فأنشد قصيدة أنشأها في الليلة السابقة لقدومنا . هو فصيح اللسان وصحيح النطق ومتبحّر في عدّة فنون هو يكتب كثيراً كما يلقى خطباً في كل حفلة احياء الشئون الدينية . وكان الشيخ الهَادي تُوري من معلميه وأشياخه .

الحَاجُ عَبْدُ الْعَزِيز الْخَطِيبُ ٥

هو خطيب قبل كلّ شيء ينصح ويعظ ويحذر ويبشّر بمناسبة حفلات الدين .

وفي يوم الجمعة ٢٧ من آذار سنة ١٩٦٤ م صلّى جلالة الملك الحسن الثاني المغربي أوّل صلاة مع المسلمين في جامع دكار خلف الحاج عبد العزيز سه الذي ألقى بتلك المناسبة خطبة مهمّة وهي هذه :

الحمد لله الذي يجزي كل أمرئ بما عمل فمن عمل صالحاً فله جزاء الحسنى ومن عمل سيئاً فله سوء العقبى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الأوفى وأشهد أن لا إله إلا الله الذي يعلم نفوساً طيبة انفقت ما لها في سبيل واظهار شعائره واعلاء كلماته ، أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون . ويعلم نفوساً غرتها زخارف الدنيا وألهتها عن الأخرى وانفقت مالها في المظاهر الكاذبة والدعاوى الباطلة ، أولئك حزب الشيطان الا أن حزب الشيطان

هم الخاسرون . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أسوتنا في مكارم الأخلاق وقدوتنا في صالح الأعمال اللّهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . « أما بعد » فإنّ من أبرّ البرّ وأعظمه عند الله بناء المساجد وتعمير بيوت « أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » كيف لا تكون المساجد خير ما يبنى وفيها اقامة الصلاة التي عماد الدين الصلاة التي توفّق العلاقات بين أهل الأرض والسماء وتقرّبنا من ربنا وخالقنا الصلاة صلة بين العبد وربه ولمّا وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجراً أوّل عمل قام به بناء مسجدي قبا والمدينة وكان يعمل فيها مع الصحابة فالمساجد معابد تؤدى فيها العبادات ومصارف تجمع فيها الحكم الغالية والنصائح العالية ومستشفيات لأمراض النفوس الحديث : روى البخاري ومسلم عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بني لله مسجداً بنى الله له مثليه في الجنّة . ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً .

الخطبة الثانية :

الحمد لله بارئ النسم وباعث الأمم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجود والكرم وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، عباد الله : اتقوا الله وابتغوا رضوانه واخشوا بأسه وخافوا سلطانه واستعدوا ليوم تزل فيه القدم ولا ينفع فيه الندم يوم لا ينفع مال ولا بنون وأنيبوا إلى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . اللهم ارض عن الأربعة الخلفاء وباقي الصحابة الحنفاء وآل وأزواج نبيك المصطفى وعن التابعين وتابعي التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين اللهم انصر عبدك المخلص لك مولانا الحسن الثاني واحفظه بما حفظت به سبع المثاني اللهم انصره ولا تنصر عليه وارفع في التابعين ذكره واطل للمسلمين عمره اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وارفع

اللهم مقتك وغضبك عنّا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا عباد الله : إن اللهَ يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون . يغفر الله لكم ولسائر المسلمين .

وفي مناسبة أخرى وجّه إلى المسلمين برمتهم خطبة عظيمة شأن ومنها هذه النبذة :

« أمّا بعد فيا عباد الله اتّقوا الله واعلموا أنّكم إليه تحشرون واستعدوا للموت وأيقنوا أنّكم إلى الآخرة راحلون وعلى حكيم خبير تعرضون وعلى النقير والقطمير تحاسبون « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »[1]. فتزوّدوا من هذه الدار لأنّ الآخرة هي دار القراو واعلموا أنّ اللسان مهما نال واحتاز غير التقوى فليس الا مصيبة عليه وبلوى . « والعصرِ إن الإنسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »[2] وأوصيكم ونفسي بالقيام بساق الجدّ والاجتهاد في الامتثال لاوامر ربّ العباد واجتناب نواهيه قبل يوم التنادي . وحسن النّية فيما تأتون وما تذرون والصدق والاخلاص فيما تقولون وما تفعلون . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنّيات » وبها انعقد العقود الدينيات وقال أيضاً « انما لكل امرئ ما نوى » فإن حسن النية يصير عمل الدنيا من أعمال الآخرة وعكسه يجعله من الأعمال المردية يوم القيامة يحول بين المرء وبين الحوض فيما لا منفعة له فيه جعلنا الله وايّاكم ممّن يهتمّ بذلك ويتبعه ويقتفيه ثم عليكم بالاتحاد والتحابب والتآلف وايّاكم ثم ايّاكم بالافتراق والتنازع والتخالف قال تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »[3] فتأمّلوا معنى هذه الآية وضمن ما فيها تحقّقوا وقال أيضاً : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما

---

(١) الآيتان ٧ و ٨ في سورة الزلزلة .

(٢) سورة العصر .

(٣) الآية ٩٨ في سورة آل عمران .

وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه »[1]. أعاذنا الله ممّن يعرض عن ذلك ويناوئه . فالتخالف ما هلك من قبلكم الا به عضّنا الدّهر بنابه وقد عاينتم ما ذاع وشاع في الزمان الفاسد الذي سوق الألفة والمحبّة فيه كاسدة ، فصار المرء فيه أقرب الناس إليه ويقاطع أعزّ الاخوان لديه لأغراض خسيسة ومقاصد سخيفة تأباها الشريعة وتتجنّبها المروءة وذلك كلّه لأجل التنافس في حبّ العاجلة والتكاثر في حطام الدنيا الفانية « الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلاّ سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم ثم لترونّها عين اليقين ثم لتسئلنّ يومئذٍ عن النعيم »[2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما علمت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً . وما تلذّذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إليه ، لوددت أني شجرة تعضد الدنيا ، حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، سم الغافلين ومطيّة ذوي الألباب » وقال عليه السلام أيضاً « الدنيا لو تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء » فإذا كان الأمر كذلك فليكن اهتمامنا نحن جميعاً بالدين لا بغيره وليكن شغلنا باصلاح أمور أنفسنا لا بسواها ولنترك القيل والقال والخوض فيما لا ينفع حالاً ولا مآلاً « لأنّ ذلك اضاعة وقت وتعطيله نعوذ بالله من الشيطان وقبيله » . قيل الوقت كالسيف إن لم تقطع به يقطعك . قال عليه السلام : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » فلنتحصن بحصن هذا الحديث ولنحرص على حفظ مبانيه وكونوا ليني الجناب لجميع الاخوان وتحابوا في الله تسكنوا أعلى فراديس الجنان . قال عليه السلام : « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابّوا » وقال أيضاً : « المتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة يظلّهم الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه » . وقال أيضاً : « لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه » واتركوا التباغض والتحاسد وارفضوا التدابر والتنازع والتحاقد واقلعوا عن المشاتمة والمخاصمة وخلوا عن المباحثة

(١) الآية ١١ في سورة الشورى .

(٢) السورة ١٠٢ .

والمناقشة ، فالباحث يرى المخابئ وفي ذلك مبادئ وأيّ مبادئ ، فالسكوت في هذا الزمان أولى ، والحياد عن هذه الحوادث الدهرية انجلى فإن قلنا إنّنا مسلمون فالمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه والمسلم لا يذمه أخوه المسلم ولا يخذله ولا يعين عليه ، قال عليه السلام : « المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » . وقال تعالى : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويوتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم » . وقال أيضاً : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم انّ المنافقين هم الفاسقون » . وان كنّا تجانيين فالشيخ رضي الله تعالى عنه إنّما يأمر أصحابه ومريديه أن يكونوا متّحدين متحابّين متزاورين متباشرين لا متفرقين ولا متباغضين ولا متقاطعين ولا متغاضبين قال عليه السلام : « رأس العقل بعد الإيمان التودّد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل برّ وفاجر » . وقال أيضاً : « من عامل الناس فلم يظلمهم وحدّثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممّن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته » الإنسان أخو الإنسان أحبّ أم كره ، وقال عليه السلام : « الخلق كلّهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » ، وقال عليه السلام : « لا ضرر ولا ضرار » ، وقال عليه السلام : « أفضل الأعمال عند الله أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً » ، وقال أيضاً : « المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال أيضاً : « اصنع المعروف إلى أهله وإلى غير أهله فإن أصبت أهله أصبت أهله وإن لم تصب أهله كنت أنت أهله » . وقال أيضاً « تعارفوا تسقط الضغائن من قلوبكم » . قال الشيخ رضي الله عنه قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قل لأصحابك لا يؤذي بعضهم بعضا لأنّ اذايتهم أذيتي ... الخ . نعوذ بالمصوّر العليّ . ممّا غدا اذاية النبي . فإن كان مقدماً فلا يكتفي بمجرد التقديم بل يراعي شروط الطريقة وأحرى شروط المقدّم التي هي العفو عن زلل المريدين والستر على خلل التابعين ومجانبة كل ما يوجب الضغينة في القلوب والاغضاء عن سائر العيوب والسعي في اصلاح ذات البين وإرآب الصدع كلما يستدعي الخلل والشين وان اشتعل بينهم نبران العداوة والفتنة سارع لاطفائها باللسان واليد والمال

والجاه من غير ثنية وليك سعيه في ذلك كلّه ابتغاء مرضاة الله تعالى لا لحظّ زائد على ذلك (جلّ وعلا المولى) لأنّه بمنزلة الراعي ، وقال عليه السلام : «كل راعٍ مسئول عن رعيته » ، وقال عليه السلام « أيما رجل ولي شيئاً من أمر أمّتي فلم ينصح لهم ولم يجتهد لهم كنصحه واجتهاده لنفسه كبّه الله على وجهه في النار يوم القيامة » ، وقال أيضاً : « أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة وقد علم أن في العشرة من هو أفضل منه فقد غش الله والرسول وجماعة المسلمين » وحينئذٍ فالواجب على كلّ من ولي أمراً من أمور الأمّة أن يكون عالماً تقياً برًّا صادقاً ورعاً ناصحاً صابراً على الأذى لا يغضب لنفسه ، لا يتعصب لأقاربه وذويه ، بل يكون كالأب لجميع الرعية يعفو ويصفح عن الزلات ويقابل جميع السّيئات بالحسنات ، وقال تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن السيئة » . وقال أيضاً : « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظّ عظيم » . وقال عليه السلام : « أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله وبجماعة المسلمين أن يعظم كبيرهم ويرحم صغيرهم ويوفر عالمهم وأن لا يضربهم فيذلهم ولا يوحشهم فيكفرهم وأن لا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ولا يعزّي بعضهم على بعض ولا يغرقهم فيضعفهم بل قال عليه السلام : « أيما رجل قام يفرق بين المسلمين فاضربوا عنقه » وإن كان مريداً مجرداً فالمطلوب منه أن يحب لجملة اخوانه في الطريق ما يحب لنفسه بالتحقيق يسأل من غاب منهم ويعود السّقيم ويبدؤهم بالسلام إذا لقيهم ويؤنسهم بالبشاشة وحسن الكلام ولا يرى لنفسه الفضل عليهم ويطلب رضي الله لديهم ولا يزاحمهم في أي أمر دنيويّ ويحثهم على كل خير أخرويّ ويتعاون مع الأصحاب على اشتياق الملك الوهاب وهذا أقل من أكثر ممّا أمرنا به الشيخ رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين . ممّا يرجع كله إلى أصل من أصول الدين هذه ما تكلفكم بها الشريعة وهذه ما تطالبكم بها الطريقة فلا بدّ من القيام بكلا الأمرين ولا مندوحة إلا بالوفاء بهذين الشرطين وحيث أن الأمر كذلك فبم الاشتغال فيما لا يضر ولا ينفع وعمّ الخوض فيما يخفض ولا يرفع أمّا الرحم فصلوه وقطعه فاجتنبوه لأنّ الرحم مشتق من اسمه (الرحمان) فقاطعه لا يشم رائحة الجنان (وفي الحديث) « إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن ينزّل الرحم

إلى الأرض اعتذر ولاذ بحقوه حتى قال له جلّ وعلا أيكفيك أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قال له أي نعم فقال له لك ذلك أو ما هو معناه فأنت الرحيم وأنا الرحمان فمن وصلك وصلته ومن قطعك قطعته » . وقد قيل إنّ في النار كهوفاً ومغاور أعدت لقاطع الرّحم والعاق لوالديه فكل من يأمركم بذلك أو ينهاكم عن مواصلته فلا تتبعوه وأمره لا تمتثلوه ؛ لأنه مخالف للدين القويم وسنة النبي الكريم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تنافروا وكونوا عباد الله اخواناً » وهذا الحديث أصل من الأصول الاجتماعية السياسية التي يشترك فيها جميع طبقات الأمم ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يقل كونوا أيها المسلمون وإنما قال كونوا عباد الله نعم الإسلام دين خاصّ بالمسلمين من حيث العقائد والشعائر وطرق التعبد ، أمّا من حيث أحكامه السياسية والادارية والمدنية وتعاليمه الاجتماعية والأخلاقية والأدبية فهو دين عام يقبل أن يدخل تحت أوامره ونواهيه أبناء ملّته وسائر أبناء الطوائف الأخرى المختلطين بهم والمشاركين لهم في وطنهم فهو إذا أمر بوجوب الوفاق والتحابب والأمانة والعدل والرحمة والصدقة وفعل الخير وترك الغل والحسد والتجسس والسعاية وكلما يستدعي تشتيت الكلمة والتفريق بين الجامعة الإنسانية لا يريد بذلك أبناءه المسلمين وحدهم بل الطوائف الطرقية لأن المسألة مسألة صلاة وتيمم واستقبال قبلة ولا صوم واعتكاف وطواف حول الكعبة فحسب وإنما يريد المسلمين عامة ومن التفّ بهم عهداً ووطناً وحكومة ومصلحة فمن أولى تلك الواجبات الاجتماعية التي أمر بها الإسلام وجوب الاندماج في الجماعة الكبرى وتجنب الافتراق عنها فإذا كانت القرائن تدلّ على أنّ الخطاب متعلّق بترك التفرقة في العقائد والشرائع كان المخاطبون فيه جماعة المسلمين أمّا إذا كان الخطاب متعلقاً بالمصالح العامة السياسيّة الإدارية والاجتماعية والاقتصادية كان المخاطبون فيه المسلمين واخوانهم من أبناء الملل الأخرى المشاركين لهم في تلك المصالح والمرافق ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم « الجماعة رحمة والفرقة عذاب يد الله مع الجماعة لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » وقال عليه السلام : « من فرّق فليس منّا » وفي القرآن الكريم « ولا تنازعوا فتفشوا وتذهب ريحكم » وقد برّأ الله من جامعة الإسلام قوماً افترقوا في الدين

فقال جلّ وعلا : « إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » وهذه الآيات والأحاديث أدلّة واضحة على أنّ كلّ من يأمر بالافتراق ويتعصّب للنزاع والشقاق سواء لأجل الطرق ، أو السّلاسل ، أو للأحزاب السياسيّة ، فقد ضلّ وأضلّ عن سواء السبيل ؛ لأنّ الطرق والسّلاسل والأحزاب كلها جوامع صغرى يجب عليها أن تنضم إلى الجامعة الكبرى التي هي جامعة الإسلام ولا تشذ عنها لأغراض فاسدة ، ومصالح شخصية زائفة ، فشيخ مثل هذا لا يستحق أن يتبع ويقتدى به .
قال السيد الحاج مَالِكْ رضي الله عنه في كتابه « كفاية الراغبين » نقلاً عن كتاب « روح الأرواح » يجب على الشيخ أن ينبّه المريدين أن تعظيم كل المشائخ المحقّقين واجب واحترام المسلمين فرض وأنّ من حقر طريقة غيره فقد حقر الإسلام وربما جرّه إلى الكفر وهو لا يشعر ، وإذاً فالواجب على كل مسلم أن يترك صحبة كل شيخ تؤدي صحبته إلى الحقد أو إلى الحسد أو إلى الكبر أو إلى التفريق بين المسلمين ويرجع إلى الحقّ ، ويتبع الشرع ، ويحب كل مسلم ويكره كل كافر ، ويحب كل طريقة وافقت الشرع ويحضر مجالس العلم وان منعه شيخه لغلبة الجهل ، وعلى كل حال فالواجب على كل متبوع أن لا ينظر إلى التابعين إلا بعين الرحمة والشفقة والعفو واللطف والعطف والمحبة والتأليف والمودة . وأن لا يؤاخذهم بما يصدر منهم لأنّ أمورهم تجري بمشيئة الله تعالى قال الإمام الجسن البعقيلي نقلاً عن الإمام الغزالي رضي الله عنهما قال : « لا تحدث أصحابك أنّ فلانا ينكر علينا فتوقد نار العداوة بين الأمّة وان شوّاك وقطعك قطعاً فانّك سنيّ لا تأثير لمخلوق والرسول لا يحبّ ذلك ولم يأمر بمثله » وإنما قال : « صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمّن ظلمك » .
طلباً للتأليف لا للتشتيت وان شتّت بين أصحابك وغيرهم ، ونفرتهم صرت حائداً على الصراط المستقيم ايّاك وترهات النفوس فإن الأمة رجل واحد فمن أعيا ساعدناه ومن مرض داويناه ومن جهل علمناه ومن لم يذق ذوقناه جاه الله أيها الولي في عباد الله ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه يوم القيامة ، وفي مثل هذا قيل للإمام سفيان بن عيينة رضي الله عنه قد استنبطت القرآن كلّه فأين المروءة قال : قال تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ففيه المروءة

وحسن الأدب وحسن المعاشرة فجمع في قوله تعالى خذ العفو صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرّفق بالمؤمنين ودخل في قوله وأمر بالعرف صلة الأرحام والتقوى في الحلال والحرام وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار ودخل في قوله واعرض عن الجاهلين الحضّ على التعلّق بالحلم والأعراض عن أهل الظلم والتنزّه عن منازعة السّفهاء ومساواة جملة الأغنياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرّشيدة وممّا روي أيضاً من مكارم الأخلاق أنّ المنصور بعث إلى جعفر بن محمد فلما حضر عنده قال اني أستشيرك في أمر قال ما هو أعز الله المؤمنين قال « اني رأيت إطباق أهل المدينة على حربي وقد نهيتهم مرّة بعد أخرى فما رجعوا وقد رايت أن أرسل إليهم من يقطع نخلها ويغور ماءها فما ترى فسكت جعفر فقال مالك لا تتكلّم فقال جعفر أتكلّم آمنا فقال نعم قال « يا أمير المؤمنين « إن نبي الله سليمان أعطي فشكر وأيوب أبتلي فصبر ويوسف عليه السلام قدر فعفا وأنّ محمداً صلى الله عليه وسلم أوذي فاحتمل وقبل عذر من عذر وقد جعلك الله من نسل الذين يغفرون ويعفون ويصفحون » فلما سمع سكن غضبه وأمسك عمّا يقول وأحسن الظنّ بأهل المدينة وعفا عنهم وهكذا يكون من ولي أمور الناس لا يستبدّ بالأمور . ولا يصرّ بعد التنبيه في الغرور . بل يشاور العقلاء ويقبل آراء العلماء . قيل :

أقرن برأيك رأي غيرك واستشر　　　فالحقّ لا يخفى على إثنين
فالمرء مرآة تريه وجهه　　　ويرى قفاه بجمع مرآتين

وأنا بصفتي نائباً عن الماضين وقائفاً أثر السّلف الصالحين أناشدكم الله وأطلب من فضائلكم أن تساعدوني على الحق وأن تناصحوني على الصدق فإذا حدت عن الجادّة المستقيمة ، والمرء لا يسلم من الهفوات ، ولا ينجو من الزلات . فنبهوني وأرشدوني إلى الصّواب ، طلباً من الله الأجر والثواب ولا تسكتوا فتغيبوا وتشتكوا وفي الختام أقول كما قال سيدنا أبو بكر الصّديق رضي الله عنه حينما بويع بالخلافة صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال « أيّها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حق فأعينوني عليه وان رأيتموني على باطل فسددوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم

فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » اللهم أرنا الحق حقّاً وأعنا على اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وأعنا على اجتنابه يغفر الله لنا ولكم ولسائر المسلمين آمين » .

ولمّا انعقد مؤتمر الإسلام في مكّة المكرّمة عام ١٣٨٩ هـ ألقى فيه الحاجُّ عَبْدُ الْعَزِيز سِهْ رئيس الوفد السّنِغَاليّ كلمات ذات أهمية كبيره ومنها ما نصّه :

« أصحاب الفضيلة السادة الأعضاء ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته إنّه لمن دواعى الفرح وجوالب السرور أن تتاح لنا هذه الفرصة السعيدة بالمثول أمام حضرتكم للمشاركة في مؤتمر رابطة العالم الإسلاميّ بمهد الوحي وقبلة المسلمين مكّة المكرّمة لخدمة الإسلام وتوحيد كلمتهم وتسوية صفوفهم حتى تمثل من مجموعهم هيكلاً جبّاراً يقف سدّاً دون تيّار الإلحاد الجارف المستتر تحت ثوب الرّقيّ والمدنية المزيفة . ذلك الهيكل الرهيب الذي أنقذ العالم من مهواة الرّدى بنور العلم والعدل والمدنية الحقّة في زمن تراكمت فيه ظلمات الجهل وعمت العالم موجة من الغلوّ وطغيان الساسة واستكانة المسوسين والتشوّق إلى منقذ يأخذ بيد العالم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ذلك الهيكل الذي صوره الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه فأحسن التصوير بكلمته الجامعة « مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ذلكم هم المسلمون وذلكم هو الإسلام الذي قرّر مبدأ المساواة بين أبنائه في جميع الحقوق والواجبات ، وجعلهم سواء ، كأسنان المشط . بغض النظر عن أنسابهم وألوانهم وجنسياتهم ، لا فضل لعربيّ على عجميّ إلا بالتقوى « إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم » . وهكذا كان رسول الله الكريم صلى الله عليه وسلم حينما شبه المسلمين في اتحادهم بالجسد الواحد كان يحمي هذا الجسد أن تتفكّك أوصاله وتتحلّل أشلاؤه حاضاً على الاتحاد والائتلاف ناهياً عن التفرّق والاختلاف وليس أدلّ على ذلك ممّا قاله في إحدى غزواته « غزوة بني المصطلق » حينما جرت مشاجرة بين أنصاري ومهاجري وكلّ منهما ندب قومه فقال صلى الله عليه وسلم « دعوها فانها منتنة » وبسبب هذا الاتحاد لم تستطع فارس والروم وهما الدولتان كانتا تقتسمان العالم إذ ذاك أن تقفا أمامه أو تفلا من حدّه وأنّنا إذ نجتمع في محل

انطلاقة الاسلام الأولى وبزوغ شمسه ... أيها الإخوة إننا نجتمع في هذا المكان المبارك مولداً للدعوة المحمدية نستوحي من ماضيه الحميد وتاريخه الذّهبيّ المقدّس حاضراً يربط العالم الاسلامي بعضه ببعض ويلم أشتاته ويؤمله للقيام بما خلق له من قيادة العالم وزعامته ، لتسعد البشريّة ، ويحلّ السلام . انّنا إذ يجتمع اخواني الأعزاء في هذا البلد الحرام الذي بزغ منه نور الإسلام وارتفعت كلمته العليّة مدويّة على صوامع الدنيا فأسمعت آذاناً صمّاً وقلوباً غفلا نتفاءل وكلنا أمل في أن تكون دعوتنا هذه امتداداً لتلك الدعوة المحمدية ومؤيدة بروح منها حتى نستطيع أن تؤدي رسالتنا كاملة .

« أيها الإخوة انّ الإسلام يجتاز الآن ظروفاً قاسية بما يحكيه حوله المبشرون واللادينيون من دسائس خلّفها الاستعمار وركزها بكل ما أوتي من حول وقوة تارة بتبشير مباشر كتنصير المسلمين واخراجهم من حظيرة الاسلام إلى حظيرة المسيحية والتقاط الأولاد المشردين وادخالهم في مدارس الكنيسة حتى لا يفتحوا أعينهم من سنة الصّبا إلا وقد أصبحوا بعيدين عن الإسلام لا يمتّون له بأي صلة . وتارة بتبشير غير مباشر كإثارة الشكوك حول الإسلام وصلاحيته لمسايرة الوقت ونفث سموم الإلحاد والكفر في قلوب الشباب المسلم حتى تخبو جذوة الغيرة الإيمانية من قلوبهم . وتضطرب عقيدتهم . ويصبحوا ليس لهم من الاسلام إلا اسمه . وهذا الخطر المهدّد للإسلام لا يمكن مقاومته في نظري إلا بنشر الثقافة الإسلامية السلفية على أسلوب يماشي الوقت لتشربه عقول الشباب وتتلقّفه أفئدتهم ويجنّد له كافة الحكومات والجمعيات والهيئات الإسلامية ما تملك من قوة لبناء المدارس الدينية وارسال المدرّسين والمنح الدراسية للطلاب ليكملوا دراستهم الجامعية في الجامعات الإسلامية المشهورة حتى نستطيع أن ننشىء جيلاً جديداً مؤمناً بالله تربّى في أحضان الدعوة الإسلامية ونهل من معارفها العذبة الصافية بما يؤهله للقيام بحمل رسالتها المقدّسة . وحمايتها من أيدي المعتدين ، وعبث العابثين من الطائفة . التي لا تزال ظاهرة على الحقّ حتى يأتي أمر الله ثانياً بتطبيق الكِتاب والسُّنة والعمل بهما كعقيدة وشريعة ثرية بالقوانين التشريعية التي تضمن لنا أن عملنا بها ما ننشده من سعادة وهناء في الأولى والآخرة تلك هي الشريعة السّماويّة التي شرعها الله لنا ولم يرض منّا غيرها وكما

أنه لم يرض منا غيرها كذلك لم يرض منا أن نؤمن ببعض منها ونكفر بالبعض الآخر بل أوجب علينا الإيمان والعمل بها غير مجزّأة ولا مبعضة ونحكمها على أنفسنا في عبادتنا ومعاملتنا قال تعالى : فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلموا تسليما .

« ففي القرآن الكريم والسنة المحمدية من التشريع العادل الصالح لكل زمان ومكان المساير لكل وقت ما يغنينا عن هذه القوانين الأجنبية الدخيلة التي جلبها إلينا أعداؤنا وبثُّوها فينا بكل ما أوتوا من حيل وأظهروها لنا في معرض العدالة الإنسانية كأنّنا لم نكن في غنى عنها ولم نكن أنزل علينا من الله كتاب سماوي جامع محفوظ لا يلحقه تحريف المحرفين ولا تغيير المغيّرين ذلك الكتاب الذي ساد به آباؤنا حتى بلغوا قمّة المجد والرّقيّ وحملوا مشعل النور أمام العالم في تلك العصور المظلمة فلن تسعد الأمّة الإسلامية إلا بالعمل بالكتاب والسنة ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح أي صلح به أوّلها ... » .

وله أيضاً :

سادتي الفخام وأعزائي الكرام .

إنّنا نتشرف اليوم بالمثول أمام حضرتكم لنفكر معاً إلى ما دعت الآية وحثّت إليه : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله »[1] .

وحينما نغتنم الفرصة في هذا المحل السعيد والجمع الشهيد الذي قد لا يأتلف في العام إلا مرّة واحدة فحسب نمتلئ اغتباطاً وسروراً لما لاحظناه من طلعاتكم البهية ومناظركم السنية من ملامح الاستماع والاستقبال ، راجين لكم من الله الوصول إلى المقصود ونخصّ لكم الشكر والثناء الذي أنتم به جديرون .

الإتحـــاد

أعزّائي . أحبائي . ليس هذا الاجتماع وهذا اللقاء إلا الدعوة للإتحاد ..

---

(١) الآية ٥٧ في سورة آل عمران .

« يا أيّها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »[1]
« إنما المؤمنون أخوة »[2] أنتما بنو آدم وآدم من تراب .

نعم ! وجد الإنسان فوجدت فيه غريزة حفظ البقاء فهو دائماً يحبّ الحياة ويسعى لحفظها والدفاع عنها ضدّ عوامل الفناء وتبلورت فيه بادئ ذي بدء بشكل أنانيّ ومعنى فردي ضيق إذ يحسب أن تحفظه للبقاء لا يرتبط بحفظ بقاء غيره . ولكن سرعان ما علمته التجارب بأن بقاءه مرتبط كلّ الارتباط ببقاء غيره واتسعت آفاق مداركه فرأى وجوب المحافظة على أعوانه في الشدائد ممن يرتبط بهم ارتباطاً وثيقاً بالقرابة الدموية فأصبح يدافع عن اخوانه وولده وأبويه دفاعه عن نفسه فنشأ بذلك مبدأ الغيرة بشكل ضيق تتغلب عليه مسحة الأنانية ثم رأى بعد ذلك أن التعاون مع هؤلاء لا يكفيه جميع الغوائل التي تهدّد كيان هذه الأسرة الصغيرة فهو محتاج إلى كل من تربطه بهم روابط القرابة الدموية ممن يشكل معهم مجموعة القبيلة فأصبحت الغيرة في نطاق واسع نسبيّاً ، وظهرت في صورة المبدأ القبليّ ، وتكونت بذلك الشراذم السلالية ككتل صغيرة لا تشكل قومية بالمعنى الحديث ولا أمّة وإذا لم تكن غريزة حفظ البقاء المذكورة هي العامل الوحيد في نشوء هذا المبدأ ... وتسير الإنسانية في تطورها البطيء وتقضي مآت ومآت من السّنين تتطورفيها الزعامات القبليّة إلى سيطرة نافذة تضمّ تحتها الشراذم السلالية وتجمعها في وحدة تشكل كل الأمة أو قوماً فتتحول الغيرة من صورتها القبلية إلى شكلها القوميّ أو الجنسي فتنشأ بذلك المبادئ القومية أو الجنسية التي كانت المبادئ الأسرية نواة لها ترتقى منها إلى المبادئ الإقليمية ثم القاريّة . وهذه كلها حفظا للبقاء وسعياً ضد عوامل الفناء . ووراء هذه المبادئ كلها مبادئ أنبل وأشرف منها والتي تغني عن جميع المبادئ ولا تغني عنها بقية المبادئ . وهي المبادئ الإنسانية السامية التي تغني هي وحدها في اسعاد المجموعة البشرية . فنحن محتاجون إليها في كل زمان ومكان . وهذه هي المبادئ العامة الحقّة لأنها

---

(١) الآية ١٣ في سورة الحجرات .
(٢) الآية ١٠ في سورة الحجرات .

ليست بشرية ولكنها وحي السماء ورسالة الأنبياء . لقد أنزلت هذه المبادئ الإنسانية وحياً من حفل التاريخ النبويّ منذ القديم بالدعاية له والتبشير بـه والجهاد من أجله . وهذه الرسالة المحمدية أكبر دليل على ذلك . فقد جاء النبي الأكرم محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً لما بين يديه ومبشراً برسالته لوسارت على مقتضاها الإنسانية لوصلت إلى كل ما تصبو إليه من رقيّ وتقدّم .

« فإن محمداً صلى الله عليه وسلم تمكن بتلك المبادئ السامية من إقامة حكومة دينية عمت جزيرة العرب وتناولت أطراف فارس والروم في ربع قرن على أسس تلك المبادئ التي تتلخص في الإيمان بوحدة العظمة الإلهية والإيمان بالمعاد والخلود وبالقدر والنبوة المحمدية والعمل على تثبيت دعائم الاخاء الإنساني والسعي في سبيل رفع مستوى الأمم والأفراد وتطبيق قانون المساواة بين طبقات الإنسان في الحقوق والواجبات . وانظر إلى قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي »[1]. فإنّ هذه الآية أجمع آية في القرآن للخير والشّرّ فانهّا ما تركت خيراً إلا أمرت به وما تركت شراً إلا نهت عنه . فدين كهذا وشريعة كهذه هو الدين الحقّ والشريعة المستقيمة .

« وارجع إلى ما بنينا عليه هذا الخطاب : « إنما المؤمنون اخوة » إلى قوله : « فأصبحتم بنعمته اخواناً » فإنّ فيهما اعلاناً خطيراً للإخاء بين الناس وإزالة الجواجز والفروق بين الأمم والأفراد لئلا يتميّز (كَجُورْ) عن (وَالُ) ولا (جُلُفْ) عن (سَالُمْ) ولا (كَبْ ويْرْ) عن (فُوتَ) فهم اخوان مهما كانوا متباعدين في الدم واللغة . والوطن والاخاء أمر محتم بين الإنسان والإنسان مهما كانت الفروض الاجتماعية ...

« اخواني فالمبادئ العامة السماوية النبوية لا تعني أكثر من أن يكون بنو

---

(١) الآية ٩٢ في سورة النحل .

الإنسان اخواناً على قدم المساواة في كل حق من حقوق الحياة . فهذه أمراضنا الاجتماعية وهذا علاجها فالفروق والامتيازات الجنسية والشخصيّة ، لا تحل مشاكلنا الاجتماعية وإنما تزيدها غموضاً وتعقيداً فلا يرتقي زيد ولا يتقدم عمرو ، فإن كان لا بدّ من التعصب فليكن التعصب للدين ، وللمبادئ ، لا للأحزاب ، ولا للأشخاص » ...

« أيها الإخوان وأيها الكهول وأيها الشباب مصدر كل القوى ويا كل القوى يا من بهم مستقبل الشعب والوطن اعتقدوا كل الاعتقاد أنكم أنتم القوى جيمعاً ، وأنكم كلّ شيء في الحياة وأنكم كلّ قوة في الحياة ولكن عليكم أن تعلموا ذلك فتسعوا في سبيل تصديقها والا تنفعوا بقوتكم ، والسبيل إلى ذلك هو الاتحاد فالاتحاد ينتج القوة والقوة تفعل كل شيء ، قدروا أنفسكم واعلموا أنّ تقديركم لأنفسكم سيرفعكم إلى أقصى آفاق الفضيلة والكمال ... »

« فبذلك تسلمون من التعصب القبلي أو الجنسي أو الأسري فبهذه الأسلحة الخطيرة سلاح الاتحاد بالعلم والتعليم . سلاح العمل سلاح السعي وراء المصلحة العامّة . تجاهدون عدو الدين الأوحد وخصمه الألدّ : الجهل وليس للدين عدو أشد من الجهل المطبق فإن الجهل يجعل الإنسان كلا شيء أو شيئاً خطيراً على المصالح الاجتماعية بل الجهل يقلب الحقائق ظهراً لبطن ولله درّ القائل :

إذا ما ا لجهل خيم في بلاد رأيت أُسْودها مسخت قرودا

والعلم حياة الدين وروحه وقد قال صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ولا شك أن الدين مات في زماننا هذا أو كاد ، فينبغي لنا معاشر المسلمين أن نتدارك دماءه فنبني عليه ما هدمته البدع والأهواء حتى تكون لنا مثل آبائنا وأجدادنا الذين سعدوا في الدنيا والآخرة « أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقْتَدِهْ » ولا شك أنّ أسلافنا كانوا على قدمه صلى الله عليه وسلم ، واقدام أصحابه رضي الله عنهم ، وكفى بذلك شاهدا قوله عليه السلام : (العلماء ورثة الأنبياء) . وان لا نقتصر على النظر إلى الدنيا الفانية فقط ، فإن الآخرة هي المقصد الأهم . قال تعالى : (بل توثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) . فإن العقل يحكم بوجوب امتثال أوامر الله واجتناب

نواهيه على الوجه الأكمل ، كما يحكم بوجوب تعلم كيفية الامتثال والاجتناب فإن الأعمال في حد ذاتها صور قائمة وإنما أرواحها وجود سر الاخلاص فيها وذلك لا يكون إلا بالعلم وأيضاً من السمع عليه منع إقدام الإنسان أي المكلف على فعل شيء من الأشياء قبل معرفة حكمه ، وفي مختصر الأخضري – « ولا يحل للمكلف أن يفعل فعلاً حتى يعلم حكم الله فيه » – وفي شرحه أي ينبغي للإنسان خصوصاً العالم أن لا يقدم على فعل أمر ولا يخطو خطوة إلا أن يعلم حكم الله فيما يفعله أو يخطوا إليه ، هل هو واجب أو حرام أو مندوب أو مكره أو مباح . إذ الأحكام التكليفية خمسة : الوجوب والحرام ، والندب والكراهة ، والاباحة . كما أن الوضعية أيضاً خمسة : الشروط ، والسبب ، والمانع ، والصحة ، والفساد ، وكلها مفصلة في الكتب ، فيجب للإنسان تعلمها قبل أوان بلوغه ، لئلا يلزم ما لم يعلم حكمه فيكون عليه في فعله إثم إقدامه قبل أن يعلم حكمه . وفي تركه إثمان ، إثم الترك ، وإثم الفعل ، قبل معرفته الحكم فيه . وقد قيل إن التعبّد من غير فقه كالحمار في الطاحون ، بل قال صلى الله عليه وسلم : (من عبد الله قبل معرفته ولو تقطعت أبدانه إرباً إرباً لم يزدد من الله إلا بعدا) . وقال أيضاً (العلم بالله ينفعك معه) ، قليل العلم والجهل بالله لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره . العلم لا يحصل إلا بالتعلم والسؤال ، قال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) .

قد قلنا إنّ الشيخ الحاج الهَادِي كان من أشياخ الحاجّ عَبْدَ الْعَزِيزِ سِهْ فمدح الخليفة شيخه ذا الوقار بهذه القصيدة :

يا راحلا طالباً شيخاً يرقّيه ... إلى المهيمن ربّ الخلق باريه
شيخاً يدلّ على مولاه تابعه ... من نفسه ومن الشّيطان ينجيه
(دِكُلْ مَتَكْتَلَلَ) [1] شيخاً عالماً ورعاً ... من كان يصيحه فالله يحميه
من السوادين والبيضاء دِبْسَجْ جِسْ [2] ... شرقاً وغرباً وربي من يضاهيه

---

(١) دكل منكتلل : انه فأعلمك :

(٢) ديسج جس : فلا يرى .

علماً وهدياً وزهداً مثله دَفَتهْ ... جِ قَجتّسنّبورْ [1] أو كان يحييه

يا حب زره وبادر في زيارته ... فإن زائره الرّحمان يعليه

تسُود مى نَكَرِيْ جاأيْملُومْ يَمير ... دَخْ هَادِي مُومْ كُكُرِيْ [2] مولاه يدينه

رُيَلْ جِثُومْ دَلْكَ والآداب أَكوَقِنَمْ ... أَكيَاتُكَاكْ مُجْكَ [3] ممن كان يوذيه

والزم مجالسه واقبل نصائحه ... من اقتدى هديه فالله يهديه

يا غاديا رائحاً يطوي مفاوزة ... للعلم شوقا وكاد الشوق يضنيه

دِ كَمْ دَكَابَكَ خَمْ نافعا بُرَفتْ ... دِمَلْ جَهَادِكَهَمْ [4] ما أنت تبغيه

خَمْ خَمْبَ بسلَّنَ دُيْنَ يَا نَلُولْ تَرَفتْ [5] ... فالملتقي ربّه فالله يغـريـه

ما جاءه أحد يوما ليسأله ... عن دينه لُكُرِيْرْ [6] إلَّا ويفتيه

دِكَمْ دَكَاَ بَكَ دُكتُورْ ماهراً بْلَفْجْ ... دُكتُورَكِي [7] من أتاه الله يشفيه

نَكُلْ لِبُوْرَيلً دِفْ جِ هَادِمِي كُمْنَالْ ... دُودَانْ [8] مـ دام مولانا يقويه

حبيبنا هَادِمُومْ لَاجِسْ مُرْيلِفُونْ ... تَدَدَ [9] عن كل شيء ليس يعنيه

هَادِي دِمَنْ كِمَدُيْ هَادى دِمَنْ كِمَسَفَ ... دَخْ هَادِ مُومْ كُكُوِيْ [10] فالله يمليه

محمد الهاد جا هاذا دِوتْ كُكُفَجْ ... دِ فَلْجِثُومْ هِتْ [11] علّ الله يبريه

كَاَوَلْ جِ وَلُّكْ هَارْكُ دَخْتِ بَلْ مُوزْ ... جسَلْ جِ ذ نعصر من كُوقِمْنِ [12] يكفيه

---

(١) دفته جقجتسنّبور : جدّ في العمل بالسنة النبوية .

(٢) ان زرته فاقتد بمكارم أخلاقه . فمن اقتدى بالهادي ...

(٣) عليك بر زانته وبكيفية كلامه وبجوده وبصبره .

(٤) إن شئت علما نافعاً حسنا زر هادي تفزب .

(٥) علمه صحيح كاف واسع حسن .

(٦) ما هو جهله .

(٧) إن شئت طبيباً ماهراً ليشفيك فهذا هو الطبيب .

(٨) طب نفساً فهذا فضل له من عند الله ومن أيّده الهادي فلا غالب عليه .

(٩) رأيته يقيس سيرته على التي هي أحسن وينصرف .

(١٠) الهادي يكفيني والهادي هو الذي أهواه لأنّ الهادي فمن يمدحه .

(١١) من جاءه لطلب من يشفيه فاحضضه على قدومه إلى الهادي .

(١٢) أسرغ إلى المريض ونجّه لعلّ الله يشفيه إذ لا يرى في ذا العصر من يكفيه .

يا ندب ربّ الورى قد خصّكم كرما   من المواهب ما لا العقل يحصيه
يَوْيَلَّ رُسْنَلَ لُوجَانْ يَلَّ دَلْدِ كُدفْ   دَخْ يَلَّ مُومْ كُمُوَا يُو[١٣] ليس يخزيه
جَايَنْتبَاكْ يَوْيُورْ لله خالقنا   جَايَنْتبكُوقَمْنِ د قَنَايَلَّ راعيه[١]
يا شيخنا بيننا ما الله مُويْ كِكُدفْ[٢]   والله ربّ الورى ما شاء يقضيه
قَمَلْنِ فُوتُلُّ مَا كِيْ سَمَّ لُولْ لُمَمَنْ[٣]   عهداً قديماً إلٰه الخلق منشيه
كم مرّة قد سمعنا الشيخ[٤] يشهدنا   رضاه عنكم وربّ الخلق من فيه
كذا شهدنا لكم ما ليس يمكننا   احصاؤه من مزايا كنت تحويه
أرشدت من همّه مولاه يا ثقتي   إلى سبيل الهدى وكنت تغريه
هَادِي كِي كُفِجِسِيْ كبَمَ نَكَوَخْ[٥]   في عصرنا ذا بلا زور وتمويه
ما أمّه أحد يشكو حوائجه   إلا وقد قام بالإحسان يوليه
سميّ هادي الورى هذا هديّة تلـ   ـميذ ضعيف لكم خذها يتنزيه
الحمد لله لما حزت تربية   منكم فمن حازها في الدهر تغنيه
وأسأل الله ربّي أن يؤيّدكم   بنصره فضله من شاء يعطيه
جزاكم الله عنّا عالم العلما   خيراً بخير الورى ما الله يرضيه
صلاة ربّي على المختار من مضر   والآل والصحب ما عبد يناجيه

مدرسة دَكَارْ

لا فرق بين تِوَاوُنْ ودَكَارْ من المسافة إلا تسعين كيلومتراً والعلاقات الدينية والصوفية بين عاصمة التجانية وعاصمة السنغَالْ رجعت إلى الوقت الذي كان الحاج مَالِكْ سِهْ قدّس الله سرّه يأخذ في توطيد دعائم الطريقة التجانية في

---

(١٣) ستحببي الله منك وأجاب كلّ ما دعوته إذ من كان من أهل الله .

(١) قد عاهدتك معاهدة متينة وجعلت معاهدتي هذ تحت رعية الله .

(٢) ما الله هو فاعله .

(٣) واعلم أينما تكن أراع بكلّ مجهودي .

(٤) الشيخ : هو والده الحاج مالك سه .

(٥) ها هو ذا الهادي فمن رأى مثله فليأته .

البلاد وأسّس زاوية في دَكَارْ في شارع « مَاجينُو » ولقد وطّد الأواصر بينه وبين الأعيان « لِبُو » وشدّد هذه الروابط السيد أبُو بَكَر سِهْ الخليفة إذ تزوج بامرأة من « لِبُو » وهي (رُقَيَّةُ آنْدُويْ) ام الحَبِيبْ سِهْ وَأَحْمَدْ سِهْ .

وخلاف ما يتوهّم القارئ الكريم ليست مدرسة الأدب الدَّكَارِيَّةِ كثيرة الممثلين إذ لا يوجد فيها إلا أديباً واحداً .

الحَاجُّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ مُحْيِي الدِّينِ كَسَمَهْ

لا نلقى في عاصمة البلاد من الأدباء إلا الحاج الشّيْخ كَسَمَهْ . وُلِدَ مُحَمَّدُ مُحْيِي الدِّينِ في دَكَارْ في سنة ١٩٠٨ م وهو شهير عند مستمعي الإذاعة السّنغَالِيَّةِ بمحاضراته ومواعظه وخطبه وليس لنا من انتاجه الكثير إلا مجموعة صغيرة تحتوي على بعض قصائد مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ أحمد التجاني والحاج الفاضل آمْبَكْ الخليفة الثاني للطريقة المُرِيدِيَّةِ . فأطول القصائد هي قصيدته التي شطّر بها البردة لمحمد البوصيري .

للدَّكَارِيِّ محمد الشيخ محمد الدين نجل الشيخ الفقيه محمد البَاجِي هذه الأبيات التي كتبها تحت صورة الروض النبوي الشريف قبل حجّته الأولى :

يا ضريح الحبيب نور الوجود   من به فاز آدم بالسّجود
صرت أعلى الأصداف إذ فيك حلّت   درّة أخجلت جميع العقود
نار شوقي إليك ذات التهاب   ولظاها تذوب منه كبودي
ومتي زائر نحاك فقلبي   سائر خلفه كمثل المقود
أن تحل بيننا بحار وبيد   فبتصويرك اصطبار شهودي
فسلام على الذي فقت منه   كلّ أرض وبقعة وصعيد
فسلام عليه ما هاج قلبي   ركب من قصدهم مغاني الأحيد
فسلام عليه ما حنّ صبّ   وصلاة تزيل عنّي قيودي
من قريب لمن دعاه مجيب   مرجع الكل وهو باري الوجود

وللناظم أيضاً وهو في طريق فاس لزيارة الشيخ السيد أحمد التجاني رضي الله عنه تعالى عنه عام ١٩٦٣ م :

سلا هل سلا قلبي وقد لاح لي سلا وهل يسل ذو شوق ثوى الدمع مرسلا
أيسلو مشوق للبليدة راغباً على شحط ما بين المزارين في سلا
على رغم ربطي بالرباط لفتحها نهضنا إلى المكتوم في فاس أوّلا
خطانا إلى الأعيان مهما تعينت إذا لم تكن نحو الختام فلا ولا

وله أيضاً هذه القصيدة التي قالها بمناسبة ولادة أول مولود من ذريّة السيد الشيخ أحمد بن محمد التجاني رضي الله تعالى عنه في السّنِغَالْ وهو سمي الشيخ الحاج عُمَرْ بن مولاي محمد الحبيب بن محمود بن محمد البشير بن محمد الحبيب ابن أحمد التجاني صاحب الطريقة المعلومة الشهيرة . وأمّه السيدة ام الخيرات كريمة الحاج إبْرَاهِيمَ بن الحاجِ عبد الله التجانيّ :

أم الخيرات والخيرات بشراك فالحال أبان الذي قد كان يحوي لك الفأل
إذا اختارك المكتوم منبة غرسه بفضلك أهل الأرض كلهم قالوا
لقد خصّك المولى بنيل مكانة لها استصغر الأعيان ما قبل قد نالوا
وما الملك في جنب المقام الذي اعتلى بك اليوم للختمين ما ألجاه والمال
ويؤتى مدبر الأمر ما شا لمن يشا لحساد فضل الله لا يهـــدأن بال
ليهن أبا اسحاق[1] سعد اصطياده لبيت النبي اليوم قد ضمه الآل
وذو اللّب كم أرضاه حسن ارتيائه وكم قاد للحسنى على الله اقبال
وما زال ابراهيم بالدين مولعا إذا الناس للدّنيا وأزهارها مالوا
عدى وله حبّ أبناء شيخنا على هامة الجوزاء تسحب أذيال
ووامق آل الختم أربح بيعه هم القوم يوفون المكيل إذا كالوا
فها نحن بايعناكم أيها الآل ولن يرغبنا عنكم القيل والقال
وكم زاعم يعزوا إلى الشيخ أمره بأعراضه عن آله غيره آل
وناكث عهد الحبّ ليس كمن وفى لقد حال ما بين البزيدين أميال
فأهلاً وسهلاً بالهمام الذي أتى سلالة آباء لهم عزّ أمثـال
لقد شرفتنا الحين منه قرابة فنحن وان كنا مريدين أخوال

---

(١) أبو إسحاق هو الحاج ابراهيم نْيَاس والد أمّ الخيرات .

يمتعنا القيوم دهراً بعمره ليحسن من هذا البلاد به الحال
صلاة وتسليم على سيد الورى متى لاح في قوم من الآل مفضال

للمسلم شرف كبير حقّاً أن تكون قرابة بينه وبين النبي عليه السّلام بأحد من ذرّيته صلى الله عليه وسلم ولكن هناك ظلّ في هذه الصورة الشريفة كما قال الفرنسيّون إذ كلّما زوّج شيخ سنغاليّ بنتاً له من سليل الشيخ أحمد التجانيّ هذا تغافل عن زوجته حتّى اضطرّ والدها إلى طلب الطلاق لها . وهكذا كان أمر أمّ الخيرات وكما كان أيضاً أمر بنت الحاج عبّاس صل وكما كان أخيراً أمر بنت ثالثة مع محمد الحبيب هذا أليس هذا فضيحة ؟ فكل منهم في خطأ إذ أخطأ آباء البنات وصهرهم الشريف .

وللشيخ كَسَمَهْ أيضاً مرقصا لمولاي عمر المذكور الذي وُلد في كَوْلَخْ في رجب عام ١٣٧٧ هـ .

بشرى لنا بطلعة سعد سعود الأمة سمي محبي الملة عمر طود السنة
ليث الوغى شاك السلاح مردي البغاة بالرماح هادي الأنام للفلاح جد سعيد القدوة
يا مرحبا بأوّل مولود أبناء الولي نجلنا المفضل في أرضنا البريكة
طوبى لنا بكَوْلَخٍ بذا الفخار الأرسخ فقنا جميع الشمخ من أهل كل بلدة
به الغنى عما القرى نالته في كل الثرى الصيد في جوف الفرى يا عظم هذا المنة
فطلب الغنائم من يمن نجل سالم حنت لأرض سالم قلوبهم وطارت
عمير عش معمرا ما للشريع اندثرا حتّى تكون للورى بابا لأسنى البغية
بجاه جدك الأمين صلى عليه كل حين خالق كل العالمين بالآل والصحابة

للشيخ الحاج كَسَمَهْ يمدح به حضرة الشيخ الحاج محمد الفَاضِل أمبَكْ الخليفة العام للمُريديَّة في السنغَالْ :

يا ابن الخديم الذي ما حلّ ساحته مستنجد قطّ إلّا نال حاجته ٥
والابن عندهم سرّ لوالده من ذا الذى لا يرى فيك وراثته
أنت الخليفة في سرّ وفي علن وخادم الهادي ما أعلى خلافته
أحييت سنته في الزائرين فما خيبت من الفوا قدماً كرامته
هذي الظرافة أحيت لي ظرافته وذي الضيافة قد ضاهت ضيافته
زهدت في الدار تي شوقا لخالقها فلا تزل معطياً للدين غايته

على منابر للسّحاب ناطحة قام خطيب هنا يلقي مقالته
ويسمع الصمّ ذا الحال البليغ بلا نطق ويكشف للأعمى اشارته
آثرت ربّك في بيت بنيت له على بيوتك إذ فضّلت حالته
ومن يعمّر لمولانا مساجده يربح له الله ذو اللألا تجارته
ما زلت تبذل في أمر الديانة مذ ولّيت من ذلك الشيخ مكانته
يا فاضِلَ الفضل كم أرضيت ذا وطر لا زلتم الله يوليكم عنايته
طوبى لمن حلّ في طُوبَى وأنت به عن خادم المصطفى توفي نيابته
بشراك قد نلت فيضاً غير منقطع فانفق ولا تخش م المولى ازالته
أفاد حالك ما يبدي سيادتكم والحال ذو العدل من ينفي شهادته
هذا الخليفة قد قام بواجبه بأحسن الوجه قد أدّى أمانته
أحياك ربّ الورى دهراً بلا كدر تولي لمولى الآلى شكراً عبادته
بجاه من كان ذاك القطب خادمه له الصلاة متى رفعت رايته

نعم كان الحاجُّ الفَاضِلُ بْنُ الشيخ أَحْمَدَ بَمْبَهْ كثير الرّماد وقد أتم بناء الجامع الشامخ في طُوبَى فلم يفرط الحاج الشيخ كَسَّمَهْ في مدحه للخليفة الثاني للمريدية .

له أيضاً يمدح جلالة الملك المعظم فَيْصَلْ بنَ عَبْدَ الْعَزِيز من آل السعود المفدّى عند زيارة الملك السّنغَالْ عام ١٩٧٢ م .

يا فيصل الملك العدل ابن جلا يا أفضل الكرما يا أكرم الفضلا
يا واصلا رحم الإسلام رابطه وجامع الشمل منه بعد ما انفصلا
وشائدا ما أبوه كان أسّسه من سؤدد وفخار ثابت وعلا
من فضلك اقبل تحيّاتي وتهنئتي واقبل ثنأبي فلي فخر إذا قبلا
قد كان يقبل مني المدح والدكم وكنت أنشده فيفرح الجذلا
أثني عليك كما أثنيت قبل على عبد العزيز الذي على الملوك علا
فنسخة منه طبق الأصل أنت كما يحذو على نعله نعلا من انتعلا
أكملت برنامجاً قد كان خطّطه والحمد لله إذ رمته كملا
دعوتنا الجفلى للدين منتصراً لبّيك من كل ما تدعو له الجفلى

لبّى نداءك أقطاب أفارقـة لم يعبؤوا حين لبّوكم بمن عذلا
يدعون بالنصر والعمر المديد لكم وأن يحقّق مولانا لك الأملا
وأن يكلّل أبهى النّجح رابطة ترضي بتأسيسها مولاك جلّ علا
ولأقتصر ليس يحصي الرّمل حاسبه وقد أعدّ إذا أكثرت في الثقلا

قد اشتهر الحاج الشيخ كَسَمَهْ بقصيدة شطّر بها البردة سنة ١٩٤٠م . قال في المقدمة : هذا ولقد فرغت بعون الله تعالى من الاعتناء بالتشطير الذي عن فصاحة الأصل وبلاغته في غاية التقصير وسميته (بتاج الجوهر في مدح صاحب الكوثر) أو (باليتيمة الفردة في وشي البردة) حمداً وشكراً للكريم موليه بجاه الممدوح فيه .

... وما دعاني إلى اقتحام هذا العالم ، وارتكاب الادلاج في ذا الليل المظلم ونعالج قطع هذه المفازة التي لا تخلو من ضيغم ، سوى أيدي الأقدار المقارنة بفرط غبطتي عارف الشعراء وشاعر العارفين ، الإمام الملقب بشرف الدين محمد بن سعيد البوصيري رضي الله عن شيخنا وعنه وعن المسلمين أجمعين . وجزانا المولى وإيّاه خيراً كثيراً عن الدين . مع رومي مشاطرته ثواب ميميته البديعة المشهورة بالبردة التي أتت طبق اسمها (الدرة اليتيمة) .

لقد أتيح ألّا أزاحمه على أجره الجسيم ولا على حسن دره النظيم وما حظ اشتراكي ينقص من ثوابه مثقال ذرة بل ينال منه زيادة في الأجر وفي ارتفاع القدر لما جاء في الأثر في شأن الدّال على الخير ... من (أَبيدْ جَانْ) في تاريخ (٢) صفر الخير عام (شمس هدى) هجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم . »

فهذه نبذة من التشطير :

أمن تذكر جيران بذي سلم قد بتّ ترعى نجوم الأفق لم تنم
أم من ظعين نأت والخوص تحملها مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة فهاج شوقك هوج الريح للعلم
أم جاورت إضما سلمى وجيرتها وأومض البرق في الظلماء من أضم
فما لعينيك ان قلت اكففا همتا على الثياب بدمع جاد كالديم

تحكي البليّة قل لي ما بليت به — وما لقلبك ان قلت استفق يهم
أيحسب الصّبّ أنّ الحبّ منكتم — والدّمع يقطر والاحشاء في ضرم
هلّا اعترفت بوجد شاع كامنه — ما بين منسجم منـه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل — ولا أننت لبرق ضاء في ظلم
ولا شجاك غناء الورق إذ غردت — ولا أرقت لذكر البان والعلم
ولا أعارتك ثوبي عبرة وضنى — طوارق زرن والظلماء كالفحم
ولا أثارت هموم القلب إذ سكنت — ذكرى الخيام وذكرى ساكن الخيم
... كم حسنت لذة للمرء قاتلة — والخسر في نعم تفضي إلى نقم
قد كان يخبأ في طيب الطعام أذى — من حيث لم يدر أنّ السّم في الدّسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع — دع الغلوّ من الأمرين واغتنم
إن قيل فالجوع عند البعض يحمد قل — فربّ مخمصة شرّ من التّخم
واستفرغ الدّمع من عين قد امتلأت — بصدّها عن جمال الحقّ ذي النعم
الالتفات إلى الاغيار عنـدهم — من المحارم والزم حمية النّدم
وخالف النفس والشيطان واعصهما — كلاهما غير ما يرديك لم يرم
ايّاهما لا تشاور كن على حذر — وان هما محّضاك النصح فاتّهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً — بل كن مطيعاً لخصم الخصم تستقم
الخصم يمكر والقاضي يساعده — وأنت تعرف كيد الخصم والحكم
استغفر الله من قول بلا عمل — فإنّ هذا لمقت كان ذا عظم
الوعظ يوقظ لاكم مذ أتيت به — لقد نسبت به نسلا لذي عقم
... محمد سيد الكونين والثقليـ — ـن من أتى مدحه في النون والقلم
المنتقى سيّد السّكّان للحرميـ — ـن والفريقين من عرب ومن عجم
نبينا الآمر الناهي فلا أحـد — من دون تصديقه ينجو من النقم
قل من به أرسل الرّسل الكرام فلا — أبرّ في قول لا منه ولا نعم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته — إذا غدا الرّعب عمّ الرّسل كالأمم
ما خاب قطّ الذي قد استغاث به — لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون بـه — بالحظّ نالوا معلّى ميسر الكرم
يا فوز قوم قفوا آثاره فهم — مستمسكون بحبل غير منفصم

فاق النبيئين في خلق وفي خلق ... وفاق منهم ثبوتاً كلّ ذي قدم
فلا يرى منهم في الجود مشبهة ... ولم يدانوه في علم ولا كرم
... ومن تكن برسول الله نصرته ... يأمن به من أذى الأخلاق كلهم
فليمض خالي بال في المفازة إذ ... إن تلقه الأسد في آجامها تجم
فلن ترى من وليّ غير منتصر ... بجاهه وهو عند الله ذو عظم
ولا محالف إلا صار محـترماً ... به ولا من عدوّ غير منقصم
أحـلّ أمّتـه في حـرز ملّتـه ... فأصبحت معه في آمن الأطم
تظنّه وهو يحميهم ويحفظهـم ... كالليث حلّ مع الأشبال في أجم
كم جدلت كلمات الله من جدل ... وصمّتت صمّة أوصار في لسم
فلا ترى خللا عين لمنـكره ... فيه وكم خصم البرهان من خصم
كفاك بالعلم في الأمّي معجزة ... ولم يكن مثله في جملة الشّيم
بذي المعارف حرق العرف دون مرا ... في الجاهليّة والتأديب في اليتم
خدمتـه بمديـح إستقـل بـه ... وزرا تذكّره في القلب كاللّتم
مدحته كي ترى خيراً يحول لي ... ذنوب عمر مضي في الشعر والخدم
إذ قلداني ما تخشى عواقبه ... ومنهما أجدد الديباج كالهدم
وكنت جاهل ما يخفي اتباعهما ... كأنّني بهما هدي من النعم
أطعت غيّ الصبا في الحالتين وما ... نظرت الا جرى دمعي إلى الندم
أذبلت في ذلك الزهر العزيز وما ... حصّلت الا على الاثام والندم
فيا خسارة نفسي في تجارتهـا ... باعت بودع رذيل لؤلؤ الطغم
لما اشترت وهي لم تشهد كحاطبهم ... لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم
ومن يبع آجلا منه بعاجله ... ينله سهم المنيح البيع في القسم
أجل فمن باع أخراه بضرّتهـا ... يبن له الغبن في بيع وفي سلم
إن آت ذنباً فما عهدي بمنتقض ... عن الرّؤوف الرّحيم الدّائم الرّتم
فلم يمل قطّ قلبي عوض لن يولن ... عن النبي ولا حبلي بمنصرم
فإنّ لي ذمّة منه بتسميتي ... محمد فلربي الحمد من نعم
كم من أحاديث في شخص أتى سمه ... محمد وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معاذي آخذاً بيدي ... فمن يأمّنني من كل ذي نقم

دون الحساب حبيب الله ينقذني فضلا والا فقل يا زلّة القدم
حاشاه أن يحرم الرّاجي مكارمه وعنده حاتم ذو الجود كالزرم
فلا تخف معه أن تلقى الأذى أبداً أو يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه بلية الحال أمست منه في البسَم
وكلما جئته من شدّة هجمت وجدته لخلاصي خير ملتزم
ولن يفوت الغنى منه يداً تربت هو الجواد إذا ضنت يد القشم
أرجو به نيل منّ لا أبوح نه أن الحيا ينبت الأزهار في الأكم
ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت بشعرهم وشعرا غيّ وبالنغم
ما زهرتي نيل ما فازت بزهرته يدا زهير بما أثنى على هرم
يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سوى ملاذ جميع الرسل في الجشم
وليس في الخلق من أرجو اغاثته سواك عند حلول الحادث العمم

وللبردة والتشطير (٣٨٤) بيتاً فصار الكلّ كتيباً طبعه عُثْمَانْ تُورى بِدَكَارْ في عام ١٩٦٤ م . سبق التشطير كثير من قطع قرّظ صاحبه بعض السادة العلماء السنغَالِيِّين والبياضين المُورِيتَانِيِّينَ .

فإن التشطير مراهنة غير أنّ الشيخ كَشَمَهْ ثابر على العمل ووعد بالوفاء بعد أن يحلّ عدّة مشكلات عمنها فهم النّص الأصيل فهما عميقاً ومعرفة اللغة البدويّة للبوصيري حقّ المعرفة والسيطرة على العروض العربي وتيسير تنسيق الأبيات من الصعوبات ؛ لأنّ لكل بيت من الشعر العربي وحدة في المعنى واللفظ واستقلالاً بالذات فقد يمكن سوء تنسيق في ادراج بيت شطري بيت كامل أجزاء فلما كان الشيخ كَشَمَهْ لغوياً خبيراً وعروضاً محنّكاً وعالماً ماهراً وشارحاً نخريراً وشاعراً موهوباً نجح في تشطيره . فدونكم بعض التقاريظ من أهل السّنِغَالْ قال (مُحَمَّدْ كَيْ بَارَ) :

يا شيخنا يا زعيم الجيل جهبذنا دم مستقيماً فيا لله يا عجبا
الحقت أول ما قد فهت آخره والعين والقلب قالت قال يا عجبا
وبخبخ الفهم منّي من فصاحته ومن براعته والوشي يا عجبا
صغت النضار وشاحاً والجمان عقو دا فوق جيدٍ وثين الكشح يا عجبا

قصيرة الخطو رخو العطف مشيتها تختال وعثاء هونا قلت يا عجبا
صلّ على من أتى منك الثناء على أخلاقه ربّ مهما قيل يا عجبا

لسيد أقرانه السيد أحمد التجاني الشهير بالشيخ جُوبْ والمدعوّ عند الأقارب بجَلْ على اسم جدّه جَلْ جُوبْ الأول رئيس الجمهورية الدّكَارِيَّةِ السابقة لدخول الاستعمار الفرنسيّ هذه الأبيات :

لله شيخ كذا الأوراق أسطارا واودع السمع أبياتاً وأشعاراً
قد حاك مزناً على منوال مبلغه يحلو لدى الذوق اعلاناً وأسراراً
فهو حسان هذا العصر أثبت ذا كل مجيد « وُلُفاً » كان أو « نَارَا »

وقرّظ القصيدة الحاج ابراهيم بن الحاج محمد التسليمي الطُّوبَوِيُّ :

لمّا وقفت على التشطير أزعجني شوق وهيّجني ما فيه من حكم
وقلت ذا النظم بحر ليس يعبره إلا ذكيّ خليّ الذهن من وهم
فخضت فيه وأخرجت الجواهر من لجانه ومثوج اليم في عظم
يرمي بخافته درّ البديع وبا قوت المعاني فيا للبحر من نعم
جمّ الجواهر إلا أن جوهرنا هذا فريد بديع النظم في النظم
إذ فيه ما يعجز الخنذيذ من ملح تريك أن الفتى من فتية شهم
محمد العيلم الفيـاض بـدرَرٍ من البديع على أسلوبه اللقم
ابن الرضى السيد البَاجِي من ظهرت بركات أوفاقه في الأفق كالعلم
مجمد عـالم الأسرار متقنهـا ومنجع الرائد الحيران بالنعم
شطّرت بردة شيخ مادحين لنا وتحفة العـاشقين القادة القثم
محمد القطب من نار القلوب به كما به فاضت الخيرات كالديم
أنت المصلّي وهذا الشيخ قدوتنا هو المجلّي من الحلبـات للدعم
أحسنت يا شيخ مُن حجّ واعتمرا وزار من جاهه ينجي من النقم
ملكت يا محيي الدين البراعة في صناعة الشعر في أقرانك النجم
أنسيت أنسيت عن سحبان وائل في فصاحة وابن عباس ضيا الأمم
للتاج من بين تيجان الجواهر في بلادنا قيمة من أرفع القيم
(دَكَارْ) طابت بطيب المادحين كما بوصبر طابت بهم فضلا من الحكم

يا أهل «سِنِغَالُ» هذا عزّكم ولكم — فخر بهذا الفتى المنعوت بالكرم
جازاك عنا إلـٰه العالمين كما — جازى الإمام وأنجاك من السدم
هذا لا لحاج ابراهيم نجل هدى — محمد التسليمي الوافر القسم
قرّظت يا حبّ تاج الجوهر الحسن — مر تحيا شرب ماء الكوثر الشبم
فانّ مدح النبي المصطفى سبب — لشربه والورى في شدّة القحم
خذوه يا أيّها الأدباء واغتفروا — عيوبه فالرضى من أفضل الشيم

قرّظ أيضاً تاج الجواهر ابن عمّه الحاج المختار كَنْسَمَهْ :

على تقاريظكم يا شيعة الكرم — أغير قبل انصداع الفجر عن قلم
نهبتم رونق التقريظ قبل وفي — تاج الجواهر أضحى القول في حطم
كما أغار خيول النهب مصبحة — شيخ العلي في تلاد البرد لم يلم
فاستخلص الجوهر المكنون في صدف الـ — برود والبرد ذو النيرين لم يشم
حتى أتي الصوت من جيران ذي سلم — لباه راعي نجوم الأفق عن أمم
فزوج العزب بالعزباء فادعهما — زوجين والزوج في ذا الحكم لم يضم
شن لطبقة كفؤ دفء أحدهما — شطر من البرد أو شرط من القدم
داعي الهوى ودواعي الوجد صوتهما — سيان لا فرق بين اللحن والنغم
يثني البوصيري في اعجاز بردته — على مشاطره في الأجر والقسم
سبقت إلى الشيخ هوناً كل ما انسجت — أيدي الفنون فأضحى جيد الجدم
أقلامه اجعل إلهي وفق نيّتـه — وسائل الخير بين العرب والعجم
لله درّك من قـرم شمـائله — وازت شمائل سرّ البدء والختم

فإنّ القول ما قالت حذام فالحاج الشيخ كَنْسَمَهْ من مشاهير الأدباء السنغَالْ وشعرائها . والذي أعطاه فضلاً أكبر أنه هو الوحيد في دَكَارْ والله نسأل أن يطيل عمره وينفعنا بعلومه .

المدرسة الأَدَبِيَّة الطُّوبَوِيَّةُ

الشَّيْخُ أَحْمَـدُ بَمْبَـهْ أمْبَـك

أسّس الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ أمْبَك طُوبَى في سنة ١٨٨٦ م في سهل أصحر بِبُولْ على سبعة كيلومترات من مدينة (أمْبَك بَوْلْ) . ولطُوبَى ثلاثة أدوار :

١ – هي عاصمة الطريقة الصوفية المريدية .

٢ – وزاوية الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ .

٣ – والمركز الثقافيّ الذي هو أكثر من غيره نشاطاً وتأثيراً وحيوية بكثرة عدد أتباع الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ وبانتاج هذا الشيخ من الأدب وبنفوذه الديني وبأعماله العظام في خدمة الإسلام .

فهذه مآخذنا ومراجعنا :

١ – الوثائق الوطنية السِّنِغَالِيَّةِ .

٢ – ومؤلّفات الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ .

٣ – والمعلومات المقتبسة من عشيرته .

٤ – وما حصّل عليه الشيخ من كتب أُلّفت بالعربية والفرنسية .

٥ – والأخبار الشفهية وقد أتاحت هذه المآخذ والمصادر المتنوّعة العديدة لمعرفة شخصية الشيخ أحمد بمبه حقّ المعرفة تقريباً . وقد نظرنا في الوثائق التي كتبت من سنة ١٨٩٥ م إلى سنة ١٩٢٧ م وأمّا الأخبار الشفهية فقد مالت إلى الأُسطورة أكثر منها إلى الحقيقة التاريخية .

فهذا جدول المؤلفات العربية التي نظرنا فيها :

١ – كتاب (ارواء النديم من عذب حبّ الخديم) للشيخ محمد الأمين جُوبْ الدّكَنِيُّ المتوفى سنة ١٩٦٧ م والمخطوط محفوظ في (إيفَانْ) وله ٢٢١ صفحة .

٢ – وكتاب (الحِكْمَةِ البَكِيَّةِ) .

٣ – وكتاب (منن الباقي القديم في مآثر الشيخ الخديم) للشيخ مُحَمَّدُ البَشِيرُ

آمْبَكْ ابن الشيخ أَحْمَد بَمْبَهْ وقد طبع في المغرب الأقصى سنة ١٩٦٩ م .

٤ – وكتاب (النّفحات المسكية من الخوارق البَكيَّةِ) لعبد الله الكَمْلِي المُورِيتَانِيِّ .

٥ – وكتاب (سلّم النجاح في أذكار المساء والصباح) لمحمد بن أحمد ابن الحسن المُورِيتَاني .

٦ – وكتاب (مورد القفار في شرح تزوّد الصغار) لمحمد بن الشيخ عثمان قد طبع في تونس .

فهذه المؤلفات الفرنسية التي تفحّصناها :

١ – كتاب (الدّراسات الإسلاميّة في السّنِغَالْ) ومقالة (مريدي أَحْمَدُ بَمْبَهْ) لبُولْ مَرْتِ الفرنسي .

٢ – وكتاب (اسلام السوادين) ومقالة في (اسلام والإنماء في السّنِغَالْ) للسيد فِنْسَانْ مُنْتِايْ الفرنسي .

٣ – وكتاب (المريدية في السّنِغَالْ) للأستاذ عَامَرْ صَمْبَ .

٤ – وكتاب (الطريقة السنغالية المريدية) للشيخ التجانيّ سِهْ[1] .

٥ – ومقالة في (تأثير المريديّ في التجانيين) لِفِرْنَدْ كِسْتُو الفرنسيّ .

٦ – وكتاب (المريدية منذ ١٩١٢ م) للُوسِيِنْ نَكَّشْ .

٧ – وكتاب (الأبحاث عن الفكرة الدينية لأحمد بمبه) لفِرْنَادْ دِوْمُو الفرنسيّ .

سندرس في الورقات التالية مختصراً من حياة الشيخ أحمد بَمْبَهْ ونعالج حياته هذه بالنسبة إلى أعماله ومؤلفاته .

هو أحمد بَمْبَهْ آمْبَكْ بن محمد الشهير بُمَرْ أَنْتَسَالِ بن حبيب الله المعروف بَمَامْ بَلّ بن محمد الكبير المشهور بَمَهَرَمْ بن حبيب الأوّل بن محمد الخير فإنّه وُلِدَ سنة ١٨٥٣ م وقبل سنة ١٨٥٥ م في قرية آمْبَكْ بَوْلْ التي أسّسها جدّه مَهَرَمْ في عام ١٧٨٩ م . وأمّه السيدة مريم الشهيرة بجَارَةُ اللهِ بُصْ كانت بنتاً لمحمد

---

(١) هو ليس الشيخ التجاني سِهْ ابن أبي بكر سِهْ التِوَاوُنِيُّ بل إنّه سميه لا غير .

ابن محمد بن حمّاد بن عليّ . فالوالد والوالدة أصلهما تُكُلُوريٌّ من عهد عهيد وجاء أجداد الوالد من قرية (امْبِمْبَهْ) في (لَاوْ) بفُوتَ تُورُ وأَمَّا آباء الوالدة فهم من قرية (كُلْبِر) بفُوتَ أيضاً . وحين وُلد أحمد بَمْبَهْ لمّا يكن ما نسمّيه (الحالة المدنية) فلنضع مولد الشيخ في منتصف القرن التاسع عشر تقريباً . سمّاه النّاس مرابطاً أو (سَرِنْجَ) بالوُلُفِيَّةِ واسمه أحمد وأمّا لقبه (بَمْبَهْ) فهو اسم قرية الشيخ مَلَنْكِيّ لوالده مُمَّرْ أَنْتَسَلِ تكريماً لذا الشيخ وكان الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ يكتب اسم عائلته (اَمْبَك) البَكِيّ إجلالاً لِلْمَكِّيِّ وتشجيعاً ثم أعطى نفسه لقب (خَدِيمُ الرَّسُولِ وَخَادِمُ الرَّسُولِ) .

ولمّا طال العهد على عشيرته في جُلُفْ صارت عائلته وُلُفِيَّةً شأن جلّ العشيرات التُّكُلُورِيَّةِ التي حلّت مدّة طويلة بجُلُفْ وكَجُورْ كما نلاحظ ذلك في عشيرات الحاج مَالِكْ سِهْ جَخْ والحاج أَحْمَدُ دِمْ وكان بين أَحْمَدُ بَمْبَهْ وبين دَمبِلْ لَتْجُورْ جُوبْ مَلِكِ كَجُورْ صلات القرابة إذ تزوّج مُمَّرْ أَنْتَسَل بـ (جُزْمَارْ وسُهْ) بنت أُخْتِ لِلَتْجُورْ ولما أبعد لَتْجُورْ عن كَجُورْ إلى سَالُمْ تبعه والد الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ عند مَا بَهْ جَخْ وإلى قرية (كَرْ أَحْمَدُ يَلَ) وإلى (شُكَيْرْ) ثم بنى بالقرب من العاصمة دَمبلْ هذه القرية (اَمْبَك كَجُورْ) حيث توفي في سنة ١٨٨٣ م غير أنّه دفن في (دقَلِى) وأمّا والدته جَارَهْ بُصُّ فتوفّيت قبل زوجه ودفنت في (بُرْ خَانْ) .

بنى الشيخ أحمد بَمْبَهْ قريته (طُوبَى) في عام ١٨٨٧ م . فصار مشتهراً وجاءه أتباع وأصحاب وأظهرت الادارة الاستعمارية قلقها وخشيتها لذلك في سنة ١٨٩١ م فرمت الشيخ بإثارة الفتن ومطمح السياسية وبقيادة أنصار لَتْجُورْ الأوّلين حتّي قيل إنه (كان يريد تأسيس دولة وُلُفِيَّةً احتوت على (وَالُو) و(جُلُفْ) و(كَجُورْ) و(وبَوُلْ) و(سِينْ) و(سَالُمْ) .

فانعقد المجلس الخاصّ الاستعماري في ٥ سبتمبر سنة ١٨٩٥ م وقرّر إبعاد الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ عن السّنِغَالْ إلى (غَبُنْك) لأنه ارتكب جريمة آراء ونيات « كما قالوا – ونفته إلى موضع لا تأثير فيه لدعوته التعصبية .

وفي سنة ١٩٠٢ م توسّط الشيخ سِيدِيَهْ بَابَا شيخه المرشد المُوريتـانيُّ والشيخ إبراهيم فَالْ أوّل من اتصل بالمريدية عند أمير اَنْدَرْ لصالح الشيخ أحمد بَمْبَهْ

فرجع إلى وطنه العزيز في ٨ من نوفمبر سنة ١٩٠٢م .

وقد حكى الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ منفاه الذي دام ثماني سنوات في كتيّب سمّاه (جزاء الشكور) .

وبعد زمان قليل رماه مدير تَوَاوُنْ الفرنسيُّ بأنّه أخلّ بالنظام العامّ ولذاك بعد رجوعه من (غَبُنْكَ) بستّة أشهر أسرته الإدارة المستعمرة في (جُرْبِيلْ) في ١٣ من حزيران سنة ١٩٠٣م فأبعدته في مُورِيتَانْيَا حيث قضى الشيخ أَحْمَد بَمْبَهَ أربعة أعوام (من سنة ١٩٠٣م إلى سنة ١٩٠٧م)في زاوية الشيخ سِيدِ يَهْ وهناك ازداد علماً وحكمة .

فتوسَّط صاحبه الشيخ إِبْرَاهِيمَ فَالْ من جديد في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٦م كافلا لتصرّف الشيخ فيما يأتي . فعاد أَحْمَدُ بَمْبَهْ إلى السّنِغَالْ غير أنّه كان عليه أن يبقى في إقامة اجباريّة بقرية (جِثِينْ) بالقرب من مدينة (لُوكَهْ) وأن لا يتجاوز عدد أتباعه خمسين مريدا وعدد منازله عشرين خصّاً .

ولمّا كان اليوم السادس عشر من كانون الثاني في سنة ١٩١٢م أتاحت له الادارة المستعمرة أن يذهب إلى (جُرْبِيلْ) حيث بنى جامعاً بهيجاً للغاية . وفي ٨ نوفمبر سنة ١٩١٢م كتب الأمير العامّ (وِلْيَامْ بُنْثِهْ) ما نصّه : « لم أعثر في مؤلفات أحمد بَمْبَهْ على أيّ شيء متعلّق بالتعصب الدّينيّ بوجه أخصّ ولا على أيّ شيء يصدر عنه موقف العدوان علينا . وأمّا المفردات المجازيّة والرمزية العسيرة الفهم التي استخدمها أهل الاسلام المنخرطون فيما نسمّونه بطريقة بتكلّف وتصنّع فيجب أن تستوقف نظرنا غير أني لا أعتقد أنّه من الضرورة أن نطيل مدى معانيها بافراط . » وقال أيضاً مدير مدينة (جُرْبِيلْ) الفرنسيّ : « فإنّ الشيخ لراسخ القدم في العلوم العربية وهو محسن جدًّا وهو أتقى الناس وكأن الله قد حلّ في ذاته » .

وغنيّ عن البيان أن جميع ما رمي به من قبل كان مختلقاً وموضوعاً .

توفي الشيخ أحمد بَمْبَهْ أمبَكْ في ١٩ من تمّوز سنة ١٩٢٧م في مدينة (جُرْبِيلْ) ونقلوا جثته خفية إلى (طُوبَى) حيث دفنه ثمانية وثلاثون من رؤساء المُرِيدِيَّةِ الأكابر في جوف الليل . وفي اليوم التالي لما نعى الناعي ناح القوم

وتأوّهوا وتفجّعُوا وتوجّعوا ما لا اذن سمعت ولا قلوب قاست .

فهذا ما روته الأوساط الرسمية المستعمرة .

الأعمال العظام للشيخ أحمد بَمْبَهْ

إذا قرأنا ما كتبه الأدباء بالعربية في حياة الشيخ أَحمد بَمْبَهْ فكأنّ حياته هذه رواية فقطّ ، أو قصة من قصص القدّيسين التي امتلأت من معجزات وخوارق وكرامات ، فلنرجع إلى ما هو الصواب والحقيقة ولنتيقن بأنّ مؤسّس الطـريقة المُرِيـدِيَّةِ قبل كونه صوفياً صرفاً ومفكّراً دينياً كان رجلاً نشيطاً في بادئ ذي بدء .

بدأت فرنسا استعمار السّنغال من قبل (فِيدِرْبَهْ) أمير أَنْدَرْ في سنة ١٨٥٤ م حين ولد أحمد بَمْبَهْ في (أَمْبَكْ بَوُل) وهذه السنة تنبأت بشتّى حروب وقعت في البلاد التي لم تزل بعد في أيدي الاقيال والملوك ورؤساء الدين الإسلامي . فلنذكرن مَنْ مِنَ الشيوخ الذين جاهدوا المستعمرين فهم الشيخ دِيلّي والشيخ الحاج عُمَرْ وشَيْخُو أحمد المعروف بالتجاني ومحمد الأمين وفُودِي كَبَا وَمَابَهْ جَخْ وكلّ منهم مات شهيداً في خدمة الإسلام .

فلنذكرن مَن مِن الملوك الذين قاتلهم فِيدِرْبَهْ وخلفاؤه وهم (مَا أَمْبوجْ مَالِكْ) المتوفى سنة ١٨٥٥م و(لَتْجُورْ جُوبْ) الذي قتل سنة ١٨٨٦م . و(صَمْبَهْ يَحْيَى) المتوفى عام ١٨٩١م و(صَمْبَهْ لَوْبي فَالْ) الذي قتل في سنة ١٨٨٦م و (عَلْبَرِ أَنْجايْ) الذي قتل سنة ١٩٠٢م وكل منهم إمّا قتله الاستعمار وإمّا أبعدوه .

فهذه الحوادث الدّامية تنبّأت بانتهاء الجهاد الإسلامي وبانقضاء دول الملوك وقلبت جميع هيئات المجتمع السنغالي وأثرت تأثيراً مطلقاً في هذا الولد العبقريّ الذي يرقى به القدر إلى أعلى مرتبة فيما بعد . فهناك ثلمة لا بدّ أن تسدّ وثغور لا بدّ أن يستعمل وزمرة لا بدّ أن تقاد ومجاهدون مسلمون بلا قائد وجماعة (جَيْدُو) أنصار الملوك الذين كانوامشاغبين مدمنين في النشوة وثنيين غير مثقفين على (بَادُولُو) هؤلاء الفلّاحين الذين لا يدافع عنهم أحد وكانوا

خاضعين للضرائب والسّخرة بلا رحمة ولم يستطع المحتلّون الجدد المستعمرون أن يجعلوا كلّا في خدمتهم .

وأمّا الشيوخ الآخرون فكانوا أكثر اعتناء بجمع الأموال أو بالأمن منهم بالجهاد فصاروا أهل فكر تجاه الطبقة العليا الأَرِسْطُقْرَاطِيَّة والملوك بلا تاج . وكان أهل الفكر هؤلاء متألفين من قضاة وكتّاب وشعراء ومستشارين وصنّاع تمائم وتعاويذ ، وكانوا يعيشون على نفقات الملوك المتجوّلين المستعدّين لقبول أيّ شيء حتى اعتناق الإسلام لاسترجاع عرشهم كما قال القاضي مَجَخَتَ كَلَ .

فهذا مثل ملك وشيوخه : كان لعَلْبُر اَنْجَايْ ستّة أشياخ رؤساء للدّين وهم الشيخ سِيدِيَهْ بَابَا من مشاهير أولاد الأَبْوِيرِي المُورِيتَـانِيّ وكان شيخ زاوية بُوتِلِمِتْ المتوفى سنة ١٨٦٩م وَمَا بَهْ جَخُ الذي بايعه عَلْبُر سنة ١٨٦٤م والقاضي مَجَخَتْ كَلَ شاعره والشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ اَمْبَكْ الذي أعطاه الوِرْدَ المُرِيدِيَّ وأَحْمَد بن الحاج عُمَرْ الذي جعل عَلْبُر عضده الوفيّ والحاج مَالِكْ سِهْ الذي زوّجه عَلْبُر من (صَفِيَّة أَرَمْ بُنْكَ) بنت لأخت له .

وكان للَتْجُورْ جُوبْ مثل آخر (مُمَّرْ أَنْتَـالِ) والقَاضِي (مَجَخَت كَلَ) و(مُورْخُمَّ) والشيخ سِيدِيَهْ (خُيَا) وكانوا مستعدّين لموافقة دَمِيلْ على ركوب أهوائه حتّى وَلوتنتامى الشريعة .

أمّا الشيخ أَحمد بَمْبَهْ الرجل النشط فقد تكلّف السّعي لجعل الناس مراعين مبادئ الدّين الإسلاميّ ومقيمين الفرائض واجتهد في دعوة رعايا الملوك والطبقات العسكرية (الجيدُّوِيَّةِ) والملوك الوثنيين إلى اعتناق الإسلام . ولتصفيته وتطهيره فقد شنّ الحرب على المشائخ ممّا لقي الملوك وإن كان على والده ولمّا أرواد بلوغ مراده أي جعله الملوك والأمراء مسلمين وبالتالي رعاياهم حرّضهم على الإنصراف عن السّيادة والسلطات والمقاومة للمستعمرين .

ولمّا بايعه الشيخ ابراهيم فَالْ أوّل أتباعه وكان من أمراء كَجُورْ اقتدى به جماعة (جِيْدُّو) . قال الشيخ البشير اَمْبَكْ ابن الشيخ الخديم أحمد بَمْبَهْ في كتابه (منن الباقي القديم في حياة الشيخ الخديم) ما نصّه : « حكى عليّ مريده الكبير (الشيخ ابراهيم فَالْ) وهو من فرسان النّبة تلو شيخه قال لي :

إنّ أوّل ما عاقدت عليه الشيخ رضي الله عنه من العهد والبيعة قلت له أنّي لم يخرجني من بيتي إلا طلب شيخ موصل أجد من حاله نور حقّ تندفع أمامه ظلمات الخلق وتنجلي به آيات الحق لو لم أجد أحداً ممّن هذه صفته إلا قبره لبلغني صدق نيّتي فيه أملي واني أبايعك على أن لا أحظى من الدنيا بشعرة ، إنما همّي الله والدّار الآخرة ، قال فقال له شيخنا رضي الله عنه : يا ابراهيم أنا لو لم أجد من آثاره صلى الله عليه وسلم إلا منظر هذه النجوم والسماء التي تحقّقت أنه صلى الله عليه وسلم كان ينظر إليها لوثقت بأنّ نيّتي فيه ومحبّتي كفيلتان لي بقضاء الحاج والأخذ باليد عن سابقه الحسنى من الله تعالى لمن رزقه الإيمان به والحبّ فيه على أني أبايعك على امتثال والاجتناب وترقية الهمّة إلي الله ولا ترج منّي في الدنيا عريشاً يظلّك فضلاً عن أهل ودار »[1].

فقبل الشيخ ابراهيم فَالْ جميع الشروط التي طرحها عليه الشيخ أحمد بَمْبَهْ وهي الاعتزال عن السّلطات والانصراف عن أهله وداره وكونه مُريداً[2] متفانياً قلباً وقالباً في خدمة شيخه مرشده وموصّله إلى الله والدّليل على أن بيعة الشيخ ابراهيم فَالْ للشيخ أحمد بَمْبَهْ هي التي أغرت ببيعة جمّ غفير من (جِنْدُو) ، ومن الطبقة العليا . هو ما قاله الشيخ البشير أمْبَكْ : « ولم تمض على مبايعته له سنون حتّى اجتمعت في أمره ونهيه على التربية ألوف من المريدين السالكين على يده وعشرات ألوف ، وأسلم بسببه ألوف من فُسّاقِ (كَجُورْ) و(بَوْلْ) و(سِينْ) من بيوت الأمراء وأتباعهم »[3]

وحظوة والده مُمَّرْ أَنْتَسَلِ عند لَتْجُورْ أخذت في تيسير العلائق بينه وبين دَمِيلْ هذا وأمراء كَجُورْ . إذ كان مختار جُوبْ أخو لَتْجُورْ من أوّل من بايع الشيخ أحمد بَمْبَهْ وهو الذي قال ما نصّه : « لمّا وقعت عيني على الشيخ رضي الله

(١) راجع صفحة ١٣٢ من (منن الباقي القديم) .
(٢) أي من له إرادة ترقية همته إلى الله تحت اشراف الشيخ أحمد بمبه من هنا اسم المريد الذي أطلق على كل تابع لأحمد بمبه .
(٣) راجع صفحة ١٣٤ من كتاب (منن الباقي القديم) .

عنه فوجدته لا يدخل فيما يخوض فيه الناس مقبلا على شأنه ، من التلاوة والعبادة ، ولا يرفع طرفه ، دخلني حال لا أعبر عنه ، من محبته في خوف واستعظام فرجع الإسلام في قلبي أوّل وهلة من نظرتي فذهلت عن جميع ما كنت فيه قال فأحسّ بذلك أخي لَتْجُورْ وكان ذكيًّا فجعل يسارقني النّظر مدّة مكث الشيخ في ضيافتنا وكان الحال يزداد في وأشربت في قلبي حبّه فجعلت أقترب منه وأؤثر مجالسته إلى أن فهمني أخي لَتْجُورْ ، وحين انصرف الشيخ إلى قريته رآني ملجماً مهموماً فتبسّم إليّ وقال يا مختار جُوبْ أخاف عليك أن تكون هذا الشيخ رضي الله عنه ذهب بك فقلت له أجل والله ! فقال إن شئت أن تذهب إليه فاذهب ، قال فكأنّما أنشطّت من عقال فذهبت إليه وأسلمت على يديه وسلكت معه إلى اليوم »[1].

ولم يمض بعد ذلك زمان طويل حتى أسلم (إِبْرَ كُدُّ جُوبْ)[2] ابن عمّ لَتْجُورْ على يدي الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ وبايعه . وأوّل شرط طرحه عليه هو « أن يردّ جميع ما أخذ من أموال أتباع » (أَحْمَدُ شَيْخُو) المعرف بالتجاني . « لكونهم مسلمين حتى أعان أهله فرنسا وقتلوهم ونهبوا أموالهم وهذا مخالف للشريعة » .

ذكر أيضاً الشيخ البشير آمْبَكْ وزيراً لِلَتْجُورْ وأميرة كَجُورِيَّةٌ وهي أخت لدَميلْ بنفسها وهما قد أخذا في الهزء بالشيخ أَحْمَد بَمْبَهْ وقالا : « انظروا إلى البغاث يستنسر أمام النّسر الحائم والعقاب الهائم » يريدان القاضي الكبير[3] « فإنّ الوزير طالت به حياة بعد سيده حتى مرّ به شيخنا ذات يوم في موكب من المريدين خطير وألسنتهم لهجة بالذكر والتقديس والوزير المأفون قائم على حافة بئر يستقي لبقره التي لا راعي لها إلا هو أو ابنه عليه أخلاق رثّة ولمّا مرّ به الموكب وعرف شيخنا لوى رشاءه وأقبل عدوا يسابق العامّة ويجهد

(١) انظر في صفحة ٧٧ من متن الباقي .

(٢) إِبْرَ : هو ترخيم ابراهيم عند الوُلُفِيِّينَ .

(٣) هذا القاضي هو مَجَخَتَ كَلَ قاضي لَتْجُورْ .

ليحظى بمسّة لكفّه رضي الله عنه ، وأمّا الأميرة فلم تمت حتى أصبحت تتكفّف عند أبواب شيخنا ، بل وعند أبوابنا ، وأبواب المريدين ، وتابت على يد بعضهم ، وأسلمت وأسلم جميع ما بقي لها من العيال المنكوب »[1]

أمّا بيعة لَتْجُورْ فمثيرة للعطف فلنصغ سمعاً إلى ما قال صاحب (منن الباقي القديم) : « فلنرجع إلى ما كان من محادثة لَتْجُورْ لشيخنا رضي الله عنه حين قال له إن تركت خولك وحشمك وسلاحك وتجاورني على الإسلام والعزلة فأنت في أمان من كلّ همّ وغمّ من أهل الدنيا فقال له لَتْجُورْ إنّ ما قلت حقّ وإنّي لمتيقن أنّه الأولى ، والأفضل إلا أنّه يثقل على نفس مثلي الانسلاخ من الدّنيا بالمرّة ولكن انصرف قلبي عن كلّ ما كنت أتفكر فيه وانقطع أملي بتنبيهك إيّاي بهذه النصائح من كل ما كنت أحاول فالآن لا أكلّفك من أمر إلا بما يعنيني عند ربّي في الآخرة وبما يشفع فيّ عنده فاسعفني بذكر ودعاء ينفع في القبر وأعطني من لباسك الخاصّ ما أشعر به إذا متّ ولا تنسني في الدعاء الصالح فأمره شيخنا رضي الله عنه بحفظ دعاء كان رتّبه هو من الاستغفار وأعطاه قميصاً من عنده فوادعه ولم يمض عليه أسبوعان حتى انقضّ عليه جيش للدّولة فيه جلّ الوطنيّين من بيوت الامارة ومواليه كانت تريده فقتلتهم مقتلة حرّة لم تدم زمناً يسيراً حتّى أثخنته الجراح فمال عن جواده ميتاً ولم يتزحزح عن موقفه مقبلاً على نيّة الشهادة كما قالها حين أخذ يهجم عليهم عند بئر دقنة يوم أربعاء عام ١٣٠٠هـ ودفن بمقبرتها وقد كان سهلاً عليه أن يعجزهم هرباً . وأباه عليه إيمانه بالقدر ومروءته الوافرة رحمه الله تعالى »[2] .

فلنفكّر فيما حكى الشيخ البشير فيما جرى بين والده أحمد بَمْبَهْ قدّس الله سرّه ودَمَيـلْ صَمْبَهْ لَوْبَى فَالْ ابن أخت لِلَتْجُورْ : « إنّ الأمير صَمْبَ لَوْب الذي قلت إنّه آخر أمراء كَجُورْ أتى يوماً لوالده[3] وهو أمير وجلس معه

---

(١) راجع صفحة ٧٢ من منن الباقي القديم .

(٢) راجع صفحتي ٧٨ و ٧٩ من منن الباقي .

(٣) أي لِمَرّ أَنْتَسَلِ وَالِدُ الشَّيْخِ أَحْمَدُ بَمْبَهْ .

على الفراش واستدعاه اياه فأرسل الشيخ الوالد إليه فأتي، وقال له الشيخ الوالد : صَمْبَ لَوْب يريد أن تذهب معه إلى داره ليتخذك شيخاً كما كنت مع خاله لَتْجُورْ قال فقلت له إلى أن يخرج عنك فرجعت إلى بيتي في المدرسة وهو إذ ذاك مدرّس كما مرّ بك وحين خرج الأمير مرّ به وهو في ظلّ بيته يتوضّأ على هيدورة وحين بصر به نزل عن الهيدورة وفرشها له مداراة فهاب الأمير أن يجلس على فراشه هكذا وجلس على الأرض انظر هذه الحالة المعنوية يجلس مع والده الفقيه النبيل ويهاب أن يجلس على فراشه هكذا عزّه التقوى وملك الولاية قال لي شيخنا إنّه حين كرّر عليه أن يذهب معه كما قاله الشيخ الوالد في البيت قال له شيخنا لا يمكن لي أن أذهب وأترك هؤلاء التلامذة الذين أتوا لتعلّم أمور دينهم حاشاي أن أفعل قال فاذعن الأمير وقال إذا كان فهذا جواد حرّ أهديه لك قال فقبلته مصلحة إلى أن ذهب وكان معه ثلاثة من المسلمين كلّ يطالبه بدين مائة قال فأمسكتهم عنه وأمرت من يبيع الجواد فبيع بثلاثمائة فقسمتها بينهم ورجعوا حامدين ولم يعلم الأمير إلى اليوم »[1]

ومن المعروف أنّ (مَيْسَ أَمَيْ) بن (دمْبَ وَارْسَلْ) القائد من قوّاد جيوش لَتْجُورْ والذي قام مقدم والده في رياسة اتخاد الدول الأربع التي كوّنت كَجُورْ أسلم وبايع الشيخ أحمد بَمْبَهْ كما أكده الشيخ بشير : « حكى على الخن أنه سلّم مَيْسَ أَمَيْ على شيخنا تبركاً به صادف رحيلهم فتحزّم وجعل يشتغل في اصلاح الأمتعة مع المريدين كأنّه واحد منهم وقس عليه أمثاله وممّن خانوا الحكومة في هذه الحركة »[2].

وبعد رجوع الشيخ أحمد بَمْبَهْ من منفاه في (غَبُنْكَ) رأى داره في قرية (دَار[3] السَّلَامِ) يحيط بها الجيش من كل جانب من القوّاد البيض وصغار الحكّام وجيوش الأمراء كـ (بُورْسِينْ كُمْبَ دُوْفِينْ جُوفْ) وهو الذي سبق فيه

(١) انظر صفحتي ٤٦ و ٤٧ من متن الباقي القديم .
(٢) انظر صفحة ١٠٤ من متن الباقي القديم .
(٣) هي التي أسسها أخوه جُرْنُ إِبْرَاهِيمَ كما أسس هو قرى أخرى .

من الأمراء المحتشدين قال الشيخ البشير : « حكى علي أحد غلمانه ... وفي مقدّمتنا بورسِينْ فلم نعلم إلا وهو جاث على ركبتيه وقد نزع خفّيه وقلنسوته وسلم عليه فقال له الشيخ : من أنت ؟ فقال له أنا (كُمْبَ جُوفْ)الذي يقال له بُورْسِينْ ومعناه أمير سِين فكلمه الشيخ كلاماً وجيزاً فلاطفه الأمير في أن يذهب معه إلى الحاكم جنوب قريته دار السلام وأَمْبَكْ بَوُلْ قريباً منهما فقبل له حتّى أتياه وأخبر الأمير الحاكم خبر الشيخ وما عرف من أمره من أنّه خال من كلّ ما نسب إليه » [1].

فالشيخ أحمو بَمْبَهْ هو الذي أغرى عَلْبَرِ آنْجَايْ (بُورْبَهْ جُلُفْ) معناه أمير جُلُفْ بإبعاد نفسه عن وطنه سنة ١٨٩٠م حكى السيد مُونْتَايْ ما نصّه : « قال عَلْبَرِ للشيخ لا أريد أن أستسلم للمستعمرين سأقاتل الأجانب – يعني الفرنسيين – الذين لا يقيمون الصلاة وسأنزل بك منزلة سيدنا عليّ رضي الله عنه بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ أحمد بَمْبَهْ : « إني لمتيقن بأنّ الله هو الذي أرسل هؤلاء الأجانب لاستعمار بلادنا وأن قاتلتهم حرّضت أناساً على أن يقتلوا مجّاناً وإن عاشوا اعتنقوا الإسلام وإن كان لا بدّ أن تقاتلهم وجدت في الشرق شيخاً مجاهداً في سبيل الله فعليك أن تلحق به »

ولذا تساءل الشيخ البشير عن هذا الأمر : « فهل رأيت من ينصح الأمراء ولا يداهن في ترك الجند ويأمرهم بالزهد في الدنيا والاقبال على الله في زمن كانت آمالهم متعلقة به لو أراد أمراً كما حاوله هذا الامير وصرح له به عال بُورْ آنْجَايْ أمير جُلُفْ وطلب منه فأجابه بنفس الجواب لِلَتْجُورْ وزاد فيه أن ضرب له مثالاً فيمن ينازع دولة فرنسا منهم أنّه كمن ربط أكباشاً يعدّها لحادثة فأطال بها في حبال الرّبط ويعتني بعلفها ويلين في لمسها رغبة في سمنها فصارت في الجهل تناطح القيّم وتدافعه عن العلف والماء فصبره لها ما هو إلا الاستعداد

(١) انظر صفحة ١٠٢ .

بها ليومها فقط فكذلك مناوشتكم أنتم وأمثالكم ممّن يذكر الجهاد ما هي إيماء يصير وباله على المومي »[1] .

وبعد أن كان الأمراء إمّا قتلى وإمّا مبعدين وإمّا خاضعين لنظام المستعمر خلّوا لأحمد بَمْبَهْ السبيل لنشر الإسلام وطريقته المريدية .

وحملاته على الأمراء الإقطاعيّين كانت أيضاً في آن واحد حملات على الشيوخ الذين نصروا هؤلاء الأمراء فحمل أوّل الأمر على والده الذي كان شيخاً لَلَتْجُورْ وصديقاً ومستشاراً وقاضياً له قد تبع دَميلْ إلى (سَالُمْ) عند مَابَهْ جَخْ وإلى (جُلُفْ) في (بَتَارْ) القرية التي كانت منشأ أهل الشيخ وهي بالقرب من (كَرْ أَحْمَدُ يَلَ) عاصمة لَتْجُورْ وتبعه أيضاً إلى كَحُورْ في (سُكَيْرْ) مقرّ دميل أيضاً وبالقرب من (سُكَيْرْ) أسّس والد الشيخ قرية (اَمْبَكْ كَجُورْ) قد قال الشيخ : « إن لم ينصرف والدي عن الأمير أصرف أنا والدي[2] ولذلك حرّض فيما بعد والده على الاعتزال عن دَميلْ فقام مقامه القاضي مَجَخَتْ .

ولمّا كان عَلْبُرِ اَنجَايْ ولَتْجُورْ والمستعمرون الفرنسيون ألّبا على المجاهد (أحْمَدُ شَيْخُو) المعروف بالتجاني وقتلوه في قتال (صَمْبَ صَاجُ) في شهر شباط سنة ١٨٧٥ م وأخذوا أموال أتباعه أفتى القاضي مَجَخَت وأحلّ أخذ هذه الأموال وسبي المنهزمين المسلمين فخالف الشيخ أحْمَدُ بَمْبَهْ القاضي في فتواه فأراد لَتْجُورْ استقدام الشيخ أحْمَدُ بَمْبَهْ ليعقد مجلساً تجتمع فيه العلماء معه للمناظرة فأجابه شيخنا بأنّ ذلك أمر لا يمكن وكرّر الأمير عليه مراراً وهدّده إن لم يأت فكتب إليه شيخنا أني لم أتثاقل عن اتيانك من تكبّر ولا جبروت ولم أهب مقابلتك ولم أشكّ في مقالتي فأهاب مناظرة العلماء ولكن الطريق كما قال أحد العلماء لبعض الأمراء « يؤتى ولا يأتي كما قال مالك بن أنس لهارون الرشيد »

---

(١) راجع صفحة ٨٣ من منن الباقي القديم .

(٢) انظر صفحة ١١٥ حيث قال « إنه لا بد أن يفارق الشيخ الوالد إذا لم يفارق القضاء ومجالس الأمراء وحيث جانب كلّ ما إلى الأمراء » .

إن كان قصدك التعليم فاتني وإن لم تقصد التعلم وأردت سمة دنيويّة فقط فإني أستحيي من الملائكة أن يروني على باب الأمير لأمر دنيوي ويحملني قدماي إلى ملك غير الله » وفي الأخير كتب الشيخ إلى الأمير هذه الكلمة وأرسل آدم سل إلى لَتْجُورْ : « العالم على باب السلطان كالذباب على العذرة » فأعطى دَمبلْ القاضي مَجَخَت كَلَ ليقرأ الكلمة فلمّا قرأها قال : « سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ ! » فقال لَتْجُورْ : ما الأمر ؟ قال القاضي « لم يبعث بهذا إليك بل أرسلها إليّ فقال الأمير عليك بأن تقول لي ما قال لك فأجابه القاضي فقال لَتْجُورْ فإن حالتي لأخبث إن رأيتك ذبابة رآني ما علمت ولكن يا أيها القاضي ما بقي أن نفعل به ؟ فأجاب القاضي : فلنتركه وشأنه فإن قاتلناه لأخطأنا ومن غلب عليه كان غالب الغالبين وإذا غلب هو صار المغلوب مغلوب المغلوبين وأنا لا أراه إلا غالباً قال لَتْجُورْ : صدقت يا أيها القاضي مع أنّ الحارث قد يجد موضعاً لا يصلح للزّرع في حقله ولا ينبت فيه شيء « قال القاضي الأمر كما قلت . فقال لَتْجُورْ فلنعتبر أحْمَدُ بَمْبَهْ هذا الموضوع في بلادنا فلننصرف عن فائدته » .

قال محمد الأمين جُوبْ الدَّكَانِيُّ في « ارواء النديم من عذب حبّ الخديم » في هذا الأمر : « قضى الله أن سافر الأمير وقاضيه ذلك في بعض غيباته ونزل في قرية قرب منزل الشيخ فسمع الشيخ بأنّ القاضي معه ففزع للسلام على القاضي صلّة له ، لأمرين معتبرين : أحدهما أنّ القاضي شيخه كما تعلم « من علّمك حرفاً واحداً فهو مولاك ، والثاني أن القاضي خليل وحبيب لوالده فوجب لذلك بره وصلته ... ثم التفت الأمير إلى القاضي وقال : ينبغي لنا أن نكلّمه في أمرنا ذلك إذ نقض الفتوى وحاولنا الاجتماع به فلم يحصل فقال القاضي نعم أنا قلت إنّ الرّجل ادّعى النبوّة وحارب على ذلك فأبيح دمه وأكل ما غنم منه واسترقاق من أسر ممّن معه وسكت فسكتت الجماعة زماناً فقال الشيخ للقاضي إنما تكلمت لأجيبك قال نعم ما تكلمت إلا لتجيبني قال وقد أذنت لي في الجواب قال القاضي نعم قد أذنت لك في الجواب قال الشيخ فمن يشهد لك بأنّه ادّعى النبوّة قال القاضي أهل كَجُورْ قال الشيخ أهل كَجُورْ أعداؤه وخصماؤه ومحاربوه تقبل شهادتهم فيه قال القاضي لا ولكن أهل (صَمْبَ

سَاجُ) التي وقعت عندهم الواقعة قال الشيخ أهل (صَمْبَ سَاجُ) أتتهم الأحزاب من الشرق ومن الغرب ووقعت الفتنة عندهم ولا يشعرون فما يدريهم بالدعوى والمدّعي والمدعى عليه فسكت القاضي وسكتت الجماعة هنيئة »[1].

وكان محمد (نُمْبِ مَارْصِلَ) من هؤلاء الشيوخ الذين قد اعترفوا بتفوّق الشيخ أحْمَدُ بَمْبَهْ قال محمد جُوبْ الدَّكَانِي في أمره : « لمّا توفي والده وحمل إلى (دقَلِ) قرية من قرى (كُكِ) في ناحية (أمْبَاكُلْ) سار فيمن سار معه للتشييع برجله وربما يعرض له فارس أن يركب فرسه فيقول السّير برجلي أحبّ إليّ فلمّا اجتمع أهل البلد جماعة لم تعهد مثله قدّموا للصلاة على الجنازة (سِرِيْن طَيْبَ محمد نُمْبِ مَاوْصِلَ) الآتي ذكره في باب شهادة الكبراء للمترجم له فلمّا فرغوا من الصلاة والدفن أمر سَرِيْن طَيْبَ الناس بالاجتماع والسكون والإنصات ففعلوا فقام وخطبهم ووعظهم وأحسن في تعزية الشيخ الكلام للكل وخصّ الشيخ المترجم له بالذكر وقال أين سَرِيْن بَمْبَ كذلك كانوا يسمّونه إذ ذاك قلبي وقام وهو من طرف الجماعة ثم قال له الخطيب أدن فدنا بعض دنوّ حتى صار من حيث يراه ويسمع هو منه ويردّ الجواب بلا تكلّف صياح وإنما وقف ثمة كراهة تخطية الرّقاب ثم قال له الخطيب أدنُ فقال أسمع ثمّ خصّه الخطيب بأحسن تعزية ثم قال اني أطلب منك بعد أن تسير معي ومع جماعة منا أجلّاء نظراء الوالد إلى الأمير فنعزّيه فيه تعزية تقرّ بها عينه لأنه كان خليله وحبيبه وشيخه ومشاوره وكذا نكلّمه فيك وننصبك عنده فيقيمك حيث أقام الوالد فلا ترى منه إلا خيراً وكرامة هذا هو الرّأي عندي فما قلت أنت فأجابه وقال أمّا ما قلت من التعزية والتوصية فحسن فجزيتم خيراً ووقيتم ضيراً وأمّا أمر الأمير فأنا لا أذهب إلى الأمراء ولا أرغب في دنياهم ولا أطلب الكرامة إلا من الله ربّ الأرباب » فانكسرت الجماعة وهدرت صدورهم . أمّا الصلحاء . فللعجب من هذه الكلمة القاصمة لظهر محبّي الدّنيا ، برزت من ابن لهم شابّ وضع قدمه على رقابهم واطلع ، وأمّا العامة فللعجب من امتناعه من هذا العزّ

---

(١) راجع صفحتي ٤٧ و ٤٨ من أرواء النديم مخطوط إيفان .

الحاضر والغنيمة الباردة وشفعوه فبنى على قول الجماعة قطعتين حسنتين عجيبتين أمّا أحدهما فقوله قالوا سفيه لصرفي عنهم بصري « فأنشأ قصيدته التي كان مطلعها هذا البيت :

قالوا لي أركن لأبواب السلاطين   تحز جوائز تغني كل ما حين

والحقيقة أنّ السّبب الذي مال به إلى الانصرافِ عن الملوك وحشمهم هو هذه الحكاية التالية : « وقف على جثّة (مُحَمّدْ فَاطِ) و (عَالِ لُو) وهما رجلان من أهل (أَجَامْبُورْ) من بيوت الرياسة والعلم قتلهما الأمير صبرا لأمر نفسَاني فيه قال شيخنا رضي الله عنه لمّا وقفت عليهما ملقيين تحت شجرة ألقيت ما بقي عندي من الدنيا »[1] .

غير أنّ الأمراء قد حاولوا كلّ شيء وبذلوا كل جهد ليستميلوا قلب الشيخ طلب منه بعضهم أن يكونوا مواليه وتتلمذ بعضهم عليه بعد أن يتولّوا الرياسة والملك وبقي بعضهم على ما كانوا عليه من قبل معترفين بأنّ الله قادر على أن يولي النعمة من يشاء .

فلنفكّر فيما قال لَتْجُورْ لمّا أرسل الشيخ الوالد أحمد بَمْبَهْ – وهو ولد صغير إذ ذاك – عند الأمير لفصل أمر . وهو أمامه مطرق انزوى إلى جانب خال ريثما ينتظر الجواب : « إنّ هذا الصبيّ سترونه حجراً صلباً على تغلّب الملوك »[2] .

ومن المعتقد أنّ الأمراء الحلفاء للمستعمرين والمشائخ الحسّاد الغيارى هم الذين وشوا بالشيخ أحمد بَمْبَهْ ونمّوا وسعوا به عند الحكومة الفرنسية إذ رأى الأوّلون رعاياهم وحشمهم وأنصارهم يقبلون على الشيخ ورأى الآخرون تلاميذهم وأتباعهم وطلّابهم يصيرون مريدين له أفواجاً ، أو يجيئون مسرعين فرادى نحوه .

---

(١) راجع صفحة ١١٦ من متن الباقي .
(٢) أنظر صفحة ١١٥ من متن الباقي .

وقد أسلم الشيخ (ابراهيم فَالْ) ومختار جُوبْ أخو لَتْجُورْ وكثير من الأمراء على يدي الشيخ أحمد بَمْبَهْ حتى لم يفض إلى جذب مسلمين وتلاميذ بعض أشياخ إليه فحسب بل جذب إلى طريقته المُرِيدِيَّةِ مشائخ ذوي نفوذ كبير كانوا من قبل منخرطين في الطريقة التجانية أو في الطريقة القادرية مثل (ابراهيم جُوبْ مَصَرْ) الذي كان تابعاً للحاج مَالِكْ سِهْ وكان انخرط في المُرِيدِيَّةِ نتيجة كرامة قام بها الشيخ أحمد بَمْبَهْ .

قال محمد الأمين جُوبْ الدَّكَّانِي في هذا الصدد ما يلي : « وفي هذه المدّة تزاحم عليه الناس فوق العادة ما بين متعلق آخذ منه طريقته وبين مسترفد يستفضيه حوائجه وبين اجلاء يزورونه ويهنئونه ومن جملتهم اعجوبة الزمان وشاء الأوان (ابراهيم جُوبْ المَصَرِيُّ) وقصته عجيبة ومليحة وظهر للشيخ فيها كشف عجيب وذلك أن ابراهيم ركبه دين عظيم في زمن عسر فيه قضاؤه فأعجزه وجال بين الاجلاء من المشائخ فلم يأخذوا بيده وبقي مبهوتاً مهملاً إلى أن وصل الشيخ إلى سنوسة قدم عليه ومعه أبيات ذكر فيها أمر الدين وكيف قسمه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى خلفائه الأربعة حين يئس من اغاثة الأجلاء اياه ولما استأذن على الشيخ أذن له فأتى وسلم وقبل أن يذكر حاله ودينه وكيف قسمه في الأبيات قال له الشيخ ائتني بذلك العفاص فأتى له به ثم بالثاني فأتى به فقال له الشيخ احسب ما في الكل على حدة ففعل وكان في كل واحد ثلاث مائة والمجموع ستمائة فقال له الشيخ أعزل منها مائة وأتني بها ففعل ثم قال له اجمع القسمين ففعل فقال له استعن بهذا على مصالحك وكان دينه خمس مائة فأخذه الحال من كشف الشيخ وصاح صيحة عظيمة فقال له : ما بالك فحكى عليه قصته وسرد له الأبيات وها هي :

فعلي دين أخوة قسمتها بين الكرام لعلّ أن يقضوها
فعليك يا مختار أوّل قسمة وعليك يا صديقنا ثانيها
وعليك يا فاروق ثالث قسمة وعليك يا عثماننا تاليها
وعليك يا ليث الكتائب يا أبا الحسنين نوري ديننا باقيها
أنتم كرام لا يلوذ بجاهكم شاكي النوائب فانثني شاكيها

فتعجب الشيخ كثيراً وحمد الله[1] وصاحب هذه الأبيات كان حلّ مشكلته معجزة فصار شاعراً للشيخ أحمد بَمْبَهْ فمدحه بعدّة قصائد جمعنا بعضها في (إيفان) . هل هذا الأمر صادر من صدفة غريبة (وتماكن) أم كرامة حقيقية ؟ فلنتعرف بأنّ هناك أفعالاً سرها وحقيقتها الباطنية قد يعرقلا المنطق والإيضاح العقلي .

ومهما يكن من الأمر فنفوذ الشيخ وتأثيره في السّنِغَالْ برمّتها قد أديا بالأمراء والشيوخ المحرومين إلى التشكي إلى السلطات المستعمرة في أَنْدَرْ مباشرة أو بواسطة رؤساء الدائرات الفرنسيين مثل رئيسي (لُوكَهْ) و (جُرْبيلْ) .

وكان لا بدّ للاستعمار أن يقوم بردّ فعل قبل أن يفضي إلى قتال شيخ جديد مثل الحاج عُمَرْ أو مَابَهْ جَخْ أو أَحْمَدُ شَيْخُو فعارض أمير أَنْدَرْ بقساوة وجفاء فأبعد الشيخ أحْمَد بَمْبَهْ إلى (كَبُنْغَ) مدّة ثماني سنوات نعني من يوم السبت في ١٠ آب سنة ١٨٩٥م إلى يوم السبت في ٨ من تشرين الثاني سنة ١٩٠٢م ثمّ نفاه أيضاً إلى مُورِيتَانِيَا من يوم السبت في ١٣ حزيران سنة ١٩٠٣م إلى نيسان عام ١٩٠٧م ثمّ أسكنه في إقامة إجباريّة بـ (جيِنْ) بالقرب من (لُوكَهْ) في السّنِغَالْ من آذار سنة ١٩٠٧م إلى كانون الثاني عام ١٩١٢م .

قد أبعده ونفاه معتمداً على أقوال الوشاة وأصحاب النميمة والحسد . فلذلك لمّا أحضره لدي المجلس الخاصّ في جلسته في ٥ من سبتمبر سنة ١٨٩٥م اقتضي الشيخ استحضار من وشى به هذا هو الشرط الذي طرح ولم يهتمّ المجلس بطلب الشيخ بل قرّر « بإبعاد أحمد بَمْبَهْ عن السّنِغَال وباحتجازه بضعة أعوام على الأقل في قطر بعيد ككَبُنْغَ حيث لا فعالية لمواعظه التعصبيّة »[2]

وقد أقسم الشيخ أحمد بَمْبَهْ ومترجموه أنّه لم يطلب الدنيا وأنّ عهد الجهاد بالسيف قد انقضى فنحن ذكرنا قوله أمام جثّة شخصيتين من أَنْجَامْبُرْ قتلهما

(١) انظر صفحتي ١١٨ و ١١٩ من ارواء النديم مخطوط (إيفان) .

(٢) انظر سجبل القرارات للمجلس الخاصّ في سنة ١٨٩٥م عدد ١٦ في صفحة ٢٥٣ و ٢٥٧ .

لَتْجُورْ . فلنذكر أيضاً ما كتب الشيخ محمد الأمين جُوبْ الدَّكَاني : « قال الشيخ : أتاني في بعض سنين أنّ أخانا (مُحَمَّدُ شُكَّ) المعروف بـ (سَرِيجْ لَمْبَجْ) هو وأخونا (محمد جُوبْ) المعروف بـ (مَجُوبْ هَرَمْ سَرِيجْ فَاتِ) غـرّبهما النصارى [1] ولا أدري إلى أيّ جهة أظلمت على الدنيا وتكدّر وقتي شفقة لهما لأنّي لا أحبّ أن يبتليا بما يكدّر توحيدهما أو تسلبه معاد الله فتضرّعت الله وقلت : وقلت :

يا خير غافر ذنوباً مكا   وخير قـادر أسـرا فـكّا
أفكك رقاب المسلمين فكا   وكفّ عنهـم ما يجرّ شكّا

وهذان البيتان في قصيدته « وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » [2] .

وإن ننس فلن ننسى وصيته لعَلْبِرِ أنجَايْ ملك جُلُفْ : « فأنت جاعل إناساً مقتولين وإن عاشوا اعتنقوا الإسلام » . ومن قال هذا القول ما أراد القيام بالجهاد وسبب تغريبه في مُورِيتَانِيَا هو أقوال الوشاة أيضاً ونميمة من حسده على الهدايا وانخراط الناس أفواجاً في المُرِيدِيَّةِ . كما قد زعم [3] أن الشيخ عنده مدافع وبارود وآلات حرب أخرى وهو متهيئ الآن فإن ضممتم إلي جندا لرأيتم ولعلمتم ما أفعل فوافقوه ظاهراً ولكن لا يثقون بقوله فحشروا أمراء البلاد معه أمـراء (كَجُورْ) و (بَوْلْ) و (صِينْ) ولكن أمير صِينْ هو أحسنهم اعتقاداً وقولاً نعم هنالك أمراء بلغنا أنّ بواطنهم مع الشيخ لو رأوا موجباً وبلغنا أنّهم لمّا وصلوا شرع المتكبّر الذي تولّى كبره يقطع بسيفه ولا يستفتح باباً بل كل ما تعرض له جدار ولا يستحيي من غربي الدار إلى شرقها [4]

والحق أنه لا يخلو الشيخ أحمد بَمْبَهْ من كونه رجلاً نشيطاً شجاعاً مع

---

(١) النصارى هنا هم المستعمرون .

(٢) الآية ١٨ من سورة الرعد . قد بدأ كلّ بيت هذه القصيدة بكلّ حرف من حروف الآية كما صار هذا عادته . انظر صفحة ١٩٦ من ارواء النديم .

(٣) فاعل زعم هو بعض الوشاة .

(٤) راجع صفحة ١٢٣ من ارواء النديم .

إيمان بحسن طالعه ، وبتأثيره المتزايد في جميع القوى الحيّة للأمّه . وقد كان الناس يعدّونه مقاماً ووطنياً وقومياً شأن لَتْجُورْ وغيره بيد أنّ كفاحه تمثل في ميدان آخر أي في الناحية الدينية . وكم من عقبة كؤود قطعها ؟ لقد أقام المحتلون وغيرهم كثيراً من العقبات حتى لو كان غيره في أحواله إمّا أن يزهد في الدعوة إلى الله ليخضع لأهل الاستعمار وإمّا أن يميل به أتباعه غير المضبوطين إلى جهاد ليخفق اخفاق من سبقه .

قال (دَرَامي آمْبَكْ) كاتب السر للحاج الفاضل بن الشيخ أحمد بَمْبَهْ في مزار سنة ١٩٦٦م : « حينذاك .. كان الجهر بالدعوة إلى الإسلام جسارة طائشة وكان كلّ شيخ ، أيّا كان يضطر إلى الاستجارة إلى أمير ما ليستطيع طاعة ربّه في الأقلّ من الأمان والطمأنينة وغنيّ عن البيان أنّ ألوان التسامح والتعريض للشبهات جزاء وفاقاً لهذا الاستجارة كدّرت صفو الإيمان واستقامة المعتقد جدّ التكدير فكان الإسلام إذا اسلاماً مكيّفاً وهذا هو الذي يمتنع عليه الشيخ أحْمَد بَمْبَهْ فيما بعد والذي يكلفه آلاماً وصعوبات لا يحصي عددها كثرة .

وفي الأخير تغلّب على ذلك بوجه أعمّ . وكيف لا وقد كان الرجل الشيخ أحمد بَمْبَهْ ؟ ومن هو هذا الرجل ؟

دراساته وشيوخه ومؤلفاته

في أوّل الأمر سلّم الشيخ مُمَّرْ أَنْتَسَلِ والد الشيخ أحْمد بَمْبَهْ ابنه هذا إلى خاله محمد بن محمد بُصُّ شقيق أمّه مريم المعروفة بـ (جَارَهْ بُصُّ) فقرأ عليه جزءاً من القرآن في (آمْبَكْ بَوُلْ) وبعد زمن قليل سلّمه الخال إلى خال له أيضاً وهو خام أمّ أحمد بَمْبَهْ التفسير آمْبَكْ دُمْب بن محمد سُخْنَ بن محمد الكبير المذكور وهو شقيق جدّة الشيخ أمّ أمّه عائشة وكان التفسير هذا يقضي وأهله فصل الأمطار في (آمْبَك) وباقي الفصول في جُلُفْ بقرية (بَتَارْ) قال محمد الأمين جُوبْ الدَّكَّانِيّ : « حتى توفي المفسّر وقد قارب من الحفظ أخبرني بعض الثقات

أن شيخنا المترجم له أخبره أن لوحه بلغ (لتجدنّ)[1]... ثم رجع إلى والده (مُمَّرْ أَنْتَسَلِ) وهو فقيه من عشاهير فقهاء العصر إذ ذاك واجتهد لنفسه حتى حفظ وصحّح وجوّد من المصحّحين كل ذلك بقرب والده « ولا يغيب عنه إلا قليلا لأنّ أخاه الشقيق (محمد جَارَهْ) كان عند بعض المصحّحين خارج قريتهم ، ربما يأتيه يمكث معه شهراً أو شهرين ثم يرجع وكانوا إذ ذاك في (سَالُمْ) أيام المجاهد (مَبَهْ) .

وبعد وفاة المجاهد هذا في ١٨ من شهر تموز سنة ١٨٦٧م عاد مُمَّرْ أَنْتَسَلِ إلى جُلُفْ وبقي شيخنا في سَالُمْ مع خاله (محمد بُصٌّ) لتعلّم العلم . ثم سلّمه الخال إلى (صَمْبَهْ تُكُلُورْ كَهْ) ابن خالة أبيه .

قال الشيخ البشير في (صَمْبَهْ تُكُلُورْ) : كان ابن خالته ويقاربه في السّنّ سبقت له رحلة في طلب العلم ... وكان رجلاً صالحاً وعالماً بارعاً قرأ عليه شيخنا رضي الله عنه بعض مبادئ العلم وأتذكّر منها الرسالة وأظنّ أنّ منها السنوسيّ ولا أدري هل منها بعض مبادئ النحو »[2].

ثم سار إلى والده في (بَتَارْ) وهي قربة قرب قصر (حَمَدُ بَلَ) مسكن لَتْجُورْ إذ ذاك . وسكن مع والده يتعلم منه مجتهداً في الحفظ والاتقان والتفهم حتى برع في الفنون وفي أثناء هذه المدّة كان يأتي للقاضي مَجَخَتْ كَلَ وهو ساكن مع الأمير قاضياً له بارعاً في فنون العلم ولا سيما العربية مشتهراً بجودة الشعر يأخذ منه دقائق العربية وأسرارها وربما يأتيه بأبيات قالها هو فينظر في اعرابها وعربيتها وعروضها »[3]. قد أتاه تلميذ فتركه شيخنا للقاضي .

« وكان أيضا هنالك عالم من علماء البياضين – أي المُوريتَانِيِّين – في مدينة (جَاجْ) يقال له محمد بن محمد الكريم من بني دَيْمَانِ فخذ أولاد سيد الفاضل

---

(١) إنّ هذه الكلمة من الآية ٨٥ في سورة المائدة .

(٢) راجع صفحتي ١٥٧ و ١٥٨ من متن الباقي القديم .

(٣) انظر صفحتي ١٢ و١٣ من ارواء النديم .

عندنا يسمّونه محمد اليَدَاليّ وهو غير صاحب ذهب الابريز في التفسير إذ ذاك يَدَاليٌّ دَيْمَانيٌّ قديم رُبما يأتيه ويأخذ منه طرفاً من علم البيان وأظنّ قال والمنطق في بعض حكاياته لنا »[1].

ثم عاد في المرة الثالثة إلى والده في مدينة (اَمْبَكْ كَجُورْ) مدينة أسّسها الشيخ الوالد بالقرب من (سُكَيْرْ) مسكن دَمِيلْ لَتْجُورْ وبقي هنالك مدّة سنتين حتى توفي الوالد (مُمَرّ أَنْتَسَلِ) في نوفمبر سنة ١٨٨٣ م ولمّا احتضر الوالد قال الشيخ أحمد بَمْبَهْ على رواية أحمد الأمين جُوبْ الدَّكَانيٌّ : جلست عنده وختمت القرآن يوم الاثنين وتوفي ليلة الثلاثاء وحمل إلى (دقَلْ) وقبره هناك يزار . سار ومن معه للتشييع برجله فلما عرض الناس عليه فرساً ليركبه قال : « السير برجليّ أحبّ إليّ فلم ننس ما حدث في مناسبة جنازة الوالد عندما خاطبه (سَرِينْ طَيْبَ مُحَمَّدُ نُمْبِ مَارْصِلَ) للتعزية . وقد انتقلت والدته جَارَهْ بُصُّ إلى جوار ربّها قبل وفاة الوالد ودفنت في قرية (بُرُ خَانْ) في ناحية (سَالُمْ) .

كان الشيخ أحمد بَمْبَهْ يعلم والوالد في قيد الحياة حتى سار إليه جميع تلاميذ أبيه وطلّابه وكان ابن ثلاثين سنة إذ ذاك وكانت العادة في ذاك الزمن أن يقوم الطلّاب بأسفار لطلب العلم عبر البلاد وقد أخذ عن شيخه (صَمْبَهْ تُكُلُوْرْكَحْ) بعض مبادئ القادرية ثم ذهب إلى سان لوي عند الحاج كَمَرَا الذي كان عالماً ومرشداً صوفياً قادراً ومريدا للشيخ سِيدِيَهْ الكبير ومكث معه زمناً طويلاً وقال الشيخ البَشِيرُ : « ثم لم يحصل عنده على مراده ممّا يرقّي همّته إلى الحقائق الشرعية ودقائق التصوّف فأبقى له الأدب وذهب إلى آل (الشيخ سِيـدِيَ) والشيخ قد توفّي فخلفه ابنه (سِيدِ مَحَمَّدْ) وتوفي قريباً منه ثم خلفه ابنه (بَابَ الشيخ سِيدِيَ الأخير) فلبث معهم بريهة فحصل على ما عندهم وأكثر أسرار كتبهم فلم يشف غليله لأنّه لو كان يريد شيخاً لكفاه من لُقْيا شيخنا ولكنه كان يريد دليل حق على الله ورسوله بالأقوال والأحوال والاشارات والأعمال ، ليصل إلى الله بلا اشراك على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر ارواء النديم في صفحتي ١٣ و ١٤ .

فانقلب من عندهم راضياً بسيرتهم بلا ريّ من سقيهم فبحث عن التجانيّة والشاذليّة فزار (آلَ حَمْدٍ) ورؤساء الطريقتين فلم يكن نصيبهم من ترقيته أكثر من نصيب الطائفة الأولى فجدّد التوبة وانقطع رجاؤه من مشائخ العصر وتضعضعت ثقته بظواهر الأوراد فأقبل إلى الله بقلب منيب وتوصّل برسول الله صلى الله عليه وسلم بالخدمة والصلاة على السنة والعمل بالقرآن تلاوة وتدبّراً[1] » .

وكان هذا الانقطاع عن المشائخ حوالى سنة ١٨٩٢م وليس من الانصاف أن يقول الناس إنّ الشيخ أحمد بَمْبَهْ كان « متعلّماً على نفسه » والدليل على هذا الباطل هو ما قد أوردناه من قبل .

مُؤَلَّفَـاتـهِ

قد قضى الشيخ الخديمُ كلّ حياته في التأليف ولا سيما في نظم الأشعار وكان كثيراً ما يستخدم التطريز إذ جميع قصائده إذا جمعت حروف أوائل أبياتها شكّلت آية قرآنية أو اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم والحقّ هو أنّ مؤلّفاته لا يحصى عددها كثرة والسيد (فِرْنَادْ دُومُو) الذي اعتقد أنّ هذا العدد لم يتجاوز ثلاثين ألف بيت ما أعجبه يوم ذهبت به إلى منزل كان فيه بعض المريدين وهم مخرجون من صناديقهم كتباً شعرية أنشأها الشيخ الخديم ولم يرها قط من قبل !

وفي شهر نيسان سنة ١٩٦٩م زرنا الشيخ المصطفى أَمْبَكْ ابن الشيخ البشير أَمْبَكْ ابن مؤسّس المريدية الشيخ أحمد بَمْبَهْ فقال لنا : « هذا هو الفلك المشحون من كتب جدّي نسخ منه جزءاً الشيخ حَمْزَةُ جَخَتْ والجزء الآخر من خطّ الجدّ ولا يحتوي هذا الكتاب إلا على قصائد طرّزها بحروف آي من القرآن وعندي سبع صناديق ونصف صندوق ممتلئة بمخطوطات لجدّي ! » .

ومن العجب أنه قال بعض الناس أنّ الشيخ الحاجّ أحمد أَمْبَكْ بن المصطفى بن الشيخ أحمد بَمْبَهْ قد ظنّ أنّ له جميع كتب جدّه .

---

(١) راجع صفحتي ١٥٨ و ١٥٩ من متن الباقي القديم .

زد على ذلك أنّ بعض المريدين إذا أرادوا تقدير مؤلفات شيخهم الكبير ، واحصاءها تقريباً أعلنوا : « عادلت كتب الشيخ الخديم سبعمائة كيلو في الوزن !!! » وقد جمعنا في (إيفان) ١٥٦ قصيدة قالها الشيخ . وأما مكتبته فكانت ضخمة حتى ملأت مصاحف القرآن فقط بيتاً عظيماً وأكّد الشيخ محمد الأمين جُوبْ الدّكاني أنّه قد أحصى ٨٠٠ مصحف مخطوط هذا وكان الشيخ الخديم يحبّ القرآن حبّاً جمّاً ويشغف به شغفاً لا حدّ له وكان الناس يكتبون بأمره مصحفاً كاملاً في ثلاثة أيّام ربّما حصل على كلّ ما أنشأ وطبع في عصره من كتب في كل فنّ دينيّ . وقد أتاحت له أسفاره في السّنغَالْ وموريتَانيَا لطلب العلم أن يحصل على كتب كثيرة ، وأعطاه أيضاً شيوخ من أصدقائه والادارة الاستعماريّة هدايا من كتب فضلا عمّا ترك له الشيخ الوالد من مؤلفات .

طرق الشيخ أحمد بَمْبَهْ باب كلّ فنّ ولكن ترك لنا انتاجاً نستطيع أن نقسمه إلى خمسة محاور ومواضيع يغلب عليها التطريز بحروف آيات القرآن الحكيم .

فدونكم هذه المحاور :

١ – مناظرة شعرية ومكاتبة مجاملة .
٢ – و« جريدته في المنفى » .
٣ – وأمداحه لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .
٤ – تضرّعاته الصوفيّة .
٥ – أفكار في الأخلاق والآداب والتهذيب .

قد بيّنت أطوار تعلّمه عن كونه ولداً عبقرياً والدليل على ذلك هو ما كتبه الشيخ البشير في منن الباقي القديم : « فازدادت نجابته ظهوراً كلّ هذا ممّا يدلّ على كمال عقله صبيّاً على الفطرة فبالعقل يتمحّص التفاضل وعنه تنتج الأفضلية ومن شواهد عقله القأمة بقاؤه على الفطرة السليمة هكذا وشوقه الشديد إلى المعارف والعلوم جبلّة وسرعة فهمه وسهولة تعلّمه فانّه ما شرع في قراءة كتاب مع أحد من أهل المدرسة جماعة كانوا أو واحداً إلا ويعي درسه وينقلب

يفهمهم ويصلح لهم وبلغني أنّ الشيخ الإمام (وهو والده) كان سريع التدريس وكان يكره له معاودة التكرار بعد المرّة الأولى وشيخنا يستحيي منه ويوقّره فيراجع درسه منفرداً يتفهّم فيفتح الله عليه فيرجع لتفهيم التلامذة اخوانه في الدرس وكانت مدرستهم من أكثر المدارس تلامذة وأشهرها . وسمعته يقول ما كان أحد في المدرسة يسايرني في الحرص على العلم وتحصيله إلا رجل من أهل لَبّ اسمه (بَلَّ مَامْ طُورُ) فإنه كان في الهمة في التحصيل مثلي وإنّما كنت أكثر تشدّداً منه في الورع فكان يقتدي بي ...

« ومن الشواهد عقله عمله بمقتضى الحكمة طفلاً ويافعاً إلى هلمّ جرا في العبادات والمعاملات يقرّب له ذكاؤه ما بعد غوره ويحفظ له ذكره ما أودع في حافظته من علم وخبر صالح فلم يكد ينسى شيئاً كان ربما يتحدّث بأمور وقعت له بحضورنا أو حضور جماعة غيرنا ولا يتذكّر منها شيئاً أو يتذكر منها قليلا ولا يترك هو شيئاً ممّا كان تخليلاً أو دقيقاً إلا ويتذكّره وكذلك حفظه للعلم ما حفظ كتاباً ونسيه كنت معه ذات يوم وبيننا كتاب نظم التسهيل لابن بُونَ بطرره وشواهده فقال كنت أحفظ هذا الكتاب زمن قراءتي له بشواهده عن ظهر قلب وكنت في هذه الأيام أتفقّد حفظي له هل نسيت منه أم لا فجلست أستظهره فإذا هو كما كان وكان نادراً من يحفظه من أهل المدارس كذلك ... وسمعت من أخي الشيخ محمد المصطفى ومن عمّي مَصَمْبَ قالا إنّه أخبرهما بأنّه كان يحفظ النصوص الكثيرة ، من مختلف الفنون ، من توحيد وتصوّف وأدعية وفقه كابن عطاء الله[1] ودلائل الخيرات ونفح الطيب والرسالة وكتواليف السنوسي وكذلك نصّ المختصر كثيراً ما يتحدّث فيه ويقرأ جملاً كثيرة نسقاً في مواضع مختلفة عن ظهر قلب ...

« وبالجملة فهو رضي الله عنه آية في الحفظ والاتقان . أمّا القرآن والحديث

(١) هو ابن عطاء الله الاسكندري الشاذلي من أشهر صوفيّي زمانه ومن أشد خصومه ابن تيميّة ، توفي في المدرسة المنصورية في القاهرة سنة ١٣٥٩م ، من مؤلفاته « الحكم العطائية » .

فهو وعاؤهما وخزينهما ومنبع علومهما اتقاناً وتفسيراً يفيض بأنواع العلوم والغوامض على المستمعين منهما .

« ومن كمال عقله كثرة وفود الخلق عليه الملوك والعلماء والأولياء والمريدون والزّائرون والضعفاء والمساكين وكثرة الصخب والضوضاء وازدحام الناس المختلفين شأناً وحاجاً وزيّاً بأبوابه ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءً وشغله الشاغل بإقامة الصلوات الخمس برواياتها أبدا في المسجد العام إماماً والكتابة الدأئمة في المدح والصلاة والثناء والتوحيد لله ولرسوله لا غير ... » .

« وكان رضي الله عنه شجاعاً لا يتهوّر ولا يتبذّخ ولا يتكبر بعيداً من الهوان والذلة لا يعرف الفزع والجزع وصغر النفس ، ومن شواهد شجاعته كرمه ونجدته وكبر نفسه وحلمه واحتماله في هيبة ووقار تحتهما التّؤدة والصفح والعفو والتّأني وكظم الغيظ وكان يحبّ معالي الأمور وتكره سفاسفها كما في الحديث « إنّ الله يحبّ معالي الأمور ويكره سفاسفها » يحمل المكاره ولا يتزعزع وتصطدم به النوائب فترتدّ خاسئة عظيم الهمة يترشّح للعظائم ويخترق حجب الشّدائد مهما تحقّق وراء الفوز بمطلوبه يحتمل الآلام ويقاوم الأهوال العظيمة بحلم واطمئنان لا يظهر عليه أثر الشدّة والكربة ولا يستفزّه غضب إلا لله يحتمل الكدّ ولا يعرف للتعب معنى بل راحته الانتصار والفوز المبين ولذّته في العمل الدائم قلباً سخياً جواداً عند النعمة صبوراً جلداً عند المحنة يقتحم العقبات ولا يبالي بنفسه وفي كل هذا متقيّد بما حسّنه الشرع واقتضاه ووصف به الله تعالى خيار عباده وارتضاه . »[1]

أخذ هذا الرجل العظيم عقلاً وأدباً في الكتابة وهو صبي في أيام حياة الشيخ الوالد بدأ نظم كتاب (أمّ البراهين) للسّنوسي ولما عرضه على والده كان أبوه (مُمَّرْ أَنْتَسَلِ) مسروراً حتى حرّض ابنيه الشيخ جَارَهْ وهو مُحَمَّدُ الخليفة والشيخ أحمد المختار المعروف بـ (سَرِنْجَ عافيه) على حفظه عن ظهر قلب . وبعد نجاحه الأول هذا نظم كتاب (بداية الهدايا) للغزالي وسمّاه

---

(١) انظر متن الباقي القديم من صفحة ١٣ إلى صفحة ١٥ .

(مُلَيِّن الصدور) ثم يختصره فيما بعد فيسمّيه من جديد بـ (مُنَوِّر الصدور) ثم أنشأ قصائد أخرى كـ (جذب الصغار) و (الجوهر النفيس) وهو الأخضري الذي نظمه .

قال محمد الأمين جُوبْ الدَّكَاني : « أمّا تلامذته .. فكتّفوا وأخذت أموالهم وأخرجوا من ديارهم كل ذلك في سبيل تبديدهم وتشتيت شملهم... »[1] فطرّز الشيخ هذه الآية : (الزكاة) « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون »[2] ثم نظم « مسالك الجنان » في التصوف في ١٥٥٣ بيتاً وهي أهم قصائده في هذا الصدد ثم أنشأ قصيدته (مواهب القدّوس) وغير ذلك .

وأسّس في شرقي مدينة (أمْبَكْ بَوُلْ) قريته (دَارَ السَّلَامِ) في سنة ١٨٨٦م فأقام فيها حولا كاملاً ولمّا ازدادت الوفود عليه بنى (طُوبَى) في آخر ١٣٠٥هـ أو في أوائل ١٣٠٦هـ نعني سنة ١٨٨٧م أو سنة ١٨٨٨م . وفي آذار عام ١٨٩٥م أي في شوال ١٣١٢هـ انتقل هو وعياله إلى قرية (أمْبَكْ بَارِي) التي أسّسها أجداده في (جُلُفْ) حيث أخذ في زرع حقوله ولكن كثر الازدحام على أبوابه من جديد فلما رأى الأمراء أنّ الشيخ كان أوسع منهم سلطة وطاعة من الناس له حسدوه ووشوا به عند الفرنسيين الذين أرسلوا إليه رسالة بعد رسالة لاستحضاره في سان لوي فطال العهد عليهم فبعثوا بكتيبة لها أسلحة إلى الشيخ لتعود به وإن أبى فحكم عليه بالابعاد إلى (كَبُنْغَ) من سنة ١٨٩٥م إلى سنة ١٩٠٢م وعند اقامته في هذا القطر البعيد ألف الشيخ (جزاء الشكور) وكأنّه (جريدة سفر) وقال أيضاً قصائد لم توجد في هذه الرحلة مدح بها صلى الله عليه وسلم وعظّم قدرة ربّه الأعلى وأثنى على الدين الحنيف بوجه لا مثيل له وعددها سبع طرّز به آي القرآن .

وعند رجوعه إلى بلاده ما انصرف عن الكتابة فألّف قصيدته (مقدمة

---

(١) انظر صفحة ٤٩ من ارواء النديم .

(٢) الآية ٨ من سورة الحشر .

الأمداح) في ١٩٨ بيتاً وفي كلّ حرف من حروف هذه الآية : « وانّك لعلى خلق عظيم »[١] نظم اثني عشر بيتاً .

وبعد زمن غير طويل أقبل جيش الاستعمار وجيوش أمراء (كَجُورْ) و (بَوُلْ) و (سِينْ) على (دَارَ السَّلَامِ) وحاصرت الشيخ زاعمة أنه جمع مدافع وباروداً وعدّة حربية للجهاد . فكتب الشيخ أحمد بَمْبَهْ ثلاث قصائد نفى بها هذه التهمة عن نفسه واستغاث بالله وكظم غيظ مريديه وأتباعه .

وعلّم طريقه في ابعاده الثاني في موريتانيا من سنة ١٩٠٣م إلى عام ١٩٠٧م بنحو عشر قصائد أوردها محمد الأمين جُوبْ الدَّكَانيُّ . وربّما ألف قصائد بمناسبة مختلف ظروف وعزيز علينا أن نحدد عنواناً لكل قصيدة .

وفي (جِيِنْ) إقامته الجبرية لم يزل الشيخ الخديم يؤلف كما لم يزل يكتب بعد في (جُرْبِيلْ) من سنة ١٩١٢م إلى حين انتقل إلى جوارربّه في سنة ١٩٢٧م غير أنّه قد نظم (حدائق الفضائل) وله ٣٥٦ بيتاً وهو دعا الله به طويلا و (سعادة المريدين) وله ٤٢٥ بيتاً في علم الأخلاق وفي المدح لرسول الله عليه الصلاة والسلام وقطّعه بفوّارات جريئة من التصوّف وأنشأ أيضاً (مفاتيح البشر) وله ٤٠٧ أبيات في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ونظم نحو مائة قصيدة توجد في (إيفان) وزد على ذلك أن المريدين نسبوا إلى شيخهم كتاباً سمّوه(حكمة أحمد بَمْبَهْ) ولنا المخطوط في (إيفان) وله أيضاً كتب كثيرة في علم الأخلاق والتربية ومنها (نهج قضاء الحاج) و (مغالق النيران) وكتاب (كنز المهتدين) وضع أيضاً (سعادة الطلاب) في النحو وعدداً كبيراً من قطع أهداها مجاملاً إلى شيوخ من أصدقائه مثل الشيخ سِيدِيَ وبعض الأُورُوبِيِّينَ المؤنسين وقد كتب أيضاً بعض رسائل مشوبة بعث بها من منفاه إلى من بقي من أتباعه وعياله في السِّنِغَالْ ورسالة إلى الحكومة الفرنسية نقلها (بُولْ مَرْطِ)[٢] .

---

(١) الآية ٤ في سورة القلم أو النّون .

(٢) انظر صفحي ٣٢٦ و٣٢٧ في الجزء الأول من كتاب (دراسات الإسلام في السنغال) لبول مرط .

وبالخلاصة نستطيع أن نقول إنّ الشعر هو أكثر عدداً في انتاج الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ بتطريز آي الذكر الحكيم .

الشَّيْخُ أَحْمَدُ بَمْبَهْ الصُّوفِيُّ

كان الشيخ الخديم في صباه يستمع إلى ما حكت والدته من قصص الأنبياء والأولياء وقبل بلوغ رشده كان كثيراً ما يذهب إلى المساجد وينغمس في الصلاة ، وفي الاعتزال ، والوحدة ، فصدرت عن كل ذلك نزعة صوفية تزداد وميله إلى الزّهــد وأسفاره لطلب التقـوى وزيارتـه للأهـل التجـانية والقادرية والشاذلية والسّنوسيّة فضلا عن إبعاده عن الوطن مرتين وزد عليه مطالعة كتب التصوّف .

وكان أوّل شيخه في التصوّف هو (صَمْبَهْ تُكُلُورْ كَحْ) الذي علّمه الرسالة القشيريّة والرسالة السنوسيّة . ثم ذهب إلى أَنْدَرْ فصار تابعاً للحاج كَمَرَا الراسخ القدم في القَادِرِيَّةِ ومن هنا وصل إلى مُورِيتَانِيَا وتتلمذ على آلِ الشيخ سِيدِيَ الكبير الذين أثّروا في قَادِرِيَّةِ الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ تأثيراً عميقاً وقد تعلّم أيضاً في مُورِيتَانِيَا بعض مبادئ الشاذلية والتجانية على آلِ حَمْدِ وآلِ مُتَالْ .

وفي حوالى سنة ١٨٩٣م(١) حاول الشيخ الخديم فتح طريقة خاصّة لنفسه . ولذا أبدى ميلاً للانتقائية في جميع المبادئ التي اقتبسها من القادرية والتجانية والشاذلية والسنوسيّة . ولا غرو في أنّ الشيخ قد استمد من القادرية أكثر من غيرها .

أورد الشيخ البشير ما أكّد قولنا وهو : « فتراه يصرّح بمبايعة (الشيخ الجيلي) بقصيدته التي أوّلها :

يقول أحمد الفقير جـدّا   الطُّوبَوِيُّ القــادريّ وِرداً
الحمد لله على كوني خديم   لحضرة القلب المكرّم الكريم

---

(١) راجع صفحة ١٦٠ من منن الباقي القديم .

إلى أن قال بعد أبيات في التنويه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هذا وإنّي اليوم ذو رضاء بالله ربّا حقّ بالثناء
وبهدى الإسلام ديناً وسبيل وبمحمّد نبيّاً ورسول
وبكتابه وبالبيت دليل وقبلة لغيرها لست أميل
وبعقائد السّنوسيّ الشّريف عقائداً في حقّ ربّنا اللطيف
وبطريقة الشرف الجيليّ طريقة تمنع من تضليل
وبتفقّه الإمام مالك تفقّهاً يمنع من مهالك

إلى أن قال بعد أبيات في التّوسّل إلى الله بأسماء الجيليّ وألقابه المعروفة عند أهل طريقته :

يا شيخنا يا غوثنا يا قطبنا يا بعضنا بل كلّنا يا حبّنا
ها أنّني اليوم مبايع لكا وخادماً لا تحرمنّي فضلكا[1]

ولمّا أراد التصريح باستقلاله بطريقته ، بالنسبة إلى الطرائق الأخرى تفرّد برسول الله صلى الله عليه وسلم شيخاً مرشداً دون المشائخ وأعطى نفسه لقب (خادم الرسول) وها أنه بيّن اختياره النهائيّ تبييناً واضحاً في هذه الأبيات :

أبايع اليوم الرسول المصطفى بخدمة وأسأل الله الوفا
أحقّ جملة الورى بخدمتي بالنظم والنثر رسول الرحمة
زهّدني طلوع الشمس في نظر إلى النجوم في السماء والقمر
ظهر لي أنّ اعتصاماً بالكتاب وبحديث المصطفى هو الصواب
ظللت عابداً خديماً للرّسول من عام أيسش[2] إلى عام الرحيل

إذن دلّت سنة ١٨٩٣م على تحوّل حاسم في الحياة الصوفية للشيخ الخديم وكان إذ ذاك ابن أربعين سنة فهذا رمز في أمور الإسلام إذ أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الإسلام فبشّر وأنذر وهو ابن أربعين سنة كما قيل .

---

(١) راجع صفحتي ١٦٠ و١٦١ من متن الباقي القديم .
(٢) عدد هذه الحروف دلّ على سنة ١٣١١هـ أي سنة ١٨٩٣م .

وهذا الرجل الذي كان يتحرّى طريقته حتى ذلك الوقت ألم يعرف أنّه أسّس طريقة تحوّل وجه الإسلام في السِّنِغَالْ أم لا ؟ فسنة ١٨٩٣م هي الزمان الذي أنزلت فيه جيوش فرنسا سلطات الاستعمار بمنزلة سلطات أمراء البلاد وهي الزمان الذي كان حزب (جدُّو) أنصار هؤلاء الأمراء وجماهير الفلاحين ولا سيما الأمراء المخلوعون وكلّ هذا القوى المهيّئة ينتظرون رجلهم . والشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ آمْبَكْ كان هذا الرجل المنتظر .

ألم يكن الشيخ هذا يقصد إذ ذاك الحصول على الحكومة والسلطة ويبارز المستعمرين في رياسة البلاد ؟ قال أعداؤه بلى فوشوا به إلى دولة فرنسا وساهموا فيما بلِيَ به وفيما قاساه من محن واضطهاد وثبت اليوم أنّ الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ لم يكن عاشقاً لتولّي الحكم ولم تكن له أغراض سياسية بل انقطعت همّته عن الدنيا إلى الهدي بأهله ومواطنيه إلى الله والوصول بهم كلّهم إلى اعتناق الإسلام وإلى الطريقة الصوفية التي قد أسّسها .

وهذه الطريقة المُرِيدِيَّةُ ومبادئها بسيطة جدّاً ومنقسمة إلى قسمين وهما : التّرقية والعمل . فلذلك كان أتباعه الأوّلون ينقسمون إلى من يترقّي وإلى من يعمل وليس بيّنا أنّ الذي أعجب به الملاحظون إعجاباً شديداً هو هذا النوع من أصحاب يعملون حتي قالوا بأنّ المريدية هي الإيمان بالعمل . فهم استهانوا بالشيخ أحمد بمبه استهاناً قبيحاً حين أرادوا أن تكون طريقته تتنافر والدين الحنيف والكتاب والسنّة ألم يقل القرآن سبعاً وأربعين مرّة : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ... ؟ وإذا أسّس رئيس زاوية (طُوبَى) طريقته على الإيمان والعمل وبناها على الترقية والاجتهاد والسعي فلم يكن إلا ليلتزم بشروط وعقائد الإسلام الحقيقية .

فها هو ذا الورد المُرِيدِيُّ : هو أن يذكر المريد صباحاً ومساءً :

١ – « أعوذ بالله العظيم » ثلاثمائة مرّة .
٢ – « لا إلـٰه إلّا الله » ثلاثمائة مرّة .
٣ – « سبحان الله » ثلاثمائة مرّة .
٤ – « اللّهم صلّ على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم » مرّة واحدة .

وزد على هذا الورد البسيط الشروط التي تجعل المرء مريداً حقّاً وتابعاً صريحاً للشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ وعدد هذه الشروط أربعة قد أحصاها الشيخ الخديم في الأبيات التالية :

صفات صادق المريد باختصار — أربعة نظمتها خوف اغترار
الصدق في محبّة الشيخ أبد — ثم امتثال أمرِه حيث ورد
وترك الاعتراض مطلقاً ولو — بباطن عليه فيما قد رووا
ومعه سلب الاختيار — لحسن ظنّه بلا انكار
فكلّ من جمع هذه الصفات — من المريدين فيدرك الثقات[1]

وسبب نجاح المريدية هو تلك البساطة لمبادئه ومن المعروف أنّ معنى المريد هو من حاول سلوك طريقة صوفية وفي البدء هو كل تابع لشيخ صوفيّ ثم هو كلّ صاحب للطريقة الصوفية التي أسّسها الشيخ أحْمَدُ بَمْبَهْ نفعنا الله ببركاته آمين . لا غرو أنّ هناك أدباً ألّفه الشيخ الخديم لتوطيد مبادئ طريقته ولدعوة أكثر ما يمكن من الناس لينخرطوا في السلك المريديّ .

وقبل كونه صوفياً ومؤسّس طريقة خاصّة وقائد أناس ورجلاً أثر في مصير بلاده من نواحٍ اقتصادية واجتماعية ودينية وثقافية وسياسية كان يفرض نفسه على الأوساط السّنِغَالِيّة بخصاله العليا من الذكاء ومكارم الأخلاق وبصفته شاعراً مفلقاً .

الشَّيْخُ أَحْمَدُ بَمْبَهْ ومشاجرته الشعرية

وغني عن البيان أن نذكر هنا مشاجرة مؤسّس المريدية للقاضي مَجَخَتْ كَلَ وهو كان صبياً إذ ذاك وإن كان القاضي شيخاً له في العروض حتى صار التلميذ شيخاً لمعلّمه فراجع أيّها القارئ الكريم ما قد أفردنا من فصل في مدرسة (عَيْنُمَانْ) غير أنّ هذين الخصمين قد أصلح ذات بينهما الإيمان والأدب والعبقرية فتحابّا في الله وفي الإسلام .

---

(١) انظر صفحة ٢٨ من ارواء النديم .

وقد أشرنا إلى المناسبة التي تبارزا فيها في أمر الشعر. قال الشيخ البشير آمْبَكْ في القاضي « ذلك عالم كَجُورْ وقاضيها الذي هو محكّ النابغين في الفنون والأحوال إذ بعث إليه تلميذه اللبيب ذو المروءة الكاملة والعقل الرّازين (عبد الله انِيَّانْ) لحاجات ... وَمَجَخَتْ كل الذي هو من أعظم العلماء رياسة في ذلك الوقت . كتب إلى (الشيخ) هذا البيت :

حقّ البكاء على سادات أموات تبكي الأراضي عليهم كالسماوات

فرماه بهذا البيت مفرداً وقد صادف شرره وقصا في صدره كاد يشتعل بنفسه فأطنب رضي الله عنه في وصف القوم الذين هو معهم معيّة كاملة قلباً وقالباً وبعبارة أخرى يصف نفسه وقومه وذوي تربيته يومئذٍ في طوبى عام (أيسش)[1] بعد التعلق بالرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم وان كان يذكر قوماً مضوا كما قد يقول في القصيدة إلا أنه لو شاء قائل أن يقول إنما ورّى بهم عنه لمّا بعد عن الصدق على أني لم أكتب عن اخبار ايّاي إنّما قرأته في تتبّع أحواله وسلوكه مع مريدية ساعتئذٍ صحفاً منشّرة وما أحسن قوله في أوّل قصيدته :

أبكي عليهم وأرجو في البكاء غدا رضوان من فيه غابوا بالجلاوات

هل يظنّ ظانّ إن كان يرجو بمجرّد البكاء رضوان الله وفي وسعه أن يعمل مثل عملهم حاشاه بل إنّما ذكره البكاء مجازاة للكاتب في مضمار لفظه وإنّما كتب ما كتب عن وحي شعور انبعث عن أعماق ضمير يسطع عليه نور شعشعانيّ من مشكاة نور النبوّة على صاحبها الصلاة والسلام »[1] .

فأجاب الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ بخمسة وسبعين بيتاً لفظاً ومعنى وقافية . فهذه نبذة من القصيدة التائيّة بعد أن قال :

« إنّما الأعمال بالنّيّات ونيّتي التبرّك بالسّادات »

وذكر بيت القاضي الواحد وبدأ بأبكي ...

---

(١) وعدده : ١٣١١هـ .

(٢) راجع صفحتي ١٧٢ و١٧٣ من منن الباقي القديم .

يا لهف نفسي على فقد الأكابر من غابوا لربّ دعاهم للعلوات
تبكي الليالي عليهم والشهور معا مثل العشيّ بوجد كالغدوات
كانوا عباداً بطاعات لربّهم وكان جلّ لهم ربّا بمنّات
كانوا يعدّون ترك الورد مع شبع من الحلال من اسباب المصيبات
كانوا إذا الليل أرخى السّتر ذا حلك قاموا سراعاً لإحياء الدّجنّات
باعوا فضولا بذكر الله خالقهم فالنوم في الليل باعوا بالمناجات
تجفوا المضاجع في ليل جنوبهم ناسين سلمى وليلى بالبشارات
.. قوم بأسلحة أعداءهم قهروا حتى علوا بالمزايا والكرمات
أركان بيت جميع القوم أربعة بها يؤسّس بنيان الولايات
صمت وجوع طويل بعده سهر وعزلة عن شيوخ بالاشارات
قوم طريقتهم تكفي المريد أذى من المريد[1] وأنواع الغرورات

فهذه الأبيات تؤدي بنا إلى التصوّف ولذا أخترنا أن نرجع إليها فيما بعد .

ومن المعروف أنّ هذه القصيدة قد زادت مودّة من القاضي لتلميذه العبقريّ قال الشيخ البشير : « حكى علي مختار جَخَتْ ابن القاضي مَجَخَت كَلَ أنّه كان ذات يوم يتحدّث مع (شيخنا) رضي الله عنه في شأن والده مَجَخَتْ كَلَ إلى أن قال ماذا قال والدك إذ سمع بتغريبي قال المريد اندهش اندهاشاً شديداً غريباً . ثم قال لو علمت لفديته ومن قبلي من المسلمين ، حتى لا يذهب بكلّ رخيص وغال يا للإسلام ، فقال (شيخنا) رضي الله عنه للولد الحاكي كذلك كان حاله معي ولكن الغيبة هي سبب كلّ خير كنت أريده معاذ الله أن لم تقع وأود لو وجدته حيّاً حتى يقف على ما حصلت عليه من جزائها »[2] .

الشّيْخُ أَحْمَدُ بَمْبَ وَتَغْرِيبُهُ

إنّ الحادث الذي أثّر أكبر تأثير في حياة الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ هو بلا شك ، إبعاد الاستعمار إيّاه من السّنِغَالْ إلى (كَبُنْغَ) وتغريبه إلى (مُورِيتَانِيَا) .

---

(١) المريد بفتحة للميم هو شيطان وابليس .

(٢) انظر منن الباقي القديم صفحة ٣٤ الجزء الثاني .

فقد أكمل كل هذا مواهبه التي كانت ناضجة قبل الأوان فصار شاعراً غنائياً بمعنى أتمّ فتعمّقت ميوله الصوفية . وقد سبّب له هذا التغريب تيّاراً واسعاً دفوعاً من تعاطف وودّ ، حتى من قبل من لم يكونوا أتباعاً ، فصار بطلاً وطنياً قوميّاً ووليّاً عظيم شأن .

ولكن شددنا على ما أثّره هذا الإبعاد من تأثير في قريحته الشعرية . وفي رأي مريدية ومواطنيه كان هذا المنفى محنة شديدة قاساها الشيخ الخديم أمّا مؤسّس زاوية طُوبَي فجعله نوعاً من المحن المنقذة ووسيلة إلى الولاية الحقيقية وواسطة تطهّر تطهير النار المعدن من خبيثه ونداء من النبي صلى الله عليه وسلم ومن الله عزّ وجل فبإذن الله ورسوله الكريم قبل هذا التغريب عن طيب نفس وهو الذي قال :

وجعل المختار صلى الله عليه في الآل ومن والاه
له حجاباً مانعاً من الضّرر ثم له قال امش لا تخش الغرر
خرج من داره التي بنا هاتي للتعلّم والتعليم يوم السبت[1]

وقال في (جزاء الشكور العطوف في جواب عبد اللطيف) : « اعلم أيها الأخ الصالح كفانا الله تعالى ضرر كل طالح أني خرجت يوم السبت رابع صفر عام (جيسش) من الدار التي بنيتها في أرض (جُلُفْ) بعد ما أتتني براوة أمير (أنْدَرْ) الذي جرى بيني وبينه ما جرى من القدر »[1] فابتدأت للمنفيّ محنة كانت فرصة لعلاج عدد كبير من أغراض غنائية مثل الرّدّ عنه لجميع ما اتهم به وحبّه للوطن وأغانيه المأسويّة وخطابه للبمّ وألحانه الصوفية وكراماته وكل هده المحاور متفشّية في نصوصه غير أنّه في وسعنا أن نبرزها ودليلنا على ذلك حكاية سفره . قال الشيخ الخديم :

وبعد ما لاقوا الذين خرجوا لداره وفي الصدور حرج
ساروا معاً نحو الوزير مسرعين وعند وقت العصر صلّوا خاشعين

---

(١) خروجه في ١٠ من آب سنة ١٨٩٥م – راجع صفحتي ٦٥ و٦٦ من ارواء النديم .

(١) راجع (جزء الشكور) صفحة ٣ بمطبعة دَكَارْ ١٩٥٨م بتصحيح دَامْ تُورِي .

وبعدها لاقـوه ذلك الوزير وحوله الجيش وفيهم من يزور[1]
وجه وجهه إلى الله الكريم دون الوزير لينال ما يروم
مبسملاً خمسين ذا تضرّع لمن أتى يكبت عدوا يصرع[2]
وخرج الوزير مسرعاً إلى حاجته وبات ثم ذا إلى

ألم تر أيها القارئ أنّ الشيخ قد قام بكرامة إذ لمّا قرأ خمسين بسملة كظم الوزير غيظه ببركة هذه القراءة وكان الوزير شديد الغضب . وكان الملتقى قرية (جِيوَلْ) ثمّ قال في (جزاء الشكور) : « ووصلنا قبيل الفجر إلى القرية المسمّاة بـ (لُكَحْ) وأنا في تلك الليلة ممّن على الله تعالى وحده ركح وقلنا فيها وأنا أتلو خير الذّكر وأصلّي على من بجاهه كفيت كلّ مكر ورحت منها وصليت صلاة العصر عند سفينة البرّ[3] لوجه الله تبارك وتعالى الذي جاد لي بالبر ودخلت السّفينة التي سبّحت فيها بقولي وبالحبّ بحت :

سبحان من في البرّ والبحر معاً أجرى الجواري وكلّا جمعاً
سبحان من لي جاد بالسّفينة في خدمتي لصاحب المدينة[4]
سبحان من يولج في النّهار الليل والأسرار في الاجهـار

ثم وصل إلى (أَنْدَرْ) قال الشيخ إنّه انقسم أهل الجلسة للمجلس الخاصّ في ٥ من سبتمبر سنة ١٨٩٥م إلى من يريد اثباتي في (أَنْـدَرْ) فيدفع « بأنه يأتيه الناس في الجزيرة من كل ناحية ويعطلون مساكنهم » ومـن يشـير إلى قتـلي فيـدفع « بلا سبيـل إليـه » ، ومـن يشير إلى تغريبي فاتّفق رأيهم على ذلك وفيه يقول :

وأدخل الإلـه في قلوب من تسبّبوا في نقله ذاك الزمن
اخراجه إلى البلاد النائية ونال فيها فوق سمع السّاريه

---

(١) قال الشيخ هو مريده عُمَرْ تِجَايْ قرية بجانب لُكَحْ .
(٢) انظر صفحة ٦٧ من ارواء النديم .
(٣) والمراد بها : السّيّارة .
(٤) وصاحب المدينة هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال : « قد أثابني الله بدل ثلاثتهم بثلاثة أي ثلاثة وذلك اني وقت غيبتي بلغت ما تبلغ الأشياخ من مراتب الشيخوخة إيماناً وإسلاماً وإحساناً » فنزل هذا الأمر منزلة كرامة . قال محمد الأمين جُوبْ : « سمعت حكاية عجيبة من الشيخ في أمر الحاكم الذي تولى كبره أي تحمل معظم أمر الغيبة ولج في حصولها قال رضي الله عنه مصير ذلك الحاكم أني كنت في الغيبة إذ سمعت أن ذلك الحاكم سخطوا عليه ونظروا في أمره فآل النظر إلى تغريبه فأشار واحد منهم لهم أنكم إن كنتم فاعلين فألحقوه بالشيخ الذي غرّبه هو فوافقوه نكاية من الله فلم أشعر حتى قيل لي إنّ الحاكم في الجزيرة فمكث مدّة في الجزيرة يختفي مني خوفاً وحياء ولكن يقول للحكاكم : إيّاك والتعرّض لهذا الشيخ بما يسوؤه انه لم يقع لي ما وقع لي إلا به ولا يكن بينك وبينه إلا أن تدفع له ما التزم له في الشهر ... وشرق به إلى (خَايْ)[1] فهنالك سحره بعض سحرة (بَمْبَرَ)[2] فمرض عند بيت بَمْبَارِيَّةٍ فمات مذموماً مطروداً ... وفي هذا الحاكم الظالم يقول الشيخ في قصيدة مرتّبة من حروف (مثل الجنة التي وعد المتقون إلى قوله الذين اتّقوا)[3] مطلعها ظلمي امحى :

ظلمي امحى بنصر قاهر كسر — سلاح من كان يباهي فانكسر
له شكوري وأمات من مكر — في جيشِ وموته زاد الفكر
لبس له سوى نكال وفتر — بعد اجتهاده وعاقه الفتر
في البرّ والبحر وخانته النّفر — هوّله انتقام ربّي وفر

وبعد زمن قليل قال قصيدة طرّزها بحروف هذه الآية[4] : (إنّ وليّ الله الذي نزّل الكِتاب وهو يتولى الصالحين) وها هي ته :

ايّس منّي الله عند (جبوَلِ) — ابليس إذ ناديته بيا ولي

---

(١) هي مدينة في ماليه .
(٢) بمبر : قبيلة من قبائل ماليه .
(٣) في سورة الفرقان .
(٤) في سورة الأعراف .

نفى لغيري الله قبل في (أَنْدَرِ) بأهل بدر[1] الأسود كدري
نفى لغيري الله في (أَنْدَكَارُ) كلّ أذى لي جرّه مكّار
علّمني الرحمان في السّفينة بأنّني خديم ذي المدينة
براني الله لدى (كُنَاكِرِ) من كل جانب إلى المناكر
أذهب عني الله في (كَرَمْبَصَا) قبل مبارزي وعنّي خلبصا
دعاني الرحيم عند (دَاوُم) له بما أغنى عن التّساوم
يسر لي المنى لدى (لِبْرَوَلِ) من قاد لي ما غاب عن كلّ ولي
لي قاد أهل بدر الأسودا من زحزح الوشي والجسودا
يقود لي حيث أكون الله تبشير لا إلـه إلّا الله
ساق لغيري الله في (مَايُنْبَا) ما ساء قلبي وأعلى الجنبا
لله قد وصلت عند (كَلْوَى) وصانني عمّا يجرّ البلوى
كتابتي قبل لدى البحور كف حياتي حبل المدحور
علّمني العليم عند الزّاخرات ممّا يشاء وكفاني الكافرات
لم ينحني عند البحور المغرقات داع لخمر أو دواعي الفاسقات
يسّر لي الجميل عند المهلكات ما صانني عن جالب للمشركات
هبات من لي كان عند الواسعات قادت لكلكلي الرضى والساطعات
مدّ لي الأنوار عند الظلمات والظالمين من كفاني الصدمات
سعادتي عنـد الإلـه الله لي ظهرت عند ذوي الملاهي
لم ينحني عند ذوي الخمور سوى رضى باق له أموري
طهرني الله لدى أهل الكتاب من الشقاوة ومن كلّ عتاب
أكرمني عند ذوي الاشراك من قادني إليـه بالإدراك
ناجيته بيا بصير يا ولي كفيتني ابليس عند (جِبَوَلِ)

ومن المعلوم أنّ الشيخ الخديم قد ذكر أسماء جميع المدن التي مرّت بها

---

(١) هو أشار إلى نظمه المسمّى (أهل بدر) ومطلعه :

وبعـد مـا قـالوا مقبـلا دخـلا في نظـم مـا بـه أنيـل مدخلا

السّفينة في الطريق إلى (كَبُنْغَ) . وقال محمد الأمين جُوبْ : « ومنه نظمه لأهل بدر وتحصنه بهم أيّام مكثه في (أَنْدَرْ) وأتمه وبيّضه وذكر سفره معهم إلى غيبته وانهم يخزون من أراده بسوء واطلع عليه كبراء الجزيرة الحاج أحمد انجايْ مَابَيْ وأوصاه بحفظ البيت حتى يلتقيا بعد ففعل والتقيا بعد سبعة أعوام وأشهر فحكى الصالح البيت وبكى كثيرا ... والبيت المأمور بحفظه مطلع قصيدة عجيبة أظهر الشيخ في أوّلها إلى خمسة عشر بيتاً بعض أسرار غيبته مع أعدائه فهذه هي القصيدة المشهورة :

أسير مع الأبرار حين أسير	وظن العدى أني هناك أسير
مسيري مع الاخيار لله بالنبي	وما لي لغير الله عوض مسير
يسر بي الجذب الذي قادني إلى	كريم عليه ما أروم يسير
شكوري بأقلامي وقلبي وجثّتي	لمن كان لي بالجود وهو شكور
نصوري وتأييدي وحفظي لدى العدى	من الواسع الوهّاب فهو نصير
أميري لدى سيري ومكثي وسيلتي	خديما له وهو الخديم يمير
أجوري على الوهّاب جلّ تكرّماً	على خدمة المختار وهو أجير
نذوري كوني عبد ذي العرش وحده	خديماً لخير الخلق وهو نذير
يجيرني الكافي به من أذى العدى	ومن كلّ سوء وهو جلّ مجير
مصيري كوني عبده خادم النبي	وأمر البرايا للإلـه يصير
شهوري وأيامي غدا لي شواهد	بكوني عبد الله وهو شهير
ستوري في الدّارين مدحي محمد	بنظم ونثر وهو نعم ستور
بذوري كتاب الله والسّنة التي	بها أحتمي عمّا نجاه بذور
قصوري خلت والأهل عنّي تفرّقت	لمدحي الذي عنه المديح قصير
غرور الورى غز النصارى بكيده	وظنّو ظنوناً والظنون غرور
لربّي التفاني لا لهم تائباً له	من الذنب والآفات وهو غفور
له تبت من عيب التفاني لغيره	ومنّي له عَهدَ عليّ ضمير
له تبت ذا بيع وأرجو رضاءه	ومنّي له شكر يدوم كثير
فجئت ببشر منه أبغي شكوره	عليه صفاء والمكوث حبور
وفي القلب من رضوانه ما أكنّه	ضنينا به انّ الصّدور قبور

لمولاي حمدي راضياً عنه شاكراً   على سرّ سرّي والخبير خبير
رضيت به ربّا يسخّر ما يشاء   لمن شاء بالتيسير وهو قدير
فأكرم به ربّا نفى عني العدى   وساق المنى لي والجناب حقير
غنيت به ربّا وليّاً يقود لي   مرامي وأنّي شاكر وفقير
أموري له فوّضت والقلب طيّب   قريباً لدى الأعداء وهو بصير
رفيقي كتاب الله والمصطفى النبي   وأصحابه في البحر حين أدور
أخاطبه بالمدح وهو بطيبة   وأنّي لـه جار هناك يزور
أخاطبه وهو الوسيلة سرمـدا   وفي القلب منّي من رضاه سرور
وخاطبته في البحر إذ سيري انتهى   إلى الله والمختار وهو منير
نبي الهدى طابت لي النفس هاهنا   وأنت بمدحي كالصّلاة جدير
فسل خالقي روض العدى لي معاً بما   أؤوب به للبرّ أنت نذير
فسل خالقي تعجيل أوبي بمنيتي   فذاك على المولى الكريم يسير
جلّ مسلماً مع الآل والأصحاب   مع الآل والأصحاب نعم بدور
ومنه صلاة مع سلام إليك يا   منى كلكلي يا من نّداه بحور
أغثني أغثني يا شفيعي وسيلتي   هنا وغداً يوم السماء تمور
وقدني من الفجّار والبحر غانماً   إلى البرّ والأبرار أنت بشير
فبشّر ذوي الإسلام بي عاجلاً وكن   منيراً بي الإسلام أنت منير
بهم أرتجي من مالكي نصره على   ذوي الشرك بالتثليث حين تجور
يظنّونني وقت اغترابي لديهم   أسيراً لهم والكلّ ثمّ يحور
حيارى أسارى للشياطين والهوى   وأنّي لربّ العرش جلّ أسير
أسير إلى ذي البرّ والبحر عابدا   ولست إلى الفجّار عوض أسير
مسيري إلى الوهّاب جلّ جلالـه   وما لي إلى غير الكريم مسير
تمسّكت بالحبل المتين مرتّلا   وبالعروة الوثقى التي هي نور
به سرت من ربّي لربّي موحّدا   وحولي النصارى والبحور تمور
هو الكنز والكبريت والزاد لي هنا   به تنتفي نار غدا وثبـور
كتاب كريم من كريم مكرّم   لعبد كريم للخديم يمير
كتاب مجيد من مجيد ممجّد   لعبـد مجيـد للكفور يضير

على من به قد جاءنا منه منذرا صلاة تقيني السّوء حيث أسير

ربما كانت هذه القصيدة أجمل قصائد الشيخ الخديم وأروعها معنى ولفظاً . فبين منهاجها الفنّي والتقسيم الثلاثيّ للقصيدة التقليدية بونٌ شاسع أين منها والتشبيب والنّسيب والبكا على الاطلال ؟ حتى جرى بعض الشعراء الصوفيين السنغاليين مجرى الشعراء فبكوا وأبكوا لدى المنازل بعد ارتحال الظّعائن والحبيبات وأن وسعنا أن نقرّ للحاج مَالِك والقاضي مَجَخَتْ كَلَ وغيرها بأنهم قديرون منـازل ودمنا وأطلالاً زمـان كانت السّنِغَالْ تعرف الحياة البدويّة والقبائل المتجوّلة وقد يقفون أمام ديار طمست وامّحت لزب الآيل فيها ويغرّد الهديل لفقد حمامته . وقد يلقون في مُورِيتَانِيَا منازل هكذا فبكوا ذكرى من سلماء وليلى ودعد . لكن أظنّ أنّ كلّ ذلك ليس إلا نوعاً رمزياً لوصف الدّنيا وزخرفها وللزهد فيها .

ولا نرى شيئاً شبيهاً بذلك عند الشيخ أحمد بَمْبَهْ إذ هو إذا بدأ قصيدة دخل في صميم موضوعه فهذا دليل على صدق حديثه وتفوّقه معاً ففي بداية الأمر تكلّم عن نفسه وخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه ومبايعته خادماً له أو نادى الله وشهد بأنّه عبد له جلّ ثناؤه ثم عظّم القرآن وجلّل السّنة الكريمة لا غير قد بيّن لنا ذلك البيت الأوّل الذي نمت عنه لهجة استهزأ بها بمن أبعدوه وإن كان التغريب أمراً قبيحاً فكان هو يتمنّاه بجهد جهيد معاهدة أبرمها مع الله تعالى كي يصل إلى الولاية ومناجاة للنبي عليه الصلاة والسلام والقهر لأعدائه .

فهذه النتائج ليست ماديّة بل معنويّة صوفية فهي أمور تقع في موضع غير موضع مباشر قريب وصول وان خاطب الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة وهو في السفينة على البحر فهو جرى مجرى أبي يزيد البسطاميّ وألحانه الرّمزيّة (شطحيّة) .

غير أننا لقينا بعض اعتبارات حكميّة مثل « إلى الله أمور ... » و « ظنّوا الظنون والظنون غرور » و « إنّ الصّدور قبور » وهذا الكلام هو قريب المأخذ منّا لأنّه عبّر عن نتيجة تجريب وعن وضع واقعيّ قد يعرفه من هو يجول بحراً أو

برّاً . فالموضوع أصيل أي صحيح أي هو أمر عاشه الشيخ أعني أنّ كل ما قال صدر عن ذاته وكنهه الخاصّ وعن تجريبه فهو أوّل سنغاليٍّ مغرّب عبّر لنا عمّا خطر بباله وعمّا شعر به وعمّا جرّب . ولم يبق لنا إلا أن نشكر الشيخ على صدق حديثه ومناجاته وعلى ما حكاه علينا ممّا دلّ على أنّه عاش ما حكى وروى هذا من جهة المعنى ومن جهة اللفظ فهو أيضاً بالشكر جدير وساهم استخدام البحر الطويل في جودة القصيدة وثروتها الإيقاعية وألحانها الرخيمة وبساطة أسلوبه وفصاحة لسانه وبراعة الشيخ في العروض . وما أجمل تصديره في هذا البيت :

مسيري مع الأخيار لله بالنّبي   وما لي لغير الله عود **مسير**

وما أحسن أيضا ترديده والمعنى مختلف في البيت الأول :

أسير مع الأبرار حين **أسير**   وظنّ العدى أنّي هناك **أسير**

هو رجل لا يخضع لمن أبعده ورغب عن استهلاك السّكّر والقهوة في السّفينة وها هو ذا يقول :

« أغثني أغثني يا شفيعي وسيلتي » وشابه هذا التّكرار صيحة أخبرة لمن شرع في الغرق . وموقفه من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الأعداء ليس متكلّفاً في شيء بل هو صادق مخلص في احترامه النبي عليه الصلاة والسلام .

وفي افتخاره على الأعداء ولكن شدّد احترامه لأنّ غضبه على من أبعدوه تحوّل حلماً وصفحاً عنهم إذ ختم بقوله هذا : « به تنتفي نار غدا وثبور » فإن الذي صحّ معني ولفظاً في تلك القصيدة صحّ أيضاً في قصائده الأخرى . قد أنشأها في أَنْدَرْ وأنشأ فيها قصيدة أخرى سمّاها « أسماء أهل بدر » . قال محمد الأمين جُوبْ : « قال الشيخ : لقيت كثيراً من أجلاء (أَنْدَرْ) وحواليه ووفد على رؤساء أهل أَنْجَامْبُرْ يريدون أن يشفعوا فيّ فقلت خلّوا بيني وبين ربّي وهو أرق بي منكم وأعلم بما هو الأصلح لي فانتهوا »[1].

---

(١) راجع صفحة ٨٢ من ارواء النديم .

ثمّ ذهبوا به إلى دَكَارْ فبلغوها قبيل الغروب فأدخلوه في بيت ضيّق شديد الظلمة والحرارة والنتن... قال : وبتّ أحيي ليلتي بالزهراوين البقرة وآل عمران ... وأتبعهما بالصلاة على مخدومي خير خلق الله ... » فطابت ليلتي في الله وفي هذا المتسبب والقرية والبيت قال :

نفى لغير الله في أَنْدَكَارُ كلّ أذى لي جرّه مكّار
إذا ذكرت ذلك المبيتا وذلك الأمير والتثبيتا
طارت إلى الجهاد بالأرماح نفسي ولكن ذبّ عنّي الماحي

ولمّا غدا يوم الجمعة أوّل يوم من الربيع الثاني دخل السّفينة وأتاه جمع من المريدين يبكون ومن جملتهم الشيخ ابراهيم قَالْ كبيرهم فقال :

علّمني الرحمان في السفينة بأنّني خديم ذي المدينة
وواد ع المريد ثم رجعا إلى الجزيرة بقلب وجعا

فجاءه أيضاً رجل نصحه أن يكتب هو كتاباً يعلمه بأنّ الشيخ مظلوم لردّه إلى داره وعياله فأجاب الشيخ لا سبيل إلى ذلك فقال في هذا :

وطلب الذي الأمير أرسلا مع الخديم ناصحاً أن يرسلا
براوة إلى أمير قدّما من أرضهم ومال ثم ندما
ثم محا الخديم ما قد كتبا ثم له خوطب ثم ....
وكتب القصيدة المقبوله لذكر من يرى به سبيله

ثم نظم قصيدة مرتّبة على حروف هذه الآية : « وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد » [1] وأوّل بيتها هو :

« وجّهت خطّي إلى المليك في الأرض والسماء والملوك »

وانتقلت السفينة ووصلت إلى (كُونَاكِرِي) ولقي هناك رجلاً من وُلُفِ سَالُمْ فأهدى للشيخ هديّة سنيّة وقال له : « إنّي سمعت بأنك تأتي في السفينة يراد بك نحو (كَبُنْغَ) ولذلك أتيت لأزورك وتدعو الله لي وتوصيني» وهو

---

(١) الآية ٤٧ في سورة غافر .

سمع من هذا الرجل أوّل مرّة اسم (كَبْنْغَ) ثم مرّ بـ (كَرَمْبَصَا) وهناك استهزأ به رجل فطرده الله فقال الشيخ :

هديّتي صفت لدى كُنَاكِرِ للمصطفى الماحي بلا تناكر
برأني الله لدى كُنَاكِرِ من كل جانب إلى المناكر
أذهب عنّي الله في كَرَمْبَصَا قبل مبارزي وعنّي خلبصا

ولمّا مرّت السفينة بدَاهُومي أخذ حقة من المسك كانت عنده ليرش بها ثيابه وكتبه فقيل له : ألقها في البحر » فلم يتردّد بل ألقاها وبعد ساعة دخل جمع من المسلمين سمعوا به ليسلّموا عليه فكلّ من سلم عليه دفع له حقة من المسك وفيه قال :

« دعاني الرّحيم عند دَاوُم له بما أغنى عن التساوم »

وبعد أن اعترف صاحب السّفينة بقوله له : « انّك مظلوم » أتاه طبيب وصار يلاطفه ويقول لـه « انّي أحبّك وأعينك كل عون » ثم جاءه شابّ نصراني من أهل السفينة قد أحل الله في قلبه حبّاً للشيخ فصار يخدمه خدمة المريدين وذكر أنّه لم يزل في لطف من الله منشرح الصدر حتى نزل في (كَبْنْغَ) قال ومكثت فيها مدة غير طويلة ثم خرجت منها إلى جزيرة أخرى ومكثت فيها خمس سنوات... وصرت مثل الشمس » يعني رفعة مقام وانتشار صيت ونفع وذكر إنّه ألّف تآليف لم يسبق إلى مثلها حسناً وكثرة وكثرة نفع في الله وفي رسوله وفي دينه الإسلام[1].

قال الشيخ في (جزاء الشكور) : واني حينئذٍ ليس لي الا غيره تعالى ركون وفي ساحل بحر تلك الجزيرة وقفت مرتجلاً وفي ارتجالي ما أشركت وما نافقت :

لي اشهد بكوني عبد من يغفر الذنبا وكوني خديم المصطفى بحر مَا يُنْبَا[2]

---

(١) راجع صفحتي ٨٥ و٨٧ من ارواء النديم والصفحات ٩ و١٠ و١١ من جزاء الشكور.
(٢) (مَا يُنْبَا) هي منطقة في (كَمَرُونْ) و(كَبْنْغَ) .

ولي اشهد بـأنّي لا أداهن مشركا خليلا حبيبا للذي كرّم الجنبا
وانّي خليل للمقفّى حبيبـه عليه سلاما من كفاني به الكذبا
عليه سلاماً قائد قادني لـه به مع كتاب محكم طيّب الجذبا
شكوري ورضواني لربّي وللنّبي على عصمتي من كيد طاغ به انكبّا
مديحك يا خير الـبرايا سعادتي يقيني به ابليس ربّي متى دبّا
مدحتك مدحاً قد كفاني العدى معا بذكر حكيم فيضه نحوي انصبّا
كفاني بك الكافي ذوي الكبر والهوى ولست ألاقي غير من حاز لي حبّا
أيا بحر وحّد لا تثلث فربّنا تعالى عن التثليث أكرم به ربّا
فكن ذا اضطراب مزيداً من مجافة من الله واشهد أنّني عبده صبّا

فكأنه (فِكْتُورْ هُوجُو) المنفيّ وهذه الألحان وحيدة في الوثائق التاريخيّة من الأدب السّنِغَالِي العربيّ فالشاعر يخاطب الاوقيانس وأمواجه فشكاه من آلامه وجعل اليم شريكا له في أن يشهد أنّه صادق الشعور بغير شرك ولا نفاق . وهو أشار إلى أسطورة رأيتها في كتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور) لأبي البركات الناصري محمد بن عياض المتوفى سنة ١٥٢٤م فقال ألقى الله تعالى نظرة واحدة إلى البحر ففزع فاضطرب واهتزّ ولم يزل يضطرب ويتموج إلى يوم القيامة خشية من الله واحتراماً له جلّ ثناؤه وربّما تذكّر الشيخ من هذه الحكاية العجيبة وان شخص الشيخ الخديم في اليمّ وان طلب منه الشهادة بخالص تقواه واخلاصه وان كلّم عنصراً طبيعياً ، حركاته أي أمواجه تشبه أنفاس إنسان فالشاعر جرى مجرى أبي فراس الحمداني في سجن الرّوم أو فِكْتُورْ هُوغُو في صخرة بجزيرة (كِرْنَسِيْ) أو هـويد الشاعر اللاتيـني المسجون في (كُنْسْتَنْزَا) .

ثم دخل في جزيرة أخرى مكث فيها حولين وأشهرا مشتغلاً بعبادة الله تعالى وبخدمة رسوله عليه الصلاة والسلام وذكر هذه الحكاية : « أتاني شابّ منهم في مكتبي وبيده سيف مصلت يدوّره على رأسي ويقول لي أأنت فلان باسمي ؟ فقلت نعم فقال احذر منّي فإنّ جدّي كان قتّالاً للأولياء فأنا ابنه فأومأت إليه بالقلم وانتهرته كأنّي أسطو عليه اعلم بأنك لست بجدّك القتّال وأنا لست كمن كان جدّك يقتلهم . فارعدت فرائصه وانهزّ أمام القلم وذكر أن أميراً منهم نزل

بجيشه في الجزيرة التي هو فيها ... فدخل الأمير عليّ وسلّم .. ومدّ إليّ يده ليصافحني فمددت يدي فإذا بخطاب كأنّه صاعقة من السماء يا أيّها الذين آمنوا إنما المشركون نجس [1] فخشي على عقلي فصرفت يده صرفاً عنيفاً ... وأنا أكتب :

ومعتد مرتد أثواب عزته   يختال بين قباءيه وزناره
تمشي ألوف ألوف تحث سطوته   لم يعن قط بنـاهيه وامـاره
أنزلتموه حضيض الـذل منكسراً   بسيف نصر جديد النصل بتاره
نصر من الله للعبد الخديم بـه   صارت جنود نصاراه كأنصاره
لو باح بالسر أبدى للورى عجبا   لكنّما صدره قبر لأسراره

ثم قال بأنّه زاره أهل بدر « وذلك انهم في بعض الجزائر جعلوني في بيت كبير اسكنوا فيه العسكر وكنت كواحد منهم يلعبون ويشربون ويدخّنون » فقلت :

يسّر لي المني لدى لِبَرْوَلِ [2]   من قاد لي ما غاب عن كل ولي
لي قاد أهل بدر الأسودا   من زحزحوا الواشي والحسودا
يقولي حيث أكون الله   تبشـير لَا إلَـه إلَّا الله

« فقضى الله إن الجند خرجوا إلى محل تدريبهم فوجدوا جماعة على خيولهم وعليهم العمائم على مصطفهم فخافوا ووقفوا وثبتهم رئيسهم وهدّدهم بالقتل »... وسأله الحاكم ولاطفه وباسطه بأحسن الكلام : « لعلّ عندك أعوانا لو حاولت أمراً لأعانوك فقلت له ما عسى أن يكونوا إنساً أو جنّاً ، قال أنت ادرى » .
وبعد هؤلاء الجند الذي كان رئيسهم النبي صلى الله عليه وسلم ذكر « أنهم جعلوه في طريق ضيّق وأطلقوه عليه بقرة عادية وهم واقفون ينظرون إليّ وظنّوا أنها تنكبّ علي فلمّا دنت طارت كأنّ لها أجنحة » وذكر ما سلّت عليه من محنة النمل الكبار الكثير . فقال :

---

(١) الآية ٢٨ من سورة البراءة .
(٢) فهي الآن عاصمة كَبُنْغَ .
(٣) انظر ارواء النديم من صفحة ٩٣ إلى الأخرى .

« نسخت بالشكر شكاية فلا . أشكو له ضرّا فضرّي أفلا »

فذهبت عنه النمل . فخاف الشابّ المنتصر المذكور وندم وأتاه ليلاً بشاة وحقة كبيرة من الحبر وانبطح بين يديه وزعم أنّه تائب فوضع الشيخ قدمه على رقبة الشابّ وصرفه بقول حسن فقال :

« الان لي الليلة قلب ذي ارتداد من بعد ما جاء بشاة ومداد »

ثم ألان الله له أيضاً قلب حاكم غشوم وقال للشيخ « ما تحبّ ؟ » بتوال وتكرار فقال الشيخ الخديم : « أريد شيئاً من المداد فأعطني حقّة كبيرة مملوءة فولّيت عنه وكنت في قصيدة مرتّبة على حروف أبتثجح كل حرف نحو سبعة أبيات وبلغت حرف ألفاء فكتبت منه :

أرت قلامي عند أغلف جحد ورضته بقُلْ هو الله أحد

قيل لي إن هذا خيانة تتركهم مطلقاً ثم تأخذ منهم خفية ... فحفرت حفراً عميقاً وصببت فيه المداد فعملت صدق جهادي ... وذات يوم أتاني الحاكم ونقض المسجد وقلع العيدان ورمى بها وقال : « لا صلاة هنا ولا الإسلام تريد أن تفسد علينا الجند » .. فلمّا علم به (بِلِ شَيْ) قام من فوره ... ووصل إلينا مغضباً وقال للحاكم لم نقضت مسجده وهو بباب بيته لم يضيق على طريق ولا على أحد فقال الحاكم كذلك أفعل لا مسجد هنا فقال له : لا بدّ أن أردّه على حاله فقال أحد للحاكم لا تردّه فحال الناس بينهما أن يتضاربا فبقيا من العصر إلى الغروب يتخاصمان كلّ ذلك وأنا أكتب قصيدتي المرتّبة على حروف « ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً »[١] .

وهذا البيت الأوّل : رضيت من المولى تعالى الذي ربّى فؤادي وأغناني وأكرم به ربّا إلى أن بلغ قوله :

له أكتب صلاة مع سلام بآله وأصحابه واجعل به مسجدي رحبا

(١) الآية ٧٧ في سورة النساء . فالقصيدة في مخطوطات إيفان عدد ٥١ .

ثم أنشأ قصيدة قافيّة ومنها هذه الأبيات :

ألا إنّني أرجو من الواسع الحق   بجاه المقفّى ناصر الحقّ بالحقّ
عليه صلاة الله ثم سلامه   لقـاني سريعاً اخوتي بالهدى الحقّ
وكوني له عبداً سعيداً مكملاً   خديماً لعبد الحقّ مختاره الحق
سأرضيك بالقرآن والسّنة التي   لنا سنّها المختار يا فاتق الرّتق
ورض لي العدى طرّا دواما وكفّني   عن الشرك يا قهّار ذا الرتق والفتق
وقدني إلى دار السلام التي بها   أناجيك بالآيات ولتعل بي أفقي
إلٰهي سريعاً ردّني بالمنى معاً   وكن لي دواماً بالبشارات والرفق
وهب لي علوماً تنفع النفس والورى   ووسّع باسعاد وبالفتح والخرق
أبت نفسي الاصلاح وهي عدوة   فلي زكّها بالطّيّ يا خير من يرقي
.. إلٰهي قني يوم الجوى ما أخافه   ولي اجعل مروراً عاجلاً ثم كالبرق
وهب لي نجاة من نزوع وكلّ ما   يخاف الورى اجعلني بعيداً عن الحرق

ومن قصيدته المطرّزة بحروف آية (ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) . المذكورة هذه الأبيات :

به قد غنيت اليوم عبداً بذكره   وعنّي يكفّ العار والنّار والسّبّ
نبذت اللّغي لله عبدا مرتّلاً   بذكر حكيم عن جنابي العدى ذبّا
.. خرجت بفضل الله من كل باطل   وفارقت تدبيري به الدّفع والجلبا
رضيت به ربّاً كريماً مكرّماً   وقاني العدى والجرب والبحر والتلبا
.. نويت هنا رجعي لطوبي بإذنه   وأودعته جسمي وأودعته القلبا
إلى الله والمختار هاجرت من ملا   عبادتهم عصيان ربّ الورى البا
نجاتي من الأعداء والبحر والبلا   غريباً وحيداً من حفيظ ملا الجربا
إلٰهي إلى طوباي قدني وسلّمن   وجد بامتنان ثمّ ولتؤمن التّربا
قلوب العدى قلّب إلى ما يسرّني   وبي بشّر الأخيار ولتغفر الذّنبا
رجوت فراقي سرمــدا جملة العدى   ولقيا عيالي منك يا من قضى الاربا
لقد سقت لي في البحر ما كنت أرتجي   بجاه الذي صيّرته الخلّ والحبّا
محوت به عيبي فقدني من العدى   إلى اخوتي واجعل رجوعي لنا طبّا

مددتّ يدي يا مالكي راجيا لكم غريباً منيباً أنّسن واكشف الرّعبا
نفيت الأذى عنّي فجد لي بأوبة سريعاً بلا كدّ ولي وسّع اللحبا
كفيت ذوي التثليث عنّي وأدبروا فرادى ومثنى واكفنيهم بهم ذأبا
جعلت كتاب الله وردي وأبتغي بترتيله ما شئت إذ صار لي أبّا
أغانيي الحنّان من كيد من قلى وصار كنار الخلّ لي بخر مَايُنْبا

وقبل رجوعه من كَنْبَغَ قال قصيدة أخرى دافع فيها عن العقائد الإسلامية وعن التوحيد وعن نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحمل حملة على من أبعدوه وذوي التثليث والذين ظلموه وقالوا إنّه يحبّ الدّنيا بل تولّي الحكم واضطهدوه ثمّ غرّبوه بعد أن أذكوا عليه العيون فهاجم النصارى الذين أخرجوه من دياره ظلماً فجهر بأنّه مسلم تقيّ مخلص عقد عزمه على الدفاع عن إيمانه بإلـٰه واحد ، وأعلن أنّه عبد لله الأحد ، وخادم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وأنّ له أسلحة للجهاد . غير أنّ هذه الأسلحة هي العلم والتقوى والقرآن الكريم والسنة النبوية وعلوم الدّين ، ولما اعترف بأنّ هذه الوسائل لم تزعج أعداءه بشيء نسب عدوانهم عليه إلى سببين : القلى والحسد على شيخ زاد صيتاً في بلاده .

يا جملة قد ثنثوا بضلالهم من لم يكن ولد له أو والد
أخرجتموني ناطقين بأنّني عبد الإلـٰه وانّني لمجاهد
وظننتم أنّ المدافع عندنا والكلّ منكم ذو قلى ويحاسد
ومقالكم حقّ فإنّي عبده وخديم عبد الله وهو الحامد
ومقالكم انّي أجاهد صادق انّي لوجه الله جلّ أجاهد
إنّي أجاهد بالعلوم وبالتّقى عبداً خديماً والمهيمن شاهد
إنّي له عبد خديم للنّبي وهو المقدّم والشفيع الشّاهد
صلى عليه بآله وصحابه بسلامه ربّ إلـٰه واحد
صلى عليه مسلما وأعاذني من قتلنا ابليس وهو المارد
وأقامني سبحانه بالمصطفى فيما به تأتي المنى وأشاهد
وبه كفاني أهل كتب قد طغوا والكلّ منهم بالتنازع حاسد

سيفي الذي يفري طلى من ثلّثوا　　　توحيده فهو الإلـٰه الواحد
تبّـا لقـوم ثلّثوا بضـلالهم　　　من لم يكن ولد له أو والد
أفّ لقوم أشركوا وذكورهم　　　غلف وكلّ جُنَّـأُ ومـكابـد
أكرم بربّ لم يواخذهم بما　　　كسبوا هنا وهو الصبور الماجد
نعم الذي يخشى الإلـٰه موحّداً　　　ويروم ما يرضى وبئس الجاحد
ومدافعي اللاتي بها أنفي العدى　　　وبها يفارقني عنيـد قاصـد
ذكر حكيم احكمت آيـاته　　　ممّن يزحزح ما يريد المارد
وبها يد مدم لي على من أخرجوا　　　دنيا وأخرى فهو ربّ ماجد
وبها نجاتي من مكائدهم معا　　　وبها الليالي في الظّلام أكابد
أكرم به ذكرا حكيما جاد لي　　　ربّي به وهو الكريم الواجد
أما رماحي فالأحاديث الـتي　　　وردت عن الماحي ونعم الوارد
وبها أزحزح بدعة قد أحدثوا　　　وبها يلازمني سعيد عابد
وبها يفارقني غرور يختفي　　　وبها يلازمني ارتقاء خالـد
أكرم بمن قد جاءنا بنصوصها　　　نعم المجاهد في الإلـٰه العابد
نعم المشفّع في الخلائق كلّهم　　　يوم الجوى نعم الشفيع القائد
نعم المقدّم في الكرام جميعهم　　　وبه يفارقني عدوّ راصـد
صلّى عليه بآلـه وصحـابه　　　من ليس يعجزه كنود شارد
بسلامه وبه هداني بالعـلى　　　حتّى اعتلت بي أمّنا والوالد
أمّا الفروع فأسهم قد حدّدت　　　لجديثـه أنّ الفروع زوائد
وبها أزحزح صائلا من شبهة　　　عن جانبي إنّ السّهام طوارد
أمّا الذي يتجسس الأسرار لي　　　فتصوّف صاف جلاه أماجد
عنّا جزى الأسلاف خيراً ربّنـا　　　يوم الجزاء فهو الشّكور الماجد
عنّا جزى من بيّنوا بنصيحة　　　ما فيهما وبدت بذاك فوائد
ينفي العدى عنّي الذي لا أبتغي　　　بدلاً به فهو الحفيظ الطّارد
وهو الذي قد كان لي وأعاذني　　　أبدا به ممّن قلى ويحاقـد
قد صانني دنيا وأخرى آمنا　　　ويقود لي ما قبل منه أوارد
إن كان للأعداء أسلحة بها　　　خيفوا فأسلحتي ته وأجاهـد

وبها يفارقني شرار ثلّثـوا وتنازعوا والكلّ منهم حاسد
وبكون ربّي لي أكون موحّدا من لم يكن ولد له أو والد
يا الله يا رحمان يا ربّ الورى يا من له كلّي وفيك أعاهد
كن لي بما فاق الظنون تكرّما وقني الذي فيه البلا وشدائد
ولتغنني دنيا وأخرى يا علي يا من له منّي تجيء قصائد
يا خير مغن بالكتاب هديتني وبسنّة الماحي الذي هو حامد
لي أشهد بشكري سرمـدا لك مع رضى وإليّ منك طرائف وفـرائد
يا رب سو لي سرمدا فوق الذي أرجو وإنّي في محلّي قاعد
يا خـير مغن استغيث بفضـله يا من له منّي هناك مساجد
لي عجّل النصر الذي أرجو هنا حتّى يلازمني هنالك ساجد
لي عجّلن نصراً عزيزاً ها هنا حتّى يفارقني كفورا جاحد
وأدم صلاتك بالسّلام على النبي في آلـه وصحابه يا واحـد

وقد طرق الشيخ الخديم في منفاه أبواباً شتّى خاطب البحر مراراً وشخّصه ودعا الله ورسوله وصرّح بكونه عبداً منيباً لله وخادماً صادقاً للنّبي صلى الله عليه وسلم وعالج شؤوناً توحيديّة قاربت السّياسة وحنينـه إلى وطنـه البعيـد العزيز ويقينه بأنّ الله ورسوله كانا معه في التغريب وإيمانه بوجود الكرامات وعالج أيضاً أفكاراً أخلاقية بهمة عالية مع أنّه لم يخل قطّ ، من شجاعة ولا وقار ولا صبر جميل .

فقضى منفاه الثاني في مُورِيتَانِيَا عند البيضان فازداد خبرة وحنكة وأكّد مواهبه الشّعرية والكتابية .

أرسل إليه أمير آنْدَرْ دعوة بعد دعوة مراراً فلمّا كان اليوم الثالث عشر من حزيران سنة ١٩٠٣م غادر الشيخ الخديم دَارَ الْمَنَّانِ فبات في قرية (آنْكَابْ) ومعه جند الاستعمار ثم وصل إلى (جُرْبِيلْ) فـ (تِوَاوُنْ) و (سان لوي) بالسّيارة ثمّ وصل إلى (دَكَنْ) بسفينة على نهر السّنِغَال ثم عبر النّهر من بعد نيف وعشرين من شهر المولد مع صاحب (شيخ سِيدِيَ بَابَ) وهو شيخنا ابْنُ دَادَهْ من بني دَيْمَانِ وقال في غيبته الثانية :

من سيري غب عام أكسش مثل مسيري رأس عام جيسش
ثبت كونه جهولاً غمراً بل هو تطييب العلي لي العمرا
لم يك سير أكسش سوى جزا من لي قاد بعد وعداً أنجزا

وقضى ما بقي من رمضان عند أولاد (بيدح عبد الله) وفي ذلك يقول :

حمدي وشكري لمن كلّي به صارا له رضى دون سخط عند النّصارى
له ثنائي ورضواني بلا سخط مذ قاد لي من بني دَيْمَانِ أنصارى
لله كلّي للذى آبار مكرمة منها ارتحلنا وفيها جم من زارا
إنّ الذين إلى (صَرْصَارَ) قد قصدوا زيارتي فارقوا الدّارين أوزارا

فهذا أعطاه الله كرامة إذ قال محمد الأمين جُوبْ إنّه الشيخ الخديم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سلب منه كلّ ما كان أخذه من الطرائق الصّوفية دون القادريّة وبعد زمان غير طويل جاءه جبريل عليه السّلام وسلب منه كلّما سلب وحضّه على اتخاذ النبي الصلاة والسلام شيخاً مرشداً . قال محمد الأمين جُوب : « حضرت يوماً وسأله بعض علماء البيضان عن السيد الأمين أهو جبريل أم رسول الله ابتدأ فقال له جبريل فقال أجبريل يلقى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابه الشيخ ببيتي ناظم الغزوات :

وقيل إن جبرائيل يحضر من مات مؤمناً وقوم أنكروا
مجيئه بعد رسول الله والحقّ أن ليس له تناه[1]

هل أجاب الشيخ عن السّؤال ؟ كلّا ولكن نحن في صميم أمر صوفيّ لا سلطان عليه إلا لمن هو من أهله . ثم افتخر بهذه الأبيات المقتبسة من قصيدة توجد في ارواء النديم من صفحة ١٣٧ إلى صفحة ١٤١ .

لي قدت ما فاق به الجيلاني عليه رضوان الذي أعلاني
إليّ قدت ما به أبو الحسن فاق بخدمة النّبي جدّ الحسن
تممت لي بما به التّجاني فاق وكنت لي بالمرجان

(١) راجع صفحة ١٣٢ من ارواء النديم .

صرت خديم المصطفى مثل أنس لي قدّت ما زحزح عني الدّنس
ورثت في مدح النبي حسّانا ملكتني وقدّيت لي إحساناً

سنرى أنه صادق في قوله إنّه وارث حسّان بن ثابت في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حرّضه على تأسيس طريقة خاصّة فأنشأ المُرِيدِيَّةَ مستورداً من القادريَّة والتّجانية والشاذلية والسّنوسيّة كما أكّدته هذه الأبيات :

وبعد فاستمع مقال ناصح لنفسه ولك بالمناجح
يا رائم الكمال في السعادة من طرق المشائخ الثلاثه
طريقة الشيخ الإمام الجيلي والشاذلي الحائز التفضيل
ثمّ أبي العبّاس فخر الكمّل من حكمهم في القصد حكم الأوّل
مع خصائص لكلّ يحتوي بها طريقه اختصاصا قد دري
فالتزمن طريقة العبد الخديم من خصّه بارئها الرّبّ القديم
لأنّه لكل ورد سرّ في كلمة فيه هداك البرّ
وعلمها عند ذوي البصائر لا غيرهم حكمة ربّ قاهر
كتابه العزيز صار وردا لي ونفى عنّي عداي طردا

ففي (تَنْتَ مَغْزِينْ) بمُورِيتَانِيَا نجا الشيخ الخديم من قتلة فظيعة « وذلك ان رجلاً من البيضين معروف الاسم والقبيلة وأنا[1] أعرفه ... أراد الفتك بالشيخ ... فدخل باب دار الشيخ ليلا وكان يعلم مكان سيف الشيخ في النهار فتوجّه إليه وأخذه وجرّده من غمده ... والشيخ مضطجع قريب منه فلمّا هوى إليه تعلّق السيف بحاشية الخيمة وصادف وثوب الرجل كأنّه جمل صائل حنله ... وكان من قضاء الله أنّ رجلاً من مريدي الشيخ يقال له (حَمَرْ فَالْ آنْدَاتْ) كان في المسجد يتهجد فلمّا مرّ به الرجل قام مسرعاً إلى القائم بأمور الشيخ الداخلية محمد الأمين أَنْجَكْ بن محمد الأَمِينْ مَتْ ... فصاح المريد عليه كأنّه يريد أن يأكله فملأت الأرض صيحتاهما فصاح من كانَ بالقرب واجتمعوا فقام الشيخ وحال بينهم وبين الرّجل أن يقتلوه وسكنهم ثم أرسل خفية إلى

(١) المتكلم هو محمد الأمين جُوبْ الدَّكَانِيُّ في صفحة ١٤٥ من ارواء النديم .

جماعة باتوا بعيداً عن محل الوقعة كان وعدهم بالإطلاق ثم دعاهم وقال لهم ليصحبكم هذا البيضاني إلى محل بسطة النصارى في خماك أي سهوة الماء[1].

وبعد زمن غير طويل ذهب الشيخ إلى قرية بئر الخير حيث كانت كرامة منه إذ طلب منه بيضانيّ أن يقرأ منه السّلام على النّبي صلى الله عليه وسلم إذا لقيه مرة أخرى وبعد زمن يسير لقيه الشيخ وقال : « إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ عليك السلام وكذلك الشيخ التجاني » فأخذ الحال من ذلك وصار يهز رأسه دائماً ويهيم متعجباً بما بهر عقله ولم يزل البيضاني كذلك حتّى مات وكان يقال له أحمد بنُ بَدٍ وفي ذلك قال الشيخ :

لقد جاء روح القدس وهو مفرج ... بجند عظيم حين أحمد يخرج
لأحمد عند الله ما كان يرتجي ... له بان خير بابه ليس يرتج
جزى الله من أعطى الخديم الذي به ... لمهد بها وهو السعيد المتوّج
من الله أبغي للخليفة ما نوى ... بجاه الذي أنواره تتبلج

قال محمد الأَمِينْ جُوبْ : « بخ بخ قوله لمهد بها فالضمير في لفظة بها ضمير استخدام يعني أطلب من الله مواهب لدنيّة لمن أهدى لي بالكتاب المسمّى (المواهب اللدنيّة) للقسطلاني .

فهذه أيضاً أبيات قالها الشيخ الخديم يرثي المرحوم :

ردّ سلام طيب قد فاقا ... كلّ سلام يجلب الوفاقا
من عبد ربّه خديم المحتبي ... إلى الذي جاز عليّ قد تحتبي
يا أيّها الشيخ العظيم الشأن ... أمنت من ضرر كلّ شأن
أمنت سلب خير فيكا ... إلى الجنان مع مقتفيكا
أمنك الباقي من الأسواء ... بحرمة المختار ذي اللّواء
وجاه شيخك الرضي التجاني ... من صار عند الغرّ كالمرجان

ثمّ ارتحل الشيخ إلى سهوة الماء سنة ١٩٠٤م وهي بئر على مرحلة من (نَكَنَهْ)

(١) انظر صفحتي ١٤٧ و١٤٨ من ارواء النديم .

أو من (بُـدُورْ) فلدغته فيها حيّة وصار مريضاً وكان كثيراً ما يغشى عليه وانتهت غيبته الثانية في سنة ١٩٠٧م فأخذ في إيابه إلى وطنه العزيز مع قدوم الشيخ إبْرَفَالْ من جهة أَنْدَرْ ومعه تسريح الحكومة بالرجوع إلى السنغَالْ فمرّ الشيخ الخديم بقرية (كَايَ) ودَكَنَ حيث طالبوه بالصلاة في جامعهم وهو إذ ذاك يجددونه تبرّكاً ... وكانوا يأتونه بأنواع الضيافة فأنشأ قصيدة مرتّبة على حروف « ولله ملك السماوات والأرض »[1] وآخر بيتها هو :

ضفت الكريم وأطاب لي القرى ولا أزال كالسّراج في القرى

ثم وصل إلى (سان لوي) فنزل على مريده الكبير الشيخ إبْرَفَالْ ومكث ليالي ثم ذهب إلى (لُوكَحْ) نزل على الحاج مَصَنْبَ سُخْنَ ومن هنا راح إلى (آنْكَا جَخْ) وإلى (كَرْشَيْخْ الحَسَنْ انْجَايْ) وإلى (دَارُكَحْ) وإلى (كَرْ آمْبَاسِنْ) وإلى (آنْجِهِينْ) فاقامته فيها الحكومة اقامة اجبارية دامت خمس سنوات .

وفي سنة ١٩١٢م أتاحت له الدولة الاستعمارية أن يذهب إلى (جُرْبِيلْ) ويحلّ بها ففعل حتى ارتحل إلى جوار ربّه عزّ وجلّ في عام ١٩٢٧م .

ولم ينقص الشيخ شيئاً من موقفه الأول كما ظهر في رسالته إلى أمير آنْدَرْ وهي :

« بسم الله الرّحمٰن الرّحيم ؛

إنّه من محمّد بَمْبَهْ والسلام على من اتبع الهدى إلى أمير آنْدَرْ .

أمّا بعد فاعلم بأنّي لا أكتب ولا أقول بلساني ما لم يكن في قلبي فاليوم لا تسمع كلام من يطلب الدنيا بالنميمة والافتراء والكذب والخيانة فيّ وأمّا عدم مجيئي إلى آنْدَرْ فما أوجبه شيء يوجب سوء ظنّك بي فإنّي لا أطلب من الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد إلا السلامة والعافية وعبادته تبارك وتعالى بسنّة رسول الله صلى الله تعالى عليه بآله وصحبه وسلم

---

(١) الآية ٤٢ في سورة النور .

وبارك فتى رأيت كتابي هذا الذي كتبته بيميني فطب نفساً وقرّ عيناً ولا تلتفت إلى من يفسد بيننا فمن قال لك إنّي مخالف لسنّة رسول الله صلى الله عليه بآله وصحبه وسلم وبارك فقل له كذبت لأنّي ولله الحمد والشكر لا حاجة لي في غير متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلّ ما يليق بي فليكن في كريم علمك أيها الأمير اني لا يخالف قولي فعلي واني عفوت عنك وعن جميع من ولاك ولا تلتفت بعد هذا الكتاب إلى واش ولا إلى حاسد .

والسلام على من اتبع الهدى » .

دلت هذه الرسالة على أنّ الشيخ الخديم كان مظلوماً حين أبعد وغير طالب للدنيا حين كذب أعداؤه وحسّاده عليه منيباً إلى الله الأحد وخديماً مخلصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وممتلئاً حلماً لمن اضطهدوه وظلموه معتمدين على نميمة وافتراء وبهتان من حسدوه وأفسدوا بينه وبين أولي الأمر إذ ذاك .

ولمّا رجع من منفاه لم يزل يكتب ولم يخل منه الاحتفال برجوعه مفتخراً فنظم قصائد كانت ألحان شكر لله مثل قصيدته المسمّاة بـ (مقدمة الامداح في مزايا المفتاح) رتّبها على حروف « وانّك لعلى خلق عظيم » ومنها هذه الأبيات :

نهاني حبّ الله نعم المهيمن	عن الميل عمّا اختير والحقّ اقمن
نبذت اللغي عبداً لمولاي وحده	خديماً لمن عن دركه كلّت ألسن
نسفت بناء المين بالحقّ مادحاً	لفرد على خلق ونى عنه ديدن
نفالي وابقائي وفوزي بلا عنـا	بكوني خديم المصطفى تتبيّن
نفى لسوانا بالنبي الله حسّدا	وسيق إلى غيري الذي يتكهّن
كؤوسك تسقيني بهـا ذا بشارة	ولي قدت فيضاً أخجل البحر والفلكا
خرجت بفضل الله ممّا يوبّـخ	وينحو لقوم فارقوني موبّـخ
خرحت مع الماحي بربّي من الأذى	ولا ينتحي نحوي الذي يتبذّخ
خزائن ربّي فتحت لي وزحزحت	لغيري الأذى دنيا وأخرى وبرزخ
خروجي بربّي معك من قبل هكسش[1]	وينحو لغيري لا لنحوي موبّـخ

(١) أي خروجه مع النبي قبل سنة ١٩٠٣م .

لربّي خروجي مع دخولي بمنزل — محا قبله ما قد مضى من تزلزل
قلامي عليها دين شكر له على — فراقي بلا لقبي ذوي الحور والفسق
قهرت بها[1] أهل القلى وهي جنّة — بها صانني الباقي وأعلى بها أفقي
عفوت عن العدى طرّا لوجه من — نفاهم لغيري سرمدا لست أدفع
علمت يقينا أنّ مولاي كان لي — وأنّ المقفّى من قلاني يردع
ظهور رسول الله لي قاد لي المنى — وقد كان عنّي كلّ سوء يشظّظ
ظهور صحاب المنتقى لي يصونني — وينحو إلى الأعداء منّي التّحفّظ
ظلالي إلى جنّات باق توسّعت — وكلّي ومالي صان عام مشظّظ
يجاوره كلّي خديما له به — به صرت ذا غرب وقد كنت ذا نأي
يخاطبني ما قيد لي بامدحنّه — مديحاً عجيباً مفحماً فائق الرأي
يقول لسان الحال لي كن خديم من — حماك عن الأكدار بالله ذا رعي
ملكت بربّي مخجل الموج واليمّ — بمدح الذي أنسى أذى الفلك كالغمّ
مرادي كوني عبد ربّي خديم من — أخاطبه بالشكر والحبّ ذا عزم
مزاياك يا كلّي لدى الكلّ قد جلت — ولكنّها جلت عن الشعر والنظم

وبالنسبة إلى الفنّ فالقصيدة رائعة إذ بدأ الشاعر كل بيت بالحرف الذي ختمه وهذه الدقائق الفنيّة لا تضعف السلطة الرائعة للمعني في كل بيت وفي القصيدة برمّتها . وكثيراً ما ينشدها المريدون فيصير هذا البيت ردّة ولازمة وهو :

لك الفضل يا مختار يا سيد الورى — عليك سلام الله يا من من محا الذّلّا

وبينما كرّرته عشرات صدور طنّانة وأصوات جهوريّة كمثل كهوف تلتطم فيها أمواج وتهاجمها مهاجمة عنيفة تستشيط عليها غيظاً يرتّل صوت العازف المنفرد كل القصيدة متناوباً والجوقة وصدر صداهم هو جوف الليل والعمق الشاسع للسّباسب تحت سماء موشّاة بأنجم تتألق كالالماس . وان غشي عدّة مريدين عليهم وانغمسوا في الانجذاب والوجد والشطح واصل المغنّون

(١) يعني آيات القرآن .

ترتيلهم إلى آخر القصيدة . وأن أعجب مريد (بَايْفَالِيٌّ)[1] بالألحان الرّخيمة حتّى ضرب رأسه بهراوة ضخمة أو بتعبير أدقّ بمدقّة وشقّ جمجمته « فترك عالم الأحياء » واصل العازف المنفرد والجوقة ترتيلها حتّى مطلع الفجر .

لا حاجة لنا بأن نقول إنّ الشيخ قد طرق كلّ باب في الغيبة وأنه قد حكى لنا منفاه حكاية روائية عاطفية وكان على يقين بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كانا معه كما كان معه أهل بدر أي جند الملائكة . وكلّ ذلك جعل قصّته ممتعة فتّانة ظريفة وكما جرّت في أنابيبها هزّة صوفية رمزيّة حامية وطيس وقد أنشأت هذه الهزّة الصّوفية أنغاماً لا تنسى وآثاراً لا تمحى وطريقة دينية جديدة نعني المريدية . ولانشاء هذه الطريقة سببان موجبان أحدهما هو سنة ١٨٩٣م وكان الشيخ إذ ذاك ابن أربعين عاماً والآخر هو سنة ١٩٠٤م حينما كانوا يبعدونه في مُورِيتَانِيَا . فأسّس طريقته بإذن مخدومه صلى الله عليه وسلم . قال في ذلك :

ومن عجائب ابن عبد الله   صلى عليه بسلام الله
باق أضاء أرضه بالأوليا   إلى القيامة وكلّ وليا
سنّته وصانها عن بدع   تبشيره خديمه بفاصدع
أمره صلى عليه الله   في الآل والصحب ومن والاه
بأن يعلم المريدين ومن   يقبل منه النصح من أهل الزمن

قوله : بِفَاصْدَع . يعني « فاصدع بما تؤمر »[2] أمر الله . نبيه صلى الله عليه وسلم بالاجهار بدعوته بعد أن كان يدعو الناس سرّاً . قد بيّن لأتباعه حدّ الإرادة وما يريد المريد قائلاً :

حدّ الإرادة بقول الساده   ترك المريد ما عليه العادة
ثم رجوعه إلى المعتاد   قبل وصوله كالإرتداد
إذ المريد لا يريد أبداً   غير رضى الرّحمان حيث قصدا

---

(١) والمُرِيدُ البَايْفَالِيُّ هَوَكُل من تمسّك بأذيال الشيخ إبْراهِيمَ فَالْ التابع الأول للشيخ أَحْمَد بَمْبَهْ . وهو لا يصلّي ولا يصوم ولا يحج ولا يؤتي الزكاة بلى يعبد شيخه لا غير .

(٢) الآية ٩٤ في سورة الحجر .

وصف المريد تركه الإراده لوجه من يفعل ما أراده
من لم يرد شيئاً سوى مولاه يصل له وخيره أولاه

وإن أراد المريد أن يصل إلى مولاه وحده ضلّ فلا بدّ له من أن يكون له وسيط مرشد مربّ شيخ فلذلك قال الشيخ الخديم في هذا البيت :

فمن تعلّق بواصل وصل ومن تعلّق بعكسه انفصل .

بناء على ذلك إنّما الوسيط الواصل إلى مولاه هو الشيخ أحمد بَمْبَهْ بنفسه فقال : [١]

لكل من بي تعلّق نجاه من كدر الدنيا وفي يوم النجاه
كلّ مريد بي يلوذ يسعد وأنّه من الأذى مبعّد
تعب ذي تعلّق بي يزول بجاه من إليه وجّه النّزول
أكرم بربي كلّ من تعلّقا بي وكلّي بأمن أطلقا
بي تعلّق الذين أسلموا من جنّ عصري دون من لم يسلموا
عليّ منّ الله ذو الجلال بعصمتي من ضرر الاضلال

ثم كتب رسالة إلى أتباعه وهي :

« إنه منّي إلى جميع المريدين والمريدات ويدخل الجميع في السلامة والعافية في الدنيا والآخرة بجاه رسول الله صلى الله تعالى عليه بآله وصحبه وسلم وبارك أمّا بعد فإنّي أمرت كلّ من تعلّق بي لوجه الله تعالى الكريم بتعلّم العقائد والتوحيد وأحكام الطهارة والصلاة والصيام وغيرها من كل ما يجب على مكلّف واني تكلّفت لكم ولكنّ بتواليف يكون فيها جميع ذلك لوجه الله تعالى الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ويجب على كل مريد أن يفكّر في هذه الأبيات المأخوذة من قصيدته المطوّلة (مسالك الجنان) :

---

(١) هذه الأبيات مقتبسة من قصيدة مرتّبة على حروف الآية : « وانّه لكتاب عزيز » .

ولا تكن ملتفتاً لكلّ من رأيته يشبه شيخا في الزمن
فليس كلّ ما ترى مدوّراً كعكا وليس كلّ ضوء قمراً
كلّا وليس كلّ ماء سلسبيل وليس شهد مثل صاب يا نبيل
وليس كلّ ما في الليل نائر ناراً بها اصطلاء من يسافر
فكلّ من لم يتأدّب زمناً على يدي شيخ فيلقى محنا
لأنّ من عدم شيخاً مرشداً فشيخه الشيطان حيث قصدا

وقال أيضاً في قصيدته (نهج قضاء الحاج فيما من الأدب إليه المريد يحتاج)[1] مشيراً إلى كيفية التأدب مع الشيخ المربّي والمعلم :

واجتنبن ضحكا ومزحاً وصخب أمام شيخك إذا رمت الأدب
ولا تجعلنه مثل صاحب حضر إلا الذي لا بدّ منه من ضرر
واستمع الذي عليه دلّكا مبادراً ولو أبته نفسكا
ولا تزل إليه ذا إهداء له بما استطعت من عطاء
وكن لكلّ من به تعلّقاً أهلاً عبيداً وسواهم مطلقاً
فنظرة الحبّ من الشيخ إلى مريده هي المزايا والعلى
وكن لدى الشيخ كميت وضعا بين يدي غاسله تنتفعا
وكن لدى شيخك كالمملوك تبلغ به درجة الملوك
بقدر اجلالك شيخك تفوز بما تريد وبه اليمن تحوز

ومن الإمكان أن نرى أنّ أتباع الشيخ الخديم قد تعلقوا بالمعنى الضيق لتعليمات شيخهم ، وبالمعني الحرفيّ لأوامره ونصائحه ، ولم يغل من قال : إنّ المريديّة هي إيمان بالعمل إذ يراعي المريد ارشادات شيخه بحصر المعنى حسبما قال بها مؤسّس المُريدِيّةِ في (مسالك الجنان) :

واعمل لمن إذا له عملتا بوجه الاخلاص رضاه نلتا
واعمل لمن أن تكتسب رضاه يكفك في الدارين ما تخشاه

---

(١) لها ٢٤٢ بيتاً .

واعمل لمن يغني من استرضاه بطاعة عن كلّ ما سواه

وهذا الشيخ المرشد الواصل هو الشيخ أحمد بَمْبَهْ الذي أعلن استقلاله عن المؤسّسين الآخرين للطرائق .

ولا يصدّك عن القبول كوني قصير الباع في ذا الجيل
ولا يصدّك مدى الأزمان عن أخذه كوني من السّودان
إذ أكرم العباد عند الله أكثرهم تقوى بلا اشتباه
فليس يوجب سواد الجسم سفاهة الفتى وسوء الفهم

وهو طالب هذه الأصالة في النبذة التي اقتبسها الشيخ البشير من رسالة أرسلها الشيخ الخديم إلى الشيخ سِدِيَّ « فقال له شيخنا : إنّي لست بتلميذ لكم والشيخ سيدي يعلم أنّه ليس بشيخ لي وحرام عليّ أن أتعلّق بأحد على وجه الأرض وذلك ليس بازدراء للمشائخ ولا استحقار لهم إنما ذلك من وجه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل عليّ يربّيني ويرقّيني ويحرم عليّ الادبار عنه عليه الصلاة والسلام »[1].

وفي رسالة منظومة إلى مريده سَرِجْ بَكَرِ مَحْمُود سِيسهْ حدّد الشيخ الخديم معني التصوف قائلاً :

دونك يا محمود ما ان شا الجليل يشفي مريد أو مراداً من غليل
إن كنت سائلا عن التصوف لكي تعدّ من ذوي التعرف
فللتصوّف أصول تعرف تسعة أشياء لدى من يعرف
أوّلها تلازم الكتاب وسنة المختار ذي الصّواب
وترك الأهواء وترك البدع كذاك تبجيل الشيوخ الخشّع
رؤية اعذار لكلّ خلق ادامة الورد لوجه الحق
وعدّ منها ترك جملة الرّخص وترك تأويل فذا زرّوق نص[2]

(١) راجع صفحتي ١٧٩ و١٨٠ من متن الباقي القديم .
(٢) انظر (منوّر الصّدور) مطبعة دار الكتاب بالدار البيضاء .

ثم أورد النظرية الصوفيّة للشعرانيّ والنظريّة الصوفية لعبد القادر الجيلي . وفي قصيدة طبعتها مكتبة هلال في دَكَارْ نصّ الشيخ أحمد بمْبَهْ على سلسلته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه هي :

محمد سِيدِيَ بَابَا وسِيدِيَ محمد بَابَا وسِيدِيَ بَابَا ومحمد الخليفة وسِيدِيَ المختار وابن النجيب وسِيدِيَ الأمين وأحمد وعلي وَمَعْقِلِي ومحمد والفَبْرَمِيّ وعُمَر وَالمَغِيلِيّ وَالسُّيُوطي وَالثَّعَالِبِي وابن العَرَبِيّ وَالتِلْمِسَانِيّ وَالمَشَدَّالِي والغَزَالِي وعَلِي وَعَبدُ السَّلام والحَاتِم ومحمد أبو النجيب وابْنُ هِيتَا وعبد القادر الجيلي وأَبُو الوَفَاءِ والشَّنْبَكي والشِّبْلِيّ والجُنْدِ والسَّقَطِي ومعروف الكَرْخِي وداوود الطَّأبي وحبيب العَجَمِيّ والحَسَن البَصْرِي وعليّ بن أَبِي طَالِب ومحمد صلى الله عليه وسلم .

ليست المُرِيدِيَّةِ إيماناً بالعمل فقط بل شدّد مؤسّسها ضرورة التحصيل على العلم والجمع بين العمل والعلم .

فواجب على العباد طرّا ... جمعهما لكي ينالوا الأجرى
ولتعلمنّ بأنّ علما وعمل ... هما وسيلتا السّعادة أجل
وصحّحن بالصدق والاخلاص ... كليهما تظفر بالاختصاص
والعلم أفضل أخي من العمل ... وأسّه ففاز من له حصل
لاكنّما ثمره كالنّفع ... في عمل به فكن ذا الجمع
قليله بالعلم أكثر ثواب ... من الكثير مع جهل لا ارتياب
للجمع بين الشرع والحقيقة ... فهو استقامة الفتى حقيقة
فترك الكسب لادّعا التوكّل ... مع التفات فعل غمر إن جلي

وقد أتمّ هذه الأبيات بالبيت التالي الذي ينكره عليه ذوو العصرية فهو :

فصادق المريد من ينقلب ... بحكم وقته ولا يرتقب

وهذا عمل الشيخ عمل المجتهد . فهذه النظرية الأصلية في أرض السنغال أعطت الشيخ فوزاً عظيماً وهذا هو « كثرة وفود الخلق عليه : الملوك والأمراء والعلماء والأولياء والمريدون والزائرون والضعفاء والمساكين وكثرة الصخب والضوضاء وازدحام الناس المختلفين شأناً وحاجاً وزيّاً بأبوابه ليلاً ونهاراً صيفاً

وشتاءً »[1] ولذا قال ابن الشيخ الخديم محمد البشير أيضاً : « اقبال الخلق إليه أمر كلَّ عن وصفه الرّقْم والنطق ، وانقيادهم لاشارته تكلّ عنه العبارة ، ودرر الهدايا لمجالسه المتعدّدة في كل يوم لارشاد الخلق واصلاح شئونهم ليفوث القياس والاستقراء والتمثيل » .

ورغم هذا الازدحام وسمعته المتزايدة فالذي كان يهمّ الشيخ أحمد بَمْبَهْ هو الاجهار بكونه عبد الله وخديماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وتطبيق سيرته وفق اختياره . فقسم السّنة إلى قسمين منتصفين ففي القسم الأول عبد ربّه عبادة خالصة مخلصة ، وفي القسم الثاني كان يثني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء لا نظير له . وأن طرق الأوائل أبواباً كثيرة من أمداح مخدوم الشيخ من قبل بالنسبة إلى المعاني شرقيين كانوا أو مغربيين فإنّ الشيخ الخديم كان غالباً ما يغير اللفظ وينوّعه بحراً وقافية وإيقاعاً وإلى ما يتعلق بثروة المفردات وفصاحة اللسان وترتيب القصائد على حروف آيات الذكر الحكيم .

كان يريد إرث كعب بن زهير وحسّان بن ثابت في مدح النبي المصطفى فأنعم الله عليه به وكان يدعو ذلك فاستجاب الله له . ومن أروع قصائده يمدح بها مخدومه صلى الله عليه وسلّم هي (جذب القلوب) وهي قصيدة يرتّلها المريدون بمناسبة مولده عليه الصلاة والسّلام ويتغنّون بها في كلّ حفلة دينية يقومون بها في الزيارة السنوية بزاوية طُوبَى أو بمناسبة أيّ أمر حدث . فهي قصيدة ميمية ولكلّ بيت منها ثلاث قواف داخلية فهاكم نبذة منها :

الحمد للحقّ المبين من كونه لي يبين على الكتاب المستبين مع جميع النعم
أحمد ربّي العظيم حمداً كثيراً لا يريم مصلياً على كريم قاد الورى للمنعم
أشكر ذا العرش المجيد شكراً يلافيه مزيد مسلّماً على وحيد بكلكلي وكلمي
شكرته إذ خصّني بخدمة الماحي السّني ذا خدمة في العلن له وفكّ ولمي
وسلّمن يا صمدي على النبي محمّد وآله والحمّد وكن لذي الترسّم
ذاك خيار العرب ذاك منيل الأرب ذاك سبيل الطّلب طبيب أهل السقم
صلّ على باب الهدى نائي المدى مولي الندى ليث العدى ماحي الردى باب العلي والكرم

(١) انظر صفحة ١٣ من منن الباقي القديم .

ذاك الوحيد والمجيد　　وهو المبرّ والأحيد　　من استقامة يقود　　إلى الجنان من عمي
ذاك رسول الراحة　　وذاك رحب الراحة　　وذاك ذو الفصاحة　　ذاك رسول الملحم
صلّ وسلم سرمدا　　على الذي قد طردا　　بليلة قد ولدا　　فيها مديموا المأثم
ليلة مولد النّبي　　ليلة محو الرّيب　　ليلة محو التّعب　　وطهر ذي التّأثّم
طرد فيها بالنجوم　　عن السّماوات الرّجيم　　وفرّ خاسراً يليم　　بحزبه ذا وكم
سطع حين ولدا　　خير نبي قد بدا　　صلى عليه من هدى　　فؤاده بالحكم
نور عظيم قد يرى　　به قصور قيصرا　　من كان في أمّ القرى　　مكّة خير الحرم
فمن يعظّم مولداً　　نبيّنا باب الهدى　　فلا يحاسب غدا　　فاحترمن وعظّم
فمن يعظم مولدا　　خير البرايا أحمدا　　فكشهيد شهدا　　بدراً بغير وهم
فكلّ من قد حضرا　　مولد أفضل الورى　　معظّما مبشّرا　　بسكّر أو لحم
فانّه قد ظفرا　　بما يديم البشرا　　ولا يلاقي ضررا　　يوم اجتماع الأمم
قد كان ذا توسّط　　في القدّ جالي السّطط　　ولم يكن بالمفرط　　ولم يكن بآدم
كان يطول كلّ من　　ما شاه في كلّ زمن　　وكان واسع العطن　　يضحك بالتّبسّم
ولم يكن مطّهما　　ولم يكن مكلثما　　بل فاق كلّ من سما　　من منتم لآدم
وهو جليل قلّب　　بياضه مشرّب　　بحمرة وأهدب　　وأنجل ذو رسم
يفترّ في أسني ابتسام　　كالبرق أو حبّ الغمام　　وضحكه يجلو الظّلام　　كسرج في ظلم
ووجهه مدوّر　　وهو خميص أزهر　　وهو بهيّ أسمر　　مرتّل التّكلم
كأن ماء الذّهب　　في خدّه المهذّب　　وكان سبط القصب　　عرنينه ذو شمم
كامل أذن أدعج　　وأشنب مفلّج　　وأشكل مبتهج　　والوجه ماحي الغمم
وهو أكمل الورى　　خلقا وخلقا ظهراً　　والمثل قطّ لم يرا　　ولن يرى في الشّيم
له من الخوارق　　ما لم يجئ لسابق　　ولا يفي للاحق　　فضلاً من المقدّم
كان يظلّه الغمام　　يرى وراء وأمام　　وعينه كانت تنام　　وقلبه لم ينم
منها سلام الحجر　　عليه مشي الشّجر　　له انشقاق القمر　　بذي البقا والقدم
منها تجنّب الذّباب　　عن جسمه مع الثياب　　كذاك تسهيل الصعاب　　بالله مولي المغنم
منها توسّل الطيور　　به له اشتكى بعير　　وانفجر الماء النّمير　　من يد ذي التّكرم
سمع تسبيح الطعام　　في كفّ أفضل الأنام　　خطاب ظبي بكلام　　معجزة المحترم
كلام ضبّ قد أتى　　فيها بنصّ ثبتا　　حنين جذع قد أتى　　في معجزات المكرم

احتوت هذه الصورة للنبي عليه الصلاة والسلام على جميع مظاهر شخصيته الكريمة خلقاً وخلقاً وديناً . فالأصالة تتمثّل في اللفظ لا في المعنى .

النَّظَرِيَّةُ الأَخْلَاقِيَّةُ للشَّيْخِ أَحْمَدُ بَمْبَهْ

قد اعتنى الشيخ الخديم بتربية الأطفال وتهذيبهم اعتناء شديداً ولم يزل يقوّم أخلاق مريديه ويوصيهم بسيرة حسنة وبمعاملتهم الناس أجمعين وأفكاره في علم الأخلاق تبعثرت في قصائده ولكن هناك قصيدتان أنشأهما في علم الأخلاق وهما (نهج قضاء الحاج) و (منوّر الصدور) بوجه أخصّ .

وفي الأخيرة كتب فصولاً في الكبائر وفي تطهير القلب وجملة الجوارح وهلّم جرّاً قال الشيخ الخديم :

وكبائر العاصين عشرين بدت	عمّن نقولهم صحيحة هدت
عجب وكبر حسد مع ريا	مختصّة بالقلب دالا فادريا
وباليدين القتل مثل السّرقه	خصّ أشكر الذي كفاك الفسقه
وخيبة نميمة أكل الرّبا	خصّت بفمّ مثل خمر شربا
كأكل أموال اليتيم واليمين	أي الغموس وهي حاء لا أمين
شهادة الزّور وقذف المحصنات	ثامنة الكبائر المستهجنات
زنى لواط بفروجهم فقط	خصّا فمن مال إليهما سقط
القلب كالملك في الأعضاء	مهما يمل تمل مع اقتضاء
فأصلح القلب بلا تدنيس	حتّى ترى بالله ذا تأنيس
طهّر فؤادك من الرذائل	وحلّه بأفضل الفضائل
واجتنب الحسد والرياء	والكبر والحقد تحز ضياء
لا ينفع العلم ولا العمل مع	ريا فمن حواه فالضرّ جمع
فباليدين يا مريد اجتنبا	تناولا به تكون مذنبا
فلا تخطّ أو تمسّ ما يكون	مجرّماً في شرع هادينا المكين
لا تمش بالرّجلين للحرام	بل بهما استعن على المرام
لا تدخل الحرام في البطن ولا	ما فيه شبهة بل الحلّ ولا
لازم شكور الله باللسان	وقابل الإحسان بالإحسان
لا تقرب الزّنى ولا المقدّمات	لوجه باق حوره معظّمات
اجعل تزوّجا مكان القرب	لأجنبيّة تفز بالقرب

لا تستمع بالأذن للمنـاه خف انتقام آمر ونـاه
ولا تكن مستمعاً لغير ما لك يقود أمناً وكرماً
بالعين لا تنظر لشيء محرما بل عضّها عنه تكن محترما
لا تنظر الدّهر لمال المسلم نظرة إيذاء فغضّ تسلم
النفس والدّنيا وشيطان لعين مع الهوى عائقة عن المعين
جهادها هو الجهاد الأكبر كما به عنهم أتانا الخبر
فلتسجن الكلّ وكسّر السّلاح تعصم وتكرم وتظفر بصلاح
فالنّفس ان عدت عليك فجع لك تلن بلا أذى ووجع
ولا تخالط صاحب العصيان طوعاً ولا تمل لذي طغيان
أمّا إذا خالطت كرهاً غير من قد كان عابداً لأقدار الزّمن
فلازم الإيمـان والإسلاما وخير احسان ولن تلاما
وخالط المؤمن بالتعـاون أمّا على الأذى فلا تعاون
ولتقل الخير وعن سواه أصمت يصر رضاه ما تهواه
إنّ أصول القوم سبعة ترى أتحفنا بكلّها ربّ الورى
الاعتصـام بكتـاب الله والاقتـداء برسـول الله
أكل الحلال واجتناب المعصية خامسها كفّ الأذى فلتكفيه
سادسها الأداء للحقـوق وتوبة من جملة الحقوق
وجملة الآداب عند القوم انحصرت في خمسة يا قوم
حفظ لحرمة علوّ همّه وحسن خدمة وشكر نعمة
خامسها النفـوذ للعـزيمة فمن يراعها ينـل غنيمه
فأعل همّتـك في أمـور دنيا وأخرى تحظّ بالأجور
ولا تعلّقها بشيء في زمن من النقائص بسرّ وعـلن

وفي (الجوهر النّفيس) قال الشيخ الخديم :

وكلّ من ينظر فوقه الكلاب فالكلب خير منه دون الارتياب
لأنّ أصل كلّ ناس آدم وهو من طين التّراب فاعلموا
فلست أفضل أخي من أحد لجهل ما تصير فيه في غد

شرّ الورى الذين يأخذونا بالدّين أمـوالا ويأكلونـا

وقال أيضاً في (مغالق النيران) :

للكلّ سجن وسلاح يعلم فأدخلوا وكسّروا فتسلموا
فالنفس بالجوع الطويل تسجن وما لها قيد سواه يعلن
أمّا سلاحها الذي قد تمتع به المطيع من هدى فشبع
وسجن دنيا عزلة بعلم وعمل لوجه معطي الفهم
أمّا سلاحها الذي بـه تبيد فهو المخالطة في غير مفيد
والسّجن للهوى سكوت عمّا لم يك ذا فائدة ونعماً
أمّا سلاحه الذي به يصول شخصاً فكثرة الكلام في الفصول
وحـرّم المنتقم القهّـار رذائلا بها تصول النّـار
قد حرّم الكذب والغيبة مع نميمة كبرا وعجبا قد يقع
ثم رياء سمعة بغضا حسد رؤية فضل مطلقاً على أحد
والهمز واللمز كذاك العبث سخريّة زنى كذاك رفث
ولا تهن لا تنتهر ولا تسب ولا تخوّف مسلما ومنه تب
وكلّكم يسأل عن رعي رعى كما به أتى حديث من وعى

وقال أيضاً في (نهج قضاء الحاج) :

عليكم يا معشر الطّلّاب ثمّ عليكم بذا الجواب
فيه من الأخلاق والآداب ما سيقودكم إلى الصّواب
فيه من الإرشاد والإفادة ما لا يملّ منه ذو إرادة
يا معشر الطّلاب منّي اسمعوا نصيحة عنكم شفاء تدفع
طريقة الأدب رحمة الصّغير كالأب والأمّ وتوقير الكبير
وجعل مثلك كنفسك سوا لوجه خالق على العرش استوا

« يعني أنّ طريقة الأدب أن ترحم الصّغير وتكون له كالأب الشّفيق والأمّ الرّحيمة وتوقّر الكبير وان كان عبداً حبشياً وأن تجعل مثلك كنفسك سواء لوجه الله الكريم . واعلم بأنّ الأدب زينة العالم والمتعلّم وحلية العاقل والمتحلّم وهو رأس الأخلاق ومن خلا منه فقد تعطّل وتبطّل ، وصار بغيضاً إلى الخلق

والخالق ، كلّما رآه أحد مقته وأبغضه ، وكلّما جالس أحداً ملّه وسئمه ، ومن الأدب النّصيحة لكلّ أحد ممّا ترى فيه رشده وأن لا ترى لنفسك على أحد حقّاً ...

ومن تأدّبك أن لا تنظرا   حقّاً لنفسك على شخص ترى
وكن مع الناس جميعاً دهرك   كما تحبّ أن تكون معك ...

وإذا جالست من هو أكبر منك فجالسه بسكينة ووقار ورزانة ولا تجلس عند وجهه أو ملاصقاً له أو تمدّ رجلك نحوه ...

ولا تكن مكثّر التفات   من غير حاجة إلى الجهات[1]
ولا تكثّر حيث كنت اللهوا   والضّحك مع تحرّك واللغوا
والاضطراب والتطاول إلى   تطلّع على خفيّ مسجلاً

... كما قال الشاعر ...

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني   وأعفّ ثم أقول لا يعنيني

وإنّ التّسابب والتكاذب من أقبح الخصال .

وكثرة الضحك تميت قلبا   فقلّلنّ الضّحك ترض الرّبّا
وأن تجالس من يكون أعظما   منك فلا تضحك عدا تبسّما
وفي الكلام معه لا تكن   مسترسلاً فإنّه لم يحسن
كن ساكتاً حتّى يحاول كلام   منك فخاطبه إذا قدر المرام
فإنّه الأدب فاستعمل به   في حقّه حينئذٍ وانتبه
وإن جفاك فاحتمل جفوته   وإن هفا فلتسترن هفوته
ولا تزل معتذرا إليه   ولا تكن ذا غضب عليه
ولا تواجهنّه بالنّظر   في كل وقت رامقاً بالبصر
وإن من المجلس حاولت قيام   فقم على لباقة وقت القيام
ولا تكن من ثم ذاري التّراب   على وجوههم لخلفه الصّواب

---

(١) هذا البيت من الدّلحاجيّ .

وإن قدرت لا تكن ذا نوم   بين ذوي يقظة في القوم

فإنّه ليس من الآداب ...   إذ فيه ما فيه من العتّاب

واعلم بأنّ الحرص للطعام   من موجبات العار والملام

ومن يعلّق بالطعام الهمّة   والفرح فهو الجامع المذمّه

ويدك اضبط لا تكثّر أبدا   لهوا بها فانه عيب بدا

ولا يروم منك ليادا أرم   الا فعلته بذاك تكرم

ولا تقل أحد كذبتا   أو قلت غير الحقّ أو أخطأتا

أو غيرها من كل شيء يسخط   ولو صبيّا كان فهو غلط

وإن تكلّم بما لم تعلم   ففيه صدّقه تكن ذا كرم

فقل له لست كذا أو كنت   معتقداً أو أنّني جهلت

ونحو هذا من عبارات تسرّ   مستحسنات لا تسيء ولا تضر

ولا تكن ملتفتاً بلا طلب   فكلّ ذي حماقة ناقت أدب

وعن سراً وبلك لا تكشف أبد   فانه من ترك آداب يعد

واحذر من الكشف عن البطن كذا   ما بين سرّة وركبة لذا

فإنّه للحمق والجهل سمه   وقلة المروءة المعظّمة

إذ هي أخت الدين حيث فقدت   لا يوجد الدين كما عنهم ثبت

وسلّمن على الذي قدمت   عليه ان تأدبا طلبت

وان يكن منه ابتدا السّلام   فردّه عليه بالكلام

وحيثما صافحته فكّن   يمناك من يمناه بالمستحسن

أذ كرهوا اختطاف الأيدي في السلام   بسرعة ومثله ترك الكلام

ثمّ المصافحة باليدين   من جملة الآداب مثل ذين

وإن ترد دخول بيت الغير   فأهله استأذن تفز بخير

فإن هم قد أذنوا في ذاكا   فادخل والا فارجعن هناكا

ولا تجل في بيت غيرك البصر   خوف اطّلاع عورة فيه ستر

ولا تجالس غير من به تزاد   دينا وعقلا أبداً تنل مراد

ولا تكن ملتمساً للعثرات   ولا تباحث أبداً عن عورات

واعلم بأن خلق وعد وكذب   من آفة الحديث عنهما اجتنب

وبرّ والديك وارفق بهما   وكن مبادراً إلى أمرهما
وكلّ من يكون منك أكبرا   من الأقارب فكن موقّراً
وغيرهم وكن مع الناس جميع   بالخلق الحسن يحببك البديع
وحسّن الخلق بالتّرحّب   وبالتودّد إليهم تحبب
فأخبروا بأنّ نصف العقل   تودّد للناس عن ذي الفضل
وزر خيار العلماء والصالحين   وأخدمهم لله جلّ كلّ حين
فإنما اجلال عالم عمل   اجلال ربّ العرش فيما نقل
وحيثما صاحبت قوماً في سفر   فكن معينهم على كلّ وطر
واعلم بأنّ المجد لا ينال   إلا بقدر الكدّ فيما قالوا
وحيث رام منك ذو استحقاق   فابذله ما رام بلا شقاق
وأكرم الأضياف بالترحيب   وبالقرى والبشر والتقريب
لا تستضق للضيف منك الكلكل   فإنه عمّا قريب يرحل
ولا تكن في كلّ يوم تاركاً   تعلّماً ثمّ به اعمل ناسكا
فالعلم يحيي قلب من تعلّما   ينوّر النفس كما يجلو العمى
واعلم بأنّ ما تفاوت الورى   بالعلم والدين يكون فاصبرا
وبهما يفضل من قد فضّلا   لا بانتسابه لمن قد اعتلى
وان تعلمت فبالله استعن   ثم باخلاص بقلب مطمئن
وبملازمة درس وورع   وقلّة النوم وقلّة الشّبع
فدم على الدّرس مع التّكرار   فيما قرأته بلا ادبار
فمن شروط طلب العلم تعد   ستّة أشياء تودّي للرشد
أوّلها صبر على الجوع الوسط   كأسد والثان جنّبت غلط
اطالة الجلوس في التعلّم   كالنّسر بابتغا رضى المعلّم
ثالثها حرص على طلبه   كمثل حرص الكلب في مطلبه
رابعها حرص كمثل الهرّ   خامسها أدمة للصبر
عن النساء الصارفات الهمم   كصبر خنزير بلا تهمم
سادسها صبر على ذلّ أبد   صبر حمار فاطلبوا بذي الرّشد
وهذه الشروط لا تحصّل   إلا بكدّ واجتهاد يحصل

واعلم بأنّ من أبى ألتعلّما ... وقت صباه سيلاقي ندما
إذ كلّ من لم يتبادر للعلوم ... مع تفرّغ لها قبل الهموم
فلا ينال غالباً مطلوبه ... منه وليس يحتوي مرغوبه
إذ مدحوا تعلّم الصّغار ... بكونه كالنّقش في الأحجار
وشبّهوا تعلّم الكبار ... بالكتب فوق الماء في الآثار
واعلم بأنّ العلم صعب لا ينال ... إلا بحبس النّفس عن قيل وقال
ولا ينيل بعضه الدّهر أحد ... ما لم يهب له الجميع واجتهد
فأعطه بلا نزاع كلّكا ... فليلك اسهر ولتجوّع بطنكا
دع ألتّرفه ولا تجلس أبد ... على فراش وقته بلا نكد
ولتجمع الهمّة فيما تطلب ... بلا التفات لسوى ما يجب
ولا تؤخر التعلّم ولا ... تكن مسوّفاً به دهراً إلى
تفرّغ من جملة الأشغال ... إن رمت أن تلحق بالرّجال
فإنّ للدّنيا هموماً تمنع ... من الهدى وهي لا تنقطع
والموت يأتي بغتة وربما ... يكون ذا شواغل محترما
واجتنبن ضحكاً ومزحاً وصخب ... أمام شيخك إذا رمت الأدب
والأخ حقّاً والخليل صدقا ... أندر من كلّ قليل حقّا
فقد ذكرت جملة من الأدب ... تقضي لمن لازمها كلّ أرب
كافية لمن لها تأمّلا ... شافية لمن بها قد عملا
دليلة لذي الحجى على فروع ... ذا الباب ان بها اقتدى مع الخشوع
حتّى يكمّل فنون الأدب ... ثمّت من طرائق التّأدّب
فعلك ما نظرت باستحسان ... وترك ما نظرت باستهجان

وكان الشيخ أحمد بَمْبَهْ صوفياً كبيراً ومفكّراً ذا بال وواقعية وجعلته واقعيّته رجلاً فعّالاً نشيطاً . وبواسطته انخرط مليون من المريدين في سلك طريقته وهذا العدد هو ربع سكّان السّنِغَالْ اليوم . ويقوم مريدوه بجلّ حركات الاقتصاد في البلاد لا سيما في ميدان الزراعة للفستق .

وهذا الرجل النّشيط أقام طريقته على أساسين تعليم وعمل ومفتاح نجاح

هذه الطريقة هو التأديب . والمريدية هي أكثر أدباً ونشاطاً من غيرها فأدباؤها وعمّالها لا يحصى عددهم كثرة . ولمّا كان مؤسّسها رجلاً نشيطاً جعل طريقته مفتوحة على استخدام آلات العالم العصريّ ، وعلى التعاون مع أولي الأمر في خدمة السِّنِغَالْ ومصلحتها العامّة .

وبكونه رجلاً نشيطاً منيباً إلى الله عزّ وجلّ اجترأ على مقاومة مشائخ الدّين الذين قد دعوه إلى الإستسلام للملوك والأمراء . فهذا جوابه على سَرِينْ طَيْبَهْ مَارْسِلّ بعد جنازة والده مُمَّرْ أَنْتَسِلْ آمْبَك : « فإني لا أذهب إلى الأمراء ولا أرغب في دنياهم ولا أطلب الكرامة إلا من الله ربّ الأرباب » فانكسرت الجماعة وهدرت صدورهم أمّا الصلحاء فللعجب من هذه الكلمة القاصمة لظهر محبي الدنيا برزت من ابن لهم شابّ وضع قدمه على رقابهم واطلع وقال :

قالوا لي اركن لأبواب السّلاطين	تحز جوائز تغني كلّما حين
فقلت حسبي ربّي واكتفيت به	ولست راضي غير العلم والدّين
ولست أخشى ولا أرجو سوى ملكي	لأنّه جلّ يغنيني وينجيني
أنّي أفوّض أحوالي لمن عجزوا	عن حال أنفسهم عجز المساكين
أو كيف يبعثني حبّ الحطام على	جوار من دورهم روض الشياطين
اذ كنت ذا حزن أو كنت ذا وطر	دعوت ذا العين ثم الرّاء والشين
هو المعين الذي لا شيء يعجزه	هو المكوّن ما شاء أيّ تكوين
إن شاء تعجيل أمر كان ذا عجل	أو شاء تأجيله يبطأ إلى حين
يا من يلوم فلا تكثر ودع عذلي	إذ لست من فقدني الدّنيا بمحزون
إن كان عيبي زهداً في حطامهم	فذاك عيب نفيس ليس يخزيني

وفي هذا الجواب بعض شيء من الدين والسياسة قد وجّهه إلى سَرِنْجَ طَيْبَ بعد جنازة الشيخ مُمَّرْ أَنْتَسلّ والد الشيخ أحمد بَمْبَهْ .

كان الشيخ الخديم نشيطاً واقعياً متسامحاً حليماً قد صفح عمّن أبعده إلى كَبُنْغَ وَمُورِيتَانِيَا وسَالَمَ الفرنسيّين برسالة وقصيدة مادحاً لهم :

«لحظة من لحظات الشيخ بنت البكي لجناب أبهى الدول الموجودة انتظاماً ألا وهي الدولة الفرنشاوية».

الحمد لله الذي أبدي ما يسرنا وينفعنا ولا يضرنا، بعد محوه عنا كل ما كان يضرنا ولا ينفعنا ولا يسرنا، والصلاة والسلام على من محا الله تبارك وتعالى به ما صدر ممّن أساء وساق بجاهه عليه الصلاة والسلام إلى غيرنا من أساء وعلى آله وصحبه وعلى جميع التابعين الذين لم يتوجّه إليهم ضرر النفس ولا الهوى ولا الدنيا ولا اللعين.

أمّا بعد فإن من نعم الله تبارك وتعالى العظام كون الأمور الدنيويّات كلّها في انتظام بمن نظمها الله تبارك وتعالى بأيديهم، من أعيانها خافيهم وباديهم فاظهروا الحقّ والعدالة في الرّعية بما في قلوبهم من المروءة والسّجايا المرضية وفازوا بما لم يعز به غيرهم وانتشروا في البلاد بخيرهم وأكرموا الكرماء وصرفوا إلى غيرهم الأوماء ففازوا بخير المنافع واستغنوا باظهار الفضل من المدافع فصاروا لجميع الرعية رؤساء بصرفهم إلى غيرهم كل من أساء وأتم الله تبارك وتعالى بهم نعمه الظاهرة والباطنة وطابت بهم النفوس والقلوب لدى كل فاطن وفاطنة وزحزحوا بعد التهم ظلم الظالمين. وصيّروا المتوجّهين إليهم غانمين سالمين. واقتضى الحال أن ينشأ فيهم هذا ولا ينشأ في غيرهم ما يكون مثل هذا:

بشرى لنا قد حوى الإسلام ما قصدا — بعصمة من ذوي نأي ومن رصدا
المسلمون على خير بلا كمد — ما دام فيهم ملوك زحزحوا الكمدا
قد أصبح المسلمون اليوم في نعم — لما تولّى أموراً من حووا رشداً
الله أسأل أن يرعى لنا رؤسا — قد أخرجوا في الأرض كلّ ما فسدا
وأن يزيد على قوم قد ارتفعوا — بلا فساد وكلّ يطلب السّددا
وأن يديم لهم في أهلهم نعما — يحوي بها كلّهم خيراً يرى عددا
وأن يطيّب نفساً للجميع بلا — تزلزل أو نزاع يفزع الخلدا
إنّ البلاد استراحوا اليوم مذ ملكت — جماعة نشروا خيرا محا أودا
من يعرف الأمر يعرف أنّ من ملكوا — اليوم زال بهم ما يفسد البلدا
كلّ من الناس لا يخفي عليه على — من زحزحوا الضّرّ والأوجال والجفدا

رجالهم كالنسا لا يطلبون سوى داع لعافية لا ما دعا حسدا
بدا بدولتهم دين النبي بشراً لأهله زحزحوا ثأيا ومن رصدا

ليعلم كل من نظر في هذه البراوة إن كاتبها كتبها بطيب نفسه حين كان يومه خيراً له من أمسه .

وما حمل كاتب هذه البراوة على كتبها إلا مقابلة الإحسان بالاحسان والله على ما نقول وكيل .

بَنْبَ البَكيّ منسلخ
ذي القعدة الحرام الذي هو لعام ١٣٣١
من الهجرة . ختام

قال أحمد الأمين جُوبْ : اعان الشيخ أحمد بَمْبَ المسلمين بعلمه وماله ومعارفه في الأسرار وأدعيائه وفي هذا القول :

وفي سبع معجزات للرسول قد ظهرت وقبلها فزت بسول
غلب بالمختار ربِّي لي العدى قبل ظهور لا ألاقي من عدى
وهب لي ربِّي علماً لم يكن من التعلم وجاءني بكن
باهي رسول الله كلّ الأنبياء عليهم أبقى سلاماً ربّنا
بغربتي عشر سنين بخدم خالصة لذي الوجود والقدم
يحبني لوجه ربِّي المعيد بغير بعد أبدا كلّ سعيد
أيّس ربِّي أبدا وهو المعين ابليس منّي وكذا كلّ لعين
يحبني ملائك الباقي الكريم لوجهه مع فلاح لا يريم
قدوني من آمنوا في الجنّ لوجه باق كان لي بالمنّ
بي تعلّق الذين أسلموا من جن عصري دون من لم يسلموا

تأثير الشيخ أحمد بَمْبَ في الآدب العربي

سبق لنا أن أوردنا ما جرى بين الشيخ الخديم وشيخه في العروض مَحَخَتْ كَلَ من قصائد . ولا شكّ في أنّه كان يراسل أهل عصره من رؤساء الدين والعلماء والأصدقاء . وفي أنّ جلّ رسائله لا يزال مدفوناً في صناديق أهله ،

وصناديق معاصريه . قد كتب هذه القصيدة إلى محمد كَنْ بن دَاوُود كَنْ :

قرت لي العين نلت اليوم مقصودا ... إذ زار منزلنا ألفي ابن دَاوُودَا
هو الحميم الذي من ودّ رأيته ... قد كنت لا شكّ منذ الدّهر مجهودا
لما أنيل علوماً صاحبت أدباً ... عند الورى صار محبوباً ومحموداً
فتى فهوم فقيه فائق فطن ... فاش فقد نال من ذي العرش تمجيدا
لولا الرجوع لكنت اليوم ذا فرح ... لاكـن يكمّدني رجعاه تكميدا

فأجابه الشيخ محمّد كَنْ :

نفسي وعيني وخلّي كان مودودا ... عند البريّة كانوا الحمر أو سودا
طابت وقرّت قروراً إذ أعاينه ... فصرت فارح قلب كان مقدودا
مهما رأيت حبيبي كان منفتحاً ... باب السّرور وباب الكرب مسدودا
إنّ القرون بلا ثنيا أزمّتهم ... في راحتيك فينقادوا معا قودا
هذا لأحمد بَنْبَ كان والده ... بحر العلوم نمير الماء مورودا

ومن قصائده اللطيفة إلى بعض أصدقائه ما قاله :

سلام عليكم قائم بيننا الدّهرا ... مقام اللقا بالشر يصفو لكم طرّا
إليكم سلام مثبت ما يسرّكم ... جميعاً ويكفي نحوكم سرمدا ضرّا
سلام عليكم كلّ وقت وساعة ... يروم لكم خصباً إذا الجدب قد قرّا

غير أنّنا لا نعرف المرسل إليه .

قد برز إلى الوجود كثير من المؤرّخين والشعراء في السّنِغَالْ ومُورِيتَانِيَا بفضل الشيخ أحمد بَمْبَهْ وكأنّه إلـه يعبده مريدوه وكان يحبه كل من لاقاه حتى الذين أبعدوه إذ كان له كثير من خصال محمودة وفضائل محترمة وصفات خليقة بالثناء ، مثل شجاعة هادئة ، وطيبة لا حدّ لها ، وصبر مجرّب ، وعزيمة لا تفلّ ، وإرادة لا تثنى ، ونزاهة تامة : وانكار ذات ، لا ندّ له ، وتواضع دائم ، واخلاص وفيّ في عبادة الله ، وفي خدمة رسوله صلى الله عليه وسلم . وقد جاد ربّه عليه بكثير من مواهب عقليّة ، وقد تعلّم كلّ شيء وحفظ كثيراً وقد فطر على الشعر وكان صبياً وكان هو رجلاً محكم العقل يستغل كلّ ما كان

له من ذكاء وذاكرة وخيال في سبيل الاسلام ، وخدمة النبي -عليه الصلاة والسلام ، وخدمة الإنسانية .

وبناء على ذلك كان الموريتانيّونَ يطرونه بل يمجّدونه ويعظّمونه وهم قلّما يثنون على الأسود وإن كان عالماً كبيراً . وكان معاصروه من الأولياء الكبار الموريتانيِّينَ يحترمونه احتراماً مخلصاً ويحبونه حبّاً جمّاً وقد أسر الشيخ الخديم قلوب هؤلاء البيضان بسعة علومه وتقواه العميق وجوده الذي لا حدّ له .

قال الشيخ البشير : « وحكى عليّ أخونا العلامة عبد القادر الكُمْلَيْلِيُّ وكان مع الشيخ بَابَ ذات يوم عن زيارة شيخنا وما حاله فقال لي أعلم من ذلك ثلاثة أمور أنّه عالم وأديب ووليّ أمّا العلم فقد تكلّمت معه فوجدته لا يخطئ الصواب في مواضع الغلط الكثير من العلماء وولايته عندي لها دلائل يقينيّة وأغرب شيء فيه عندي أدبه المفقود في بني الزّمن [٢] » .

وقد مدحه الشيخ سيدِيَ بَابَ هذا على جلالة قدرة « قال فيه وكتب ونثر ونظم ولو لم يقل إلا هذه القصائد الثلاث دون قصائده الكثيرة لكان كافياً وهي :

الشيخ أحمد نعمة أولاها	هذا الخلائق كلّها مولاها
فالحمد لله الذي نعماؤه	لا يستطيع عباده أحصاها
تلقاه ان رفعت لمجد راية	بيمينه متهللاً يلقاها
وإذا رأى يوماً مكارم أعرضت	فمصمم متيمم كبراها
ما ضر ارضا أسعدت بجواره	ان لا يكون ربيعها أسقاها
تنسى العفاة ببركم أوطانها	حتى ترى مغناكم مغناها
يلقى جموعهم ببشر صادق	فكأنها تعطيه ما أعطاها
شهد الطوائف أجمعون بكونه	برا كريماً قانتا أواها
ممن يرى نفع الأنام فريضة	في دهره والذاكرين الله

(١) انظر صفحة ٢٠٩ من متن الباقي .

يرضى إذا جرت الأمور مسلما ... علماً بأن إلهه أجراها
لا تحجب الأسباب عنه حقيقة ... إن تاه في ظلماتها من تاها
لا زالا منهلاً بحضرتك الحيا ... تتنسم الخيرات من رياها
تسعى العباد إلى مآرب نحوه ... من أمر دنياها ومن أخراها

والثانية حين شرع في بناء الجامع بـ (آنْجَارِيْمْ) فقال :

مسجد الشيخ جامع البركات ... ومحلّ الخيرات والرّحمات
تغفر السّيئات فيه وتوتي ... زائروه مضاعف الحسنات
ذو أساس من التقى وجدار ... من صنيع المعروف والمكرهات
عمل خالص لربّ البرايا ... نية والأعمال بالنيّات
نعم مأوى الذي يريد قياما ... أو عكوفاً ونعم مأوى العفات
أن يكن للصلاة لله بيتا ... فهو بيت أيضاً لمثني الصلات
عرفت للصلاة فيه وقوت ... والتي غيرها من الأوقات
يقبل النّاس نحوه بقلوب ... جمعت بين نيّة اشتات
فرقة تقصد الصلاة وأخرى ... إنّما الشأن عندها في الزكات
أذن الله في ارتفاع بيوت ... تبتني للبنات في الجنّات
إنما الشيخ نعمة أنعم اللـ ... ـه بها آية من الآيات
علمته العباد شرقاً وغرباً ... سيداً عند حضرها والبدات
من بنات الجميل والناس فيهم ... قلّة من وجود تلك البنات
صدروا عنه حامدين كما يحـ ... ـمد جمع الوراد ورد الفرات
حفظ الله نفسه وعلاه ... وبنيه بحفظه والبنات
وبني بيته الرفيع جميعاً ... ومريديه من جميع الجهات
وحباه الإله قرة عين ... في حياة الدنيا وتلك الحيات

والثالث من الأخيرة ولعله كشف له أن أمريهما قارب التمام فقال :

جزاك إلـه الناس خير جزائه ... وزادك من تكريمه وعطائه
وأبقاك للخلق الذي ببقائكم ... وامدادكم امداده ببقائه
مساميك إن نال الغني كيف يرتقي ... مراقي من لم يغن مثل غنائه

وهل يستوي من همه بذل ماله ... ومن همه في جمعه واقتنائه
أمن يشتري بالمال أجرا ومفخراً ... كمنغمس في بيعه وشرائه
فتى يظهر المعروف عند ظهوره ... ويخفي منار العرف عند خفائه
إذا ما احتوت يوماً قناطير كفه ... تقسمها العافون وقت احتوائه
يعد نماء المال عين فنائه ... وانفاقه لله عين نمائه
يسوق بهم حادي جميل رجائه ... ويهديهم هادي حميل سنائه
يؤمون نيل الحاج غير منغص ... على ثقة أن أصبحوا بفنائه
وما عيبه إلا عبادة ربه ... وَنفع الورى في صبحه ومسائه

وكفى به أيضاً من مادح ولي كامل ، وقطب للقادرية في السِّنِغَالْ ومُورِيتَانِيَا ، لا وهو الشيخ سَعْدُ أَبِيهِ الذي نثر ونظم مثنياً على الشيخ الخديم . وقد خطب هذا الولي بنتا للشيخ فأبى ومن قصائد الشيخ سَعْدُ أَبِيهِ في حقه هذه :

حلف الزمان ليأتينّ بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفّر

وقـال :

معا دينه أجلته منها النصارى ... فأصبح في تلك البحور نضارى
ومن صدق البحر المحيط بدا فمن ... تلألؤه فيه العيون حيارى
وبدر منير غاب في الغرب ثم لا ... ح الغرب شمساً رفعة وانتشاراً
فعجب لكيميا امتحان غدا بها ... نضارى الورى ياقوتة لا تبارى
فيا عجبا باب المتاب مفتّح ... لكلّ مريد رام منه جوارا
هنيئاً لذا الدين الغريب الذي غدا ... يتيه سروراً منكم وافتخاراً

وهذا الشيخ العلامة التابع الشيخ عبدل التامكلي الدَّيْمَاني الذي قال وصدق وأحسن :

الأمل إلى دَارِ السَّلَامِ وَطُوبَى ... إذا خفت من ريب الزمان خطوبا
لتظفر من غوث الزمان بنظرة ... تنال بها حسن المآب وطوبى

وقال الشيخ عبد الله بنُ صَلَاحْ التندغي البوحبيني حين زار الشيخ في آنْجَارِيمْ (وهي خُرْبِيلْ) قصيدة وبيتها :

لئن فقت كلّ الأوليا متأخرا فخير البرايا في القرون الأواخر

ومدحه غيرهم من البيضان . قال الشيخ محمد الأمين جُوبْ : « ومن أجل الشهداء الحاج ابراهيم البغدادي وهو من دهاة العرب خرج مِنْ بغداد ومثله في العلم نادر حكى لي الشيخ الخديم نفسه أنه رأى الحاج ابراهيم وهو إذ ذاك غير كبير يتغيب مع والده والقاضي مَجَخَتْ كَلَ وهما يتغيبان مع لَطْجُورْ الأمير والحاج ابراهيم معهم وقال بيعته للشيخ الخديم : « اني خرجت من بغداد على ما علمت مني ولا هم لي الا من يأخذ بيدي فكم من ولي وعالم لاقيت وما شممت رائحة ما أريد إلا فيه ومنه فلذلك تعلقت به وبايعته » وكم كاتب شاعر من شعراء عصره وأدباء دهره في السِّنِغَالْ مدحه بقصائد رائعة كما فعله أقطاب الشعر والنثر شأن الحاج مَالِكْ سِهْ وبُوكُنْتَهْ آنْجَاسَانِيُّ وذِي النُّونِ والقاضي مَجَخَتْ كَلَّ وابن المِقْدَادْ والحاج مَاجُورْ سِيسهْ والشيخ ابراهيم جُوبْ مَصَرَ ومحمد الأمين جوب والشيخ البشير البكّي وغيرهم .

قال محمد الأمين جُوبْ : « ومن أجلاء الشهداء قاضي القضاة مَجَخَتْ كَلَ حبيب الشيخ وقريبه ديناً ووطناً كان خليلاً لوالد الشيخ وكان كلّما رأى الشيخ وإن علمه يرميه ببيت أو جملة يمتحن بها قدمه في النحو أو في البيان تشحيذ ذهنه طوراً يكسر وطوراً لا يكسر حتى فاته الشيخ فلما كبر الشيخ عن حاله الأول صار يقول : أنت كنت ابناً فصرت أباً وكنت تلميذاً وصرت شيخاً تصديقاً ، واعتقاداً ، في ضمن مباسطة ، ومما ينسب إليه بيت عجيب ولعلّه مطلع قصيدة :

مني لأحمد بَمْبَ التارك الناسي غير الإله فأمسى سيّد الناس

ومما ينسب للسيد الجليل الشيخ محمد الفُوتِي والدُ الشيخ ذِي النُّونِ وأخيه ابْنِ العَرَبِي وهو من مصادر الشيخ سَعْدُ أَبيه قال لي الشيخ أنا أحمد وهو لم نلتق قط ولكن كان يراسلني هذا البيت وهو مطلع قصيدة سنيّة مدح بها الشيخ :

إلى من حباه الله بالبسط والأنس وحكمه في عالم الجنّ والأنس

... قال الشيخ ذُو النُّونِ في الشيخ هذا :

يا خل كم زار هذا البيت من ملك ومن وزير ومن جنّ ومن ملك

مطلع قصيدة كافية عجيبة إلى ما لا يعدّ .

والشعراء الذين لا يحسنون المدح له بالعربية كانوا يثنون عليه بالوُلُفِيَّةِ . ومنهم من مدحه وأحسن بالعربية وبالوُلُفِيَّةِ مثل الشيخ مُوسَى كَهْ .

ومن أجلاء الشعراء والأدباء الذين كتبوا عجائب في حقّه الشيخ البشير آمْبَكْ صاحب (مِنن الباقي القديم) والشيخ محمد الأمينْ جُوبْ الدَّكَيٍّ الذي كان لجامع الشيخ الخديم في آنْجَارِيمْ المتوفى في ٢ يوليه ١٩٦٧م وهو صاحب (ارواء النديم) .

وكثيراً ما أوردنا نبذاً من كتابه هذا فيما يتعلّق بإبعاد الشيخ وغربته مثلاً وهو الذي جمع كتاب (حكمة أحمد بَمْبَهْ) وقال في آخر كتابه : « توفي في شوال عام بعسش (أي ١٩٢٧م) رحمة الله عليه ... فحمل ليلة الأربعاء من موضعه في سيارة إلى طُوبَى بخيل أخفيت عن الناس ، وذهب لتشييعه خمسة برأسهم أي يؤمهم ولده محمد البشير ، وأرسل إلى أخيه محمد الفاضل خليفتنا القائد الآن إذ ذاك هو في باديته قرب طُوبَى . وقد أرسل إلى الشيخ ابراهيم في دار الْمُعْطِي . وإلى الشيخ آمْبَكْ بُوصْ في قريته قرب طُوبى . وكذلك إلى الكبار حاضرين في طُوبَى ... حتى اجتمع منهم ثمانية وعشرون فصلى عليه الشيخ آمْبَكْ بُوصْ بهؤلاء كل ذلك بخفية من العامة خوف فتنتهم وفرغوا من أمره قبل انصداع الفجر حتى جعلوا عليه بيتاً يغلق ويفتح . فلما علم الناس بعد الصبح قامت قيامتهم فلا تسأل عن الأفاعيل والأقاويل كل ذلك والخليفة المصطفى في آنْجَارِيمْ يعلم الناس ويثبتهم ... وهذه هي أول مرثية للشيخ ونصّها :

مضى الشيخ للمولى الذي كان يعبد	وقد كان يدري أنه ليس يأبد
فشمّر يرعى من رضى الله ما اقتضت	أوامره مثل المناهي ويمهد
وينهى عن الفحشاء ويأمر بالهدى	ويأتي ولا يغلو بما هو يعهد
وكان عماد الدين أيام عمره	إليه بنوه لابتغا الحق قد هدوا
يرون له حق الأبوة واجبا	وكان يرى حق النبوة يحمد
فمن لليتامى كان أنسى جميعهم	أصولهم والشرب الخبر يخمد
وكان لأهل الفقر خصباً مهنئاً	يوافون من شتى إليه برفدوا

ولو جاز أن يفدى فدينه غير أن مضت قبله السادات طرًا وما فدوا
إلا إنّه إن غاب عنا بجسمه فما غاب عنا خيره المتجدد

أمّا ترجمة محمد الأمين جُوبْ للشيخ فهي قداسة وسيرة معظّمة وإن كان فيها كثير من أخبار ومعلومات من المصدر نفسه متعلقة بحياة الشيخ الكبير . قال المترجم « أمّا بعد فإنه لما منّ الله على أهل كل قرن بوليّ يسلك بهم طريق الهدى ويحيد بهم عن سبيل الردى ومن علينا أهل القرن الرابع عشر بقرة أعيننا شيخنا وشيخ المسلمين أحمد بن محمد بن حبيب الله حفظه الله وحفظ له وشكر سعيه وتولاه المعروف عند العامة بالشيخ أحمد بَمْبَ البَكيٍّ خديم النبي المكي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه وكرم ، أردت أن أبين نبذة من حال حياته لمن يأتي بعد ويريد الوقوف على شيء من هباته ولقد علمت والله ثم فوالله بأني لا أعلم ولا آتي منه إلا بالقل . فكيف بالجلّ ، وكيف بالكل ، ولكن أمهد الطريق لمحبّ يأتي يفتح عليه ويكثر العلم لديه ويلهمه نفع العباد به لابتغاء مرضاه ففي الحديث الشريف « الخلق عيال الله وأحبهم إليّ أنفعهم لعياله » فقد قالوا من أرّخ ولياً فكأنما أحياه فدونكم هذه النبذة المسماة بإرواء النديم من عذب حبّ الخديم »[1].

فلسان الكاتب واضح بل أتم الإيضاح مع سجعه ومفرداته بسيطة وقريبة مأخذ وتقسيم الأجزاء منسجم وللصاحب قدم راسخة في الكتابة واستخدام اللغة العربية . وهو لذلك من الأدباء الأكابر في السّنِغَالْ . وليس عجيباً أن ذهب الركبان بسمعته إلى جميع البلدان .

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْبَشِيرُ بْنُ الشَّيْخِ أَحْمَدُ بَمْبَهْ

وأكبر مترجمي الشيخ الخديم هو ابنه محمد البشير آمْبَكْ من ناحية موضوعيته في حكاية الأمور التي تعلقت بوالده المعظم ، ومن ناحية الأوصاف الحميدة في وأسلوبه .

---

(١) ولنا المخطوط في (إيفان) .

قال الشيخ مُحَمَّدُ الأَمين جُوبْ الدَّكَنِيُّ : « ولد الشيخ البشير في اليوم الثامن من جمادى الثانية عام ١٣١٣ » أي في أربعة أشهر بعد ذهاب أَبِيهِ إلى كَبُنْغَ .

أمّا ترجمته لوالده تعني كتاب « منن الباقي القديم في سيرة الشيخ الخديم » فينقسم إلى جزأين ويحتوي الجزء الأول على مائتي صفحة والثاني على أربع وأربعين ومائتي صفحة قال صاحب الكتاب : « رتّبته هذا الترتيب مقدّمة في وفور عقل شيخنا رضي الله عنه تتضمّن نشأته وما جبل عليه صبياً وحياءه وشجاعته وورعه وسماحته ثم مبحث في علم التصوف ثم شرح مقامات اليقين ثم تسعة أبواب مرتّبة على مقامات اليقين التسع ، لأنه لا يمكن شرح أحواله إلا بذكر المقامات وأحوالها ؛ لأنه لم يعش إلا عليها ، ولم يعمل إلا بها ، فشرحت ما أكتب عنه فيها بعد تمهيد قليل للمقامات والأحوال كما اصطلح عليه القوم واخترت ترتيب أبي طالب المكّي في « القوت » لكون كتابه أمّ الفنّ » .

فهذه طريقة لبقة بارعة وأتقن الكاتب تطبيق هذه الطريقة واستخدم ما هو أكثر فصاحة في لغة الضاد بغير تكلف غير أنّ أسلوبه لا يخلو من أناقة ورشاقة بل من الجزالة والرفاعة ، ولاجل مواهبه البديعة يعتبره بعض النّقاد أكبر كاتب في الأدب العربيّ السّنِغَالِيِّ والخليفة الحقيقيّ للشيخ أحمد بَمْبَهْ بسعة ثقافته وتغلّبه على اللغة العربية وجدّه وتقواه وورعه . أمّا نحن فنعدّه الأديب الذي هو أفصح من أهل عصره لساناً وأكثر منهم ثقافة ودلّ على ذلك كتابه هذا ولله درّ الأستاذ شَارْلْ بَلَا القائل : « إن النثر لأصعب من ولسّجع والدليل على هذا إنشاء الجاحظ » وفاق السيد البشير الأدباء لأنه مؤرخ بالمعنى الحديث . وتبعاً لتصوره الفلسفيّ وإن لم ينس سفاسف الأمور فلا بدّ أن يقوم التاريخ على أملاك خفّية تحت أرضية أي على عظائم الأمور نتائجها ولا سيما على أسبابها شرط أن يكون الله وحده مبدع كلّ شيء ومدبّر كلّ أمر في هذا الميدان وغيره .

ولمّا حاول إنشاء الترجمة هاته جمع شهادات مادّيّة كتابية وشفاهية ودرس بالتفصيل جميع العناصر اللازمة لتحليله التأريخيّ وقد استخدمها بالرجوع الكافي إلى الوراء مضيفاً إلى ذلك : « وأمّا كراماته الخارقة من ابراء الاسقام

وشفاء الأمراض وصرف الأمر وقضاء الحاجات والمكاشفات بما يخفى من الأمور فلم أفرد لها بابا ؛ لأنها لا تقع تحت حصر » بل اعتمد على مجموعة تجاريب الشيخ أحمد بَمْبَهْ وعلى أمور البيئة الواقعية والاجتماعية والسياسية التي عاش فيها الشيخ وعلى الوقائع الجليلة التي أضاءت حياة مؤسس المريديّة أو أظلمتها .

وفي رأيه وإن كان يجب على المؤرخ أن لا يخلو من التعاطف والودّ فإنّ أوّل صفاته أن يكون موضوعياً ، فلذا قال الفقرة المذكورة آنفاً .

فأوّلاً وصف الظروف التاريخية حينئذ وأتقن فعالج ببراعة تأريخ السّنِغَالْ والأسر الملكيّة التي نافس بعضها بعضاً في أمر الملك في كَجُورْ وجُلُفْ وبَوُلْ وسِينْ وغيرها إلى وقت وقوع الاستعمار الفرنسيّ عليها . ثم قال : « وليست الجمل ممّا نكتب لأجله ولكن أثبتها لما قد يعرض من ذكر شيء له تعلّق بسياسة البلاد في سيرة والد شيخنا لارتباط القضاء بها ولما يعرض في سيرة الشيخ وعادته مع الأمراء وكيف يغلظ عليهم ويعتزّ بعكس ما هو عليه مع المسلمين من لين الجانب كما ينبغي أن يكون أهل الله وأصفياؤه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين »[1] .

وبعد أن لاحظ هذه الأمور العظام وقلب الأوضاع في الادارة والشؤون الاجتماعية والدينية لم تبق بغير أن تؤثر تأثيراً عميقاً في ولد ذي مواهب عقلية غزيرة مثل أحمد بَمْبَهْ ، صبيّاً وبعد هذه الملاحظة الصائبة تصدّى الشيخ البشير للبيئة العائليّة وألحّ في شأن أمّ الشيخ السيدة مَرْيَمَ بُوصُ المعروفة بـ « جَارَهْ بُوصُ » قائلاً : « وكانت الوالدة جَارَةُ اللهِ مَرْيَمَ صالحة عفيفة ديّنة كثيرة الصلاة والصوم والصدقة مستسلمة لربّها قائمة بواجبات دينها بينها وبين ربّها وفيما بينها وبين الشيخ قرينها وكانت تربّي أولادها على المروءة والدين والطهارة وكثيراً ما تحكي . عليهم حكايات الصالحين » ثم استنتج المؤرخ هذه الملاحظة الصائبة من ذلك : « وكان شيخنا من ذكائه العجيب وفطرته السليمة يصغي لتلك

(١) انظر صفحة ٣٢ .

الحكايات ويحفظها ويتكلف ، وهو لم يكمل التمييز العملي بما قدّر عليه »[1]

ومن هنا تحدّث طويلاً في التصوف وفي أصله وأهل الأدب الصوفي الأوائل مثل المحاسبي وأبي طالب المكّي والقشيري وغيرهم ثم في فروعه وحدّه الكثير فشاطر ابن خلدون حدّه للتصوف حتى قال : « وما زالوا فلله الحمد والمنة رضي الله عنهم ورحم الجميع إلى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر فبدأت الأنوار تهدأ والأمواج تسكن ولواء الإسلام يتمايل يميناً وشمالاً ولا يستقرّ ولا يرتكز على قوّة تقلّه لكثرة الفساد وظهور البدع والمنازعة في الرياسة فبينما هو كذلك إذ قيّض الله للإسلام من حرّك لأنواره زخيخها ومدّ بحوره فتقاذفت أمواجها واستقلّ بالرّاية فهزّها على جماهير الكفر والفسق فزحزح جنودها وبدّد شملها وفرّق جمعها وأزاح عن رونقه غبارها الشيخ الخديم من لا ينازع في الحضرة لقبه ولا يشكل في القطبانية والصديقية علمه فرجع بالتربية إلى محلّها وأقام أركانها على اساسها فأحيا الله على يديه ميت الدّين والمعرفة وبوّأه فيهما أعلى مكان وأسنى منزلة ذلك الإمام العظيم الذي ملأ الدنيا ذكراً جميلاً وحالا جليلاً وقدّم لدار أخراه ثواباً جزيلاً وعملاً مرضياً وصار إذا أطلق الشيخ الأكبر عند أهل جلدته لم ينازعه فيه في الأذهان أحد وهو الأمر الذي حار فيه أرباب الفكر من غير أهل الملّة واشرأبّت أعناق العقلاء والعلماء من أهل الملّة ، إلى الإطلاع على خصائصه المميزة وعلى سلوكه السّنّي الذي أربى فيه على من تقدّمه ومن عاصره »[2].

ثم رتّب الشيخ البشير نصّه أي سيرة والده الكريم على شتّى المقامات والأحوال التصوفية بمهارة عجيبة فنجد أبواباً لقبها (الشكر) أو (الخوف) أو (الزّهد) أو (التّوكل) إلى الباب التاسع الذي عنوانه : (المحبة) .

قال الشيخ البشير في باب (التوبة) ولا يمضي عليه يوم إلا وبعدّه حسرة من استحقار ما يحمله ظرف ذلك اليوم من الأعمال تغرب عليه الشمس كلّ

---

(١) انظر صفحة ٩ من متن الباقي .

(٢) راجع صفحة ٢٩ .

يوم وهو في تأسّف من قصر النهار من كثرة ما يحمله من القربات تلك الفرائض بشروط صحّتها وكما لها وفضائلها وتلك الرواتب في ذرى مواقعها قبل الفريضة وبعدها وتلك الفضائل من سبحة الضحي والمصحف فيما بينها فالمناجاة في القلب ثم اللسان ثم بالقلم من الصلاة على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يرتدف عليها الاستغفار ثم الطلب والدّعاء بكلّ انابة وخضوع ثم فترات في حاجات المسترشدين والزائرين ينتقل بين هذه المراحل ولا يدخل في مرحلة الا منيبا متأسّفاً لما يفتح أمامه من أبواب المراضي في تلك الفضيلة فيعدّ ما كان فيه عبثاً ممّا استقبل فتجاذبه مزايا بعض الفضائل وتكنّ عليه دواعيها من كثرة ترداده في الآي والسنن فتنفتق نهمته نحوها ولا يغشاه الليل والا وقد طال انتظاره له حرصاً على احراز فضائل فرسانه فيقومه أجمع بين صلاة وتلاوة وتسبيح وكتابة في منحى هذه من الصلاة ومدح النبي صلى الله عليه وسلم اعظاماً لجانب المولى سبحانه وتعالى من ظهور قدوته باصطحاب إرادته على كمال أوّل الخلق وأكرم نبي للحقّ غرقاً في بحر محبته صلى الله عليه وسلم فما التوبة النصوح في حقّه رضي الله عنه إلا تنقّلاته من كراسي الفضائل من بعضها إلى بعض ... فيترقّى في مقامات وأحوال المكانة والقرب الزّلفى إلى ما لا نهاية له ...» [1]

وقد تحدّث صاحب المنن في سماحة والده قدس الله سرّه قائلاً : « فهو رضي الله عنه بلغ أقصى الغاية في السّخاء ، ومن سخائه أنّه أعطى حرفته لوالده وهو لا يملك نقيراً ولا فتيلاً ولا الجود بالعزّ فوق الجود بالكرم ولم يبخل من ثم بشيء ممّا دونها على طالب أو سائل أو زائر أو مستحق آثر بلقمته حين لا يدّخر غيرها وبقميصه حين لا يستدفئ إلا به وبجواده حين لا عدّة له سواه وبكتبه حين لا يعوّل إلا عليها وبزرعه حين لا ذخر إلا هو لوجه ربّه وثقة بما في يده . [2]

وفي بعض صفحات بلغ الأديب مبلغ اللهجة الملحميّة كما نجده في هذه

---

(١) انظر صفحتي ١٣٧ و١٣٨ .

(٢) انظر صفحة ١٧ .

النبذة : « والإمام بَمْبَهْ في قوّته إلى أن ساقه القدر إلى هجوم سِينْ وهي بلدة صغيرة حيلته حقارتها وضيقها وما عوّده من الغلبة على سَالُمْ وجُلُفْ وابتلاعه جيش كَجُورْ وأميراهله في حشاياه على الاستخفاف بها والهجوم عليها بقوّة وكثرة لا تسعها سِينْ ولا تكافؤها ولكن من غير ترتيب عسكري ولا تعبئة جنديّة مع أنّ أهل سِينْ مصبحون على التفاني في الدفاع عن وطنهم المعشوق والقتال إلى آخر رمق من حياة آخر رجل من بنيه بصحيحه عدم وجود أي خائن بينهم أو غادر أو أجنبي يدلّ على العورات أو يتجسّس على الخبيئات هجمهم وهم على كمال الاستعداد للموت والقتال إلى النهاية وكمال العدة بقوّته وكثرته ولكن لا بنظام بل تقدّم بنفسه والجيش وراءه لا علم لهم بشيء الا ورعود المدافع تدوي والفرسان الاحتياطية تتساقط كالثّمر اليابس زعزعته الرّياح والأمر كذلك إذ الأمير تدمى كلومه وقد أيقن بالموت لأنّ الهزيمة ليست ممّا يخطر بباله ولا هي من رأيه فجعل يعرقب الخيل والبغال والدفاع في الاشتداد إلى أن سقط مقبلاً لا غير مدبر. وأحد أصدقائه وقواده يريد أن يوليه للقبلة وهو في حالة النزع فأشار إليه أن يتركه خوفاً من أن يكون من نوع الفرار من الزحف لما فيه من توجبه وجهه غير جهة القتال فمات على ذلك وانهزم الجيش ورجع أهل سِينْ إلى بلادهم وبقيت خلفاؤه محتفظين بفتوحاته في سَالُمْ فقط »[1].

فهذا دليل مؤرّخ فتّش الأسباب الحقيقية لهزيمة والعلل الرّئيسيّة لنصر إذا كان جيش عرمرم ومزوّد بعدد كافية غير منظّم وبدون احتراب ملائم فلا بدّ له من أن يخضع عاجلاً أو آجلاً لجيش غير كثير الجنود والعدد إذا كان له تنظيم وتدريب واستعداد للقيام بكل التضحية . وغني عن البيان أن نضرب للقارئ الكريم مثلاً قد يتحقّق به في الحال حكم الشيخ البشير هذا .

وهذا الكتاب أنشأه ابن كريم للشيخ أحمد بَمْبَهْ وكان مؤرّخاً أميناً موضوعياً متزوّداً بمستندات ماهراً عطوفاً على بطله وكان من الكتّاب الأفذاذ ومن أهل الثقافة العربية الإسلامية الكبار وكان أخيراً رجلاً كثير الحنوّ وكريم الشمائل .

---

(١) انظر صفحتي ٣٩ و ٤٠ .

وبهذه الترجمة عرفنا الحياة الحقيقية لمؤسّس المريدية حقّ المعرفة وأعان صاحبها الباحثين والمؤرّخين وعلماء الاجتماع اعانة نفسيّة وان ألف الشيخ محمد البشير كتاباً واحداً فلا بد لنا من أن نشاطر بُولْ مُورَنْ الفرنسي في « إنّ فنّ هذا الكاتب دليل على تفوّق أديب يؤلّف كتاباً واحداً فيجب على المرء أن يكون له مواهب لإنشاء كتب ولكن يجب عليه أن يكون له عبقريّة إذا كان عليه أن لا يؤلّف إلا كتاباً » .

وكان الشيخ البشير شاعراً أيضاً غير أننا لم نعثر على جلّ اشعاره . وهو الذي قال في نزول أخيه الشيخ الفاضل عليه زيارة في قصر طيبه :

زار الحبيب فـرحبـاً أهلاً بـه	أكرم به من ذي مقام نابه
فأحلل مهاد القلب غير مزاحم	برياضه كلا ولا برحابـه
فأترك لدى اسم الوداع لأنه	ذكرى تحرّك للمعذّب ما به

فأجابه الشيخ محمد الفاضل البكي الخليفة الثاني للشيخ أحمد بَمْبَهْ مكافئاً في انزاله وترحيبه :

زرت الحبيب الندب يا عجبا به	من سيد تلفي العفاة ببـابه
مستمطرين نـوالـه ونـوالـه	كالغيث من بعد انجلاء سحابه
ما أن أبالي عاذلا في حبّـه	انّ المتيّم قـد يـلام لمـا بـه

قال الشيخ البشير أيضاً :

إليك التجأنا فاكشف البأس والضّرّا	عن الخلق واجعل في مكانهما البشرى
إلهي ومن نرجو نداه ومن إذا	تعاسر أمر حوّل العسر لليسرى
تقبل وطيب نفس عبد بالذي	يريد وعجّل فتحك الباب والنصرا
قد أقبل يرجو من جداك مواهبا	لخلقك لا زالت مواهبه تترا
وذي أمة لا يشركون بربهم	سواء ولا يرجون في أمرهم غيرا
وليس لهم إذ ضاقت الحال ملجأ	يؤمّون في الباساء كلا ولا الضّرّا
سواك وقد أخنى الزمان عليهم	فزحزح إلهي عنهم الهمّ والذّعرا
كريم استجب وأرأف وفرّج واتحفن	بأسباغ نعمى مسبلا دائماً سترا

بجاه الذي زاغ عن أمر ربّه فتيلا وما حادت مسالكه شبرا
أمام الهدى غوث الأنام وغيثه ومحيي رميم العظم بالفيض والذكرا
خديم النبي المصطفى ونصيره كما شاء في دنيا الحياة وفي الأخرى
عليه سلاما من به أنقذ الورى وشرفه عبداً به كان قد أسرى

ولَه أيضاً حين ركب سيّارة :

باسم المهيمن مجريها بقدرته سبحانه وهو مرسيها على مهل
سبل السلام بإذن الله سالكة تبارك الله في حل ومرتحل
فالله يكلأنا فيها ويعصمها من المعاطب في سهل وفي جبل

توفي هذا الشيخ الجليل الجميل يوسف دهره في سنة ١٩٦٦م بعد مرض طويل اعتراه في جولاته لتفتيش معلومات جعلته أهلاً لتأليف ترجمته .

الشَّيْخ الْمُصْطَفَى آمْبَكْ

وبعد وفاة الخادم المؤسّس للمريدية تولّى ابنه محمد المصطفى آمْبَكْ الخلافة في طُوبَى ولد الخليفة الأوّل في يوم الجمعة ٢٩ من شهر آذار سنة ١٨٨٩م وتوفي عام ١٩٤٥م وكان شاعراً مفلقاً .

قال هذه القصيدة :

تكدّرت الدنيا وضاقت على الورى فما منهم إلا أخو البؤس والضرّا
يحنّ إلى صغرى المآرب ثم أن تحوّل جنباً قد يئنّ من الكبرى
فيا خالق الدنيا وضرّتها معا وما فيهما بدّل لنا العسر ذا يسرى
وفرّج هموم المسلمين وغمّهم وفكّ أساراهم وعجّل لنا البشرى
بجاه عظيم الجاه عندك ربّنا وجاه ذوي القربى وعنّا اصرف الذّعرا
فما لهم من ملجأ يلتجى له سواك ينيل الخير أو يكشف الضّرّا
عظيم عظيم ما بهم فاسمعن لنا دعاء ضعاف ما لهم غيرك الدّهرا
وأنّهم يرجون منك إغاثة إغاثة ملهوف تعمّهم طرّا
تراءوا وهاجوا في الدّنا وتحققوا أن النصر من عند الإلٰه يرى نصراً

ولمّا توفّي الشيخ الحاج المصطفى آمْبَكْ صار أخو الحاج محمد الفَاضِلُ

آمْبَكْ خليفة لِلمُرِيدِيَّةِ في سنة ١٩٤٥م. وكان شاعراً أيضاً . وله هذه القطعة يمدح بها والده الشيخ أحمد بَمْبَهْ :

يا أيها الشيخ النفيس المرتجى — يا فاتحا ما قبل كان مرتجى
بعـــت نبـــوّتي بـالإراده — لكم لكي أحظى بخرق عاده
من بعد ما اشتريتموها منّي — أهـديتها لكم بغـير منّ
فلتقبـلوها يا مـلاذ كـرما — لا زلتم بين البـرايا علما
بجاه مخدومكم المفضّـل — خير الأواخر معا والأوّل
صلّى عليه ربّنـا وسلّمـا — وآلـه وصحبـه وكـرّما

ولمّا كان في السنغال عام قحط دعا الشيخ الحاج الفَاضِلُ الله تعالى بالخير واليسر لأهله قائلاً :

لغيرك لا نشكو إلـه الورى أمرا — وما أن لنا إلا إليك التجا دهرا
ولسنا نخاف الضّرّ ممن سواك لا — كذلك لا نرجو سوى يسركم يسرا
وأهل الدنيا أخنت عليهم صروفها — وما منهم إلا أخو كبد حرّا
وفيما مضى ضاق الزّمان عليهم — وفيما سيأتي فليكن ذا وراذفرا
فمن مشتك فقرا ومن مشتك بلا — ومن مشتك دينا وذا منهم أحرى
فكن دافعاً شكوى الجميع وعمّهم — بلطف وكن ربّا رؤوفاً بنا برّا
ويا عالما منا السرائر فاسترن — معائبنا وانشر لنا ربّنا ذكرا
وقوف ذليل قد وقفنا ببابكم — وانّا لنرجو منكم الفتح والنصرا
لقد ضاق حال الوقت واشتدّ أمره — ففرّج إلهي كربنا وادفع الضّرّا
وبارك لأهل الشيخ في الدين والدنيا — وأول انكسارا منهم سرمدا جبرا
عليه رضى الرّحمان في كل ساعة — بمخدومه سامي أجل الورى قدرا
عليه صلاة الله ثم سلامه — بآل وأصحاب له أكملوا الأمرا

الشَّيْخُ أَحْمَدُ مُخْتَارْ سِيكْ

وإن لم نعثر على ديوان الخليفة الأوّل للمريدية نعني أشعار الحاج محمّد المصطفى آمْبَك فإنّ انتقاله إلى جوار ربّه الأعلى قد ألهم شاهراً مفلقاً جنبينيّاً

مسلكناً وهو أحمد مُخْتَارْ سيكْ الذي تعرّفنا إليه شخصياً وكان بيني وبينه صلة القربى والصداقة وهذه مرثية للشيخ أحمد المُخْتَارْ جعله الله من الأخيار في والدي وخلّه وحِبّه الشيخ إبْرَاهِيمَ صَمْبَ :

فقـد المكرّم إبْرَاهِيمَ صيّرني جريح قلب وانّي اليوم ذو حزن
أبكي عليه ولا أنفكّ ذاكره ما دمت حيًا بذكر خالص حسن
يا جاهلا شأن إبْرَاهِيمَ وامقنا حاوي المفاخر سلني عنه أن ترني
هو الذي لا يرى راء نديدته في الجيل لو جال في البلدان والمدن
له أكبر رضوان تلازمه تروي عن الشيخ من مولاه ذي المنن
الحلم والجود والآداب شيمته وقصده في سوى الخيرات لم يكن
صدق طريقته والأذن همّتـه والبذل عادته مذ كان في الزّمن
وكان يقضي لخلق الله حاجتهم لوجه خالقهم من جل عن وسن
إنّ المساكين والأضياف سائرهم كانوا على فقده يبكون في العلن
لما تحوّل عن دنيا لآخرة تحوّل الجود عنها وهو ذو ظعن
هطلاء ديمة آلاء اللطيف بنا دامت على قبر خلّي المنجد الخدن
جازاه بالخير ربّ العرش مالكه في جنّة الخلد ذا بشر وذا أمن
بالصادقين وبالأخيـار ألحقـه معطي المنى المنعم المنجي من الفتن
بجاه خير الورى المختار سيدنا محمد ذا المزايا رافع المكن
أزكى صلاة بتسليم بلا عدد على شفيع البرايا المذهب الحزن

له أيضاً يرثي الشيخ المُصْطَفَى آمْبَكْ :

قلبي تحير مالي اليوم معقول كأنّه لاشتداد الهول متبول
أمشي أصبح كذي حمق وذي سفه لفقد من مكثه في العصر مأمول
لما سمعت انتقال القرم معكدنا لدار حقّ لديها القصد والسّول
جرت على الخد أمواج الدموع إذا والدور كالبيد والمعلوم مجهول
أئنّ وقتاً وأبكي قائلا وجلا أين الخلا حل من يهدى به الجيل
من حبه في فؤادي ساكن أبداً وحبل عهدي له ما عشت موصول
لفقده صرت كالمجنون ليس له في كل حال من الأحوال معقول

في جيم شعبان غاب البدر وقت ضحى   يوم العروبة للصنديد تفضيل
مدّ الإله له أنمى رضى والى   لا زال للأهل تكريم وتبجيل
أزكى صلاة على المحبوب قدوته   بالآل والصحب من أعلاهم الايل

وكان رحمه الله يعيش عيشاً ضنكاً في بعض الأحوال ولا يمكن قلمه ولا حقله أن يعيلاه هو وأسرته فكثيراً ما كان يشتكي من الفاقة هو الذي قال :

أشكو إلى الله لا للخلق أحوالي   وأرتجي نيل مرغوبي وآمالي
لله قصدي لا للغير في أبد   وهو الجميل الودود المنعم الوالي
له شكوري في الأوقات جملتها   من بعد حمدي كأفعالي وأقوالي
أدعوك يا برّيا من لا شريك له   في الملك جدلي بسؤلي ولتنر بالي
هب لي رجوعي إلى داري بعافية   مع المنى واقض حاجي وأهد أحوالي

أظن أنه أنشأ هذه القطعة وهو في دَكَارْ ضيفاً لأخي الكبير سَرِنْجْ صَمْبَ رحمة الله عليه وعلى والديه آمين .

وكان كثيراً ما يبعث برسول إلى سيد أهل الجود والكرم الشيخ الحاج الفاضل آمْبَكْ متسولاً بل ملحّاً في السؤال كما قال في هذين البيتين :

يا ذا المجادة والفضائل والعلى   بك نبتغي نيل المطالب والالى
أصبب على الحاجي سوابغ نعمة   يا من يسلم من يحبّك من بلل

وعند وصول الرسول إليه بسوابغ نعمة أنشد أَحْمَدُ مُخْتَارْ شاكراً :

الله يذهب عنك الغمّ والحزنا   دنيا وأخرى بمن قد دوخ الوشنا
أتقنت سعيك اتقاناً فرحت به   فالله يصلح منك السّرّ والعلنا
آمين لا زلت مأموناً على عمل   والله يكفيك ما تخشى هنا وهنا
خذ المكافآت ممن لك يطلب ما   به تفوز كما تعلو به القرنا

قد بعث إليه أحمد بن عبد الله بثلاثة أبيات :

فدونك من خير البرايا سميه   سلاماً قد أزرى طيب ريّاه عنبرا
ومضمونه زور يجدّد وصلة   لعهد تبلّى حبلها وتغيّرا
كأنك وهي قد أتت لحقيقة   جعلتك من أوفى الأخلاء مفخرا

فأجابه أَحْمَدُ مُخْتَارْ :

ألا أنني قد طاب قلبي لرؤيتي   سلاماً شذيا فاق مسكاً وعنبرا
من الألف من شرواه في الجيل لم يكن   سميّ النبي المعتمي صاحب البشرى
أيا خل هاك العهد فاعلم بأنه   على الودّ لن يبلى ولن يتغيّرا

قال مادحاً لأبناء الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ :

قد زاركم أهون الأشباح أحقرهم   يا من بكم نال أهل الفضل ما نالوا
أنتم رجائي رجاء المسلمين معاً   بيمنكم جاءنا من ذي الورى الحال
أنتم أحباء ربّ العرش خالقنا   ومن بكم لاذ لا تنحوه أو جال
أصحابكم لا اعتراهم غير عافية   لمن قلاكم من القطران سربال
أنتم كرام خيار كلكم سند   غيث غياث ومعوان ومفضال
حزتم مفاخر من قطب الوجود معا   من لم يفته من الحالين اكمال
أبناء بَنْبَ يواقيت الكرام طرّا   أرجو بكم نيل ما الأخيار قد نالوا

وقال في حقّ طُوبَى :

أحببت طُوبَى لها لا ترى أبدا   هاء كهي ما بدا نجم وما غابا
فهي اسمها ثم بانيها ومسجدها   ومنتهى فيه قطب كان أوابا
وخلف صدق من الآباء ذو همم   قد عوّد الدّهر شابا بعد ما شابا

وقـال :

بشراي طوبي بناء الخير والغدن   دار الالى والمزايا أشرق المدن
محل صنديد أهل الفضل قاطبة   الخادم المرتضى قطب الورى الطبن
يا ليت عمري مفنى في أوامره   وكان قبري بين الأهل والوطن

قال حين زار شيخنا من شيوخ الْمُرِيدِيَّةِ :

يا من محياك يشفي غلّة الخلد   لمن يحيّيك ذا حبّ وذا كمد
زرناك في (طَائِفٍ) من بلدة بعدت   شوقاً إليك لوجه المالك الصّمد
إليك نلقي بلا ثنيا أزمتنا   ما شئت شئنا وما لم تهوه نردّ

وقال مادحاً لسميّي عَمَرْ صَمْبَ :

يا أيها الشيخ الجميل يا عَمَرْ   يا من له وجه منير كالقمر

أراك تبسط لكلّ من يمرّ ... وجهك يا خير السوادين أثر
يا تابعا شيخ الشيوخ والصغر ... وتابعا سنة خير ذا البشر
وفاعلا كل الذي به أمر ... شيخ الشيوخ في القرآن والأثر
فزت بنيل كل حاج ووطر ... وفقت كل وارد وما صدر

قال أحْمَدُ مُخْتَارْ سِيكْ مستغفراً لله :

رذائل القلب قادتني لأشجان ... لا زلت عارا لأني مذنب جان
سالت دموعي على خدّي لسوءة ما ... أمضيتها من خطيئات وعصيان
مهما تذكّرت أفعالي التي قبحت ... تصبّب الجسم عرقاً خوف خزيان
عملت سوء ونفسي كنت ظالمها ... وبي أحاطت خطايا صرت كالعان
قد تبت لله ربّ العرش ذا ندم ... وذا خضوع وذا خوف واذعان
أستغفر الله من ذنبي وأسأله ... سلامتي من عقوبات وخسران
يا مالك الملك يا من جلّ بعبده ... ونستعين بـه جـد لي بغفران
عليّ تب وأهد أحوالي وصن قبلي ... عن المناهي ورض لي كلّ سلطان
جد لي بكوني من الأخيار مجتهداً ... في خدمة لك في سرّ واعلان
بقدر ذاتك حطني عن عداي معاً ... وبشّرن بي أحبابي وخلّان
جد لي بعفوك واسترني بسترك وا ... صرني بنصرك واخصصني برضوان
كن لي وسق لي مرادي وامح معصيتي ... واكتب فلاحي وهب لي خير أعوان
باليمن واليسر جدلي واكشفن كربي ... ولتمح جدبي واملاقي وحرمان
سق لي المنافع في الدارين يا ملكي ... وكن حفيظي مجيري كلّ أزمان
على نبيّك خير الخلق رحمتنا ... أزكى صلاة بتسليم كمرجان
بآله الغرّ والصحب الكرام معا ... ولتعف عنّي واني مذنب جان

ولما قرّب انتقاله إلى جوار ربّه الأعلى قال :

خروجي من بيوتي للقبور ... تفكّره حماني عن سرور
تركت النوم يقظان الليالي ... لذكر الموت واليوم العسير
دخولي في الضريحة بعد موتي ... وما بي غير فعلي في الحقير
يكلّفني تفكّـره غمـوما ... لسوء الفعل مع ذنبي الكثير

ولكن لا يخالطني قنوط — لذي من روح ذي اللطف القبور
لقد حسنت ظنوني مع رجائي — بربّي ذي المواهب والخيور
فسوء الظنّ أقبح حال عبد — إذا كان الإياب إلى المجير
فيا مولاي يا مولى الموالي — بعفوك جد لعبدك ذا الحقير
لي أعف وارحمني واسترني — وهب لي الأمن من سوء المصير
بي ألطف واحمني واكتب فلاحي — وصن العمر ولتصلح أموري
وهب لي الفوز من جهل وجور — ومن سوء العقيدة والغرور
أعذني سرمـدا من كل شرّ — وبلّغني المطالب في الدهور
وهب لي منك رضواناً عظيما — وفوزاً بالالى يوم النشور
وهب لي ربّ ما فاقت ظنوني — من الخيرات ولتعظم أجوري
دعوتك لي استجب ولتقض حاجي — بعبدك خادم الهادي البشير
محمد المشفّع في البرايا — عظيم الجاه مفتاح الخبور
وقد أزكى صلاة مع سلام — له بالآل والصحب البدور

وبعد أيام قلائل توفي الشاعر رحمه الله آمين بجاه سيدنا محمد الأمين (ص) .

الشَّيْخْ إِبْرَاهِيمَ جُوبْ المَصَرِيُّ

سبق لنا أن قلنا بعض أمور عن الشيخ ابراهيم جُوبْ المَصَرِيُّ المعروف بابْرَ جُوبْ مَصَرْ عند بيعته الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ وكان شاعراً لمؤسّس المُريديّةِ قد ولد سنة ١٨٨٨م وتوفي عام ١٩٣٢م بايع الشيخ الخديم عندما قضى له دينا بوجه عجيب . كان من قبل تجانيا من أتباع الحاج مَالِكْ سِهْ ولما طلع نجم طُوبى تعلق به وصار شاعراً لم يزل يمدح الشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ وله ديوان ضخم [1] نختار منه بعض قصائد يمدح بها مرشده الكبير وقال اِبْرَ جُوبْ مَصَرْ في مقدمة قصيرة لديوانه : « كان ذكره كذكر الله ومدحه رضي الله عنه كمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبارك عليه الله ولا وسيلة رضوان الله أعظم من ذلك ولا تجارة

---

(١) ولنا في (إيفان) ٣٢ قصيدة منه يمدح بها الشيخ أحمد بَمْبَهْ .

أربح ممّا هنالك فأحببت أن أذكر لك بعض قصائد تشتمل على كثير من الفوائد أنشأتها في مدحه وثنائه راجياً أن لا أبرح في الدارين تحت ظل رضوانه وعطائه آمناً من كل مكروه ومخوف فائزاً بكل خير ومعروف ، والله تبارك أسأل التيسير فيما أرومه من فضله بلا تعسير وقد قلت مستعيناً بالله (وما توفيقي إلا بالله . وما النصر إلا من عند الله) :

بمدحك يا أستاذ زالت مخاوفي ... وزال عنائي واستفاضت معارفي
فيومي سرور ثم أمر وبهجة ... وليلي بك الدارين نيل العوارف
ولما بدا لي أن مدحك رفعتي ... تلادي به ممزوجة بطرائف
شغلت به نطقي وقلبي وفكرتي ... ولوحي وقرطاسي فأضحى مصاحف
فلله جود منك يحكيه وابل ... ويخجل موج البحر مع كل عاصف
ولله علم منك لم يحو من مضوا ... ومن حان أو يأتي من أهل المعارف
خدمت النبي المصطفى خدمة ونى ... الأكابر عنها في جميع المواقف
مقامك قد فاق المقامات كلّها ... ووصفك أعيا بعضه كل واصف
فسبحان من أعطاك في القرب رفعة ... تقاعس عنها كل قطب وعارف
أطال إلـه العرش عمرك آمنا ... وأرضاك ارضاء الكريم المساعف
بحرمة خير الخلق مفتاح جوده ... عليه سلاما الله ملء الصحائف
مع الآل والأصحاب والغرّ كلّهم ... مدى الدّهر ما داموا ملاذا لخائف

وله أيضاً زيد فيضا :

يا سادة ذكرهم في الكون قد طارا ... ومن وجوههم قد نار ما نارا
ومن ضياؤهم في كل أزمنة ... يجلو الظلام ويهدي للذي حارا
ومن بحورهم تروي الوفود ومن ... معين فضلهم غيث الهدى فارا
ومن إذا ناب للأكوان نائبة ... كانوا لها عند ما يفقدن أنصارا
أنتم مرادي العلي من خلقه فبكم ... لا شك ينزل للأكوان أمطارا
أتاكم يا جميل الكون ذو دنس ... يرجو القبول وان أخطأ وان زارا
وأن ينال بكم عزّا ومرتبة ... حتى يفوق بكم من فاق أخيارا
وأن يفوق بكل القصد دون عنا ... وأن يحوز من التقريب أوطارا

ولا وسيلة عندي غير جودكم وعفوكم فاصفحوا عن مذنب جارا
أني عزمت على الترحال في عجل لحضرة القرب نحو الله محضارا
ماذا أقول وقلبي صار منغمسا في حبّ دنيا حوي زينا وأكدارا
كل أمرء من ذو التسليم ذو ذمم ولا ذمام لمن قد خان مدبارا
فأقبل معاذير عبد جاء مبتغيا منكم دنوّا وان يوق بكم عارا
ولا تردّنه يا أستاذ خائبة يداه بل أوله سرّا وأنوارا
وزجّني في بحور النور يا وزري حتي أشاهد سرّاً فاق الأسرار
أنت البكيُّ الذي لولاك ما شربت قلوبنا من بحور العشو أنهارا
أنت الولي العلي المستعان به في المعضلات وحيدا فقت الأبرارا
ان الشيوق نجوم يستضاء بهم وأنت شمس لمن لم يفقد أبصارا
وهم عيون وآبار يغاث بهم والكل منهم حوى درا ودخدارا
لكنما أنت قاموس نحيط بهم احاطة العرش اعلانا وأسرارا
منك استعار السنى بدروشمس ضحى ضوء وعلّمت علم الجود الأمطارا
المسك عن عرفك النفاح ذو قصر وفي الشجاعة حقّا فقت هيصارا
فالعلم والزهد جاءا صاحبين لكم فحيثما سرتم بين الورى سارا
وحيث ملتم تميل الشمس نحوكم والبدر والنجم اقبالا وادبارا
أيقنت انك في ذا الدهر ذو قدم على رقاب ذوو الارشاد اجهارا
وانّك القطب والغوث المغاث به وأنت تعلم أبدالا واضمارا
أحييت يا شيخ موتى المسلمين وقد جليت عنهم صدى جهل واغيارا
رممت مارث من طرق الولاية بل جدّدت بعد دروس تلك الاثارا
أرضيت دينا وكم أغضبت من بدع تدعو بويل وقد اطلعت أقمارا
فهذه سنة المختار فاغرة فاها بشكرك نكسى منك أنوارا
جزاك عنا وعن دين الشفيع معا خير الجزاء واطال الله الأعمارا
عليه صلى إلـٰه العرش ثم على أصحابه ما قضى بالقوم أوطارا

وله أيضاً زيد فيضاً :

الا بسهم الهجر تصمين مهجتي سليمن ولم تخطىء هواك محجتي

وكيف بنار البعد تكوين جفوة ... حشا حشوها عشق وصفو مودّة
ففي القلب مني من بعادك جمرة ... متى التهبت فاضت مدامع مقلتي
أتدرين ما ألقى من الجود والجوى ... إذا ما علىّ ليلة الهجر جنني
نعم ليس يخفى حال من انحل الهوى ... وافنى دموعا منه ذكر الأحبة
متى لاح من نحو الأحبة بارق ... يظل لفرط الشوق رهن المنية
فما جن في ليلى ولا هند عاشق ... كما فيك عشاق البرية جنّت
أرى الغي رشداً فيك والفقر غنية ... وكل الذي ترضينه فهو منيتي
وإن لامني يوماً لحبّك لائم ... فعن سمعها الأشواق فيك اصمت
فعن وجهك الميمون برقعا اكشفي . ... فعلى سقامي فيك يشفي بنظرة
ومن ريقك المعسول جودي برشفة ... فعل بريق منك تنفع غلتي
ألا فأرفي بي يا سليمى بلحظة ... لعل لظى الهجران تطفأ بلحظة
فحسبك ما قد كان رفقا بذي الهوى ... سلبت العقول بالجفون المريضة
فلا الوعد للعرقوب وعدك أنه ... سحاب خلوب بل سراب بقيعة
إذا لم يكن لي من جفاك تخلّص ... وبالهجر ألقى فيك كل بليّة
فمنك اشهدي لي ياسليمى بأنني ... تخلصت جهراً للخديم وسيلتي
إلى شيخ أشياخ الزوايا تخلصي ... من الغانيات كالبدور المنيرة
إلى ابن حبيب الله أحمد سيدي ... تخلصت من هذي ولبنى وبثنة
فتى لم تلد انثى بعيد محمد ... عليه الصلاة مثله في الفضيلة
فمن مثل شيخي في المعارف كلها ... ومن مثله في كثر علم وحكمة
ومن مثله في الحلم والزهد والتقى ... ومن مثله في قفو خير البريّة
ومن مثله في مدحه وصلاته ... عليه معا في بكرة وعشية
ومن مثله في الذوق الشوق والنغا ... ومن مثله في خدمة ومحبّة
ومن مثله في الجود والبذل والندى ... والإحسان والإيثار ثمّ الفتوّة
ومن مثله في المكرمات جميعها ... ومن مثله في حوز كلّ فضيلة
كرام عزيز من كرام أعزّة ... أمام عظيم من عظام أئمة
توّحد في كل المقامات واعتلى ... على الأولياء في جلوة ثم جلوة
لقد عميت عين له المثل قدارت ... وإن سمعت أذن به فهي صمت

تمتع برؤيا وجهه فهو وجه من — مضى قبل من أخيار كل قبيلة
ورضوان ربّ العرش فاطلب بمدحه — ففيه الرضى والفوز من كل بغية
ودع عنك أوزاد المشائخ كلّها — لورد خديم مرتدي بالخلافة
ودعْ عنك أزماناً مضت ورجالها — فليس رجال الغيب مثل الشهادة
وما ورقات الداخلين سفينة — بمغنية عنهم بعيد السفينة
خذوا عنه من بحر العلوم طريها — ولا ترتضوا عنه لحوم القديدة
فعن خير خلق الله يروي حديثه — ويأخذ عنه للعلوم السنية
عليه صلاة الله ثم سلامه — مع الآل والأصحاب في كل لمحة
ورضوانه الأعلى الأجل بلا انتهاء — على سيد الأستاذ بيت القصيدة
وأصحابه من ليس يبغون سرمدا — به بدلا أهل الهدى والإرادة
ويرضيه بالعمر الطويل وبالمنى — وبالفوز بالمرغوب من كل بغية

وقال أيضاً من البحر البسيط لا زال في خفض عيش بسيط :

دعني من الدّقّ والمزمار والعود — ومن غناء الجواري الخرّد الغيد
وشنف القول من مدح الخديم إذا — ما رمت تطريبنا بالمدح لا العود
فمن يكن عيده غيد يلاعبها — فإن امداح هذا المرتضى عيدي
شيخ جليل جميل عيلم علم — قرم كريم أخو جود وتجويد
قطب شريف ظريف فائق سنند — بحر محيط شجاع خير محمود
جمّت فضائله عمّت نوائله — ازرت شمائله بزهر املود
فتى يفكّ رقاب المسلمين معا — من رقّ غير به لم يرض ذو الجود
قوت القلوب حياة الكون أحمد من — أبدى المحامد منّا دون تفنيد
فتي بكلّ عزيز الوصف متّصف — إليه يسند أرباب الأسانيد
عن الرذائل مردود برمّتها — لكنّه عن معالي غير مردود
وقد غدى فرد معدود الكرام معا — لكنّما الفضل منه غير معدود
من كان في الدهر موجودا وماظفرت — به يداه فحقا غير موجود
الله سوده فينا ومجّـده — حقاً وقلده كل المقاليـد
يا من غـدا كل مفضال يمت به — يا خير كل عظيم الفضل مقصود

يا شيخ أحمد يا من لا نظير له ... يا من يشيّد ديناً أيّ تشييد
هب لي بفضلك يا غوثي ومعتمدي ... جميع ما رمته من كل مودود
أوصل إليّ فيوضات ترى عجبا ... وأيّدني بنصر أيّ تأييد
واقض الحوائج لي فوراً بلا تعب ... وجددن بي المعالي أي تجديد
وعني أصرف دواماً كل منقصة ... واصبب لي الدهر فيض الفائض الجود
عليك رضوان ربي يا ملاذي ما ... أنسى بذكرك ذكر الخرّد الخود

وله أيضاً زيد فيضاً :

ما لي ببغداد شوق لا ولا فاس ... لكن برؤيا جُلُفْ قد بعت أنفاس
حيث الخديم ثوى حيث المريد حوى ... سرّا يطهّره من كل أدناس
ذاك الخديم خديم لا يماثله ... من جلّ أو قلّ من جنّ ومن ناس
قد شاد دين الهدى وساد أهل ندى ... وحاز سبق المدى من كل أجناس
ذاك الخديم خديم فاز زائره ... وباء من لم يزر بالبؤس والباس
ذاك الخديم خديم ساد دون مرا ... بالعلم والجود كل سيد رّاس
الطُوبَوِيُّ الرضي البَكيُّ أحمد من ... أبداه رحمة كلّ خالق الناس
هو الولي العليّ المرتضى قدما ... من سادة طود كلّ شامخ راس
هو الجميل الذي يحكيه يوسف في ... حسن وفي الزهد أضحى مثل الياس
غوث العباد معا غيث البلاد معا ... ليث المعادين ساقي القوم بالكاس
عين من الجود ما وافاه ذو ارب ... إلا ونال المنى فوراً بايناس
ولا أتى جامع في العرى ذا ظما ... إلا غدا وهو رأو طاعم كاس
يا أيها السيد المحمود سيرته ... يا محيي بعد طول الموت واليأس
يا من أسانا وواسانا واصلحنا ... إذ لم نجد منْ مواس لا ولا آس
يا طاردا كل همّ قد بليت به ... وطاردا كلّ وسواس وخناس
خذ من مريدك إبْرَاهِيمَ شكر فتى ... أغمسته في المزايا أي اغماس
فصار يشكر شكر الروض باكره ... ندى واغلس فيه أي اغلاس
وصار يغبطني من كان مسكنه ... في بطن بغداد أو في مصر أو فاس

وله أيضا زيد فيضاً :

حديث لي كاس من الخمر مطرب ... وذكرك شهد في لساني مطيّب
ووجهك لي بدر إذا ما اجتليته ... تبرد أكبادي التي تتلهّب
فأبقاه ربّي رحمة لعباده ... يضيء به شرق البلاد ومغرب
أيادي يديك كل يوم وليلة ... تجدّد لي خصبا إذا الناس أجدبوا
وما زلت لي كهفاً منيعاً ومعقلاً ... ألوذ به في شدّة حين أرهب
وما زلت تعفو عن عظيم جنايتي ... وتسترني والحال أنّي أغيب
جزاك إلهي البرّ خير جزائه ... وأعطاك في الدارين ما كنت تطلب
بجودك خلّصني وهب لي منيتي ... وإلا أيا شيخي إلى أين أذهب
هربت إليك اليوم من قبح فعلتي ... وقد أخرجتني خائفاً أترقب
فدا لك نفسي من همام ممجدد ... له فوق هذا الجيل قدر ومنصب
سراج منير موضح كلّ مشكل ... يقول فينسي حين يعرب يعرب
فقيه أديب ما ابتغى درك شأوه ... كميت ولا جاراه في الفقه أشهب
يجود فينسي كلّ طلّ ووابل ... لكلتا يديه بحر جود يقلب
تلاقي لدى يمناه يمنا مؤبـداً ... ويسرا لدى اليسرى كما أنت ترغب
له راحة في ضمنها كل راحة ... وكفّ يكفّ الضّيم عنّا ويذهب
ووعظ بليغ للورى ونصيحة ... وحلم وعلم لم ينله التّكسّب
ووجه طليق للعفاة ونائل ... وعزم إلى العلياء لا يتذبذب
وصبر وزهد في الدنا وفتوة ... وكل كمال للكرام يرتّب
وليّ عليّ مرشد ذو مهابة ... جميل جليل القدر عنقاء مغرب
مرب لأرواح المريدين كلّها ... وان بعدوا فهو القريب المقرب
لقد أعجز المدّاح بعض صفاته ... ولو بالغوا طول الزمان واطنبوا
عليك ابن حب الله رضوان مالك ... انا لك فضلاً عن سواه مغيّب
مدى الدهر ما دمت الملاذ لمذنب ... غـدا خائفاً ممّا جنى يترقّب

وله أيضاً زيد فيضاً :

سلام على بالمسك يزري وبالعسل ... إلى فائق الأقران في العلم والعمل
إلى ابن حبيب الله أحمد من به ... بكل مقامنا به يضرب المثل

فتى مثله بعد الصحابة لم يكن   وما مثل حسان المدائح من هزل
فتى ان حكمت انه فرد عصره   فأنت إذا يا صاحبي حاكم عدل
فتى رفع المخفوض من سنة النبي   وقد فتح التسكين فانضم ما انفصل
وأعزب جال منه عن سبق نعته   وأكدره تصريفه المال عن بدل
لقد جمع الأعداء كسرا مصغرا   ورخمهم طرّا فيا حسن ما فعل
وصحّح جمع المسلمين مكبّرا   وميّز أفعال القلوب لمن عقل
فجملة أخبار الكمال ابتداؤها   من الشيخ وهو المنتهى قدوة الكمل
فليس لتفضيل الملاذ منازع   هو الواو في عطف الكمال وغير بل
ضمائرنا مشحونة بـوداده   فيا نعم موصولاً به كلّنا وصل
فتى بيته العرفان في كل مسكن   وأوتاده أسبابه العلم والعمل
طويل مديد بحر جدواه باسط   لراحة كلّ راحتيه بلا ملل
ففي مشكلات العلم شمس بلا خفا   وفي جدب حاج الخلق وبل لمن سأل
ترى الناس أفواجاً على باب داره   كمكّة يوم الحج الاكبر للأمل
فمن آمل دينا رجا يوم دينه   ومن آمل دنيا ومن مشتك علل
فلا يبرحون دون نيل سوالهم   وقد انثنوا والكل ممتلئ جذل
فمادح غير الشيخ غاصب شعره   ومادحه لم ينتحل كمن انتحل
فكل مديح قيل في وصف فاضل   فصاحبه أستاذنا فدع الجدل
مواهبه الأمطار والبحر جودة   وأحلافه القرآن والقتل قد جدل
فنطق بليغ فيه مثل سكوته   وللبحر قعر ليس يدرك بالجيل
أيا شيخ هذا مادح لك لم يرد   سوى الفوز في الدارين والقرب حيث حل
فجدّا له أسعد وعجل نجاحه   فقد خلق الإنسان يا شيخ من عجل
أطال إلـه العرش عمرك آمناً   وجاد بحسن الختم عند انتها الأجل

وله أيضاً زيد فيضاً :

روحي فداء سنمّار مطالعه   في القلب مني ودابا قد أطالعه
فذكره لي نعيم لا يفارقه   وأمره لي طوع لا أنازعه
اني امرؤ عينه من غيره عميت   وليس في غيره قطعا مطامعه

رام العذول انصرافي عن مودّته ... اني واني فتى صكّت مسامعه
سأركب الناقة الوجناء تحسبها ... من وحش وجرة موشيّ أكارعه
أو أعوجيّا يباري الريح يلحق بال ... سّبّاق فوراً ولم يقربه تابعه
أو مركباً ذا دخان حاكه علم ... في اليم كالأيم لا شيء يمارعه
وأهجر النوم افري كل مجهلة ... حتّى بدا لي من حبي مرابعه
إليك أطوي الفيافي راجيا ظفرا ... يا شيخ أحمد من جلّت صنائعه
يا من نهايات أهل الله صرن له ... بداية وكأمطار منافعه
الشمس والنجم والبدر المنير معا ... ثلاثة أنت فصّ العدّ رابعه
والفضل يا شيخ أجزاء مفرّقة ... في الفاضلين وحقّا أنت جامعة
قد بعت بالباقيات كل فانية ... وقد ربحت بشيء أنت بائعه
صارت مقاليد رزق الله في يدكم ... وقد هداك صراط الله شارعه
يا شيخ أحمد يا بحر العطاء ويا ... غوث الأنام الذي لاحت بدائعه
يامن شأى القوم بالتقوى إذا استبقوا ... إذ لا يجاري ضليع الخيل ظالعه
عبيد بابك إبْرَاهِيمَ جُوبُ أتى ... أخا افتقار وقد جمّت شنائعه
فأسأل لي الله تطهيرا برحمته ... حتى يزايل قلبي ذا قواطعه
وأسأله لي طول عمر والسلامة من ... سلمى وقلبا نقياً لا يخادعه
وأسأله لي بركات منه مخجلة ... سكب الغيوث وسرا قد يطالعه
وأسأله لي سيدي بالفضل خاتمة ... حسني بها للفتي يصفو مشارعه
عليك رضوان ربّي والثنا أبدا ... يا منتهى الفضل يا من هو جامعه

وله أيضاً زيد فيضاً :

في نور وجهك ما يغني عن القمر ... وفي يمينك ما يغني عن المطر
وفي فؤادك أنوار ومعرفة ... وحكمة وهدى تغني عن الزّبر
فأنت يا أيّها البكي جامع أشـ ... ـتات الفضائل بحر العلم والأثر
غوث الزمان سراج الكون روحهما ... خليفة الله في بدو وفي حضر
العارف الوزر ابن العارف الوزر ابـ ... ـن العارف الوزر ابن العارف الوزر
الطاهر السير ابن الطاهر السير ابـ ... ـن الطاهر السير ابن الطاهر السير

المبعد الكدر ابن المعبد الكدر ابـ ن المبعد الكدر ابن المبعد الكدر
الزاهد العابد العالي مكانته عند الإلـٰه وعند الجنّ والبشر
بحر الولاية مصباح الشريعة ينـ بوع الحقائق عين السّر والخبر
هو الجواد الذي أزر بنائلة الـ جم الخطير دواما كل مزدخر
لا عيب فيه سوى تقوى ومعرفة وكونه واهب الآلاف للزمر
صاف خلائقه ضاف حدائقه ليست بوائقه تخشى مدى العمر
حياته لجميع العالمين حيا لم يهتك الستر يوماً عن ذوي العثر
كأنّه أنس في خدمة قبس ما شابه دنس في السر والجهر
عون لمنتصر روح لمقتصر جبر لمنكسر يسر لمنعسر
إن كنت ذا هرب أو كنت ذا رعب يمّمه ذا أدب تامن مّع الظّفر
أكرم به من ولي قدوة سند لم يبق شيئاً من العليا ولم يذر
لا تبغ ما عشت من أهل العلى بدلا بـه فمـا هـو إلّا خرق مقتدر
وأهد طيب ثناء بالدوام له فهو بطيب ثناء بالدوام حر

وله أيضاً زيد فيضاً :

يا سادة أمرهم من بينهم شورى وينفقون جزاء يوم عاشورا
ماذا تقولون في ظلمة خنقت أتاكم من بعيد يطلب النورا
وذي لباس من التقوى غـدا خلقا مدنساً رام تجديداً وتطهيرا
وخائف وجل من ذنبه خجل من فضلكم رام تامينا وتاميرا
وعالم يرتجي من جود جودكم ألا يكون كبلعام بن باعورا
وجاهل يرتجي علم الرّجال بكم حتى يساجل ذا العرفان طيفورا
وموثق بحبال الدّين رقّ به وافاك يطلب تنويلا وتنويرا
رضوان ربّي عليكم فانقعوا غللي يا سادة كشفوا عنا الدياجـيرا
لا تبخلون بموجود لكم أبدا وقد أنلتم بحمد الله تبشيرا

وله أيضاً زيد فيضاً :

الا ذكر دعد دع فهذي ديارها خلاء بها ريم الفـلاة حمارها

وكرّر أحاديث الأحبّة إنّها رياض منى يهدئ إلينا ثمارها
وزر في مديح الشيخ اسنى قصائد يروق لنا أوراقها ونضارها
ففي مدحه فوز وعزّ ورفعة وحوز فيوض زاخرات بحارها
هو ابن حبيب الله أحمد من به لسنّة خير الخلق يبنى منارها
فتى قطّ لم يسمح زمان بمثله كما أنه عزّ الكرام فخارها
فتى لديانات الإلٰه مجدّد فصيّر عمرانا رياضا قفارها
تجمع اشتات الفضائل عنده بحوراً يكلّ الفاضلين قطارها
أيا حاتم الأجواد جبليّ وقتهم ومن هو خدن المكرمات وجارها
ويا وارث الأقطاب خازن سرّها ومن هو منحى للعفاة مزارها
ومن هو غيث للهداة ونورهم وليث الأعادي المدبرين ونارها
لأنت الذي تعنو لرؤيا جماله فحول جميع الأوليـا وخيارها
وأنت المراد الله فينا وإنّما كبار الورى تغني بكم وصغارها
تباشرت الأزمان منذ طلوعكم فأضحى ضياء ليلها ونهارها
عليكم رضى الرحمان يا من هو العلى وبحر العلى باب العلى وقرارها
وأصحابك الخادين مع كل منتم مدى الدّهر ما زانت رياضا ثمارها

وله أيضاً زبد فيضاً :

يا ليتني نلت من كعب فصاحته أو كنت في نظم شعر مثل حسّانا
إذا نسجت برودا لا مثالَ لها للشيخ من يتبع الإحسان إحسانا
وغاية القول عندي أن أقول له يا شيخ أحمد فقت الجيل تبيانا
فلا نظير ولا قرن يبارزكم بل أنت فرد بإذن الله مولانا
يا يوسف الحسن مختار الكمال ولقـ ـمان العلوم وعيسى كل موتانا
جزاك عنّا بقدر الذّات خالقنا جزاء من طبّ أحيانا وأحيانا
بحرمة المصطفى المختار أفضل من ساد القبائل قحطانا وعدنانا
صلى عليه مع الآل الكرام معا من يومنا ذا إلى جنّات عدنانا

ومن الشعراء المدّاحين للشيخ أحمد بَمْبَهْ الشيخ مَيَاسِينْ جِنْكَ من قرية كُيَارْ ومن قصائده هذه القطعة التي يمدح بها الشيخ الخديم :

أيا منبع الأحكام يا غوث ضليل ... أيا قرم يا ناموس يا قطب ذا الجيل
لنأخذ مديحاً مثل دبس مدكدك ... بسكر وراح غير قول الأباطيل
سأثني عليك اليوم مدحاً مشيّعاً ... بحمد ورضوان وشكر وتبجيل
سأثني عليك اليوم مدحاً مزيّنا ... بشعر عجيب معجز كل معقول
جزاء لما أوليتني من كرامة ... بعلم وآداب ومجد وتفضيل
فعنّي جزاك الله دنيا وفي غد ... جزاء يقرّ العين في كل مأمول
وأبقاك دهراً حاكماً لعباده ... لأنك تبدي الحقّ من غير تبديل
لأنت أمام الجيل قد فقتهم معا ... بعلم صحيح مرشد كل جهّيل
فلو أنّهم لم يحسدوا كل مجسد ... لجاؤوك بالألواح طرّا بترحيل
لما حزت من علم وحلم ونصحة ... وصبر واصلاح وكشف الأواجيل
أقول وكم من مادح وهو مرتض ... لنعم الفتى الحبر المري كل مجهول
وكم مشكل من يمنه صار واضحا ... وكم من دقيق قد جلاه بتفصيل
وكم عالم قد صار فحلا لأهله ... ولولاه لم يعرف لياد التضليل
متى جاءه ذو جهلة متعلم ... بليد ينبه ماهراً دون تجهيل
أب قد أبى إن جاءه أيّ طالب ... وآب بشكّ أو فرّ بتشكيل
ضرائبه صبر وصفح لظالم ... وحلم وتعليم وصدق الأقاويل
لقد كشف الاشكال طرّا جلية ... بفتوى وتفسير وفتح وتمثيل
فمن هذه أوصافه وخصاله ... فقد حاز سبقا باديا غير مسؤول
لعمري وما عمر الفتى متهيّن ... عليه لهذا الفضل من غير تنويل
فهذا ثنائي هاكه وأعذرنني ... مديحاً عجيباً قد حوى كل تجميل

الْحَاجُّ الشَّيْخُ أَحْمَدُ آمْبَكْ

فهاكم أسماء أولاد الشيخ الخديم رضي الله عنه : الحاج محمد المصطفى والحاج محمد الفاضل ومحمد الأمين ومحمد البشير وعبد الله وعبد الأحد الخليفة القائم الآن في طُوبَى وعبد القادر وابراهيم والصالح وشعيب وعبد الصمد ومحمد المرتضى .

ومن أولاد الشيخ الحاج محمد المصطفى الحاج الشيخ أحمد آمْبَكْ سميّ

جدّه الخديم زعم أعداؤه أنه قد رغب في تولّي الخلافة بعد وفاة والده الكريم فقد أخطاؤوا . واليوم هو الرئيس المريديّ الذي هو زعيم النزعة الصناعية في المريدية وهو كثيراً ما يقوم بسفر في الآفاق قبل إنه درس الفرنسية وإن صحّ فما له نادرة عند رؤساء المُرِيدِيَّةِ . وقد لقنته دراساته وأسفاره وهو موصوف بالجود والكرم ومحسن إلى المساكين والفقراء وهو ضرب به المثل في السخاء والأريحية وقيل إنّه ينفق خمسة آلاف فرنك لمنزل واحد من منازله الكثيرة في دَكَارْ مثلا وبابه محطّ رحال للعفاة والفقراء . وهو يؤلّف كثيراً فيَ مواضيع حالية عصريّة ولمّا قرّرت الحكومة السّنِغَالِيَّةُ قانوناً عائليا كي تطابق النظام الحقوقي للأسرة السّنِغَالِيَّةِ على شروط أيّامنا هذه اتّخذ الحاجُ الشَّيْخُ آمْبَك موقفاً معارضاً وألّف كتيّباً عنوانه « كلمة الله هي العليا » وهي الآية الأربعون من سورة التوبة والقصد الأهم هو يعتبر القانون العائليّ باطلاً لا قيمة له لأنّه يخالف كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والإجماع . وقد قرّظ هذا الكتاب كثير من رؤساء المُرِيدِيَّةِ حتّى الخليفة الشيخ عبد الأحد ما خلا الحاج الفَاضِل آمْبَكْ .

وقد ألّف رحلته إلى بيت الله الحرام قال في المقدمة : « فهذه رحلة السري الأمجد الشيخ أحمد ابن الخليفة محمد المصطفى إلى الحرمين وإلى سائر بلاد المسلمين قد سافرنا من دَكَارْ ليلة الأحد الرابع والعشرين من ذي القعدة في طيّارة بعد انتصاف الليل بنصف ساعة وبتنا في الهواء إلى بعيد طلوع الشمس فنزلنا بكَازَ بَلَانْكَا[1] ومكثنا فيها ساعة من النهار ثم ارتقت الطيّارة في الساعة الثامنة نحو بَارِيسَ ونزلنا بها بعد الساعة الثالثة بدقائق وتعرض لنا النائب النبيل محمد الأمين كَيْ وعضداه مُورْكِي جُمْ وعُثْمَانْ سُوس وصديقه الصافي الودّ كرس ورحبّوا بنا فوق الظنّ وانطلقوا بنا إلى قوراء النائب المزخرفة بكل ما يروق ويسر أمّا الضيافة فما لأعين رأت ولا أذن سمعت وقضينا معهم أياماً كأعياد كأننا ندامى عاد يكتنفنا الأمراء والوزراء من يوم الأحد إلى يوم الخميس فغادرنا بَارِيسَ بعيد المغرب نحو روما أي إيطَالِيَا وأتيناها في الساعة الواحدة من

(١) أي بالدار البيضاء في المغرب الأقصى .

الليل ثم ارتقت الطيارة بنا في الساعة الثانية وفي ذلك قلت :

طيري وزفي في الهواء زفيفا   بسلامة ممّن يدوم لطيفا
وانجي نجاء جهامة خفت بها   قوماء تعتسف العرا فالريفا
عجبي تضاعف من سرى طيارة   تبري السوافي إذ تطار وزيفا
ويطيرها ضرب خبير بالهوا   يدري المقاصد لا يؤم مخوفا
مثل القطا في الاهتداء ولبه   فيه القيافة لا يزن سخيفا
ما ان يضلّ سبيله في نفنق   هاجت به هوج تهد سقوفا
ويقول من مثلي ومن كمسامري   إذا بات لي سبط الخديم رديفا
يمضي إلى ذات الستور يحجها   ويزور سادات الأنيم لفيفا

ومضينا حتى نزلنا بالقاهرة صباحاً من يوم الجمعة التاسع والعشرين من الشهر وبها زرنا الجامع الأزهر وقبة رأس السبط الحسين وجامع عمرو بن العاص والشافعي وجماعة من الصحابة عليهم الرضوان ومنها رحنا عشية السبت إلى جدّة ومكثنا فيها ليلة الأحد إلى ليلة الأربعاء الخامس من ذي الحجة محرمين... وقد أدلجنا من جدّة إلى مكّة والناس كالفراش المبثوث والسيّارات يعز عليهن التحرك من الكثرة حتى انتهينا إلى بير طوى فزايلنهن وأبتدرنا البير للاغتسال ثم عاودنهن فدخلن بنا مكة المكرمة ... » ثم واصل جامعا بين النثر والشعر. قال في صور :

في صور سادات كرام خيمهم   على الضيوف بكل حلو طيب
سيان في ذاك الشباب وشيبهم   وكذاك صدر الدين نجل الأنجب

وفيها سيد المؤسس للكلية الجعفرية الذي فيه قلت :

نعدّ لقاءك الميمون ذخرا   ومرضـاة لمولانا وبـرّا
ونرجو أننا سنؤوب طرّا   كما نهوى وليس نخاف ضرّا »

حتى قال إمام الجامع الأموي في دمشق :

قد طال ما هاجت فؤاد همام   ذكرى مدينكم دمشق الشام
فتبوأتها الأنبيـاء ورسـلهم   من عهد هود سيد الأقوام
وبها ترى ما تشتهي عن مرحب   من هاشم إن شئته أو سـام

ولهى أسعد قرية في هذه ولهى أنورها وجوه كرام

... وسار إلى بيروت وعمّان والسّلط ووادي شعيب وبيت المقدس وبغداد وكربلاء وطهران وكراش والبصرة وتونس وباريس وإلى دَكَارْ .

وقال هذه الأبيات وقت تعلّمه في مُورِيتَانِيَا :

بكيت ليلا بكاء بين أجناس وما أصاخوا لزفراتي وأنفاس
ليس البكاء على مال تضيّع لي ولا على اليأس من لغياي ربّاس
بل البكاء على الأخلاق ثم على الماضي من العمر في لبس وأدناس
يا نفس توبي فإنّ الموت هجرته مرمى أشلّ أخي طيش عن اقراس
وإن عصيت سلي الرحمان مغفرة وإن أطعت فما عليك من بأس

وقال أيضاً :

أياقلب تب واصرم حبالا لذي الدّنا والا فلا تنجو من الكيد والغدر
وأوصل لمن لا يخلف العهد ساعة من الدهر أو يخنو من المنّ أو يضر
وشمّر إلى القصوى ودع عنك دانيا وذكّر فإنّ الموت ما عنه من مفر

وقال هذه القصيدة :

ألاح لي قمر من نحو طُوبَانَا أم أومض البرق تحت الغيم لمعانا
أم وجه سلمى بدا من نضو برقعها أم أشرقت لي شمس صبحها ازدانا
إن كان وجهك يا سلمى بدا بزغا فطالما يتوارى الوجه أزمانا
فطالما حال بيني كل مهلكة وبينه وقفار شؤمها شأنا
أمسى بطالعني طيف ليضنيني لما تأوّبني إن مّلت نعسانا
وبتّ مفترش القتاد مكتحل السّهاد مستسهلاً صعباً وما لانا
يا قلب قاتل هوى من هاجرت زمنا وأصرمت حبلها بغضناً وعدوانا
وذر تذكّر أيّام وما سلفت من الليالي فإن الدّهر قد خانا
واشدد يديك بأذيال الكريم ولا تعبأ بمن لام أو من ذمّ كفرانا
فهو الذي أحسن السّتّار سيرته وجوده عمّ أوطاناً وبلدانا
فما لأحنف حلم ان قرنت به لقمان عصرك هذا الفضل قد بانا

في الجود حاتمنا في الفقه مالكنا وفي فصاحته يزري بسحبانا
فإنّه العروة الوثقى لمعتصم به لملتجأ حصن وان هانا
يا حاسدين امام الناس عامتهم موتوا بغيظكم رغما وخسرانا
فإنّ قدرة ربّي رتّبته إما ماً مستقيماً رفيعاً حيثما كانا
يا عاذلي في الهوى إليك معذرة كم خامل حبّه أعلاه سمكانا
أبسط يديك لمن وّافاك ملتمسا من بحر جودك ما يروى لظمآنا
يا ربّ صلّ على طه الأمين بلا عدّ وأصحابه مع أهل طُوبَانَا

وفي طوبى أيضاً نجوم ونجوم في سماء الأدب غير أنّنا نعتبر كافياً ما قد أوردنا من أشعار شعراء المدرسة الطُوبَاوِيَّةِ .

الخـاتـمة

وحين نتصدّى لخاتمة هذه المنتخبات الأدبية شعراً ونثراً فلا بدّ من أن نطرح على أنفسنا بعض أسئلة هل لا يوجد من السّنِغَالِيّينَ من كان ليختار نصوصاً غير نصوصنا وهي لا تقلّ قيمة ؟ وألم نقدّم مدرسة على مدرسة أخرى أم شاعراً على شاعر آخر أم كاتباً على كاتب آخر ؟ ألم نعتبر شاعراً من المقلّين حيث علينا أن نعدّه من الفحول ؟ ألم نهمل نصوصاً منظومة كانت أو منثورة وهي جديرة بمكانة مرموقة في كتابنا هذا ؟ هل لا يوجد هنا نقّاد يلومون منهاجنا الجغرافيّ وعلينا أن ننهج منهاجاً تأريخياً حسب وقوع الأمور في ممرّ الزّمان ؟ ربّما نسينا بعض أسئلة مهمّة غير هذه . فلنجب . إذا حثّت مباحثنا ظهور ذوي قريحة على أن يعودوا ويؤلّفوا كتاباً بل كتباً في الأدب العربي في السنغال فيها ونعمت ، وإذا كان الأمر كذلك فقد وجدنا ضالّتنا المنشودة غير أنّنا نقول إن الانتخاب في النّصوص الأدبية منوط بالذوق ونجد في الطبيعة البشرية كل الأذواق التي تختلف اختلاف الناس .

وإذا كانت الحال كذلك قدّمنا مدرسة طُوبَى على جميع المدارس وهذا نتيجة رأي شخص واحد لا يفرض على أي شخص آخر . ونحن نخضع لأحكام الفنّ باسم الجمال والحسن في الفنّ وإن كان ذوقنا ذاتياً مشبوهاً . بناء على ذلك قدّمنا شاعراً على شاعر آخر أو كاتباً على كاتب آخر . فنحن على ثقة بأننا قد نسينا وأهملنا تعمداً بعض الأدباء ذوي النفوذ وسبب ذلك فإننا لم نعثر على أي نص منهم مهماً بحثنا وإلّا قد وجدناه لكنّ هؤلاء المنسيّين هم متخصّصون بفنّ لا نعتبره أدبيّاً .

وأمّا منهاجنا الجغرافيّ فنعدّه خيراً من غيره وان كثيراً من الأدباء الفحول كوّن جيلاً واحداً أو كاد .

فإنّ ابن المَقْدَادْ والحاج مَالِكْ سِهْ والشَّيْخ مُوسى كَمَرَا وجبْرْنُ يُرْبَالْ والحاج

مَاجُورْ سِيسهْ والشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ والقاضي مَجَخَتْ كَلَ وذَا النُّونِ قد كان بعضهم معاصراً لبعض وعاشوا بين ١٨٥٠م و١٩٣٠م فإذا قد ولدوا قبل وفاة الشيخ الحاج عُمَرْ في دِيغِمْبِرِ سنة ١٨٦٤م وهو الأديب الأول الذي منتوجاته الأدبية موجودة هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الشريف شمس الدين والحاج محمد الخليفـة أَنْيَاسْ والحاج ابراهيم نْيَاس والشيخ أحمد عِيَانْ سِهْ والحاج الشيخ كَسَمَ والحاج الهَادِي تُوري والخليفة اِبَا بَكَرْ سِهْ والحاج المَنْصُورْ سِهْ والحاج عَبْدُ الْعَزِيزِ سِهْ والشيخ أحْمَد التِّجَانِي سِهْ والشيخ البشير أَمْبَكْ والشيخ الحاج أَحْمَدُ أَمْبَكْ بن الشيخ محمد المصطفى أَمْبَكْ قد عرّفوا الجيل الأول من الأدباء إن لم يكونوا أبناءهم أو أتباعهم أو تلاميذهم .

وبعد أجوبتنا هذه نتمكّن من أن نلاحظ في هذا الأدب شتّى فنون . وكانت الظروف السياسيّة أي الحروب التي شنّها بعض الملوك الأهليين على بعض من جهة والحروب التي جرت بين هؤلاء الملوك وبين المستعمرين الفرنسيين من جهة أخرى قد سبّبت فنّاً شعريّاً بلاطيّاً وكان أهم ممثّلي هذا الفنّ هو القاضي مَجخَتْ كَلَ الشاعر الملكي عَلْبُرِ أَنْجَايْ وَلَتْجُورْ جُوبْ . واستمد هـذا الشعر الهامة من غبار تلك الحروب وبارودها وأوزارها وأصدر نسخة عن العروق العميقة لمفاخر (بُورْبَا) ومآثر (دَمْبِلْ) وهو شعر يحسن المدح حتى يطري ويبالغ في المدح مبالغة أبي الطيب المتنبي في الثناء على سيف الدولة وهو شعرٌ أغراضه يرتلها ويتغنى بها القوّالون والشعراء اليوم في الْوُلُفِيَّةِ والفُلَانِيَّةِ في الحفلات الليلية .

ألم تعط هذه المزايا قيمة وثائقية لا يمكن انكارها ؟ بلى وكأنّ القاضي مَجخَت كَلَ كان شاعراً مؤرّخاً مثلاً .

وبجانب هذا الفنّ الشعريّ البلاطي كان يزدهر فنّ شعريّ دينيّ وصوفيّ بتأثر قالبه تأثراً عميقاً بتراث الشرق والأندلس ومُورِيتَانِيا وفي هذا القالب المستعار انتفخت العجينة بالتهاب الخميرة وتأثير كيمياء فكّر-فيها من جديد الأدباء السِّنِغَالِيُّونَ المخلصون الورعون الأتقياء .

وقد أحسنت هذا الفنّ مدرسة (تِوَاوُونْ) حيث الأنغام للحاج مَالِكْ لا تزال ثابتة في الذاكرة وحيث أمداحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ترنّ

رنيناً لا يزال يطيب للنفس قبّة الجوامع أمام جماهير تنغمر في طرب بل في انجذاب . قد دوى هذا الفنّ الشعري الدينيّ في (كبدى) بالقرب من (هَلْوَارْ) حيث سخّنه وحماه الشيخ الحاج عُمَرْ في مسبك ملحمته المبرقة حتّى كانت بلاغته تفحم وتحيّر الأدباء العرب في القاهرة مثلاً .

أمّا الشعر الخفيف المجنّح الناعم الصادق وإن كان محزناً في بعض الأحيان قد كان ابن مقداد في (سان لوي) خير ممثّله ، وأنغامه لا تزال تحزن وتطرب تحت الخيام المُورِيتَانِيَّةِ البيضان حتى يصيحوا انجذاباً (إسْكِيْ !) في الساعة التي ينّدي الندى رمال الشنقيط . وهذا ابن المقداد قد أنشأ منهاجاً موشّحاً جديداً في هذه البلاد . وبجانب هذا الشعر المجنّح المطرب نجد فنًّا شعريًّا واقعيًّا عند الشيخ أحمد عِيَانْ سِهْ الذي يستمدّ أغراضه من مقتضيات الحال في (سان لوي) أيضاً وخير ممثلي الشعر الغنائيّ في هذه المدينة هو الشيخ أحمد عِيَانْ وقد طرق جميع أبواب الأدب حين تغنى بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبالطبيعة والحبّ والوطن وأحوال الوجدان والموت والزراعة ألم نراه يشتكي حتّى من موت هرّة ؟

والنهر الذي يسقي بنفسه (سان لوي) الحنون الناعمة الحسناء الساكنة قد حضر مجالس العلّامة البليغ جِرْنُ بُورُبَالْ ومجالس الشيخ حَامِدُ آن أحمد التلري وقد سمع أيضاً في (كَنْكَلْ) الأديب المتفنن الشيخ موسى كَمَرَ يقصّ عليه تأريخ ملحمة الحاج عمر .

وإن طرق شاعر ما في (سان لوي) أو في (كِجِلُونْ) شأن ابن المقداد والمصطفى آن باب الغزل والحبّ بالحنين والحزن فلعله غير سعيد سعادة القاضي مَجَخَتْ كَلَ والشيخ الهَادِي تُوري فإنّ سعادتهما في الحب منوطة بحدّ سيوفهما وأقلامهما وبلاغتهما كما تتعلّق بسرعة جريان طرفهما ذي ذَوَي الجوافر كأنها أقداح الرّاح .

ألم يوجد الشعر الغزلي بل الشعر العذريّ في معنى أتمّ عند ذي النون بـ (جيِسْ) ؟ وقراءة بعض قصائده تذكّر بأشعار ابن الرّقيّات أو أشعار جميل بثينة أو أشعار مجنون ليلى أو أشعار وضّاح اليمن .

ولم يكن أنصار للتاريخ في (كَنْكلْ) قطّ بل قد أحسن الشريف شمس الدين حكاية شتّى مراحل نشر الإسلام في كَاصَمَانْصَا الخضراء . وكثيراً ما يقف فنّ التاريخ في مستوى ترجمة أو سيرة لشخصية فذّة شأن الشيخ ابراهيم جُوبْ الأَنْدَرِيُّ حين حكى حياة الحاج مَالِكْ سِهْ وشأن الشيخ البشير اَمْبَكْ الذي ألّف سيرة والده الشيخ الخديم في (كِتاب منن الباقي القديم) ولقد صدق الولي الكبير المُوريتَانِيُّ الشيخ سَعْدُ أَبِيه في قوله لذي النون : « انّك لعربيّ ضلّ عن قومه » إذ عالج هذا الشاعر الفحل في ديوانه الضخم جميع الأغراض قد رثى وافتخر وهجا ومدح وتشبّب ووصف وراسل وبكى على الاطلال ووقف للبكاء وهلمّ جرّا .

والبلاغة في كونها خطبة وموعظة في أيام العيد الفطر والنّحر قد ازدهرت ولا تزال مزدهرة في مدرسة (تِوَاوُون) وفي الجوامع المختلفة للتجانيين لكن لا توجّه تعاليمها وارشاداتها نحو القرن العشرين بل تشير إلى الأوائل من المسلمين غير خارجة عن التوحيد وما إليه .

وأحياناً ازدهر هذا الفنّ في مدارس أميل إلى التّخصّص بالبحث عن علوم الدين في تفسير القرآن مثلا كما نجده في مدرسة (سُوكُونْ) مع الشيخ الحاج أَحْمَدُ دمْ .

ومن يحبّ قراءة حكايات ذات وجه روائي فليطالعن (جزاء الشّكور) للشيخ أَحْمَدُ بَمْبَهْ حين حكى أمور غربته في كَبُنْغَ حيث نرى بقرة تطير بأجنحة وحيث نرى جنود أهل بدر تحت قيادة سيدنا جبريل عليه السلام من ربّنا الجليل تهبط على الأرض تخوّف جند النصارى في معسكرهم وحيث طلب الشيخ المنفيّ من يمّ (مَايُمْبَا) أن يشهد بولاية الشيخ الخديم فيخاطبه الشيخ مراراً فيزيد خوفاً لربّه تعالى .

ونجد أيضاً عند أهل المنفيّ الجليل شعراً قلّما نجده في غيره يتغنّى به ويمدح عابداً لربّه وخادماً لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم . فشعره هذا يرتله أتباعه وهم يرقصون وينقرون بالدّف أو بالقيثارة وبينما يتغنى بعضهم يضرب البعض الآخر رؤوسهم بالهراوى في حالة انجذابية وفي اختلاجات صرعية مثل ما نراه

في مسرحية (هَبُولُو) بـ (هَارْلِيمْ) مع الأميركيين السّود فيشارك المغنون والمستمعون في الطرب والجذب إلى أن يغشى عليهم تحت سلطة الموسيقى .

وقد تصدّى جميع الكتّاب والشعراء السنغاليين لفنّ الأدب التعليميّ والارشادي أو كادوا مثل الحاج الْمَنْصُورْ سِهْ حكيم (تِوَاوُنْ) والفيلسوف لمدرسة هذه المدينة نعني الشيخ أحمد التِّجاني سِهْ غير أنّ الأستاذ الأهمَّ في فنّ الحكم وعلم الأخلاق هو مؤسس المُرِيدِيَّةِ الذي كان نابغة واقعياً وصوفياً عميقاً وشاعراً خنذيذاً .

فإنّ هناك فنوناً شارك كل الأدباء في طرق بابها ومنها الفنّ التعليمي ومدح النبي صلى الله عليه وسلم أو الثناء على مؤمن صالح وكلّ من قادة المدارس الأدبية من الحاج مَالِكْ سِهْ إلى أَحْمَدُ بَمْبَهْ ومن الشيخ مُورْخُجَ كُمْبَهْ جُوبْ الكُكِيِّ إلى القاضي مَجَخَتْ كَلَ ومن الشيخ الحاج كَسَمَهْ إلى محمد بن عبد الله الرِّفِسْكِيِّ قد ألف كتاباً نحوياً أو كتاباً عروضيًّا أو كتاباً منطقيًّا أو كتاباً حسابياً لطلابه . وكلّ منهم قد قرّر علماً أخلاقياً ملائماً للقيم الأخلاقية الإسلامية الصحيحة وكل منهم مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في شتى لون ولهجة .

وقد عبّر كل منهم عن أحلامه وحبّه وتقواه وورعه ومشاعره وأفكاره وحاجاته وحكمته ومفهوماته الأخلاقية في لغة أفصح وعبارة أوضح ووجه أحسن وصورة أتقن من جهة النحو .أو من جهة فقه اللغة نثراً كان أو نظماً أو سجعاً .

وما هو سبب النجاح اللغوي هذا ؟ فسبب هذه المعجزة استيعابهم الثقافة العربية وعلوم الدين الإسلامي . فكل من ادباء السنغال مثل الحاج عمر والسيدة رُقَيَّةُ أنْيَاسْ الكَوْلَخِيَّةُ لسان الحال الواحد للنساء في عكّاظ الأدب السنغالي قد قرأ القرآن وحفظه صبياً ثم درس بوجه أرسخ علوم الدين كالتفسير والأحاديث والتوحيد والفقه والتصوف . ثم استوعب علوم الدّنيا كعلم اللغة والنّحو والعروض والبلاغة في فنونها الثلاثة أي البديع والمعاني والبيان فالأدب والمنطق وعلم الأخلاق ولنزيدن علوم الطب والنجوم والحساب حتى ألف بعضهم كتباً في هذه الفنون .

ومن استيعابهم علوم الدين والدنيا يصدر معني الكلمات الحقيقي وصحّة

المفردات وبساطة العبارات واناقة الجمل والبراعة في النظم والمهارة في ركوب أطراف البحور في ميدان الشعر كالطويل والبسيط والكامل والمتقارب ولا سيّما الرّجز وزد سحر القوافي وإيقاع المقاطيع .

إذا أعطاهم العرب كلّ الألوان من اللفظ والمنهاج تقريباً فإنّ الأدباء السنغاليين قد زادوه جودة لإدخالهم في القوافي كلمات وُلُفِيَّةٍ أو فُلَانِيَّةٍ كما فعل من جهة ابن المقداد والشيخ أحمد بَمْبَهْ والقاضي مَجَخَتْ كَلَ ومن جهة أخرى قد انصرفوا عن المنهاج الشعري القديم أي التشبيب والبكاء على الاطلال ووصف البيد والمدح أو الذمّ أو الإلحاح في طلب قضاء الحاجات فإنّ القاضي مَجَخَتْ كَلَ الذي يعتبر حامل لواء الشعر في دهره وتلميذه الشيخ أحمد بَمْبَهْ المعجز لم يستخدما قطّ هذا المنهاج الشعري القديم في قصائدهما .

ومهما كان من الأمر قد سبك الأدباء السّنِغَالِيُّونَ عبقريّتهم الخاصّة في قالب استعاروه من العرب .

ويمكن للشاعرين الخنذيذين نَعِني القاضي مَجَخَتْ كَلَ وذَا النُّونِ أن يمثلا السّنِغَالْ تمثيلاً أكمل في عكّاظ تحت رئاسة النابغة الذبيانيّ تحت قبّته الحمراء أمّا الكاتبان المفلقان مثل الشيخ مُوسَى كَمَرَا والشيخ محمد البشير أمْبَكْ فقد بلغا كلّ ما نتمناه من الكتّاب العرب الفحول .

وفي الحقيقة فإنّ الأدب العربي في السّنِغَالْ هذا لن ينام نجاحه السابق الذكر بل سيستأنف التحصيل على مآثره فنحن نتفاءل بمستقبله اللّامع لأنّ المسلمين في بلادنا هم تسعون في المائة من السّكّان . والإسلام لا يزال نشره مستمرّا ومن المعروف أن التعريب (أي الثقافة العربية) مرتبط بنشر الإسلام ارتباطاً شديداً وإن كان كل الصيد في جوف الفرا فلم يصد الحاج مَالِكْ سِهْ والشيخ أحمد بَمْبَهْ هذان الليثان مثلا كل الصيد في الغابة السّنِغَالِيَّةِ بل لا تزال هذه الغابة مكتظة بطرائد يمكن أن تصيدها أشبالهما التي تتجاوب الآجام صدى زئيرها وقد قال سفير سنغاليّ أديب حين قدّم أوراق اعتماده إلى الرئيس جمال عبد الناصر المغفور له : « من أهدى شبلا إلى الأسد أوفى إلى الأسد » .

وهناك كثير من الأدباء – وهم في ريّق عمرهم – على ثقة بأنّ آباءهم لم

يستوفوا جميع قوى الانتاج للعبقرية السنغالية في الأدب . والشيخ أحمد التجاني سِهْ والمصطفى آن مثلا قد صحّت عزيمتهما على أن يذهبا مذهب سابقيهما وأن يأتيا بلبنتيهما لتشييد الصرح الثقافي .

وقد كان قصدنا أن نثبت بأدلّة مادّيّة أن بلاد سَنْغُورْ تتمكّن من انجاب مائة شاعر يشابه الشيخ حامد آن التلري القائل مفتخراً ومتحدّيا :

يا غاديا تركب الأهوال والخطرا   وتقطع البيد كيما تدرك الوطرا
فبلّغن كلّ قحّ من بني زمني   أنّى توجّهت أنّي أشعر الشعرا

فكرنا في أنّ الزمان قد حان أن يؤلّف بعض الأمور في الأدب العربيّ السّنِغَاليّ الذي بقي نسياً منسيًّا حتّى يومنا هذا .

فهذه نصيحة ألقيها إلى باحثينا : تمنّيت لو كانت دراسة خاصّة جدّيّة لكلّ من شعرائنا وكتّابنا في السّنِغَالْ . فإن نجحنا في إثارة الباحثين لنقد مباحثنا أو تصحيحها أو توسيعها فذلك حسبنا فلله الحمد والشكر والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير الأنام .

بقلم
عَامَرْ صَمْبَ

مُلحَق

الحَاجُ أَحْمَدُ إبْرَاهِيمَ دَات

أمّا الحاجُّ أَحْمَدُ إبْرَاهِيمَ دَات في قرية (جُمْ جِيرِ) فهو شيخ الشيوخ الآن في ناحية فُوت طُورُ بل هو أمير الأدباء لهذه البقعة ومن المزايا التي يمتاز بها حسّه المنهجيّ – خصلة نادرة عند أقرانه – وبلاغته وكان ولا يزال معلّما ومدرساً ومدافعاً عن الإسلام وفي سنة ١٩٢٥م ألّف الحاج أحمد ابراهيم دَاتْ كتاباً عنوانه « كشف الغطا عمّا عليه اليعقوبية من الخطا » وهو ردّ على فرقة ذات بدع ومن قبل أمير مُورِيتَانِيَا الفرنسيّ نقله السيد محمدُ بَهْ في أتَارْ من العربية إلى الفرنسية فقال صاحبه إنه لقد تلقّى منه نسخة .

وفي سنة ١٩٤٩م كتب « مقنع الناظر والسامع في بيان جواز تعدّد الجامع » ولمّا قررت الحكومة السّنِغَالِيَّةُ أمر قانون عائليّ قدّم الحاج إبْرَاهِيمَ دَاتْ معروضاً على القانون العائليّ هذا في سنة ١٩٦٧م وبهذا الصدد ألّف أيضاً رسالة ردّ بها على بعض الاخوان الذين يقولون بتوريث ولد الزنى .

وفي كل عام أبان شهر رمضان ومنذ سنة ١٩٥١م يرتحل الحاج أحمد إبْرَاهِيمَ دَاتْ إلى دَكَارْ ليفسّر القرآن الكريم باللغة الفَلَانِيَّةِ . وهو أيضاً شاعر مفلق . ومن قصائده فهاكم هذه :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم . والسلام على رسول الله . وبعد ولمّا كان المدح في رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله من جملة ما ترجى بركاتها في الدين والدنيا بعثتنا المحبة الصادقة فيه إلى إنشاء هده القصيدة وغيرها اتباعاً لمن تقدمنا من مصالح الأمة والأحباب المادحين له صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه . وسميتها أي هذه القصيدة **تنوير الفؤاد في مدح خير العباد** :

عفت الديار بذي الطلوح لودي ذات المصيف لمية وسعاد
فتغيرت من بعدنا أعلامها تذري عليها الريح فضل رمادي
وأبادها حقب قديم عهدها ومن الليال تطاول الأعداد
عجنا بها فالعيس تمطوا بالضحى نحو الرّبا والنّو ذا الأوتادي
وقفا فنسأل أم نحس بنازل من حيها أو من يجيب لنادي
بل ويك نرقب ما نرى من معلم إلا أثافي ثلمت بسوادي
وظلنا نجيل الطرف في عرصاتها لم يلق فيها غير رأس عمادي
تبارى بها سرب المني بأعانة من كل أخنس آمن من عادي
وجرت بها ريح الجنوب ذيولها رقم الحصائر نمّقت لزبادي
وبتنا لدى تلك الرسوم فأوعأت طرفا خفياً يختفي لعبادي
تربي الشمال نسيمها في غيمها وطف تجود سحابة الأطوادي
تهمي على تلك المنازل يا لها من أربع كانت ربيع فؤادي
حتّي إذا ما أملأت فتمايلت ذات اليمين بصوبها لو هادي
فترى الفلاة كأنها من ماءها بحر طما من مّوجه بمدادي
شد النّهار لشدّنا برحالنا تنوي النّوى محكومة الاقتادي

باب
التخلّص إلى مدحه ، وذكر معجزاته
صلى الله عليه وسلم

بزل لها وشي الرسيم وساقها تلقاء يثرب حب خير عبادي
طه الشفيع لكل خائف زلة ولذي اللبانة واهب المرتادي
تباهي بطلعته العصور ويصطفي من طيب عن طيب الايجادي
يا أحمد القرشيّ يا خير الورى نور الهدى لحضارة وبوادي
يا سيد الرسل الكرام جميعهم من عهد آدم يجتبي ولعادي
حتى انتهى وقت الظهور لهاشم ولنور عبد الله ثمت بادي

بشرى لنا شهر الربيع أتا لنا · نوراً جلا رين القلوب الصّادي
بشرى لنا من شهر مولده الذي أزل الشّقا عنا وكل عنادي
كـم أعلمت بشرى الهواتف أنّنا نلنا المنى في ليلة الميـلادي
كـم من عجائب جمّة فتقاصرت أولو النّهى عن دركها بعدادي
والرّوم فاسأل ثمّ نوراً ساطعاً من صحن قيصر للقصور ونادي
منها إلى بصري لطيبة مكّة الغبـرا تضيء لها بطاح الوادي
والفرس والنيران ثم بحيرة أيوان كسرى صدّعت لمهادي
واسأل حليمة ما رأت من فضله تنبـك عنه بصحّة الأسنادي
انّ النبي الهاشمي محمّـدا سعد الأنام ومنتهى الاسعادي
قد شق منه القلب كي يحظى به سرّ له يمنى الأمين تفادي
وغمامة ظلّت وكم من دوحة تأتي اجابة دعوة للهادي
شقّ سطيح أخبرنا أنّـه حان الظهور لوقته المعتادي
الاحبار والرهبان تعلم أنّه في كتبهم لولا هم حسّادي
ضبّ الكدى ظبي الفلا قد أخبرا أنّ الرّسول لصادق المعادي
كم بركة تنمو بمسّ يمينه كم عـلّة برأت بغير نفادي

باب
جهاده إلى الله سبحانه وتعالى

تصديت للتقوى وقومك هجّع ما بين عابد حجرة وجمادي
وتبيت تتلوا فالقلوب بغفلة وكذا العيون بغفوة وسهادي
حتّى تمكّن لليقـين بربّكم سرّ الهدى من نوره الوقّادي

باب رسـالته

وآتـاك جبريل الأمين رسالة فاصدع فمن أمر العليّ الجوادي

باب الإسـراء

أسـرى من البيت الحرام بيقظة　　ليـلا ايليـا بأكـرم القـوّادي
منهـا إلى الملك الكـريم وقـربه　　من قـاب قوسـين الولي ينادي
لا تجهلن ماذا أتي من ليله　　طه الشفيع وأكرم الأفرادي
ناهيك بالسبع المثاني فضله　　ناهيك بالقرآن العظيم الهادي
ثم انثنا في ليله يأوي إلى　　أمّ القرى ولمعدن الأعيادي

باب
دعوته للمشركين إلى الله سبحانه وتعالى

دعوت والشرك القويّ بشوكة　　لله بالتوحيد ذي الإيجادي
ولقد صبرت على شدائد تبتغي　　وجه الإلٰه ورحمة لعبادي
حتى غدا الإسلام بعد مؤبدا　　بالذكر والسّيف الصقيل النجادي
لبّـاك من أقصى البلاد طوائف　　من كل هضب ينسلون ووادي

بـاب
إجابة الخلائق له ومدح صحابته
رضوان الله تعالى عنهم أجمعين

أفوجهـم تـأتي إليـك لبيعـة　　نقعا لرغبـة وجهـادي
من كل أروع باسل يعدو به　　حبّ الرّضا والصّافنات الجيادي
متقلّدا مثل الجمان بريقه　　وفرندة لا ينثني عن حادي
حلّ اليقين بقلبه لشغافه　　ويرى المنون هي المنى للزّادي
على الظبا نفوسهم تسيل من　　تقوى الإلٰه وحبّه لمعادي
عـلق الدّمـاء خضـابهم وأريجها　　يزري لهم مسك الغـزال بنادي

سيماهم بيض الوجوه ونورهم أثر السجود يبين من أحسادي
جازيهم حق اليقين بربّهم حبّ النبي ونصره لبلادي
حتّى إذا ما أثخنت وتوجّهت غاراتها الفتح المبين لوادي
مهنالك الدّين القويم بسنّة غرّا ولا يبلى لأجل فسادي

باب
توسل به إلى الله سبحانه وتعالى

يا خير من سرت الركاب لبابه تبغ المنى مفتوتة الأكبادي
يا سيّد السادات حبّك قادني للمدح فيك وقادني لرشادي
روحي إليك يحنّ في ظلم الهوى مختار فاكشف ظلمة الأضدادي
جئناك من أقصى المغارب نبتغي من جودك الفيّاض فيضة زادي
هذا يميني ترتجيك لنفحة مدّت إليك فتنثني بأيادي
نرجوا الهدى من فضلكم قهر العدى نرجوا النّدا كشف الرّدا يا هادي
لا تهملوني أنّني لطفيلكم وسمّيكم وخديمكم بودادي
ملكت يمينك للأنام خزائنا تعطي وتمنع ما تشا بمرادي
أرجو بكم نيل الوصول لربّنا نيل الشّهود وكشف كل سوادي
حاشا لقاصدك الرجوع بخيبة الأريحي إلى العطا وجوادي
فاخلع علينا من جمالك خلعة تشفي لما فينا بغلّة صادي
كي نقتفيك ونقتدي بك نرتقي نحو الإلـٰه بسلم الإرشادي
حتّى نرى متمكّنين بهديكم وبحبلكم متمسكّين بهادي
يا خير ممدوح وأفصح لهجة من ناطق بالظاء أو بالضادي
وبمدحكم أرجو بلوغ مراتب في الدّين والدّنيا ويوم حصادي
مدح الرسول ذخيرتي أرجو بها تخفيف نزع الرّوح حين حدادي
مدح الرسول ذخيرتي أرجو بها عند السّؤال اجابتي بسدادي
مدح الرسول ذخيرتي أرجو بها توسيع قبري واكتحال رقادي
مدح الرسول ذخيرتي أرجو بها عند الحساب لنيل كل مرادي

مدح الرسول ذخيرتي أرجو بها   عند الصّراط كلمعـة بقيادي
مدح الرسول ذخيرتي أرجو بها   عند الورود لحوضه بهوادي
مدح الرسول ذخيرتي أرجو بها   سكني الجنان جوار خير عبادي
ثق بالمنى مدّاح أحمد واغتبط   لا تخسَ قد وافيت باب جوادي
صلّا الإلـه عليك يا خير الورى   والآل والصحب الكرام النادي

بسم الله الرحمن الرحيم يقول الفقير إلى مولاه أحمـد بن ابراهيم نزيل بلدة جم غفر الله له ولوالديه جميع الزلات ولما كان حب أولياء الله تعالى والمدح فيهم من جملة الوسيلة التي أمر المولى بأدائها كما قال سبحانه وتعالى « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » .. الخ . مدحنا هذا الولي العظيم الكرامات الظاهرة والباطنة حين ذهبنا إلى فارس لزيارته كما طلبه منا السيد الكريم مقدم الزاوية المباركة السيد الحاج ادريس بن محمد بن العابد العراقي نفعنا الله ببركاتهم فنظمت هذه القصيدة :

خليلي هذي دار بيضاء فانعما   وعوجا إلى الأطلال منها وتمّما
عسى نسأل الركب يبدني هل غد   يؤمّـون داراً من بليـد فنعلما
نرحل بهم نزلا نفز بزيارة   إلى نسيب تجتني أحمد عيلما
إلى قطب أقطاب الوجود جميعهم   ومنبع أنوار الإلـه ومغنما
إلى مجمع البحرين بحر شريعة   وبحر به علم الحقيقة مفعما
دعانا إليك الحب والحال شاهد   وجنا به الآفاق نرجوك أينما
أتيناك من فيح المهامة رغبة   فكابـد بالأشـواق من كل حولما
وخضنا إليك البحر تعلم أنت هو   محيطاً على كل البحور معظّما
نحطّ لدى حامي الذمار رحالنا   لباناتنا تقـف بـه وتحتّما
بهمّتك العلياء نلت مراتب   به تصان الأوراق منها ونكتما
فأوسعت قدراً للأنام تفضلا   بنعمته المولى هباك فأنعما
أصارك سبلا للنّجاة لخلقه   وناهجها يحوي الوصول مسلما
لك البرزخ العالي على الخلق باطنا   تفيض على الأفـراد منـه مقسّما
وتملي من العلم المصود جواهرا   يجلّ بها أقدار من كان أعلما

هباته لا تخفى على ذي بصيرة ومن رام احصاء يعد وهو مفحما
كرامتك التقوى فتلك كرامة تدين بها الأغواث فذّا وتوأما
إلى السنَّة الغرّاء تدعوا مربيا مريديك يقصد يجدك متمّما
وتبدي علوما للورى متعذر لغيرك أن يبدي بها فما فما
تقرّب للأذهان فهم شوارد فلولاك لم يدرك لها العقل مفهما
قيادة أهل الله ألقيت إليك من يروم سلوكاً دون بابك إنّما
تعلّل بعدا بالسّراب لظنّه لدى القرب يلقيه يكون كمثل ما
زواياك فيها للأنام هدى كذا وزائرها يلفي بها الفيض ربّما
لدى بابها الميمون في كل ساعة من المبتغين الفضل وفد مكرّما
شعائر دين الله تبدو لزائر بساحتها ان حلّ صدقاً وحسبما
بها حلق للذكر تهدي لسالك إلى منهج التوفيق لن يتصرّما
ويتلى بها القرآن في كل غدوة ويجلو بها الأحزاب من كل مسلما
تربي القلوب القاسيات بسرّ ما أتاك من المولى الجليل فتلهما
تلين وتخشى للاله فتهتدي بها حلّه التوحيد تكمى وتبرما
وتنبع منها حكمة لمواهب تشنّف بالآذان منها وتنظما
جلا الدّين منا إذ وقفنا ببابكم مشاهدة الأنوار ممّا مكتّما
ومن يك محروماً فلا غرو ان يرى على صفة الأعراض منه مصمّما
ويا صاح صدّق تلق ما قلت واقعا ولا تعترض عن جانب الشيخ تفصما
فيا سيّدي التجاني شيخي وعمدتي وروحي وروحي قد أتيت ميمّما
جنابك أرجو كل ما أنت أهله من الفتح في الدّارين أحيا مسلّما
وكيتك العظمى وان عزّ نيلها لمثلي فإنّ القدر منك لأعظما
وفي القلب داء قد حجبنا لأجله فهل نظرة منكم إلينا تقدّما
فتكشف عنّا السّتر والفضل واسع نقيم بها في الوصل أكبر موسم
ترقّى بأرواح لنا مع أحبّة إلى ذروة العرفان منها تخيّما
وأجسادنا طبعا لجذب قلوبنا تخلى من التّقوى بأوفر ميسما
ومن يغتبا منكم ولا يك قاصرا فلا عجز إلا منه إن شاء أقسما
فيا رحمة المولى ونفحة جوده ومجمع أسباب النجاة وسلّما

وسيلة من يرجو الوصول لربّه ... على أي حـال جـاء طهراً منعّما
على العهد منكم ما بقيت وبيعتي ... لبيعة رضوان لكم لست أحرما
على سيد الهادي الشفيع محمّد ... صلاة وتسليم من الله تكرما
كذا الآل والأصحاب ما قال شاعر ... خليلي منه دار بيضاء فانعما

اللَّهُمَّ صلّ على سيدنا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحقّ بالحقّ والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقدره العظيم .

جِبْرْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنْجَلْ سِهْ

وُلِدَ جِبْرْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنْجَلْ سِهْ في قرية هَايْرى لَاوْ . وصار حافظاً القرآن وهو صبيّ ثم حصل على الاجازة وقبل أن يبلغ خمسا وعشرين سنة من عمره افتتن بترتيل الذكر الحكيم حتى ألّف كتاباً في القراءات المختلفة للقرآن كما نصّت عليها العادة . ولهذا الكتاب مائة صفحة وهو راسخ القدم في العربية وفي قول الشعر .

وإن كان محباً للتدريس فله قصائد متنوعة في أغراضها وعجيبة في معانيها . ومنها هذه القصائد :

شكوت إلى المولى وقد آن لي شكوى ... عدوّا على بيني وبين الذي أهوى
عدوّ على روحي اعتدى بعد صفوه ... فصبّره نفساً تصير إلى البلوى
عدوّ رمى روحي بأسهم بغيه ... فصرت على أسر الغواية والشهوى
عدوّ يزين الشر للروح دائما ... ويصرفه غدراً عن الجنة المأوى
فطوراً لشهوات النفوس يجيرني ... بكيد أخال المر أحلى من السلوى
وطوراً على الخيرات يصرف وجهتي ... ليقعدني عن درك مرتبتي القصوى
فليس سوى نفسي المهمة رجعتي ... تقود خطاياها على خالص عضو
فمن ذا يزيـل الغـل فضلاً بكفه ... أسير هوى نفس عرته عن التقوى
فمن ذا يخلصني عن النفس والدّنا ... فيختصّ بي روحي جهاراً وفي نجوى
فيلحقني بالقوم جذبا يعمني ... خشوع به أنجو من الشك والدعوى
فليس سوى ربّي رحيمن خالقي ... مغيث لمن يدعوه في حالة الشكوى

أيا سيدي مولاي خالق جثتي فجدلي بجال لا أطيق به لغوى
فبابي إلى ذاك الرحيم محمَّد نبي سما قدرا على كل ذي تقوى
عليه صلاة الله ما دام عاشق يذيع بمعشوق إلى قلبه آوى
حبيب شفيع الخلق قفلي وسلمي إلى نيل مقصودي وتقواي في الفتوى
أعنّي على حمل البلا واذاية من الخلق كالمحمول في ناقة أقوى
أبدني بسر أحرز الأذن حائزا من الله منهاجاً أربي بـه الأثـوى
أيا أحمد التجاني مركز حاجتي افض لي فيوضات تباعدني البلوى
فرم لي من المولى نجاة من اللظى برشد واخلاص ليلا بها أكوى
أنلني من المولى دوام جماعتي على سنة الهادي النبي الكامل الجدوى
أنلني واياهم من الرزق واسعا حلالاً بلا نصب من الخالق الصفوا
بكائي على أهل الـزمان محتّم لتبديلهم دينا بدنياهم العدوى
أراهم يظنون السراب بقيعة شراباً من الماء المزيل لهم شجو
أراهم يخون الأمور شنيعة يخالونها نفعا فصاروا لها تلوا
فلو أنهم ساقوا إلى الله نحبهم لجازوا به نفعا عظيما إلى المثوى
بل أني عى نفسي بكيت لأنني تحملت في ظهري ذنوبي من تعوى
فلا غيرنا يجزى بفعلى ولا أنا أجازى بفعل حازن الغير ذو تقوى
أيا سيدي جد لي بنظرة ذاتكم فإني بها في غاية الشوق والشهوى
إلهي فكن للعبد هذا ولا تكن عليه بمحض الفضل يا سامع النجوى
وسترا من المولى جميلا نرومه فسبحان ذي ستر على كل من أغوى
إلهي فجد ما قيل في هذه الشكوى لنسلي وأحبابي وكل ذوي تقوى
ومن كان للإسلام ينسب نفسه فسبحان من يمحو كبائرنا عفوا
عياني إلى حبَّ الإلـه شغافتي شكوت إلى المولى وقد آن لي شكوى
صلاة بلا حصر سلام بلا عد على أحمد الهادي أعاديه غزو
وآل وأصحاب كرام أولي التقى هداة الورى أصلاً إلى الجنة المأوى

وقال أيضاً زاده الله فيضاً :

أدهشني في أمره الزمـان بل هالني في شأنه الأحيان

إذ مالت النفوس للفلوس ... في عصرنا هذا عن الدروس
فكل من في زمن التعلم ... صار يهرول إلى التنعم
وكل من فرغ من تعلم ... لا يعبأ التعليم بل بدرهم
فهذه خسارة عظيمه ... للدّين بل وبالها عميمه
إذ انسحاب الدّين في تعليم ... أولادنا الأديان والتفهيم
فالدين يندرس ثم ينقطع ... بترك تعليم فعه يا مستمع
متى رأيت مثل ما رأيت ... من أهل عصرك فقل خشيت
إذا انجلى غبار هذه الدنا ... ترى فقيراً عالماً حاز الهنا
فعند ذا تقرع سن النّدم ... لما غفلت تارك التعلم
فالعلم إن حزت به فاعمل ... به بأدب وورع فانتبل
نتيجة العلم تقود للتقى ... كما يقود الجهل شخصاً للشقا
أعاذنا الله من الشقاء ... بجاه خير خير الأنبياء
محمّد صلى عليه الله ... ما دام يبكي الخاشع الأوه
وآله والصحب انجم الهدى ... القائدي الأمّة للفوز غدا

وقال أيضاً زاده الله فيضاً :

لقد صار قلبي للفراق عليل ... فصار ببعد الحبّ وهو ذهول
برى الجسم مني البعد عن حرم النبي ... فحرت كفقدان الوليد يهول
ألا ليتني حزت الثبات بقربكم ... فيسرى إلينا منك طيب أصيل
فراقي رسول الله أضنى جوارحي ... شواها إلى الاماق حيث تسبل
فعدّ فراقي عن مساجد حبّنا ... سقوطا وقرب منه ربح جليل
تميست يوم الظعن عن حرم النبي ... بأن قمت دابا حيث قام رسول
نهضت ونار الشوق تحرق باطني ... فدمعي على حزن الفراق دليل
فهذا وداعي منك ابكي معاصيا ... إذا حان يوم البحث أنت كفيل
فكن لي شفيعاً يوم موتي وعرضيا ... لأني على حمل الذنوب ذليل
فكن شافعاً في أصدقائي ورفقتي ... وتقبل بالأعمال منا نبيل
نروم من المولى الكريم بجاهكم ... قبولا بعام الشمس زل خليل

على كل حاج من مطيع ومفسد مناسك هذا العام قصدي طويل
فكن لي على كل الأمور مؤيدا بنورك يا حبي فنوري قليل
فلا بعد جسمي منك يبعد روحنا على كل حال أنت مني كفيل
أيا أحمد المختار خاتم الأنبيا أعنّي على النهج القويم سبيل

وقال أيضاً زاده الله فيضاً :

بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين . هذه قصيدة قالها أسير حوبه ورهين كسبه عبيد الله الفقير الراجي رحمة مولاه القدير ابراهيم ابن السيد باب جعله الله ممن سلكوا مسالك الصواب آمين التجاني الهَايْرِي في حق قطب زمانه المتصدر بتربية المريدين في أوانه الحاج عبد العزيز ابن الحاج مَالِكْ سِهْ التِوَاوُونِي رضي الله عنهما ونفعنا بهما آمين :

جاد الزمان ولم يكن بجواد إن جاد عبد العزّ للإرشاد
أعني به ابن الحاج مالك في توا وون به نال الفتى بمراد
بدر سرى في ليل نفس مظلم فانسل ذاك الظلم عن أجساد
شدّوا رحال النوق في طلب المنى من ربنا عن سيد الأوتاد
كونوا كمثل ميت في موضع لا عنده أرب إلى الآباد
فتقيدوا بإشارة من ذا الولي وامحوا بماء الصدق رين فؤاد
تحظوا بما التمسوه مسهلا لوقوفكم بباب خير عباد
حاش المؤمل بابه متعفرا في تربه خدا فخاب مراد
قد خاب عن مسعاه من رام العلى من غير اتيان لباب الهاد
قد قال مولانا الجليل مبينا وأتوا البيوت أمعشر العباد
فبقفل هذا الباب افتحت المنى فالله يعلم ما يكن فؤادي
ربي به اجعل يوم موتي موسما كالعيد بل من أكبر الأعياد
قدني بهمّتك العلية مبدلا حالي بأعلى الحال للأفراد
خصصت من بين الورى تربية عن قطبنا المكتوم بالأبـاد
من ذاك انكر لا يلام بقوله إذ سنة جالت على الأحاد

هاكم عبيداً غارقاً في ذنبه		فكّوه بالعطفات من انكاد
ذاتي حديد صيرته بهمّـة		ذهبا به اسمو على الأوتاد
لا ارتجي فيضا سوى من عينكم		لا غيركم يأتي لنا بمرادي
لا ابتغي شيخاً يواصلني إلى		ربي سوى ما حاز منك فؤادي
من سر مولانا الكريم تكرما		حذ بالنا جدني به أعمادي
صلى الإلٰه على النبي وآلـه		مع صحبه سادوا على الأوغاد
ما دام معشوق يذيع بقصده		جاد الزمان ولم يكن بجواد

وقال أيضاً زاده الله فيضاً في مسألة جلية شاهدة للقرآن فضلاً عظيما نظمها تيسير اللفظ باختصار :

قال عطاء ابن أبي رباح		جعلنا المولى أولي الفلاح
قد كان عند سالف الأزمان		شخص الذنوب مفسد البلدان
فمـات ثـم أنّـه رآه		سأله عن أمره العطاه
فقال انّي قد عصيت ربّي		رمز فد من السني حبّـي
لكنني حضرت في حيـاني		تقسيم أجر مقرئ الآيات
ثم دفعت قدر كاف درهما		في عون أجر المقرئ المكرما
فقال لي ربي بعد موتي		غفرت ما عصيت فاسمع صوتي
لأنـني علمت قـد بـذلت		عشرين درهما فما بخلت
لأجل وجهي الكريم الباقي		مصور الأكوان والأخـلاق
فانظر أخي فضل قرآن العظيم		دخول عاص مفسد دار النعيم
عليك يا بني بالقـرآن		دوم الحياة فزت بالريحان
جعلنا المولى أولي الآيـات		العـارفين سابق الخـيرات

وقال أيضاً زاده الله فيضاً حين زار السيدين العارفين بالله الحاج مالك ابن السيد عُثْمَانْ وابنه الحاج مُحَمَّدْ الْمَنْصُورْ سِهْ وكان في قلبه ما لا يعد ولا يحصى من الحاجات الدينية والروحية والدنيوية والجسمية فقال طالباً من فضل الله حصولها ومتوسلاً بهما رضي الله تعالى عنهما وارضاه ، وعنّا بهما آمين :

زر ذا الضريح ولو شطت بكم داره		بعد التحية يغش القلب أنواره

زر ذا الضريح بأدب تلائمه ... يفض عليكم بفضل الله أسراره
يا صاحب القبر يا من حجب زائره ... تنسل في الحين وقت الزور استارة
كم زائر قبركم في حاجة قضيت ... أو زائر خائف فانزاح أضراره
كم آسف زاركم في ضعف علته ... اشكيتموه فزالت عنه أشراره
كم طالب المرء مأسوفا بكربته ... ابرأتموه ففاضت فيه انهاره
كم طالب الفتح أو وصل فزاركم ... أظفرتموه مرادا بان آثاره
قد جاءكم زائر في حاجة عظمت ... إن لم تكن شافعاً لم تقض أوطاره
حاشاكم زائر يأتيك مرتجيا ... في حسن ظن فغاضت فيك آباره
إني لأرجو بأن تقضي حوائجنا ... قبل انصرافي عن ما لاح أنواره

* * *

الْحَاجُّ سَعِيدُ أَلْفَا مُحَمَّدُ دمْ

وإن أقام أهل الحاج سَعِيدُ بن أَلْفَا محمَّد دمْ في قرية كَنيلْ فكانت قرية فُوم هَارى مسقط رأسه . فقد ارتحل إلى جوار ربّه الأعلى حوالى سنة ١٩٣٥م في طريق رجوعه إلى وطنه السّنِغَالْ بعد حجّه إلى بيت الله الحرام وزيارته سيد الأنام عليه الصلاة والسلام . وعليه قرأ النحو السيد الحاج محمّد سعيد شيخ الإسلام في « مدينة كناس » وهي قرية في السنغال ومن قصائده هذه القصيدة التي مدح بها الخليفة أبا بكر سه ابن الحاج مالك سه قدّس الله سرّيهما ونفعنا ببركاتهما :

سلام كعرف المسك أو لذّة السكر ... إلى سيّدي حبّي الخليفة بابكر
فتى همّه سوق الأنام إلى الهدى ... فرادى ومثنى فيه ما آب حبوكر
فتى عاف أن يبغي سوى الله ربّه ... ولا ينثني لمن إلى غيره ابتكر
تناول مجداً واقتدى والداً به ... بإرشاد من إلى معارفه عتكر
مسافة سير شفها الشيخ بابكر ... يضلّ بمهماها الدليل وقد نكر
تجاوزها في اليوم لو كان غيره ... لأفنى بها عمرا وما خامر الفكر
تجاوزها لا ضمّ لحم مدسّم ... بمالح خبز لا شراب من السّكر
وليس بوضع التّاج فوق عمامة ... على رأسه يميس من بعد ما انتكر

وليس بجلباب من الخزّ أبيض ... يروح به من للمراح قد اسبكر
وليس بجمع الشاة والخيل والبقر ... بمربضها تغدو ولا الدثر والعكر
ولا وضع صفر خالص ضمن صرّة ... ولا جمع بيض كيسها الدّهر محتكر
ولكن بذكر ذي حضور وهمّة ... بنية وجه الله ذي العرش والفكر
وجوع وصمت واعتزال تفكّر ... بعقباه هل بعد القصور له هكر
جهاد يؤدي عن طعان وضربة الـ ... حسام بكفّ البطل بعد الفرار كرّ
رباط يؤدّى عن مبيت بثغرة ... بصحراء فيها طائر قط ما اتكر
ولكن بطعن النّفس رائم قتلها ... باخراجها من مالف صار كالوكر
وربط لعين عن تفنّن مكره ... على رغمه ردّا عليه بما مكر
ذرى المجد يعلوها سديد مسوّد ... يشدّ أزار الليل محقود هيدكر
ذرى المجد يعلوها خميص منحّل ... سليم فؤاد بل سليم إذا ادّكر
ذرى المجد يعلوها ابن أمّ كريمة ... يروح ويغدو للإلـٰه كبا بكر
يقوم طويلا ثم يركع ساجداً ... يهمهم في جنح الظّلام كمن سكر
جعلنا وايه من أهل ولاية ... ومن نعم المولى لهم ضرعها اشتكر
وسوّد ذي الأبيات هام بحبّه ... سعيد بن الفا من لمولى له شكر
مريد ابن مختار أتاك بفيضه ... فأحبب به من واند بعد من ذكر
وقد قصد الأضاب مدح بابكر ... وقد صدّه عن ذاك قلّة باب كر
لزوم بما لا يلزم انّ بابه ... لصعب على الشعراء مساك مدّكر
ولولاهما لصيّر الوكر لفظ كر ... يهيم به غاد وراح يروم كر
بعيد ديار مستضيف وملتج ... إلى الله مولاه وثم لبا بكر
أتاك على سوق وصدق محبّة ... يكرّ جياد المدح بقصد بابكر
فبلّغ سميّي نجل نور رسالة ... ترى أنّ مهر البكر بضمنه الذّكر
وصل على الهادي النبي وآله ... إلهي وعمّ المسلمين بستر [illegible]

• • •

الشَّيْخُ أَحْمَدُ جَاكْ الدَّكَنِيُّ

وُلِدَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ جَاكْ في مدينة دَكَنْ سنة ١٨٩٦م وتوفي بها في الثامن من شهر أيّار لعام ١٩٧٣م وقد كان قاضياً ومعلّما للفنون الإسلامية في مسقط رأسه وهو الذي خط بيده أجوبة للحاج عبد الله انْجَاسْ الكَوْلَخِيِّ على أسئلة تتعلّق بعلم الكلام ، وبالطريقة التجانية وسمّاها « بالأجوبة الجَسِّينِيَّةِ في الرحلة الجوكيّة » .

وكان ايضاً شاعراً فهاكم بعض أشعاره :

قصيدة نظمتها حين توجهت إلى بِرْكِلَانْ وكَنْكَلْ الأحد ثالث محرم ١٣٦٢هـ :

حرجت بيتي إلى من لا شريك له	يارب فاجعل إلى الخيرات من خرجا
غادرت داري وأهلي والجيران كذا	نغادر قدر الخيرات للهمجا
قد كان خلفي امامي والمكان كذا	مستودعاً حافظ الجرباء والبرجا
وأسأل الله ربّي لا شريك له	هداية الدين دابا دون ما عوجا
نعوذ بالله من عوز لنا أبدا	من بعد كون على الخيرات والحرجا
بجاه خير عباد الله أكثرهم	خير وصل عليه آله البرجا

وقال أيضاً . لخله بابكر جوك عام برق صش :

نعم الفتى فجئت به أجونه	نعم الفتي لولا الحمام بعمّم
سهل القياد إذا حللت ببابه	طلق اليدين مؤدب الخدام
وإذا رأيت صديقه وشقيقه	لم تدر أيهما دوو الأرحام

الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمٰنْ صَلْ بنْ اَلْفَا البَنَاجِيُّ

وُلد الشيخ عبد الرحمن صلّ في بَنَاجِ (فتحة الباء والنون وكسرة الجيم) سنة ١٩٠١م حيث قرأ القرآن الكريم وأخذ العلوم والفنون أوّلاً عن جرن التلّري الكجلنيّ . وثانياً عن جرن حمّى بابا الجلنيّ الذي كان يعدّ حتى يومنا هذا من الأدباء الكبار في فوت طور .

ولم يلبث أن بدأ يعلم ويدرّس شأن أقرانه فكتب قصائد في العربية وفي
نيّة . ومن مؤلفاته أرجوزة موسومة بـ « بيان ما قرأت من الأشياخ حين دخلت
سنة السابعة) وقصة رحلته إلى الحج في عام ١٣٧٢ هـ وقد ألّف هذه الرحلة
لفلانية أيضاً ومن آثاره أيضاً قصيدة ذكر فيها بالفلانية أركان الإسلام
ن قريبة الأخذ عند من لا يعرف العربية وله أيضاً مرثيات وأدعية نظما .
الآن يتولّى الشيخ عبد الرحمٰن مباشرة تعليم جميع الفنون الإسلامية في
د رأسه حيث يفد إليه من كلّ النواحي . وله شهرة كبيرة في الفقه في كافة
طات الثقافية بفوت طور .

بسم الله الرحمٰن الرحيم وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم
قصيدة نظمها الفقير إلى الله تعالى المعترف بكثرة حوبه وخطاياه الراجي
مولاه عبد الرحمٰن بن الفا عبد الله الفوتي بلدا البناجي مسكنا المالكي
التجاني طريقة يتحدّث بنعمة ربّه عليه استعمالا لقوله جلّ وعلا « وأمّا
ربّك فحدث » فقد عرضتها على أبناء الزمان ليحرفوا ويصححوا من كل
من الخطأ والنسيان فيتأمل أمثالي قبل التحريف أو التبديل ومن كان من
البصيرة النافذة فوضت الأمر على يديه إذا فقد علمنا فناً من الفنون وبالله
ن وعليه التكلان ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

ن ما أقول بسم الله	والحمد والشكر معاً لله
الصلاة والسلام كل حين	على الرّسول المصطفى نعم الأمين
ـه الغرّ الكرام البررة	المصطفى سادة وخيره
ـحم بالسيد الإمام مالك	دليلنا لأحسن المسالك
ضي الله عن الولي	قطب الزمان أحمد المرضي
منا وشيخنا التجاني	من ينتمي للسيّد العدناني
بد ذا فإن بعض الإخوان	طلب مني شكر ربّ منان
يرى علي من أنعامه	وفضله جلّ وامتنانه
ـه بشكر رب العالمين	إذ حمد ربّي واجب في كل حين
ـه خلقني سواني	ما شاءه في صورة عدّلني

أبي وأمي يماثلان في النسب — والفخر والدين كذاك والحسب
أمّي كريمة عفيفة ترى — طاهرة ماجدة بلا مرا
ان أبي لصالح نعم الأب — فإنه لكل خير ينسب
فعابد وعالم وعامل — فصدق قولي ثابت لا يجهل
فقائم الليل وصائم النهار — يتلوا كتاب الله دون الانكار
مقدم مبارك مشتهر — بالعدل والاحسان ذاك ظاهر
مناصب الرجال قد حواها — وذكره الجميل ليس ينتهى
فالحمد لله على ما أولى — والشكر لله ونعم المولى
أقول ما أقول لم أفتخر — ولا بتعريض على أحد در
بل ذاك جائز بنص آية — لقوله جلّ فحدث نعمتي
وبحديث المصطفى بلا ريب — أنا النبي العربي لا كذب

بيان من قرأت عليه من الأشياخ حين دخلت في السنة السابعة كما هو العادة غالباً عندنا .

أول من علمني الحروفا — أبي وشيخي إنه لذو وف
وأحرف الهجا مع الأشكال — فهمتها في العشر سنين
ثم تشمرت إلى التعلم — عند أبي المذكور ذاك نعم
حتى انتهيت سورة الكهف المتين — وجاء شيخي سيدي سرى مدين
جعلني أبي على يديه — مفوضاً أموري لديه
صحبت معه مدة من السنين — ثلاثة لا غيرها على اليقين
فصرت حافظاً كتاب الله — في دار سيدي ولي الله
خاديم خير الخلق أحمد بما — كان يجافي عن فراش جنبا
وبعد ذا سلمني إلى أبي — مبشراً له بحسن الأدب
بحضرة الملإ قد دعا لي — بحسن حالي ونيل الآمال
نعم المؤدب الأديب القاري — أحماده أكرم به من ساري
علامة العام الذي حفظت — شهر الصيام عام أرز قلت
بعد انتها درسي أشارني إلى — شيخ الشيوخ سيرن بل ذي العلا

ثم ائتمرت أمره إلى كنيل   لصاحب التجويد شيخي سيرن بل
وذاك عام عندنا قد يدرى   خلافة السيد يحيى ابرا
مكثت عند الشيخ حولا كاملا   وفزت بالمطلوب فيما نقلا
وبعد ذا عزمت أن أصرفا   عنان نيتي إلى خير الشفا
فقه وتصريف بديع وبيان   علم المعاني منطق مع اللسان
شرعت في قراءة الرساله   عند فقيه عابدٍ ذي الطاعة
أعني بذاك أحمد المختار   يدري بشيخ عالم الأسرار
ثم قصدت عالم الزمان   فريد عصره بذا الأوان
يدعي سيرن حيق عبد الله   مشتهر بالفقـه كن لله
إقامتي عند رئيس القوم   عامان كاملان دون لوم
وعند ذاك بان عالم الفنون   مرشدنا منقذنا من الجنون
شيخي محمد باب نور الله   في أرضه قائدنا الأواه
أكرم به من مرشد مؤدب   معـلّم مـدرس مصـوب
مقيم دين الله حين لا أحد   يأمر بالمعروف خوفا للصمد
أدبـه وعـدله سيـان   وعلمـه وجـوده مثـلان
وحلمـه بينه قد زان   سخاؤه وصبره قد صانا
فـريد عصر عـارف ربـاني   وحيـد دهـر عـالم السودان
بث فنون العلم في الصدور   وشاع فضله مدى الدّهور
وحين لاقيت بهذا البحر   أمواجه لـكل واد يجري
حططّت عنده رحال العزم   إذ قيـل إنّـه دليـل العلم
ومدة المقام عند الفطن   أربعة الأعوام دون مين
قد زانني علوم هذا البحر   آدابه قد صانني من شر
وحبب الناس إلي أجمعين   لما رأوا من سرّ ربّ العالمين
حتي شريف القوم قد دعاني   إلى زواج بنته كفاني
وصرت محبوباً لدى الفضلاء   وجملة الـكرام والعقـلاء
والحمد لله على ذي النعمة   ذي الفضل والإحسان والكرامة
وبعد ما فزت ببعض البغية   ودعت ذا الشيخ إلى الأحبة

تعريف ذاك العام عند فوتا　　فعام مولد النبي لا فوتا
قدمني ذا الشيخ في الطريقة　　لقطب الأولياء ذوي الحقيقة
ممـدنـا وشيخنـا التجـاني　　أوراده منقـذة للجـاني
أمرني بـاذنهـا للنّـاس　　وقـاهم الله من الخنّاس
فصرت أعطيها لمن أرادا　　من كل مسلم أتي وقصدا
وكنت مقصوداً من النواحي　　من طالبي علم وورد صاحي
سلسلتي من جنب هذا البحر　　فاسمعه حقاً بعد هذا الشطر
جدد لي في الورد والوظيفه　　قـومني محمّد بن بـابـه
لقنـه محمّـد المختـار　　وصيته مشت بـه الأخبار
لقن ذاك أحمد بن طاهر　　ملاذنا في باطن وظاهر
لقنه ذو الفضل والعرفان　　ابن الإمام السّالك الودّاني
عن صاحب الورد هو التجاني　　عليه دأئماً رضى الرحمان
ثم أبي وسيدي قدمني　　مطلق تقديم بـه قد زادني
سلسلتي من جنب هذا العلم　　عن شيخنا الصّافي محمّد عالم
عن شيخه الأوّاه براهيم　　كن صانجاً ولا تكن ذميما
عن شيخه أحمد بن محمّد　　الحافظ الدّين الكريم السيد
عن شيخه الجمد ونعم الرجال　　عن شيخه الجافظ وهو الفحل
قطب الأولياء وهو أحمد　　عليه دأئماً رضي مسرمد
وثالث الأشيـاخ للطريقـه　　ذوي الهدى والعلم والإنابة
الحاج محمود الذي قد زارا　　وطاف بيت الله قل مرارا
شيخه سكيرج ذي المـادي　　عن عبد لاوي مثث العمادي
عن شيخه علي التماسيني　　عن قطب خلق الله نور الدين
عليه دأئما رضى المنـان　　حل عن الأمثال والأقـران
وموت والد الكريم يا فطين　　في عام زمسش لهجرة تبين
يعرف للغير تميل نيفسه　　ثم بونتويت روى فـرانسه
يا ثلمة الدين ويانقصانا　　إذ فقد الهداة يا خسرانا
ورّثت سرّ والدي ذي الفضل　　والليث يسري سرّه للشبل

وبعد موته بثاني العـام نكحت بنت الشرفا الكرام
ومكث هذه الدرة المخزونه عندي من السنين خذ بيانه
عامان ثم نقلت للآخره ورحمة الله عليها واسعه
أتممت ما أردت من تاريخ موت الأجل والدي وشيخي
قد مات شيخ العلم جمّى بابه في عام هنسش فخذ صوابه
ترانت سيس بعد ميل نيفسه يقوله النصران هم فراسه
وحين جاءنا وفاة السيد قد جاءنا النقصان كل مقصد
من للضيوف والمساكين ومن يشكو إليه غيره طول الزمن
والعلم قد غاب كذاك العدل والحلم والصبر كذاك العمل
يحيي الليالي خوف ربّه الكريم يقيم سنة النبي خير الأنيم
يا قبر شيخنا حويت النورا ضممت عدلا واسعاً منشورا
سدوا غدا من أحسن القبور إذ ضم شيخنا مع البدور
من جملة الكرام دار الشرفا من آل بيت الأنبيا أهل الوفا
عليهم الرحمة والرضوان آمين يا حنـان يا منـان
كأنّ شيخنا محمَّد بابه من جملة الأحياء في الإفاده
هنا انتهى الرثاء وننصرف لذكر فضل ربّنا ذي الشرف
علم المعاني والبديع والبيان قرأتها على البديع للزمان
وسيبويه التـلّريّ أحمـد ابن أبي بكر فقيه ابـد
علمـني المنطـق والأصـولا قد أكسبا الرفعة والوصولا
بحـرمة القـرآن والعـلوم أكرمني الله لـدى العمـوم
للأجل ذا حسدني من حسدا وذاك لا يزيد الا سؤددا
إن كان خلق الله طرّا قد قفوا في جادة الطريق والنمل أبوا
وذلك الطريق لا يخفيهـا أبـاء نمـلة دخولا فيها
ابن جملة الكرام قد أحبني وجملة اللئام قد حسدني
وذاك لا يضر شيئاً لا ولا ينقصني ممّا حباني ذو العلا
يا حاسدي أما ترى ما ظهرا من حسن آداب لدينا وجرى
حسدتني من غير شيء يوجب لم اك مؤذيا يكون السبب

إن كان لا يرضيك إلا الجسد وذاك للفضل علي شاهد
إذا بنى الله بناء شاءه وشاده والخلق يهدمه
هل يقدر المخلوق أن يهدموا ما فعل المولى القدير الأعظم
فاحكم بكفرهم إذا أجابوا قول نعم إذا فلن يثابوا
يا جملة الجساد أهل التلبيس قد غركم به جنود ابليس
يا حسّدي هل فيكم من ينظم قلائد الدرّ إذا فليرسم
إن ساءكم مما ذكرت باللسان فالعفو والعفو وإلا فالبيان
يا جملة الإسلام يا أهل العصر نصيحة لكم بحق قد ظهر
فاجتهدوا في طاعة الرحمان وطاعة الرسول ذي الإيمان
وديننا في غاية الضعف وفي وهن عظيم فادح للدنف
هلا تداووه بحسن التوبة وذاك اقلاع وعقد النية
وطهروا نفوسكم من الدرن لا تشركوا بالله ربي والوثن
واخلصوا نياتكم لله وبينكم وبين خلق الله
ثم الصلاة والسلام تترى على نبي بان في أم القرى
وآله وصحبه الكرام وتابعيهم إلى ختامه

سبحان ربك رب العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وله أيضاً :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلم . وقال عبد الرحمن الفا من بلادته ما خفا قربه الله إليه زلفا في بحر البسيط يستغفر ذنوبه لما صعدت أنفاسه وتتابعت زفراته لكثرة حوبه وخطاياه :

أستغفر الله من صغري إلى كبري أستغفر الله من فعل الخطيئات
أستغفر الله ممّا قدمته يدي من فعل ذنب عظيم ذي مصيبات
أستغفر الله من قول ومن عمل عمداً وخطأ ونسيانا وغفلات
أستغفر الله من ظلم ظلمت به علماً وجهلاً مضراً للخليقات
أستغفر الله من أكل الحرام ومن شرابه وكذا فسق بشهوات

أستغفر الله من لبس لبست ومن … خيل ركبت به من غير مرضات
أستغفر الله من نظر نظرت ومن … سمع سمعت ومن نطق القبيحات
أستغفر الله من لحن لحنت به … كتاب ربّي من دون القراءات
أستغفر الله من حق علي وما … أدّيتــه لمــوالٍ ثم زوجــات
وللبنــين وللخــدّام قــاطبــة … وللدّواب وجـيران كريمـات
وللتلاميذ طلّاب العلوم وللا … جميع يا ربّنا غفار زلات
دأبت دوماً على فعل الذنوب ولم … أتب إلى مالكي رب البريات
بارزت ربي بذنب موجب تلفا … يا ويح نفسي في تيه الضلالات
وقد بدا لي أن النفس مهلكة … لربها جبر حقا دون ريبات
وكنت لا أبتغي حاجا ولا هَمما … إلا الرجوع لعلام الخفيات
وصرت حيران ذا وقف وذا حزن … أين الطريق إلى رب السماوات
يا نفس مالك لا ترجعين إلى … رب البرية من قبل البديهات
يا نفس خافي إلهاً واحداً صمدا … براً رؤوفا رحيما ذا الفضيلات
يا نفس فاتعظي بالموت واذكري … ما بعده من عذاب ذي مضرات
فالضيق والدود والظلمات أوذا … سؤال منكر شيء بعده يأتي
والبعث لا بدّ ثم الحشر جامعة … حساب ربي صراط ذاك خطراتي
والوزن حق وعدل لا محال له … فالمسلمون غدا في دار جنّات
والكافرون لفي نار مسعرة … فيها لهيب وحيات عظيمات
إن الذنوب وان أربت وان عظمت … في جنب عفوك يارب المشيئات
كقبضة من دقيق الترب ذرّ على … بحر المحيط ولا يبقى البقيات
لولا الرحيم الذي قد قال تبشرة … في قوله جل عن كيف وحالات
ورحمتي سبقت بل رحمتي وسعت … ما في الأراضي وما فوق السماوات
لكنت ذا قنط من رحمة أبدا … انى لئيم غريق في الغبابات
وبائس هالك في القيد محتبس … وهان عريان من فعل الحسنات
قصدت بابك يا رب البرية يا … جميل ستار يا مجلي الكروبات
أنت الكريم وبابك رب منفتح … للطالبين وباؤوا بالسلامات
قد قر عيني وطار الحزن والكرب … لما تذكرت حبي خير سادات

محمَّد المصطفى المختار خير نبي | شفيع كل الورى معطي الرغيبات
أصل الوجود وخير الخلق أجمعهم | بدر رسول إمام ذو كرامات
فاق النبئين في خلق وفي خلق | ولم يساووه في فعل الحميدات
فاق النبئين في جـود وفي كرم | ولم يدانوه في فعل الضيافات
وكيف لا أمدح المختار من مضر | وخير عدنان ماح كل حويات
والذيب والضب قد قرّا رسالته | كل الوحوش وأنواع الجمادات
والفيض من يده والبسط عادته | إذ كان يعطي عطيات جسميات
لولاه لولاه لولا سيدي سندي | ما كان ايجاد شيء في الدجنات
عليه والآل ثم الصحب جملتهم | صلاة ربي جزاهم خير خيرات

سبحان ربك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين

والحمد لله ربّ العالمين

وله أيضاً :

فهذه مرثية أنشأها الفقير إلى رحمة ربه المنان الحاج عبد الرحمن بن نف هم عبد الله يرثي بها الشيخ العارف بالله الجامع بين الحقيقة والشريعة سعيد بن نف محمّد المشتهر بسيرن سعيد شعراء . حين مات في رجوعه من الحج في بلد أندرمان عليه رحمة الرّحمان في بحر الوافر فقال :

فإن قالوا سعيد غاب عنا | فلا عجب بسنة الاولينـا
أو إن قالوا سعيد مات عنّا | فحق مات خير العالمينا
كذا الأصحاب والأشياخ طرّا | وحل الناس صاروا غابرينا
فإن قالوا سعيدا صار ميتا | فحق مات علم الآخرينا
فإن قالوا سعيد لا يلاقي | بدنيـات فحـزن سامعينـا
ولو كان الفداء يفي فدينا | بالانفس والموالي أجمعينا
ولا كنا علمنا الموت يأبي | فـداء الكـرام الصـالحينا
فإن الموت بات لكل حي | جميع الناس يدخله يقينا
فإن نعق الغراب بموت شيخي | فلا نعم الغراب بمنعمينا

فإن صدق المقال فلا حياة　　بحلو بعده للمسلمينا
وأعيننا بفقد البحر رمد　　وألسننا بذكر الذاكرينا
ومن للضيف والفقراء كلا　　ومن للقادمين السائلينا
ومن للوارد المحتاج علما　　وأسراراً وأنواراً مبينا
وعمر الشيخ طرا محض نفع　　لطالبه كذا للمؤمنينا
كذاك وفاته حزن وغم　　بعكس حياته للمهتدينا
فإن الشيخ بحر بل محيط　　جداوله بحور الخائضينا
وللشيخ الكريم تمام أجر　　بحجته وزورته الذين
زيارتهم فلاح ثم غنم　　وكنز ثم ربح الرابحينا
لقد شهد المناسك واستنار　　بنور الحب خير العالمينا
وبعد تمام حج وازديار　　رجعت من الحجاز إلى البنينا
فعند وصولك (اندرمان) قالوا　　سعيد لاحق بالأولينا
رضينا فعل جبار رحيم　　إلهي أنت خير الراحمينا
إلهي فارحمن عبدا سعيدا　　منيبا راكعاً مع ركعينا
إلهي فاسترن ستراً جميلا　　سعيداً ساجداً مع سجدينا
إلهي فاغفرن له خطايا　　كذا للمؤمنين الخاطئينا
فإن قالوا سعيد غاب عنا　　حمدنا الله حمد الشاكرينا

هذه المرثية المباركة

وصلى الله على سيدنا محمّد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

وللشيخ الحاج عبد الرحمٰن الفا أيضا في بحر البسيط مرثية للفقيه المذكور حيرن سعيد بن الفا محمّد رحمة الله عليه .

نعيتم العلم والأسرار والجودا　　كذا العبادة والقرآن مشهودا
تمام عقل وحلم والنصيحة إذ　　ما قيل إن سعيداً صار مفقودا
من للضيوف ومن للمرسلين ومن　　للسائلين إذا ما الخلف موجودا
يا ثملة الدين يا خسران أنفسنا　　إذ كان نبراسنا في الترب ملحودا
أهل السماوات والأرضين جملتها　　بكوا على فقد بحر كان مورودا

ابكي عليه بكاء الحب يا أسفي على الحبيب الذي ما زال مقصودا
أحبتي انكم حق البكاء لكم بشيخكم أمره لله مردودا
فابكوا عليه بكاء لا نفاد له وكلنا بعده للحزن مطرودا
متى تذكرت فضل الله جلّ على عبيده حيث فاق البيض والسودا
أفجر الدمع من عين قد امتلأت من الدموع انصبابا كان مسرودا
فالله يرحمه دوما وينقذه هول القيامة فزعا كان موعودا
إذ قال ناعي سعيد صار مفقودا نعيتم العلم والأسرار والجودا

اللّهمّ صلّ على سيّدنا محمّد النّبي الأميّ
وعلى آله وصحبه وسلّم

وقال أيضاً يشتكي إلى الله الشفاء بمرض أصابه ولازمه وأضرّه مدّة مديدة فلما اشتكى إلى الله عافاه وشفاه من حينه :

ربي تضررت بهذا الداء أسألك الشفا بك التجائي
يا ملجئي يا ناصري يا شافي أشف أشف أدوائي يا كافي
يا كاشف الضر كذا البلواء لا تأخذن عبدك بالجفاء
توسلي إليك سيّد الأنام صلى عليه ما ناح الحمام
وقطب الأولياء ذو الفضائل ملجأنا أحمد ذو الجداول

سبحان ربك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

رحلة أم القرى

« وأما بنعمة ربك فحدّث » .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه والمهتدين ، أمّا بعد فإن الله تبارك وتعالى أنعم علي

بأنعمه الصافية الوافرة ومما أنعم علي باقتصار أنني حفظت القرآن وأنا ابن ثلاثة عشر عاماً ثم شرعت في علم الفقه واللغة والنّحو وغيرها من المحسنات حتى رزقت بفهم بعض من المسائل من كل الفن فلما استقر بي المجلس في الديار البناحيّة أرسل الله إلي طلبة العلم يتعلمون عندي مبدأه عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين تقريباً إلى يومنا هذا أي عام ألف وثلاثمائة واثنين وسبعين ومما أنعم الله على كل من صحبتي من التلامذة يودني محبّة خاصة حتى أكون أحب إليه من أبيه وأمّه وأهله أجمعين وينصح لي أي نصح ويخدم لي أي خدمة لا نعمة أعظم من ذلك بين الشيخ وتلاميذه جزاهم الله عني خيراً . وقد تزودت إلى الحج من ثمن مزروعاتي في عامين فقط لقد منّ الله عليّ في هذا العام عام ألف وثلاثمائة واثنين وسبعين أن أتأهب للحج وودعت أهلي يوم الاثنين أول يوم من رمضان إلى قرية للوشم هناك أي (بق عجم) فلمّا تم الوشم رجعت إليهم للوداع العازم ومكثت فيهم ستة أيام فقط لضيق الوقت وذلك اليوم يوم الاثنين أول يوم من ذي القعدة أيضاً وشيعني أهلي وأقاربي وتلامذتي وأحبائي وجيراني قدر ثلاثة أميال وأكرموني غاية الاكرام جزاهم الله عني خيراً وذلك اليوم ظللت في (كنيل) ثم ارتحلت وقت العشي إلى (ماتم) بواسطة السيارة بإحسان واكرام من الأمير عبد السلام وبت في (متم) ليلة الثلاثاء وليلة الأربعاء ودخلت في (متور) يوم الأربعاء وقت القيلولة إلى (بكل) وبتنا في البحر ليلة الخميس ووصلنا (بكل) وقت القيلولة أيضا ١٢ وبت فيها ليلة الجمعة ونهضنا يوم الجمعة وقت إحدى عشرة إلى (كيدير) في (أمتور) بعد أن علمنا أن (قورنير جنرال) قد أبرق البرقية إلى جميع الجهات فليحضر كل من الحجاج عند (دكار) يوم عشرين ٢٠ من (جوليت) يوافق ثمانية أيام من ذي القعدة وخفت التأخر والبطء عن الوقت المقدر وقد بقي من ذلك الأجل يومان فقط ومع ذلك دخلنا في (فلّم) أي اسم واد بين سنغال وسدى فرنسا فوجدناه غائراً أي راجعاً ماؤه ولم نزل نخرج من السفينة ونذهب بأرجلنا في مواضع الرمل ثم ندخل تارة في مكان قعر حتى وصلنا قرية يقال لها (سبيب) وقت المغرب وهي قرية بين (بكل) و (كيدير) في جانب (فلّم) وبتنا هناك حتى طلع الفجر وصلينا الصبح ونهضنا وقتئذ وفي تلك الليلة أغاثنا الله بالسيل المنهمر ووجدنا النهر قد

امتلأ سيلاً بقدرة الله تعالى ووصلنا (كيدير) قبل العصر في يوم السبت الموافق لثمانية عشر من (جوليت) وانتظرنا (اسبرسك) ودخلناها قاصدين إلى (أندكار) وبتنا في (كيس) عند أخي الصغير أحمد حمدن سل وأخيه الشيخ له الذي صحبني في جميع سفري وأعانني في جميع حوائجي وقام لي في أموري كلّها جزاهما الله عني خيراً وغدونا إلى (اندكار) يوم الاثنين الموافق لعشرين من (جوليت) فوافق وصولنا بابتداء دفع القراطيس للحجاج بسبب الباخرة (ارانيا) اسم لسفينة الحجاج في هذا العام وأخذت جميع قراطيسي يوم الثلاثاء واسترحنا يوم الأربعاء والخميس والسبت وتأهبنا يوم الأحد الموافق لستة وعشرين من (جوليت) يوافق أربعة عشر من ذي القعدة للدخول وذهبنا إلى المرسى أي (بّور) وقت القيلولة ١٢ وذلك اليوم كأنه يوم القيامة في (اندكار) لكثرة الناس وازدحامهم وإذ رأيت هذه الجماعة تظن كأن الخلق كلها قد جمعت في موضع واحد ولكثرة هذه الجماعة وضيقها تعسر على الحجاج دخول الباخرة مع أن أرباب الدول كلهم قد صفوا صفاً من جندي وشرطي لم ينفع شيئاً حتى أن بعض أمتعة الحجاج وزادهم قد ضاعت بهذه المضايقة ومنهم من سقط في الأرض ووطئه الناس بالنعال حتى صار مغشياً ولم يزل الناس يدخلون واحداً بعد واحد من ٢ أي وقت الثانية إلى ٧ وقت السابعة فلما فرغنا من الدخول وانتظرنا قدوم (قورنير جنرال) بعد أن تهيأ لقدومه بعض الجنديين صنف منهم يقال له (اسبيس) ونوع من الجند غيرهم يضربون الدفوف والأعواد والمزامير إلى قدومه فلما قدم رقي إلى السفينة وتكلم هنالك حاجته من الكلام ثم نزل فنهضت السفينة وقت الثامنة ٨ ثم رجع المشيعون جزاهم الله عنا خيراً حيث قاموا في إكرامنا واحساننا وعوننا من الضحى إلى الغروب من غير قعود ولا استراحة ولا أكل ولا شرب وتلك الليلة ليلة الإثنين وبتنا في البحر المالح وغدونا فيه يوم الاثنين وبتنا فيه ليلة الثلاثاء وغدونا فيه يوم الثلاثاء وهو ثاني أيامنا في البحر وذلك اليوم أصابنا هول عظيم من البحر فأنزل الله عليه ريحاً عاصفاً وجاءنا الموج من كل مكان حتى أن موج البحر إذا التطموا يقع علينا الماء في وسط السفينة مع عظمها وطولها وخاف رؤساء السفينة (كمادق) و(كبتين) ولم يزالا يترددان وينظران للشمس في مناظرهما ودعونا وعلّمونا كيفية استعمال المنجيات من

الغرق أي (سوتاس) عجم ولبسها كلّ من في السفينة من رجل وامرأة ومكثنا لابسين مدة مديدة حتى وجدوا الأمن وأمرونا بالنزع ومرادهم بذلك لينتبه بلبسه مرة أخرى كل منا إذا أصابنا ما لا نحبه ولا يحبه أهلنا نعوذ بالله من ذلك ولم نزل في ذلك الهول إلى الليل أي ليلة الأربعاء الموافق لتسعة وعشرين من (جوليت) وسبعة عشر من ذي القعدة وقلّ من تعشى في تلك الليلة من الحجاج لارتجاج البحر فالأكثر منا قد أصابتهم الحمى في تلك الليلة وغدونا فيه يوم الأربعاء وبتنا فيه ليلة الخميس وغدونا فيه يوم الخميس الموافق لثلاثين من (جوليت) وفي ذلك اليوم وصلنا أرض (اسبجل) بقرية يقال لها (تناريف) ثم بقرية كبيرة يقال لها (لسبلماس) وهو عندهم ك (باريس) في (فرنسا) و (لندن) في (انكليز) وقيل إنهم هم الذين يصنعون (شردى) أي الحيتان المطبوخ المختوم في الإناء من غير عفن ولا فساد وبتنا في البحر ليلة الجمعة وغدونا فيه يومها ومررنا بقرية يقال لها (أقدير) من قرى مر (مرك) وبتنا فيه ليلة السبت وغدونا فيه يومها الموافق لأول يوم من (أوت) وعشرين من ذي القعدة ووصلنا دار البيضاء أي (كاس بلقك) وقت التاسعة ٩ في ذلك اليوم فلما رست الباخرة أي مكثت خرجنا منها إلى القرية لقضاء بعض حوائج عند (بقكى وبست تنغرف) فوجدناها بلدة كبيرة عامرة وهي أعظم من (ندكر) وأحسنها صنعاً وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ولقينا بالشريف ابن عمر الذي قدم لملاقاة حجاج (فوت تور) وأكرمهم غاية وارتحلنا وقت الخامسة ٥ وبتنا في البحر ليلة الأحد وغدونا فيه يومها ومررنا ببلدة كبيرة يقال لها (جبلتار) أي جزيرة من مملكة (انكليز) هم الذين يسكنون هناك لحفظ البحر ويصدون الأعداء من الدخول إلى البلاد وقت الحرب وقيل إنهم هم الذين يفسدون البحر في الحرب الماضية ومنعوا (المانيا) من الدخول ومررنا بقرية أخرى في ذلك اليوم المذكور يقال لها (طنج) ويقال انها من مملكة (اسبَجل) وتلك القرية على جبال مرتفعات جانب البحر المالح وبتنا في البحر أيضاً ليلة الاثنين وغدونا فيه يومها وابتدأت ختمة القرآن بعد أن ختمت الأولى بين (دكار) و (كاس بلقك) . إن (جبلتار) المذكورة هناك يتفرق السفن والبواخر القاصدة إلى أرض (فرنسا) يذهبون في جانب الشمال والقاصدة إلى الجزائر

أي (السر) و (بور سعيد) و (جدّة) يذهبون إلى جانب اليمين وفي ذلك اليوم المذكور أي يوم الاثنين الموافق لثلاثة من (أوت) والثاني والعشرين من ذي القعدة مررنا بقرية أي بلدة كبيرة يقال لها (عرا) وقت القيلولة ولم نزل ندفع بدفع الباخرة إلى أن وصلنا الجزائر أي (السير) وقت الاصفرار وما زلنا نحاذي بها إلى أن صلينا المغرب والعشاء واشتغل بعض الناس بالنوم وانظر ما بين المغرب والعشاء من الطول وما بين العشاء والنوم من الطول مع سرعة البابور وهذه بلدة كبيرة مصابيحها كالنجوم كثرة ولمعانها ومصابيحها مختلفة الأنوار بين حمرة وصفرة وبياض وزرقة وبتنا في البحر ليلة الثلاثاء وفي ذلك الليلة ارتج البحر ارتجاجاً فاحشاً حتى أصبنا من الحمى ما أصبنا بين (دكار) و (كاس بلقك) نسأل الله أن يخلصنا من هدا البحر المالح الكثير وغدونا فيه الثلاثاء ومررنا بقرية يقال لها (فلبويل) من أعمال (توسن) وبتنا فيه ليلة الأربعاء ومررنا في تلك الليلة بقرية يقال لها (بون) و (بنزرت) و (تونُس) وغدونا فيه يوم الأربعاء خمسة أيام من (أوت) والرابع والعشرون من ذي القعدة وذلك اليوم يوم صحو ورهو والنفوس فيه مطمئنة ودخلنا أرض (ايتليا) في يوم الأربعاء المذكور ومررنا بجزيرة عالية يقال لها (سرسير) في أرض (يتبيا) وقيل إن النفوس الكثيرة تلفت هناك في الحرب الماضية وبتنا في البحر ليلة الخميس وغدونا فيه يومها وفي ذلك اليوم ارتج البحر أيضاً وأصاب الميد والقيء كثيراً من أهل السفينة قلّ من سلم منهما في ذلك اليوم ومررنا بقرية يقال لها (كبد بون) وبقرية أخرى يقال لها (تنتلريا) من قرى (ايتليا) وبتنا في البحر ليلة الجمعة وغدونا فيه يومها ووصلنا أرض (اقرقَ) وقت الثانية ٢ (دسير) ومررنا بجبال عاليات وبجانبها قرية يقال لها (ايلد اقرقَ) واقتسمنا المصحف في ذلك اليوم وختمناه ودعونا لأنفسنا لقضاء حوائجنا المقصودة وللمسلمين عموماً وقيل إن (اقرقَ) هم الذين حاربوا بـ (ايتليا) وأعانهم (آمرك) على (ايتليا) وبتنا في البحر ليلة السبت وغدونا فيه يومها الموافق لسبعة وعشرين من ذي القعدة وثمانية أيام من (أوت) وختمت القرآن ختمة ثانية وابتدأت الختمة الثالثة في اليوم المذكور . وأمرنا بالاغتسال في ذلك اليوم وغسل ثيابنا لأننا نطمع أن ندخل في مملكة مصر غده وأطباؤهم يدخلون السفينة ويفتشون الأوساخ

فإذا وجدوا الأوساخ في أحد منا يأخذونه أياماً وبتنا في البحر ليلة الأحد وغدونا فيه يومها ووصلنا (بور سعيد) وقت السابعة ٧ أي (ستّير) فوجدناها بلدة كبيرة عامرة أكبر من (كاس بلقك) وأهلها صناعة يوجد عندهم جميع أنواع البسط والمخازن الجلدية وأنواع النعال من خف وجورب ونعل ولحقنا هناك باخرة لحجاج (كاس بلقك) و (السر) و (توني) وباخرة أخرى لحجاج (تركيا) كل واحدة منها ملأى من بني آدم وهم لكثرتهم كأنهم طيور صغار جعلت في القفص . وان من عادة أهل (بورسعيد) إذا وقفت بواخر الحجاج جاؤوا بسفنهم الصغار مع أنواع البضائع لا تصف الألسن قدرها وأنواعها يبيعونها للحجاج كل بائع له قفة ويرمي الحبل إلى أرباب البواخر ثم يأخذونها كالماتح الدلو إلى أن يصل وسط البابور ثم يساومون وإذا اتفقوا على الثمن أخذ المتاع ويجعل الفضة في القفة ويدليها إلى صاحبها هكذا حال بيعهم مع الحجاج ذهاباً واياباً فبمجرد وصولنا إلى (بورسعيد) مات واحد من الحجاج أي أهل (قنّ فرنسي) رحمة الله عليه رحمة واسعة ودخل في عموم الآية الكريمة « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » . وارتحلنا من (بورسعيد) وقت الثانية أي ٢ (دبسير) من ساعتهم لأننا وجدناهم يصلون الظهر في الوقت الثانية عشرة ١٢ (مد) وتركنا أهل (دكار) يصلونها في وقت الثانية والربع أي (دبسير) و (كار) ودخلنا في ذلك البحر المحفور يقال لها (كنال سويس) وهو بحر محفور مصنوع صنعاً شديداً له قعر بالغ وسعته قدر رمية الغلوة من المدافع القصار وطوله ثلاثمائة ميل ونيف وبتنا في البحر ليلة الاثنين ومررنا بقرية يقال لها (أدمس) جانب اليمن من (كنال سويس) وبقرية أخرى يقال لها (قنطرة) وبقرية يقال لها (عثمانيّ) وبقرية أخرى يقال لها (لقسر) وهي قرية كبيرة لأن وصلنا أول النوم ولم نزل نحاذي بها الليلة كلها إلى قرب طلوع الفجر فلما صلينا الصبح خرجنا من (كنال) ودخلنا في البحر المالح عند قرية يقال لها (سويس) ووقفنا هناك ثلاث ساعات لجلب الماء العذب وذلك اليوم يوم الاثنين الموافق لتسعة وعشرين من ذي القعدة وفتشت أمر تلك الأماكن واخترت من أهل (سويس) عاقلا فطناً وسألته عن تلك الأماكن وقال لي إن هذه الصحراء صحراء سيناء وفيها جبل

طور سيناء الذي كلم الله موسى بها وسألته هل هم يعرفون مكان المناجاة بعينها ؟ وقال لي نعم إن فيها علامات وسألته عن الجبل العظيم الذي رأيته هناك في غاية الارتفاع ؟ وقال ذلك الجبل اسمه جبل الجيوش وسألته عن القرية التي يقال لها (سواكن) ؟ وقال إنها قدّامكم وبعد ذلك ارتحلنا من (سويس) وقت التاسعة ٩ (نيفير) تقريباً إلى (جدّة) ودخلنا في (البحر القلزم) الذي أغرق الله فيه فرعون وجنوده وهو بحر بين جبال عاليات في كلا الجانبين وبتنا ليلة الثلاثاء وغدونا فيه يومها الموافق لثلاثين يوماً من ذي القعدة لأننا ما رأينا الهلال في تلك الليلة نحن أهل الباخرة ولم ندر ما نجده من الخبر عند (جدّة) ومررنا بالليلة الثلاثاء المذكورة محل تجاوز موسى مع بني إسرائيل في البحر واغراق فرعون وبتنا في البحر ليلة الأربعاء وختمت فيه القرآن ختمة ثالثة بحمد الله تعالى وفي تلك الليلة وصلنا ميقاتنا (رابغ) الذي من أعمال الجحفة فلما قربت الموضع صاحت الباخرة صفيرة للتأهب وشرعنا فيه من تقليم الأظافر ونتف الإبط وقص الشارب فلما وصلناها صاحت صفيرتين ونوينا الإحرام للحج قائلين "اللّهمّ ني نويت الحج وأحرمت به لله تعالى " بعد نزع المخيط ولبس الأزار والرداء وبعد صلاة الصبح في ذلك اليوم الأربعاء وغدونا في البحر يوم الأربعاء المذكور إلى (جدّة) ووصلناها وقت (ابنير) فوجدنا دولة الحجاز دولة قوية فلما خرجنا من الباخرة دخلنا في سيارات الحكومة إلى ديار الوزارة أي الدولة ونزلنا فيها بعد أن نزعوا قراطيسنا أي (باس بور) عجم وبتنا فيها فلما أصبحنا دعينا إلى (بقك) جدة أي (قنصل فرنسا) وأخذنا من عندهم ثمانمائة وعشرين ريالاً من الفضة السعودية بدل تسعة آلاف التي دفعناها إلى (بقك دكار) ولقينا بحجاج الهند و(باكستان) عند جدة وهم كثيرون جداً من رجل وامرأة وطلبنا من يطوفنا بعد حط متاع واعتذر بكثرة الحر وأمرنا أن نصبر إلى العصر وأبينا لعلمنا بأن طواف القدوم وقت الوصول أفضل وأمرنا غلاماً أن يدلنا إلى الحرم الشريف وأعطيناه ريالاً من السعودية وتقدم أمامنا إلى أن جاء بالمحراب وطلبنا منه أن يرجع بنا إلى باب السلام ودخلناها قائلين " اللّهمّ أنت السلام " ... الخ . ثم وجدنا المطوف بشرط أن يرينا المحلات كلها وطفنا معه سبعة أطواف وسعينا بين الصفا والمروة سبعا في هذا اليوم الشديد الحر والبعض منا كالكبار

الشيوخ عجزوا من اتمام السعي لما لحقهم من التعب والجوع والعطش والحرارة وورم الأقدام لشدة وطء الأحجار والرخام المفروشة جانب الكعبة فلما أتممنا السعي رجعنا إلى دار المطوف وذلك اليوم يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين ونطوف في البيت كل ساعة وغدونا إلى منى يوم الثلاثاء وبتنا فيه ليلة الأربعاء حتى طلع الشمس ثم دفعنا إلى عرفات يوم الأربعاء فظللنا هنـاك إلى الزوال وتأهبنا للصلاة عند مسجد نمرة وصلينا الظهر والعصر مع الإمام جمعاً وقصراً ثم ارتحلنا إلى جبل عرفات للوقوف عليه ووقفنا إلى غروب الشمس ثم تحولنا إلى محط الرحال لنروح إلى المزدلفة وتحيرنا عن محط أهل (سنغال) ولم نزل نخوض بين خيام العرب حتى وصلنا محل نزول الملك وولي العهد (سعود بن عبد العزيز) والتقطونا وادخلونا في سيارتهم إلى المزدلفة ورأينا هناك رئيس مصر (محمد نجيب) فلما وصلنا المزدلفة في الليلة جمعنا المغرب والعشاء وبتنا هناك إلى صلاة الصبح فوقفنا بالمشعر الحرام للاسفار ثم دفعنا إلى (مكّة) لطواف الافاضة وفي ذلك الطواف كسروا عيني عند الحجر الأسود للزحمة والدفاع أي دفع بعض الناس بعضاً فلما أتممنا الافاضة رجعنا إلى منى للمبيت بها وبتنا إلى الزوال ثم ذهبنا لرمي الجمار الثلاث ورميناها فرجعنا للصلاة الظهر وبتنا هناك أيضاً إلى زوال غده فرمينا الجمار الثلاث أيضاً ثم رجعنا إلى مكة لأننا من المتعجلين بالرمي للضرر الفادح ومكثنا بمكة خمسة أيام بعد رمي الجمار بعد أن مكثنا فيها قبل الذهاب أربعة أيام ومكثنا بين منى وعرفة والمزدلفة خمسة أيام والمجموع أربعة عشر يوماً بمكة ونواحيها وفعلنا سنة العمرة بها ثم طواف الوداع حين أردنا الذهاب إلى المدينة المنوّرة وارتحلنا من مكة للمدينة بنية الزيارة عشية الخميس سبعة عشر يوماً من ذي الحجة بواسطة السيارات ودخلناها إلى (جدّه) وتلقينا هناك طريق المدينة ومررنا بـ (ذهبان) اسم قرية صغيرة و (توال) و (رابغ) وبتنا برابغ إلى صلاة الصبح وغدونا ومررنا بـ (مستورة) اسم قرية و (أبيار ابن حصّان) و (الشغبة) و (المسيجدة) و (الفريش) و (أبيار علي) وهي ذو الحليفة ميقات أهل المدينة ودخلنا المدينة وقت العشاء والتقينا برجل كريم وقت وصولنا يقال له (عثمان عبدلّ) ذهب بنا إلى داره وأكرمنا غاية وآوانا وبتنا بها إلى وقت الأذان ثم تأهبنا للصلاة في المسجد النبوي مع نية الزيارة فلما

فرغنا من الصلاة وقفنا عند الروضة الشريفة وزرنا صاحبها وقرأنا جميع ما يقرأ عندها ودعونا لأنفسنا مع جميع الإخوة الأحباء والمسلمين والمسلمات كما فعلنا أولاً بمكة في جميع أماكن الاجابة . ثم إلى قبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم إلى قبر عمر رضي الله عنه فلما طلعت الشمس قضينا السيارة وذهبنا إلى جميع الأماكن المزورات اءي (مسجد قبا) و (بير الخاتم) و (إلى جبل أحد) وزرنا حمزة عندها مع شهداء أحد وذهبنا إلى مسجد ذات القبلتين ومسجد سليمان و (بير رومة) ومسجد سيدنا أبي بكر ومسجد علي ومسجد فاطمة جانب الخندق ثم رجعنا إلى المدينة لصلاة الظهر فلما صلينا العصر ذهبنا إلى البقيع وزرنا هنالك سيدنا عثمان بن عفان وأبا سعيد الخدري وفاطمة بنت أسد أم سيدنا علي رضي الله عنهم وحليمة السعدية مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهداء أحد أيضاً وابراهيم بن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعثمان بن مطعون وعبد الله بن جحش هو أول من دفن بالبقيع ووصلنا قبر الإمام مالك والإمام نافع سيّد القراء لا بنية الزيارة وزرنا عقيل بن ابي طالب وصفوان بن الحارث وعبد الله بن جعفر الطيارة وصفية وعاتكة وفاطمة أم العباس عمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجات النبي التسعة سودة وحفصة وصفية وعاتكة وميمونة وعائشة وأم سلمة وجويرية وزينب بنت جحش وزينب خزيمة وبناته صلى الله عليه وسلم وزينب ورقية وأم كلثوم وعباس بن عبد المطلب وزين العابدين ومحمد الباقر وحسن المحتبي وحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قبرها على خلاف ومنهم من قال أنها في البقيع وزرنا محلها ومنهم من قال انها في جانب أبيها عند الروضة الشريفة وزرناها هناك أيضاً للاحتياط . فأبواب المسجد النبوي خمسة باب السلام باب الرحمة باب المجيد باب النساء باب جبريل وان أهل المدينة ألين قلوباً من أهل مكة وأن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم نفع أهلها لكثرة التمر واللبن والحليب والحامض فيها ومواشيها تأكل القصب الأخضر والبرسيم الأخضر في آن وساعة ولم أزل افتش حتى رأيت دار سيدنا أبي بكر وهي الآن من جملة المسجد ودار علي رضي الله عنه كذلك ودار سيدنا عمر وهي الآن وقف مملوء بالكتب من أنواع الفنون كل من أراد يدخل فيه ويأخذ كتاباً شاء وينظر فيه ثم يتركه هناك ويخرج ورأيت دار سيدنا عثمان

ومحل مشهده رحمة الله عليه ورأيت دار أبي أيوب الأنصاري الذي نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم من مكة إلى أن اشترى داراً وبنى فيه مسجده وبيوته صلى الله عليه وسلم ومكثنا بالمدينة ستة أيام ورأيت العلامة المميزة بين منبر الرسول وبيته كما في الحديث ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة وسمعت من أثق به قال إن الفا الهاشمي قال كل من جلس في هذا الموضع مدة ثم قام ولقي بأخيه فقال له من أين قمت وقال من الجنة ما كذب في كلامه . بحمد الله تعالى جلست في المحل مرات كثيرة رزقنا الله الجنة بجاه ذي الروضة المطهرة آمين وارتحلنا من المدينة لجدة عشية الخميس أربعة وعشرين من ذي الحجة ومكثنا بجدة يومين وجميع أيامنا في أرض الحجاز ستة وعشرون يوماً ودخلنا في السفينة يوم الأحد لستة وعشرين من ذي الحجة إلى (اندكار) فلما وصلنا جبل طور أخذنا (كرنتي) يوماً كاملاً مع جزء من الليل وفتشنا الطبيب وأخذوا امرأة منا وذهبوا بها إلى المستشفى وتركناها هناك فلما وصلنا قرية (عـرا) خرجنا من البابور ودخلنا هناك في سفينة البر إلى (فاس) للزيارة وقت المغرب ومررنا بقرية يقال لها (تيليا) وبقرية أخرى يقال لها (سيد بلعباس) وبقرية يقال لها (تابأوأسدا) حتى وصلنا (فاس) المحروسة يوم الجمعة وفزنا بالزيارة يوماً كاملاً وارتحلنا وقت المغرب من (فاس) إلى (كاس بلقك) ومررنا بقرية يقال لها (مكناسة) و (سيد بلقاسم) و (بور ليوتي) و (ارباط) و (اسكير) و (فضالة) حتى وصلنا (الدار البيضاء) أي (كاس بلقك) نصف الليل ومنعونا من الخليط بأهل القرية يوماً كاملا ومكثنا فيها يومين وارتحلنا عشية الاثنين الحادي عشر من المحرم الحرام إلى (اندكار) ووصلنا (دكار) يوم السبت لستة وعشرين من (سبتمبر) نسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصات لوجهه الكريم آمين . وروينا بأخبار متواترة من مكة والمدينة أن الملك عبد العزيز آل سعود أراد أن يجعل المواسير أي (ربج) عجم لبئر زمزم ليخرج الماء إلى خارج فابى الماء أن يخرج في المواسير بقدرة الله تعالى وعجزوا من اخراج الماء فخلوا سبيل زمزم كما كان انظر هذا العجب فأبواب الحرم المكي أربعة وعشرون باباً باب السلام باب قايتباي باب النبي باب العباس باب علي باب النساء باب البغلة باب الصفا باب الرحمة باب أجياد باب التكية باب الحميدة

باب الوداع باب ابراهيم باب الداودية باب العمرة باب العتيق باب الزمامية باب الباسطية باب القطبيّ باب الزيادة باب المحكمة باب السليمانية باب الدربية. ورأيت في أرض الحجاز أناساً يحملون مثل أحمال الجمر صفة وقدراً لانهم يجعلون البرازع على ظهورهم ثم يحملون قدر وزن الجمل ثقلاً ويذهبون به إلى حيث شاءوا. وصفة معز الحجاز معز كبير الأذن أُذن الماعز كأُذن الحمير أو أكبر منه ولها در كثير شاة واحدة تملأ الإناء حليباً وصفة ضأنهم ضأن ضخم الذنب وفي أذنابها لحم كثير يوازن رطلاً تقريباً وبقرهم كبعض البقر المعهودة عندنا وخيولهم عربية كما شاهدته بمكة والمدينة وجدة وحمرهم نوعان نوع منه كالحمر المعهودة عندنا أيضاً وأرض الحجاز كلها جبال مرتفعات في غاية الارتفاع وأما ما أدينا للمطوف (برهان بن عبد الواحد سيف الدين) فاثنان وثلاثون جنيهاً أي ورقة من الأوراق السعودية بدل ثلاثة آلاف وثلاثمائة ريال من الأوراق الفرنسية تقريباً وأما ما أدينا (صالح) اسم رجل بالمدينة فستة عشر ريالاً ويكون مجموع الكل ثلاثاً وثلاثين جنيهاً وستة ريالات من بين مكة والمدينة دون ما أدينا لحكومة (جدّة) كما ذكرته سابقاً وهو ثمانية جنيهات وخمسة ريالات ونصف وإذا ضممت هذا إلى ما سبق يكون مجموع الكل اثنين وأربعين جنيهاً وريال ونصف ريال وبقي في أيدينا أربعون جنيهاً ناقصة عن ريال ونصف. ثم أن أرض الحجاز أرض ذات حرارة لا يصف قدرها متواصف لا يعرفها إلا من حضر هناك فقد شدت الحرارة والزحمة على الناس في هذا العام لا سيما أيام الرمي بمنى وأيام الطواف والسعي. قد مات يوم عرفة سبعة وعشرون إنساناً وأيام منى مائة وأربعون إنساناً دون من مات بمكة والمدينة وقد شاهدنا بمكة يصلي على الأموات بعد كل فريضة أربعة أو ثلاثة أو اثنين واما من مات في باخرتنا فثمانية وتركنا في المستشفى أي (لبنان) واحداً بالمدينة هو رجل عالم يقال له شيخ عمر شام (بكل سركل فتك) آلبمبوي أصلاً وامرأة أخرى (ولفية) من أهل (دار مست) وعدد الحجاج في هذا العام مائة وتسعة وأربعون ألفا وثمانمائة وواحد وأربعون حاجاً. ورأيت كتاباً في الجريدة لام القرى دالاً على أن الملك عبد العزيز ولّى ابنه بالخلافة وصفته « إلى سمو ولي العهد المعظم نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ملك المملكة العربية

السعودية بعد الاعتماد على الله سبحانه وتعالى فقد اسندنا بموجب أمرنا هذا للابن سعود ولي عهد مملكتنا العربية السعودية القيادة العليا العامة وبذلك تكون سائر القوات المسلحة في مملكتنا وقوات الدفاع والحرس والأمن وأهل الجهاد والمجاهدين كل هذه القوات تابعة له تسير بموجب أوامره والتعليمات التي يسنها لها وليس لأي من هذه القوات القيام بأي حركات حربية إلا طبقاً للأوامر والتعليمات التي يصدرها لها ونسأل الله له التوفيق والنجاح كما نسأله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته والسلام » .

ورأيت كتاباً من محمد نجيب رئيس مصر إلى حجيج المسلمين وصفته « من محمد نجيب رئيس جمهورية مصر وعبد الله الخاشع لجلاله المتواضع لأحكامه إلى حجيج المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها فاني أحمد المولى أن يسر لي سبيل أداء الفريضة هذا العام وزيارة بيته الحرام وجمعني بإخواني المسلمين الذين جاؤوا من كل فجٍ عميق ليشهدوا منافع لهم وليروا بأعينهم نعمة الإسلام عليهم وليلمسوا بأيديهم أن ربهم الذي فطرهم قد ساوى بينهم فلم يفرق بين أسودهم وأبيضهم ولا بين أصفرهم وأحمرهم ولم يأذن لغنيهم أن يستعلي على فقيرهم ولا لقويهم أن يهاون شأن ضعيفهم بل جعلهم كالبدن الواحد لا يشكو عضو حتى تتداعى سائر الأعضاء له بالسهر والحمى لقد قام الإسلام أول ما قام على هذه الوحدة التي فاقت عصبية الدم والرحم قوة فاستطاع العرب المتوطنون في أطراف الجزيرة وأعطافها المتفرقون في خواص الصحراء وحوشيها أن يقيمو لهم ملكاً أساسه العدل وعنوانه الرحمة وغايته أن يبسط نور الله على الناس أجمعين لقد ضؤلت الدنيا في أعينهم حينما وعوا قول الله العزيز في كتابه المنزل (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنَّة) فباعوا أنفسهم بيع السماح وطرقوا بأيدي شهدائهم باب الجنة فانفتح لهم باب العزة وصدق الله العظ (إن العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين) واليوم ينزف من جانب العالم الإسلامي أكث من جرح ويشكو التفرق أهله أكثر من مصاب فلنعد إلى الفطرة السليمة نعتص بحبل التقوى تعد لنا القوة ويرتفع شأننا وينحسر عن المسلمين الهوان أيها الإخو المسلمون أبعث إليكم بتهنئتي وتهنئة اخوانكم أهل وادي النيل بهذا العيد السع داعياً الله أن يهيئ للمسلمين حرية في بلادهم واستقراراً في أوطانهم وأن يزيد

إيماناً فيزيدهم تآزراً إنه سميع مجيب الدعوات والسلام » .

وصفة البحر المالح بحر شديد السواد يميل إلى الزرقة تخرج الحيتان الصغار جماعة فيطيرون فوق الماء قدر رميه الغلوة ثم يسقطون في الماء ويغمسون فيه . ومما يجب أن يعلنه ذو العقول السليمة والفهم الصحيح أن الحج في هذا الزمان لا يجب على الشيخ الكبير ولا على الضعيف ولا على المرأة لأنهم وان ذهبوا لا يتمون فرضهم للزحمة والدفاع والتعب هكذا حال الحج في هذا الزمان .

وأما من جمعني الله بهم في هذا العام إلى مكة من العلماء والصلحاء فسأبين بعضهم وأما (سركل ماتم) فسيرن أو الحاج عمر بيلا وأخي ومحبي وصديقي الحاج دمب سرج ورسوق وأخونا الصغير الحاج عال بيد كن الودّي مسكنا الدّابوي أصلاً الذي قام يخدمني من (دكار) إلى مكة ثم ابن عمّي عباس الفا الفمّهاريّ الذي جمعني الله به في الرجوع وقام لله يخدمني من مكة إلى (اندكار) والحاج حامذ بوكر شام مق وهو الذي تولى بغسل ثيابي جزاهم الله عني خيراً والحاج مود حامد حق من أهل ماتم والحاج سيديه والحاج أحمد سرا هما من أهل ورمل والحاج محم مالك جل من أهل سلن والحاج يرصمب والحاج عبدل آل أحمد هما من أهل هردلد والحاج آدم بابا والحاج آل ناول والحاج هود آل هؤلاء الثلاثة من أهل مقام والحاج صمب ير دمب سوتقك والحاج صمب يبّ من أهل قّهار أصلاً والحاج الفا عمر سيد الذي جمعني الله به في الرجوع هؤلاء الثلاثة من أهل مرتن والحاج عمر دم لكسيب والحاج عبد الله له من أهل هل كجر أصلاً صار الآن في سركل كولخ والحاج شيخ قلي والحاج حمد موسى والحاج سلي صمب من أهل جقّ والحاج دمب عائشة مدين جاجب والحاج الأمين جقّ من أهل دمت وأحد علماء الزمان والحاج حامد سه فني نزيل دكار ومدرّس الكلية بها والحاج دمب سارل بكّ لاو نزيل دكار ومتواطن بها والحاج محمد بوب سل كيسي . ومن الأمراء الحاج جيرن سعيد كن رئيس بوصي والحاج محمد سل لامتور والحاج أمير كنّا ماسن ومن الولفيين المحسنين بنا العشرة الحاج آدم جاي كولخ فاس بتوار والحاج ميس بوم دكار والحاج لامين كمر بيين مصر والحاج قور جاي رفسك والحاج عليّ في دكار والحاج ببكر

سيسي دقن والحاج سانو جقّ دكار والحاج ابرابلل فلّات من أهل بكّ بول والحاج محمد بليج والحاج محمد تالب من أهل قن فرنسي والحاج سعيد دف بركيج والحاج داوود كه فلّات هما من أهل سركل لقّير .

سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل .

الشَّيْخُ المُخْتَارْ دُمْب جُوبْ

ومن الأسف أن لا نلقى في كُكِ أحداً كاتباً كان أو شاعراً افتتح لنا الظروف أن نعقد باباً لمدرسة كُكِ التي كانت من أقدم المدارس الأدبية في السِّنِغَالْ وأوسعها صيتاً بل كانت كُكِ هذه عاصمة لدولة إسلامية ومحط رحال لكل طالب علم جاء من جميع أنحاء البلاد . وفي الفصل الذي قد عقدناه للقاضي مَجَخَتْ كَلَ أشرنا إلى النحوي الكبير البليغ المجيد اللغوي البارع الطائر الصيت محمَّد جُوبْ المشهور بمُوزْ خُجَ كُمْبَ صاحب المقدمة الكُكِيَّةُ في النحو غير أنّنا لم نعثر على أيّة قصيدة منه . ولا على أي كتاب غير هذا الكتاب النحوي .

قد قام السيد رَوْحَانْ امبي الباحث في القسم الإسلامي في إيفان ببعثته الوجيزة في كُكِ فعثر على رسالة كتبها بَلَّ فَا خُجَ بن مَخْتَارْ دَمْب جُوبْ مؤسس القرية الكُكِيَّةِ الذي قيل إنّه ألّف كتاباً في تأريخ كَجُورْ ولما همّ الشيخ البشير آمْبَك بن الشيخ أحمد بَمْبَهْ بتأليف كتابه « منن الباقي القديم » ارتحل إلى كُكِ فاستعار هذا الكتاب التأريخي ولم يرده حتى وفاته رحمة الله عليه .

قيل إنّ حبيب الله بن المختار جُوبْ هذا قد أخذ العلم على والده في كُكِ وهو صبي أما والده فقد تعلم في آنْجَامْبُرْ ثم في فُوتَ طُورْ ثم في موريتَانِيَا قبل أن يرجع إلى مسقط رأسه لتأسيس قرية كُكِ .

فهذه هي الرسالة المشار إليها آنفاً الموجهة إلى الشيخ عبد القادر أوّل الأئمة لفوت

طُورُ المتوفى سنة ١٨٠٦م .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمَّد وسلم تسليماً الحمد لله وحده ولا يدوم إلا وجهه ، من حبيب الله ابن المختار جُوبْ إلى من أكرمه مولاه لدينه وتقواه إمامنا العدل الورع المحسن عبد القادر زاده الله قدرة كما سماه وأيده بنصره جئناك مستغيثين بالله ثم بك ثم بجماعتك المسلمين فقلت ذلك :

أيا قائدي جيش الجهاد أجيبوا سؤال فتي آني الفؤاد كئيب
ويا من أقام الدّين[1] لله وحده عماد ديانات البلاد الطبيب
بناء بلادنا وهي كاد يهدم هلمّ إلى نصر عزيز يريب
لئن كان فرض في الجهاد أهمّها لقد كان ذاك الفرض عينا يطيب
لئن كان حقّ الشيخ حقّا كوالدي أو ان كان عبد العبد عبداً يجيب
لقد كان حقّي واجباً مّا عفوته فنصر مّن الله وفتح قريب

قد وجدنا أكثر أهل القلم في السنغال هم من الرجال ولم نأت بذكر النساء إلا امرأة واحدة وهي السيدة رقية انياس غير أنّنا عثرنا على شاعرين ضريرين وأحدهما الشيخ الصّغير امبي المعروف بسيرامبي والآخر الشيخ محمد الشهير بدود الله فجور :

« قال الشيخ سيرامبي مادحاً امرأة أعدت له فطوراً شهياً اسمها « كركمر » .

كالزهر في شفتي كمّ جلت فترى كالبدر ليل تمام البدر ان ظهرا
ريم إذا برزت أسناء غانية ريح تفوح من الريحان منتشرا
كحلاء مقبلة عجزاء مدبرة كأنّها اللؤلؤ المكنون بل بدرا
موج يموج بصبغ سابغ حسن مشط عوارضها ألوانها دررا
رخيمة الصوت تمشي مشية سحرت روحي ويتبعها الأرواح «كركمرا»

عن الشاعر الضرير الراوية دود الله فجور .

---

(١) و نهى الناس أن يتفرقوا فيه امتثالاً لأمر مولاه تبارك وتعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

هذه قصيدة للشاعر الضرير الشيخ دود الله فجور أهداها إلى أعضاء الاتحاد الثقافيّ الإسلامي بمناسبة حفلة أقاموها لإحياء ليلة القدر المباركة عام ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م وهي من الطويل :

أبلّغكم يا أخوة الدّين كلّما حفلاتكم تسليم قلبي مع الودّ
ألا أنتم الأحباب جمعية التّقى وتزكية الإسلام بالعزم والجدّ
فراعيتم المسنون وفق أئمة عمود أولى الألباب والحِكم والزهد
وما فيكم مرضى القلوب ذوو الجفا وهمّتكم تعلو إلى بارىء العبد
وهاجرتم نادي الغواة تبتّلا لعرفان مولاكم فتنأون عن طرد
وأحرزتم الأفضال يا طيب دولة لديكم ويا طيب المدارس والوفد
لكم نرتجي من ربّنا حسن خاتم قبولا وادراك النّسيّ إلى الرّشد
كذاك إلهي اجعل لنا مع جملة الـ ـمريدين للخلّاق ما شين بالسّرد
صلاة إلـه النّاس للبدر أحمدا وآل وصحب مخلصي الدين للفرد

إنّ هذه القصيدة للشاعر السيّد أحمد جبي لجديرة بالاندماج في ملحق كتابنا هذا لسبب ذي أهمية فإن الشاعر أنكر الطرائق الصوفية برمّتها قادرية كانت أو تجانية أو مريدية وقد ذكر في قصيدته كل ما حضه على انكارها بل أعلن توطيد عزمه على سلوكه لسبيل السنة والجماعة وشدّة تمسكه بما فرض الله الأحد في القرآن من الأوامر والنواهي ، وبما يجب على المسلمين والمسلمات أن يتّبعوا به سنة نبيّه محمد صلوات الله عليه وسلامه . وعلى كل حال فأمره نادر لا في السنغال فحسب بل في العالم الإسلامي فدونكم هذا البيان العامّ لشاعر همّ جهراً بالاهتداء إلى الدين الحنيف الأصليّ :

ليس الاجازة من همّي وتقديم إذ أنّ ذلك تخدير وتنويم
ولا الخضوع لشيخ من موارده تجبى إليه الهدايا وهوَ مخدوم
ما الدين عندي أوراد مردّده ولا الخضوع لشيخ وهو معصوم
ما الدين عندي ببستان أثمّره أزجيه للشيخ حين الزرع مصروم
ما الدين عندي هدايا قد تساق إلى شيخ فداء عن المفروض تطعيم
ما الدين عندي اخدام وتربية على عقائد شرك فهو تجسيم

ما الدين عندي شفاعات ميسّرة   يحظى بها لخديم الشيخ مقطوم
ما الدين عندي انخراط في دوائرهم   أهدى ضرائب أسبوع وتسويم
ما الدين عندي تنظيم الزيارة في   مواسم البيع فالتنظيم تسميم
ما الدين عندي ترديد لمجد أب   به يؤهّل تأخير وتقديم
ما الدين عندي مولود أعدّله   بالشّتّ والجمع أموالا وتعظيم
ما الدين عندي كليمات مطلسمة   أعيدها في خلاء وهو مكتوم
ما الدين عندي أسرار وصنع رقى   بيع التمائم تسخير وتسخيم
ما الدين عندي كشف الغيب شعبذة   وللمقادير تخمين وتهويم
ما الدين عندي ارهاص وشعوذة   مينا وزورا وأنباء وتخييم
ما الدين عندي عصيّ قد يدكّ بها   رأس ورجل وارجاف وتعزيم
ما الدين عندي صيحات النشيد بلا   فهم المعاني فتحريف وترنيم
ما الدين عندي أطمار مرقّعة   ولا التخنّث حين البأس مضروم
ما الدين عندي تضخيم العمائم مع   تطويل مسبحة والبطن مهضوم
ما الدين عندي لحيات مطوّلة   ولا التنحنح عند الجمع تفهيم
ما الدين قرع طبول وارتقا فنن   فوق المنصّة للأصوات تنعيم
ما الدين خلط نساء بالرجال على   دعوى الزيارة فالتعظيم تأثيم
ما هذه كلّها ديني ودين هدى   وإنّما كلّها جهل وتهديم
الدين عندي إيمان ومعرفة   وعزّة النفس إذ للنفس تكريم
الدين عندي قرآن أرتّله   ودرس علم وتذكير وتعليم
الدين عندي برّ الوالدين مع الـ   احسان للنّاس انّ البرّ معلوم
الدين عندي اتباع الأوامر من   غير ابتداع وللقرآن تحكيم
الدين عندي توحيد وتجربة   والبعد عن كل تعطيل وتعظيم
الدين عندي عرفان الشرائع مع   حبّ الشعائر انّ الحبّ مفهوم
الدين عندي أن تعزى الأمور إلى   ربّ البريّة فالاشراك تحطيم
الدين عندي صدع بالحقيقة في   أوساط شعب وبالأحكام تسليم
الدين عندي تحرير العقول من الـ   أوهام والشرك إنّ الشرك مذموم
الدين عندي تحسين البواطن مع   صون الظواهر فالإنسان مرحوم

الدين عندي ارقاء الرجال إلى مراتب العزّ تخضير وتنظيم
الدين عندي ارساء السّلام على قواعد العدل تجديد وترميم
الدين عندي أن يسعى الجميع إلى رضى الإلـه فلا عبد ومخدوم
الدين عندي حتماً أن نقوم بما قد أوجب الله فالإسلام مرسوم
الدين عندي انشاء النفوس على تعزّز بمزايا العلم مدعوم
الدين عندي اكراه النّفوس على حبّ الجهاد وكسب الرزق مقسوم
الدين عندي تعويد القلوب على بذل النّفوس لدين الله تقييم
الدين عندي اخلاص وتضحية وللمشاريع تحقيـق وتقـويم
الدين عندي تكريس النّفوس على نفع البريّة إيواء وتضميم
الدين عندي تأسيس البلاد على دعائم الخصب تعمير وتصميم
الدين عندي إيصال العباد إلى معنى الكمال وللاسعاد تتميم
الدين عندي أعداد الجيوش إلى خوض المعارك تحرير وتعبيم
الدين عندي قهر للعداة معا فقر وجهل وتمريض وتعليم
الدين عندي انقاذ الشعوب من الظ ظلم المذلّ فإنّ الشعب مظلوم
الدين عندي تخليص الجميع من اس تغلال فرد فالاستغلال تنـويم

عثمان أحمد سو

وُلِدَ السيد عثمان أحمد سو في أندر في ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٩م وكان أبوه يسمّى بأحمد سو وأمه بفاطمة جوف . ويسكن الآن في مسقط رأسه بشارع كلو بقرب من المدرسة للمرحلة التكميلية في حيّ صور بسان لوي . وكان عثمان كاتب محكمة لدرجة استئنافية وكاتباً في الإدارة لمدرسة العمّال الفنّيّين للزراعة في أندر ومؤسّس جمعيّة المتمسّكين بسنّة خير المرسلين في أكتوبر عام ١٩٥٩م ومقدّم البرنامج الدّيني في إذاعة السنغال باندر .

احتوى ديوانه على ستّين قصيدة . فهذه نبذة منه :

أبا ناس قوموا للمنافع واقصدوا إلى أهلها طوبى لمن نال ما نالوا
رجال كرام من كرام وجودهم علوم لتدريس أو النور والمـال

فنهم إمام من أئمة ديننا خديم لأوطان معين لمن جالوا
عفيف تقيّ ذو الدّراسة والهدى تجاني أبو الاكرام عين لمن سالوا
ملاذ لتعليم ونور لأهل أندر لذاك نحاه الواردون بنو وال
كجور وفوت ثم جامبر وسالم جميعاً أجابوه كهول وأطفال
أيا وارث الخيرات من شيخنا الرّضي خليل لمولنا له حقّ اجلال
كذا نلت فضلا من خليفة وقته أبي بكر الملجا له دان أكهال
بجاهكم أرجو من الله نعمة وعفوا ورضوانا كذا العلم والحال
أيا ربي اغفر لي وأمّي ووالدي ولا تنس أيضاً من هما العمّ والخال
وكلّ قريب لي ونجل وزوجة مع المسلمين يوم لا ينفع المال
صلاة وتسليم على طه أحمد أبي القاسم الأعلى كذا الصحب والآل

وقال أيضاً زاده الله فيضاً يمدح الطفل مالك فال سبط خالي كورجوف إمام سور جاج :

طفل يسرّ ناظراً بخلقه كمثل بدر ساطع من افقه
يا ليته ذو خلق كخلقه يصير سيّداً لأجل سبقه
طفل دعي بالملاذ مالك زحزحه الله عن المهالك
وهو سليل حفص بنت خالي إمام أهل سور ذي المعالي
أثبتنا الإله ربّنا المعين معهم في قفو سنَّة الأمين
صلّى وسلّم عليه كلّ حين ما دام في الورى سراج أهل الدين

وقال أيضاً زاده الله فيضاً في ذكرى ديخل قرية أجداده الكرام ومدح جده المجتهد السيد الحاج حسين صور رضي الله عنهم جميعاً آمين :

ليال ديخل[1] أحييها بأفكاري لو تفتدى لفدىناها بأشعاري
نسيت داري وأهلي باكياً ولها إذ دور ديخل اغرتني بأذكار
كم عاش فيها جدودي ذاع فضلهم بالعلم والمجد فيضًا مثل مدرار

(١) قرية قديمة كريمة للفلّانيّين بجانب كوك وحاج .

من كان ديدنهم تدريس نور هدى[1] لله من حسن صوت عند الاسحار
قد فرّق الدّهر جمعاً كان ألّفهم في الله لله فضلا دون أسرار
متى ذكرتهم أبكي على وجل بكاء ثكلى ودمعي فيض أمطار
أسباطهم اقتفوا آثارهم وهم في قفو آثارهم فتح لأسرار
منهم حسين[2] كريم الخلق ذو قدم في الدين ذا ورع دأبا وأنوار
به افتخرت لكوني سبطة وأبو ال إمام أحمد ذو فتح وآثار
أبى الغواية واختار العناية من جهاد نفس وزهد عابد الباري
حاز العلوم وحجّ البيت ذا حرم بعزمه راجلا من عزم بتّار
زار النبي ونال الفوز منه كذا سعادة قد تمناها كالاخيار
جزاه ربي عن الإسلام مع وطن كما جزى الأوليـا معاً كابرار
سقى ضريحاً ضريح الجدّ أبتي من رحمة وابلا يسقي كُنْكَارِي[3]
ذكراك يا ديخل في القلب بلبلتي ذكراك ذكراك في ذكراك أفكاري

وقال أيضاً زاده الله فيضاً يخاطب سدرة في داره المباركة ويذكر أقاربه الأموات الذين سكنوا الدار ويدعو لهم رحمهم الله جميعاً :

يا سدرة نبتت من قبل مولدنا عند الولي امامي ذي المزيات
كم كم قطعتك اصلاحاً لبنيتنا وكم بقيت لتحيي كل ساعات
سقاك والدنا من بئر زمزم أو من حوض كوثر أو فيض الولايات
كانت تغني طيور تحت ظلك مثـ ـل الذاكرين لبار في العبادات
كنّا ننازع أثماراً بساقك هل من جنة الخلد حلواً ذات لذّات
كم في عروقك أسراراً مكتمة فيها شفاء وفيها كشف غمات
كم نال فوزاً عباد بعد ما غسلوا من غسل أوراقك الخضرا ومنّات

---

(١) القرآن العظيم .

(٢) جدي الحاج حسين واسمه المشهور من أمه دمْبَ تَكْ صَوْ .

(٣) قرية بجانب انيور بمال توفي فيها جدي عند رجوعه من حجه المقبول وزارها والدي الشيخ أحمد الكبير ولم يعرف القبر رضي الله عنهما .

لولا الملمات نبقيك مدى زمن   تسبّحين لرحمان البريات
لكن رب الورى في كل أزمنة   يبقى ويلحقنا يوماً بالاموات
يا سدرة أصلها من منتهى قنن   تثني إلى سدرة أعلى النهايات
ما زلت أبكي على المرحوم أحمدنا   شيخي المربي المرقي بالكرامات
لم أنس فاطمة الزهراء ذات رضى   أبكي عليها كثكلى كل ساعات
كذا سليمة عمّاد ومارية   حبيبة آدم ذو ملك همّات
ومصطفى قرّة العينين يا أسفا   كذا بشير حسين ذو العطيّات
سقى قبورهم الرحمان راحمهم   من وابل الثلج روحاً من سماوات
وبعد صلّى على المختار شافعنا   يوم القيامة مفتاحاً لجنّات

قال بات ابن عم الشيخ مختار بن حامد الديماني لما زارني في داري المباركة بسور أندر :

هذا المبيت الذي في دار عثمان   علّي نسيت به أهلي وأوطان
أبدي من الشعر ما قد كان أظرفه   لله ما كان من حسن واحسان

وقال أيضاً زاده الله فيضاً يجيب خله بات ابن عم الشيخ مختار بن حامد الديماني :

اتيان بات إلى داري واخواني   ألذّ من وصل حب بعد هجران
أو برء داء طويل ظن صاحبه   هلاكه أو فرات بعد ظمئان
أهلا وسهلا به يا من له ملأت   أشواقه القلب انّي مثل سكران

الحاج سعيد بن محمد نور تال

لمّا قدم الشيخ الحاج عمر سوكت في عام ١٨٢٦م تعرّف إلى الشيخ أحمد بلو بن عثمان دن فودي فزوّجه ببنت له اسمها مريم . وكانت مريم هذه والدة الحبيب ومحمد النور . وقد تولّى الحبيب أمر دنكراوي وأمّا محمد النور فكان هو والد الحاج سعيد الشيخ للإسلام المعروف المشهور في دكار بالسنغال وهو من الشيوخ الكبار في إفريقيا الغربية . لا نعرف ابن كم سنة هو لكنه طاعن

في السّنّ الآن وفي خلال هذا الكتاب لم نبخل من أن نشير إلى بعض قصائد كأعلام مدحه بها كثير من أدباء السنغال لا سيما الشعراء شأن الشيخ أحمد عيان سه والشيخ ذي النون وغيرهما .

أمّا هو فقد كتب كثيراً على ما قيل ومهما يكن من الأمر فقد أعطانا بواسطة كاتبه العام ثلاثة كتب صغيرة وهي :

١ – بغية الملتمس وجذوة المقتبس وسلّم الرّقاة لشرح نظم الورقات .
٢ – نصيخة الإخوان في هذا الزمان الفاسد فيما يدّعيه أهل آخر الزمان .
٣ – نصيحة الإخوان في إمامة أهل آخر الزمان .

وها هي نبذة من بغية الملتمس :

« بسم الله الرّحمٰن الرّحيم حمداً لمن جعل الفروع تطيب بطيب الأصل . فلا يتأتّى إلّا بالأصول إلى فهم دقائقها الوصول . والصلاة والسلام على سيد الوجود . من نوره هو الأصل في كل موجود . وهو صلى الله عليه وسلم خاتم الرسالات . ومفتاح جميع الـ حسنات وعلى آله وصحبه الذين للدّين هم الكماة الحماة . وهم رضي الله تعالى عنهم النجوم الهداة . أمّا بعد . فيقول العبد العاجز الفقير . إلى رحمة مولاه الغني القدير . سعيد بن محمد النور . جعل الله سعيه من السعي المشكور . حفيد شيخ المشائخ والطود الشامخ المتبحر في جميع العلوم الرّاسخ . العابد الزاهد . المدافع عن دين الله المجاهد حامل لواء الطريقة . بحر الشريعة والحقيقة . الذي لا تحصى في الطروس شمائله . ولا تحصر بالأقلام فضائله وفواضله . الشيخ الحاج عمر بن سعيد . الشهير فضله عند القريب والبعيد . فما هو إلا كالنّار على علم . وبدر التمام في غياهب الظلم . الفوتي الكدوي . رضي الله تعالى عنه وارضاه . وأدخلنا في حوزة حماه . وجعلنا من ذريته الذين به ألحقوا . ولما وفّق له ووفّقوا انّه على ذلك قدير وبالإجابة جدير . هذا وانّي لما صار علم الأصول نسياً منسياً . وتركه الناس وراءهم ظهرياً . طلب مني أحد الإخوان أصلح الله لنا وله كلّ شأن . أن أضع تعليقاً لطيفاً على نظم ورقات إمام الحرمين الشّافعية المتداولة بين الأصوليّين . يبيّن مشكلاتها . ويوضح معضلاتها . ليس بالقصير المخل ولا بالطويل الممل . فلم أجد بدا من مساعفة

مطلوبة وموفقة مرغوبة . واجبته إلى ذلك مع علمي بما هنالك . وقد قالوا من ألّف . فقد استهدف . فجعلت أقدّم رجلا وأأخر أخرى . والتأخر عن مثل هذا لمثلي أحرى . لقصور باعي وعدم اطلاعي . وقلّة اتساعي . وعدم فراغ بالي لكثرة أشغالي ولكن تطفلت على فضل الله الكريم . لأنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وسميته بـ « بغية الملتمس » . وجذوة المقتبس . وسلّم الرقاة . لشرح نظم الورقات » .

باب أصـول الفقـه

أي هذا باب في بيان الفن المسمى بهذا اللقب بمدحه بابتناء الفقه عليه إذ الأصل ما يبنى عليه غيره فلفظ أصول الفقه في الأصل مركّب اضافي لقب قصد به المدح ثم نقله الأصوليون وجعلوه لقباً لهذا الفن ا هـ ملخصاً .

هاك أصول الفقه لفظاً لقبا   للفن من جزأين قد تركّبا

يعني خذ أصول الفقه في هذا اللفظ والمراد خذ لفظ أصول الفقه حالة كونه لقباً للفن فلو قال لفظ أصول الفقه خذه لقباً للفن...الخ لكان أحسن وأتقن وهو بحسب الأصل قد تركب تركيباً إضافياً من جزأين أي تركب من مضاف ومضاف إليه وإلا فهو مفرد لأنه لقب للفن المخصوص فللفظ أصول الفقه معنيان أحدهما معناه الإضافي وهو ما يفهم من مفرديه عند تقييد الأول باضافته للثاني وثانيهما معناه اللقبي وهو العلم الذي جعل هذا المركب الإضافي لقباً له ونقل عن معناه الأول إليه ا هـ .

والأول الأصول ثمّ الثّاني   الفقه والجزآن مفردان

الأصل ما بني عليه غيره كأصل الجدار أي أساسه وأصل الشجرة اي طرفها الثابت في الأرض وهذا لقرب تعريب الأصل فإن الحس يشهد له كما في الأصل الجدار والشجرة فأصول الفقه ادلته التي بني عليها وهذا أحسن من قولهم الأصل هو المحتاج إليه فإن الشجرة محتاجة إلى الثمرة من حيث كمالها

وليست الثمرة أصلاً للشجرة وذاك معني قول الناظم أي فالأصل ما عليه غيره بني الخ .

فالأصل ما عليه غيره بني والفرع ما على سواه ينبني
والفقه علم كل حكم شرعي جاء اجتهاداً دون حكم قطعي

قوله والفرع الخ والشرع الخ يبنى على غير فرع كفروع الشجرة لأصولها وفروع الفقه لاصولها أعلم أن للفقه الذي هو الجزء الثاني من الجزأين المذكورين معنى لغوياً وهو الفهم واصطلاحياً وهو إن شئت قلت العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية وإن شئت قلت وهو أخصر معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد وهذا معنى قول الناظم . علم كل حكم شرعي أي بجميع الأحكام والمراد بالعلم بالجميع التهيؤ له وهو أن تكون له ملكة يقتدر بها على تحصيل التصديق بأي حكم أراد وإن لم يكن حاصلاً بالفعل فلا يرد قول مالك في ست وثلاثين من أربعين مسألة سئل عنها لا أدري لحصول تلك الملكة عنده بحيث لو أمعن النظر لحصل له التصديق بها :

والحكم واجب ومندوب وما أبيح والمكروه مع ما حرما
مع الصّحيح مطلقاً والفاسد من قاعد هذان أو من عابد

إعلم أن الفقه هو العلم بهذه السبعة التي ذكرها أي معرفة جزئياتها أي الواجبات والمندوبات والمباحات والمحرمات والمكروهات والأفعال الصحيحة والأفعال الفاسدة كالعلم بأن هذا الفعل مثلا واجب وهذا مندوب وهذا مباح وهذا محرم وهذا مكروه وهذا صحيح وهذا فاسد اهـ وزاد جماعة من المتأخرين منهم صاحب الأصل في النهاية خلاف الأولى وقالوا إن كان طلب لترك الغير الجازم بنهي مخصوص كحديث الصحيحين إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين فكراهة أو بغير مخصوص وهو النهي عن ترك المندوبات المستفاد من أوامرها فخلاف الأولى كفطر مسافر لا يتضرر بالصوم وترك الضحى وبعضهم ضمها للاحكام الخمسة . وقوله من قاعد أي تارك للعبادة هذان أي الصحيح والفاسد أو من عابد تكملة :

فالواجب المحكوم بالثواب في فعله والترك بالعقاب

يعني إذا علمت ما ذكر فالواجب من حيث وصفه بالوجوب هو المحكوم عليه بأنّه يجازى فاعله بالثواب في فعله وبالعقاب في تركه وهذا مراد قول أصله كغيره الواجب هو ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه اخرج الحرام والمكروه والمباح وقوله يعاقب على تركه اخرج المندوب فالثواب على الفعل والعقاب على الترك أمر لازم للواجب من حيث وصفه بالوجوب وليس هو حقيقة الواجب وهذا تعريف رسمي فيصح باللازم :

والندب ما في فعله الثواب ولم يكن في تركه العقاب

يعني والمندوب أي من حيث وصفه بالندب هو ما في فعله الثواب ولم يكن في تركه عقاب وهذا معنى قول أصله والمندوب ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه ثم المندوب لغة هو المدعو إليه فسمى الفعل بذلك لدعاء الشارع إليه فاصله المندوب إليه ثم توسع بحذف حرف الجر فاستكن الضمير واصطلاحاً ما ذكره ويسمّى المندوب السنة والمستحب والتطوع ومثلها الحسن والنفل والمرغب فيه فهذه الألفاظ مترادفة عرفاً :

وليس في المباح من ثواب فعلا وتركا بل ولا عقاب

يعني أن المباح واصطلاحاً هو الذي ليس في فعله ثواب ولا في تركه عقاب وهذا قول مراد قول الأصل هو ما لا يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه اهـ . ومحل ما ذكر في حد المباح ما لم تنوبه القربة كالأكل بقصد التقوي على الطاعات فإن نويت أثيب عليه ا هـ .

فصل في الاجتهاد

وحدّه أن يبذل الذي اجتهد مجهوده في نيل أمر قد قصد

قوله في الاجتهاد أي المراد عند الإطلاق وهو الاجتهاد في الفروع وقوله وحده الخ يعني ان تصريف الاجتهاد لغة بذل الوسع فيما فيه كلفة واصطلاحاً بذل الفقيه المجتهد مجهوده أي طاقته ووسعه في نيل أي بلوغ الغرض المقصود من العلم لتحصيله بأن يبذل تمام طاقته في النظر في الأدلة الشرعية ليحصل الظن

بالحكم الشرعي فالمجتهد إن كان كامل الأدلة في الاجتهاد الذي تقدّم ذكره بإن استكمل ما يتوقف عليه فهو المجتهد المطلق ودونه مجتهد المذهب وهو المتمكن من معرفة قواعد إمامه فيخرج الدليل منصوصاً زائداً على إمامه فإذا وقعت حادثة لم يعرف لإمامه فيها نصاً اجتهد فيها على مذهبه وخرجها على أصوله ، ودونه مجتهد الفتوى وهو المجتهد المتبحر في مذهب إمامه المتمكن في ترجيح أحد قوليه على الآخر إذا اطلقها فإن اجتهد كل واحد من هؤلاء في الفروع فأصاب فله أجران على اجتهاده وأجر على اصابته وان اجتهد فأخطأ فله أجر واحد على اجتهاده كما سيأتي في كلام الناظم :

وليتقسم إلى صواب وخطأ   وقيل في الفروع يمنع الخطا

يعني أن الاجتهاد ينقسم إلى اجتهاد صواب واجتهاد خطأ وقوله وقيل الخ أي ومن علمائنا من قال كل مجتهد في الفروع التي لا قاطع فيها مصيب اجتهاده اهـ .

وفي أصول الدّين ذا الوجه امتنع   إذ فيه تصويب لأرباب البدع

أي لا يجوز أن يقال كل مجتهد في الأصول الكلامية أي العقائد الدينية مصيب لأنّ ذلك يؤدي إلى تصويب أهل الضلالة من النصارى القائلين بالتثليث والثنوية ومن المجوس في قولهم بالأصلين للعالم : النور والظلمة وذلك معنى قوله :

من النصارى حيث كفرا ثلّثوا   والزّاعمين أنهم لم يبعثوا
أو لا يرون ربّهم بالعين   كذا المجوس في ادّعا الأصلين
ومن أصاب في الفروع يعطى   أجرين واجعل نصفه من أخطا

أي ودليل من قال وهم الجمهور ليس كل مجتهد في الفروع مصيباً بل قد علم مما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد رواه الشيخان ولفظ البخاري إذا حكم الحاكم فاجتهد وأصاب فله أجران وإذا حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد وذلك قول الناظم اهـ :

لما رووا عن النّبي الهادي   في ذاك من تقسيم الاجتهاد

قوله لما رووا أي العلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث المتقدم

وقوله في ذاك ... الخ من جعلهم للمجتهد المصيب أجرين وللمخطئ أجراً واحداً ا هـ .

ا هـ

وهاكم نبذة من نصيحة الإخوان في هذا الزمان الفاسد :

قد طلب مني بعض الإخوان الذين لا يسعني مخالفتهم وأرجو من الله الأجور في مساعدتهم أن أكتب لهم نبذة من نصيحة الإخوان ،في هذا الزمان الفاسد ، فيما يدعيه أهل آخر الزمان ، وعدم مبالاتهم في الانهماك بالعصيان والجرائم . وتجاوزهم عن حدود الله إلى المحارم . فأجبت دعوتهم رجاء لقوله صلى الله عليه وسلم . « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة » ... الخ . وامتثالاً لقول ربنا تبارك و تعالى . « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » . صلى الله عليه وسلم . « الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم » . ونقدم أولاً بما قيل في الأمر بالمعروف والنهي والمنكر . ثم بذكر الكبائر ترتيباً وتبياناً لتكون الناس على تدبر وتيقظ ثم بذكر بعض القبائح التي ورد في الكتاب والسنة وما اتفق عليها العلماء لتزدادوا حذراً منهن . فقلت وبالله التوفيق . وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق . أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو فريضة ثابتة في الكتاب والسنة واجماع الأمة . أما الكتاب فقوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . وقوله تعالى : « كنتم خير أمة أُخرجت للناس » الآية .

وأما السنة فقد ورد فيه أحاديث كثيرة منها حديث مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » . أي الأعمال . وعن حذيفة رضي الله عنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »رواه الترمذي وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس امروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب

لكم وان تستغفروا الله فلا يغفر لكم ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقاً ولا يقرب أجلا » فالأمر بالمعروف من واجبات الشرع والنهي عن المنكر ، المحرومات والمكروهات . وأما الاجماع فلأن المسلمين في صدر الأول وبعده كانوا يتواصون بذلك ويلومون تاركة مع القدرة عليه ، ثم أن الأمر بالمعروف فرض واجب على كل من بسطت يده كما في نص الرسالة لابن أبي زيد القيرواني حيث قال : ومن الفرائض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل من بسطت يده في الأرض وعلى كل من تصل يده إلى ذلك فإن لم يقدر فبلسانه فإن لم يقدر فبقلبه وقال شارحه النفراوي في كتابه « الفواكه الدواني » والمراد بالمعروف كل ما أمر الله أورسوله به والمنكر كل ما نهى الله أو رسوله عنه وقوله « على كل من بسطت يده في الأرض أي انتشر حكمه لكونه سلطاناً أو أميراً أو قاضياً وقوله من تصل إليه يده إلى ذلك ممن له شأن وعظمة في نفوس الناس بحيث يمتثل أمره ونهيه لعموم آية « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير » الآية لكن نحو السلطان صفة أمره ونهيه أن يعرف المأمور والمنهي لذلك فإن امتثل المأمور بمجرد التعريف . وإن لم يمتثل هدده بالضرب فإن لم يمتثل ضربه بالفعل فإن لم يمتثل شهر له السلاح ان وجب قتله ولا ينتقل عن مرتبة إلا عند افادة ما قبلها ومثل السلطان في رتبة الأمر والنهي الأب والسيد والزوج وأما غير من ذكر فإنما يأمر وينهى بالقول إلا الأرفق فالارفق من لسانه فإن لم يقدر بلسانه فيأمر وينهى بقلبه وصفة تغيير القلب إذا رأى منكراً أن يقول لو كنت أقدر على تغييره لغيرته وإذا رأى معروفاً ضاع يقول لو كنت أقدر على الأمر به لأمرت به ويتباعد عن مخالطته ان استطاع والا انتقل إلى المداراة لأنها صدقة ومشروعة لخبر أمرت بمداراة الناس كما أمرت بأداء الفرائض » ولذا قال الإمام الخازن في كتابه « لباب التأويل » إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يختص بالعلماء وولاة الأمر وأعلم أن فرضية الأمر والنهي على من لهم قدرة أن تعددوا الكفاية إذا كان نهيهم أو أمرهم باليد أو اللسان وأما القلب ففرض عين على كل مكلف لأن بعض المخالفات وحب الطاعات من أهل الإيمان ترف قال تعالى « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم » الآية « وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خمسة شروط : أولها أن يكون الآمر والناهي عالمين بذلك مخافة أن ينعكس الأمر فيأمر بمنكر

وينهى عن معروف . وثانيهما أن يأمن أن لا يؤدي انكار إلى منكر أكبر منه كنهيه عن قذف فيؤدي للقتل . وثالثهما أن يعلم أو يغلب على ظنه الإفادة وإلا لم يجب عليه أمر ولا نهي فالشرطان الأولان للجواز فيحرم عند فقدهما . والثالث للوجوب فيسقط عند عدم ظن الإفادة . ورابعها أن يكون المنكر ظاهراً بحيث لا يتوقف على تجسس ولا استراق سمع ولا بحث بوجه كتفتيش داره أو ثوبه لحرمة السعي في ذلك . وخامسها أن يكون المنكر مجمعاً على تحريمه أو يكون مدرك عدم التحريم فيه ضعيفاً ومرتكبه يرى تحريمه لا إن كان يرى حله أو يقلد من يقول بالحل ثم ان الأمر بالمعروف تابع للمأمور به إن كان واجباً فواجب وإن كان ندباً أي المأمور به فندب وأما النهي عن المنكر فواجب كله لأن جميع المنكر تركه واجب لاتصاله بالقبح ولم يشترط من الآمر أن يكون ذا عدالة على المشهور فيجب على شارب الخمر نهي غيره عن شربه نعم قال بعض الأئمة ينبغي للآمر والناهي أن يكون بصورة من يقبل أمره ونهيه فلا ينبغي للعالم والسلطان عند نزع عمامته أمر ولا نهي إذا كان لا يعرف إلا بها كما ينبغي أن يكون الأمر والنهي بالرفق فلا يرتكب في ذلك غليظ القول ولا شتم إلا في نحو السلطان وغيره ممن له الإنكار باليد فلذا لا يزين الدين ، ويقوى بدون أمير يحرسه كما قاله العالم الحكيم الشيخ سعد بن ابراهيم الدّليّ الأبويّ رحمه الله في نصح الرعاة :

ملك ودين توأمان الدّين أس والملك حارسه فلا يتزلزل
ملك بلا دين جدار مائل دين بلا ملك كميّ أعزل

... وقد مد بعض العلماء من الكبائر تسعاً وخمسين . الأولى الشرك بالله ٢ قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ٣ شرب الخمر ٤ الزنا ٥ اللواط ٦ قذف المحصنين والمحصنات بالزنا ٧ عقوق الوالدين مطلقاً بقول أو فعل ٨ الفرار من الزحف من رجل واحد أو رجلين في الحرب ٩ اكل مال اليتيم ظلماً ١٠ شهادة الزور ١١ أكل الربا ١٢ أكل أموال الناس بالباطل ١٣ الغلول وهي الخيانة في الغنيمة ١٤ مهر البغي ١٥ السحت وهو أن يهدى لك من أعنته في حاجته ١٦ الرشوة جمع رشوة بالضم والكسر فيهما وهي بذل المال لابطال حق أو تحقيق باطل

١٧ أجرة الكهانة ١٨ أخذ الشاهد فوق ما يستحقه من الأجرة ١٩ الإفطار في رمضان بلا عذر عامداً ٢٠ مقاطعة الرحم ٢١ اليمين الفاجرة ٢٢ النقص في الكيل والميزان ٢٣ تقديم الصلاة على وقتها ٢٤ تأخيرها عن وقتها ٢٥ ضرب المسلم بغير حق ٢٦ شتم النبي عليه السلام ٢٧ الكذب على النبي متعمداً ٢٨ سب أصحابه صلى الله عليه وسلم والأولياء مطلقاً ٢٩ كتمان الشهادة بلا عذر ٣٠ قتل نفسه ٣١ قطع عضو من أعضائه ٣٢ الديائة ٣٣ السعاية بين الرجل والمرأة ٣٤ السعاية عند الظالم ٣٥ السحر ٣٦ منع الزكاة ٣٧ الأمر بالمنكر ٣٨ والنهي عن المعروف ٣٩ الوقيعة في أهل العلم ٤٠ احراق الحيوان بالنار ٤١ امتناع المرأة من زوجها بلا سبب ٤١ اليأس من رحمة الله ٤٣ الأمن من مكر الله تعالى ٤٤ السرقة ٤٥ الغصب ٤٦ نسيان القرآن بعد حفظه ٤٧ الغيبة ٤٨ النميمة ٤٩ الكذب ٥٠ ترك صلاة العصر إلى الغروب ٥١ منع الأجير أجره بعد كده ٥٢ الردة والعياذ بالله ٥٣ شتم لاملاك الله ٥٤ شتم أهل النبوة ٥٥ تبديل أسماء الله المضافة لأسمائه ٥٦ إيذاء الخلائق ٥٧ تبديل ما كان واضحاً كتحليل بتة ٥٨ الظهار ٥٩ وهذه كلها هي المعاصي الظاهرة الجسدية دون الخفية القلبية .

... وأما الـرّبا وفي حاشية أحمد الصاوي على الجلالين قال اعلم أن الرّبا محرّم كتاباً وسنّة واجماعاً فمن استحله فقد كفر أما الكتاب فقد قال ربنا تبارك وتعالى في محكم تنزيله « إن الذين يأكلون الربا » أي يأخذونه استحلالاً والزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو الأجل « لا يقومون » من قبورهم إلا « قيـاماً » كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المس « كقيام الذي يتخبطه الشيطان أي من أصابه الشيطان بالجنون في الدنيا أي ان أكل الرّبا يبعث يوم القيامة مجنوناً وذاك كالعلامة المخصوصة بآكل الرّبا فيعرفه أهل الموقف بتلك العلامة إنه كان آكل الرّبا في الدنيا . ذلك أي كون التخبيل علامة آكل الربا في الآخرة « بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا » أي إنما الزيادة في البيع كالزيادة في الـرّبا أي ذلك العذاب بسبب أنهم نظمـوا الـرّبـا والبيع في سلك واحـد لافضائهما إلى الـربح فاستحـلوه استحلالـة وقـا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمة درهم بدرهمين بل جعلوا الربا أصلاً في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما « وأحل الله البيع وحرّم الربا » أي

أحل الله لكم الأرباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل « فمن جاءه موعظة » زجر وتخويف عن الربا « من ربه فانتهى » أي امتنع عن أخذه « فله ما سلف » قال السدى أي له ما أكل من الربا وليس عليه رد ما سلف فاما ما لم يقبض بعد النهي ولا يجوز له أخذه وإنما الرأس ماله فقط . « وأمره إلى الله » أي يجازيه على انتهائه عن أخذه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية « ومن عاد » إلى تحليل الربا بعد التحريم « فأولئك أصحاب النار » أي ملازموها « هم فيها خالدون » أي ماكثون أبدا « يمحق الله الربا » أي يهلك المال الذي دخل فيه في الدنيا والآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا صلة رحم « ويربي الصدقات » أي يبارك في المال الذي أخرجت منه صدقة في الدنيا والآخرة وفي الحديث أن الملك ينادي كل يوم اللّهم يسر لكل منفق خلفاً ولممسك تلفاً اهـ. من تفسير المنير لمحمد النووي وقد ورد في دم آكل الربا من الأحاديث ما لا يحصى فمنها « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده » كلهم في اللعنة سواء ، ومنها أنه عليه السلام رأى ليلة الإسراء رجلاً يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل آكل الربا وقال عليه الصلاة والسلام نصيب الربا أعظم عند الله تعالى من ثلاث وثلاثين زنية وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا باع الرجل الدرهم بالدرهمين والدينار بالدينارين فقد أربى فإذا عمل شيئاً من الحلية فقد أربى وخادع الله عزّ وجل واتخذ آيات الله هزءاً وعن سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال : قال عليه الصلاة والسلام في قصة الإسراء إلى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل بطن البعير الضخم منصدين بعضهم على بعض على سائلة آل فرعون يطؤهم آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشياً يقبلون مثل الإبل المنهومة أي مثل الإبل التي صيح بها لتجد في سيرها والنهم بالتحريك افراط الشهوة للطعام من جوع يخبطون الحجارة والشجرة لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به فيصرع فلا يستطيعون أن يرجعوا أي يزايلوا مكانهم حتى يغشاهم آل فرعون أي يطؤهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ أي بين الدنيا والآخرة وذكر في سبب تحريم الربا وجوها : أحدُها :

أن الربا يقتضي أخذ مال الغير بغير عوض لأن من يبع درهماً بدرهمين نقداً أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام . والوجه الثاني : إنما عقد الربا لأنه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لأن صاحب الدرهم إذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك إلى انقطاع منافع الناس بالتجارة وطلب الأرباح . والوجه الثالث :أن الربا هو سبب انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثلها لطلب الأجر من الله تعالى . والوجه الرابع : إن تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن تكون حكمة جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وإن كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك وفي درة الخريدة للنظيفي رحمة الله وقيل كل عقدة فاسدة فهي ربا وفي الجامع الصغير الربا وان كثير فإن عاقبته تصير إلى قل والقل بالضم القلة وفي العهود المحمدية أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن لا نأكل طعام من يعامل بالربا والحيلة إلا لضرورة شرعية كأن لم نجد شيئاً نسد به الرمق أو ترتب على ذلك مصلحة دينية ترجح على تركه وقد ثبت إن من حكمة الله تعالى وعادته أن من أكل الربا يحول الله صورته عند الموت كصورة حمار إما في الدنيا وإمّا في الآخرة اللّهُمَّ انا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة آمين .

... « إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم » الآية ومواصلة الأرحام تختلف باختلاف الناس كما أورده أحمد الصّاوي في حاشيته على الجلالين وقال فمنهم الغني والفقير فالواجب على الغني المواصلة بالهدايا والتحف والكلام اللين وعلى الفقير باللين والسعي لهم ومعاشرتهم بالمعروف ولا فرق بين الأحياء والأموات . نسأل الله تبارك وتعالى حسن المواصلة والمراحمة بجاه من بعث للعالمين رحمة لهم آمين .

ودونكم نبذة من « نصيحة الإخوان في إمامة أهل آخر الزّمان » لعبد ربّه الحاج سعيد بن محمد النور المفوّض أمره لمالك الأمور :

الحمد لله الذي قال عزّ وجل « ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » الآية . « وتعاونوا على البرّ

والتقوى » والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد الذي قال « الدين النصيحة »
وآله وصحبه الذين بايعوا لربّهم وبعد فيصل إلى الإخوان المسلمين خصوصاً
السادات الكرام أهل كلكر وغيرهم من أهل السودان بل كلّ الافريقية السلام
وأعم الاكرام يعم الذكور والإناث والأصاغر والأكابر . من أضعف العبيد
وأحوجهم إلى رحمة مولاه المجيد سعيد بن محمّد النّور . المفوّض أمره إلى مالك
الأمور ابن الشيخ الحاج عمر الفوتيّ . اعلامكم أنه بلغني منكم ما يخجلني غاية ويوقعني
على شدّة الوجل من تفريق جماعتكم المباركة مع علمكم أن ذلك في غاية
الحرام . قال تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله
عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا
حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » ويؤخذ
من هذه الآية الكريمة انّ الاختلاف يوقف الإنسان على شفا حفرة من النار أي
طرف حفرة من النار وأيضاً قال « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي
أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه »
ووسعوا ديننا كما وسعه الله قال تبارك وتعالى « إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين
أخويكم » المؤمنون كلّهم أخوة لأن تناسبهم إلى أصل واحد وهو الإيمان لأن
أخوة الدين أعظم من أخوة النسب وأخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة
الدين لا تنقطع بمخالفة النسب ولذلك قال تبارك وتعالى « ولا تركنوا إلى الذين
ظلموا فتمسكم النار » أي فلا تميلوا ادنى الميل . قال القسطلاني (ومن أعان
ظالماً كانه معه في ظلمه) قال النصيحة من الإيمان والتحقيق بها من علامة
الإيمان وأعظم الناس جهلاً من جهل نفسه وأهمل أحواله حتى دخل رمسه .
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنّي على الله » . وقد قال عليه الصلاة
والسلام الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكافة المسلمين
وخاصتهم فالنصيحة لله باتباع أمره ونصرة لدينه والتسليم له في حكمه والنصيحة
لرسوله باتباع سنته واكرام قرابته والشفقة على أمته والنصيحة لكتابه بتدبّر آياته
واتباع مأموراته وتحسين تلاوته والنصيحة لعامّة المسلمين بالذب عن أعراضهم
والنصرة لهم في جميع أحوالهم جلباً ودفعاً والنصيحة لخاصتهم بالطاعة للأمراء

إلا محرم مجمع عليه والتصديق للعلماء إلا فيما يهدي العلم إليه قال تبارك وتعالى « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون » . يا اخوتي لا تجلبوا لأنفسكم فتنة ذلك ممنوع في شريعتنا . قال الشارع الفتنة نائمة واضعة خطامها فويل لمن اهاجها . قال أيضاً الفتنة نائمة فويل لمن أيقظها . قال تبارك وتعالى « واتقّوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » . عليكم أن تتأدبوا مع الدولة الفرنسية الفخيمة الذين أبردوا لنا من كل وجه في الكل والكليات ويسروا لنا جميع الأمور مع شدّة قوّتهم لعظم سياستهم وعقلهم بالشفقة والرحمة علينا ويعينوننا على كل ما نحتاج من مصالح ديننا وعيالنا كآبار في الصحراء وتيسير طرق الحجاج والكتب وسفن البر وقراءة الولدان بغير أجرة وتشفية أمراضنا بالأطباء وبناء المستشفيات مع أدبهم معنا ما لا يفعله ملوكنا الأوّلون الذين دينهم وديننا ليس بواحد . قال تبارك وتعالى « اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أطيعوا ولو عبداً حبشياً » وقال أيضاً أطيعوا كل أمير وقوله أيضاً عليه الصلاة والسلام أوصيكم بتقوى الله العظيم والسمع والطاعة للولاة ولو لعبد حبشي ولا يجوز الخروج عن العادل اتفاقاً وكذا عن الجائر في المشهور لقوله صلى الله عليه وسلم لما قيل يا رسول الله أرأيت أن ولي علينا أمراء يطلبون منا حقوقهم ولا يعطوننا حقوقنا فقال عليه الصلاة والسلام أعطوهم حقوقهم واطلبوا حقوقكم من الله سائلهم عما استرعاهم فاعتبروا فيما كنا فيه بالأمس وما صرنا إليه اليوم من جهة الدين والدنيا أمّا الدنيا فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن لا غنى لنا عن هذه الدولة الفرنسية . أما الدين ففي بناء المساجد واجراء المياه واصلاح الطرق والمواصلات والاحتياطات الصحيحة ما يغني عن التعريف به . وأما أمر الإمامة فيسير ومنهم من يحبونها من لا يحبونها وهو قليل من أهل زماننا هذا لجهلهم وما علموا أن الإمامة ما فيها إلا حمل ذنوب المأمومين وقت الصلاة وما علموا أن الأئمة شفعاء لمن اقتدى بهم والله تبارك وتعالى هو الذي يعلم من يقبل شفاعته ومن لا يقبل شفاعته علمتم أنّ تبارك وتعالى قال في كتابه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وعن طلحة بن عبيد الله أنه صلى بقوم فلما انصرف

قال إني نسيت أن أستأمركم قبل أن أتقدم أرضيتم بصلاتي قالوا نعم ومن يكر ذلك يا حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أمّ قوما وهم له كارهون لم تجاوز صلاتهم اذنيه والإمام الرّاتب هو من نصبه من له ولاية نصبه من واقف أو سلطان أو نائبه في جميع الصلوات أو بعضها على وجه يجوز أو يكره بأن يقول جعلت إمام مسجدي فلاناً الاقطع لأن الواقف إذا شرط المكروه مضى وكذلك السلطان أو نائبه إذا أمر بمكروه يجب طاعته على أحد القولين والإذن للانسان بالإمامة يتضمن أمر الناس بالصلاة خلفه ا هـ دسوقي : من نصبه الإمام أو نائبه أو واقف المسجد فهو الرّاتب . أو اتفق عليه أهل عصره لفقد كل قادح في عرضه ولكونه أيضاً زائد فقه ثم حديث ثم قراءة قال الشيخ خليل « ندب تقديم سلطان ثم رب منزل ثم زائد فقه وحديث وقراءة وقال الشيخ ابن أبي زيد ويؤم الناس أفضلهم أي أكثرهم فضلاً أو فقهاً وأما العادة فكونها أي الإمامة ثابتة لهم منذ ما ينيف على مائة سنة تقريباً أب عن أب إلى يومنا هذا وكفى به عادة .

... إن الإمامة لها شروط صحة وشروط كمال وشروط صحتها ثلاثة عشر أولها الذكورة المحققة فلا تصح إمامة المرأة والخنثى المشكل وتبطل صلاة المأموم دون الأنثى التي صلت إماماً . ثانيها الاسلام فلا تصح إمامة الكافر وان حكم بإسلامه ان نطق بالشهادتين . ثالثها العقل فلا تصح إمامة المجنون ولو متقطعاً ولو في حال صحوه . رابعها بلوغه في صلاة الفرض وغيره تصح وإن لم يجز . خامسها عدم الفسق بالصلاة فالفاسق فسقاً متعلقاً بها كمن قصد بإمامته الكبر أو يقرأ عمداً بالشاذ المخالف للرسم العثماني أو بالتوراة والإنجيل إمامته باطلة بخلاف فاسق الجارحة كمن يشرب الخمر أو يزني فتكره إمامته فقط وهي صحيحة كما تصح خلف المبتدع المختلف في تفكيره ببدعته كالجروري والقدري على المعتمد .

... وأما شروط الكمال فهي السلامة من النقص الجسي والمعنوي فتكره إمامة الأقطع والأشل والإعرابي وصاحب السلس للصحيح والفاسق بالجارحة ومن يكرهه كل المؤمنين أو أو معظمهم وإنما أطلقنا في ذلك روما لإفادة الطالب انتهى .

... فقد بلغني كتابكم وأحط به علماً أما ما ذكرتم من أمر المنازعة في الإمامة والمحاشاة فيها فأمر مذموم شرعاً ومستقبح عادة لما في ذلك من التباغض والتناكر والتحاسد والتقاطع والتدابر إلى غير ذلك مما لم يأذن به الله. في كتابه ولا رسوله في سنته وقد أمرنا مولانا تبارك وتعالى في كتابه بإقامة الدين وجمع الكلمة فقال « ان أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه » وبه أوصى أنبياءه وقال « إنما المؤمنون أخوة » وبه أمر عباده المؤمنين على لسان رسوله وعنه عليه الصلاة والسلام لا تجسّسوا ولا تحسّسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً . وقال « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ثلاث ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي مراجعها في القرآن والسنة شرحها طويل جدّاً أما أنا فلست ممن ينفذ الحكم إلزاماً وإثبات الجرح على الإمام اليوم مسلك وعر لظهور الفساد في البر والبحر ومساواة الخلق في إجهار الكبائر وتتبع هاتيك العوزات يورث فساداً عظيماً لأنك إن برهنت عليه برهاناً واضحاً على جرح إمامته يبرهن عليك براهين والعيوب التي لا أصل لها وأنت صادق فيما قلت وهو كاذب في قوله فينفتح باب الفساد إلى هلم جرّا كل واحد منكم له فرقة تتبعه وتصدقه على ما قاله وان صدق وإن كذب . والرأي عندي أن تأمروا المتنازعين بالانعزال عن الإمامة لعدم اتفاق الناس عليهما ولخوف الفتنة منهما وممن معهما ثم تفوضوا الأمر على أهل البلد يختارون لانفسهم إماماً يرضونه وطريق الاختيار أن تنتخبوا اثني عشر رجلاً من علمائكم وصلحائكم ويكونوا ذوي الرأي والتدبير والحل والعقد وأن تفوضوا الأمر إليهم بحيث لا كلام لكم فيما حكموا به ثم ينتخب هؤلاء رجلاً آخر ممن لا دخل له في الأمر ويكون عارفاً حقيقة بما لا تصح الصلاة إلا به وإن تعددوا فليكن الانتخاب بالقرعه وإذا وقع الانتخاب على هذا الوجه فأرفعوا أمره إلى حاكم البلد والي الأمر وقولوا له إن هذا هو الإمام الذي وقع اتفاق الناس على إمامته ورضي به الكل فيقرر الحاكم اسمه في ديوانه وأمر نائبه إليه أي الإمام لا إلى الجماعة . وقال تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا

الرسول وأولي الأمر منكم » وهؤلاء الفرنساوية أولو الأمر اليوم منكم . وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن عصي الأمير فقد عصاني وفي هذا القول كفاية والله الموفق للصواب أعلامكم يا جماعة المسلمين أن أهل هذه القرية عفا لنا ولهم المنان وجعلنا واياهم في زمرة خير بني عدنان قد وزنوا الأحكام بالطبع ولا يرون وزنها بالشرع فكل ما لاءم طبعهم فهو الحق عندهم وما يخالفه فباطل وذلك ضلال مبين على ألا نخشى الذي قد صدع طريق الحق كونه مرتداً . وأما الآن فقد وجب علينا أن نتبع ما أمرنا الله به وأن نترك ما نهانا عنه قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »، « واسروا قولكم أو أجهروا به إنه عليم بذات الصدور » . فالحاصل أن جماعة الإخوان المسلمين اختلفوا اختلافاً منيعاً وافترقوا افتراقاً شائعاً بسبب إمامتهم وقد كان الناس مجتمعين قبل فأتى إمام فافترقوا فرقتين كتلة انفزعت لنبأة ليث فانفضت فطائفة قليلة تصلي معه وفي قلوبهم ما فيها وطائفة بعكسها لما تسمعون فيه من قبل وقال وجب علينا أن نقوم في هذا الأمر على ساق الجد حتى ينكشف القناع عن وجوه حقائقها . قال تعالى : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب » . هذا الزمان زمان مجازفة وتفحم وهو ادخال في الشيء من غير روية الزموا طريق الهدى ولا يضركم قلة السالكين فيه ولا تغتروا بكثرة الهالكين وللقوم أعراف وعادات في الدين ولكن لا خير في اتباع ذوي العلوم لأنهم لا يأمرون ولا ينهون إلا ببيان علة لا تأباها إلا ناقصات العقول لأن طريق الإسلام دراسة وحال من يدعيها اليوم كيف يرى . وقال صلى الله عليه وسلم كيفما تكونوا يولّا عليكم أي إن كنتم من أهل الطاعة يولّى عليكم أهل الرحمة وإن كنتم من أهل المعصية يولّى عليكم أهل العقوبة . جعلنا الله من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر بجاه سيّد الوجود صلى الله عليه وسلم فلنرجع لما يحكيه بعض الناس في الإمام من قوله إن من كان ينكر عليه شيئاً فليأت بما عنده من الحجج البينة ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيي عن بينة قلت ما رأيت عيباً أقبح وجرحاً أفصح في جرح الإمام من كون الجماعة الإسلامية تكره إمامته ولم يكن عنده ظاهراً ما يجرح به والآن إن كانت عنده

حجة صريحة تنفي الجرح وتزيله وترفعه عنه فليأت بها عاجلاً لأعطر بعد عروس ليستريح الناس من الزلزلة والتخلف والشك والتفرق وإلا فلا يزال الناس يتخلفون عنه وينكرون عليه ويعرضون له أقبح كلام ويخوضون في عرضه وذلك من عيب مبين في الإسلام وإن عجز عن الرفع يعزل عنها ويقدم غيره من جماعة المسلمين طوعاً أو كرها إن شاء الله والدين لله وحده وأما قوله من كان ينكر عليه شيئاً فليأت بما عنده من الحجج فداء جنون الدعوى التي تجلب البلوى وقل من استهدف للنضال فخلص من الداء العضال وقال الله جل وعلا « وفوق كلّ ذي علم عليم » وقال الشاعر :

خليليّ قطاع الفيافي إلى العلا كثير وأن الواصلين قليــل

وقال أيضاً :

فقل لمن يدّعي علماً ومعرفة عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

فليكن في علمه أن البغاث في أرضنا لا يستنسر والتمييز بين الفضة والقضة عندنا متيسر وتارة يقول لسان حاله ومقاله بذكر الوعيد والزجر لمن تخلف عن الجمعة بلا عذر وقد علم أنه كان ربما كان في قرية مدة مقيماً فيها لا مسافراً ولم يصل صلاة جمعة ولا صلاة عيد خلف إمام إلا في اليوم الذي قدم فيه إماماً لصلاة الجمعة وهذا جرح صريح . وفي الحديث من ترك صلاة الجمعة ثلاث مرّات بلا عذر كتب من المنافقين تأملوا هذا أيها العلماء عرفتم أن الراحل اليوم إلى الله في التحقيق أعز من بيض الأنوق وبعد ذلك علمتم أن الإمامة لا تصح في الإمام إلا بموافقة جماعة المسلمين على أحد منهم يقدمونه وهو لا يقدّمه إلا بعض الرجال دون علم أحد من جماعة المسلمين غير أن فلاناً سمعنا أنه جعل إماماً لصلاة الجمعة وهذا جرح في صحة الإمامة وكذا كونه مستمراً على ما هو عليه مع كراهية الناس لإمامته وقد علم حديث من أمّ قوماً وهم له كارهون لم تجاوز صلاته اذنيه « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » صدق الله العظيم .

... والإمام الراتب هو من نصبه من له ولاية من واقف أو سلطان أو نائبه في جميع الصلوات أو بعضها على وجه يجوز أو يكره بأن يقول جعلت إمام مسجدي فلاناً الأقطع لأن الواقف إذا شرط المكروه مضي وكذلك السلطان أو

نائبه إذا أمر بمكروه تجب طاعته على أحد القولين والإذن للانسان بالإمامة يتضمن أمر الناس بالصلاة خلفه واختلاف الفقهاء في جواز إمامة الفاسق مع الكراهة حيث كان فسقه غير متعلق بالصلاة ولقوله عليه الصلاة والسلام صلوا خلف كل برّ وفاجر الحديث المذكور وكان ابن عمر وأنس بن مالك وغيرهما من الصحابة والتابعين يصلون خلف الحجاج مع أنه أفسق أهل زمانه وأما ما يتعلق بها كقصد الكبر فإنه يمنع الاقتداء به ولا يصح راجع الجواهر الزكية .

... وقد أجاب أبو القاسم بن خجوا كما في المعيار الجديد عن مسائل يفهم من الجواب ونصه أن إمامة مغير المعني باللحن في الفتحة من دودة وملازمة اللحانين على الإمامة في مساجد المسلمين من القبائح التي لا تصدر إلا من المعتدين لا سيما حيث يكون بالمحل من هو أمثل منهم وذلك من البدع الذي لا يسوغ السكوت عنها فمن رأى من لا يليق بالملازمة في المسجد يلازم فيها ولم يغير ذلك عليه فأخاف أن يشمله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله يشمل كل من يعلم قبحاً سواء كان فقيهاً أو غيره وأعظم البدع التي تعطل منافع المساجد من الإمامة والأذان والقراءة وتعليم الدين . إذن من كلام الحكماء لكل شيء قلب وقلب القرى والمداش مساجدها فإذا صلح القلب صلح الجسد وإذا فسد فسد الجسد وكذلك المسجد إذا فسد فسد الموضع الذي هو فيه وصلاح المساجد بصلاح أئمتها كان أن كل محل يفسد إذا جعل فيه من لا يليق به ألا ترى إذا أقيم الزار في حانوت الحداد هل يصلح بها أو يفسدها بتعطيل المنافع كذلك العكس إلى غير ذلك فكذلك هذا الملازم في المساجد وهو لا يحسن القيام بمآربها فهو مفسدها ومعطل لمنافعها « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم » الآية وعن الثانية صلاة المؤتم بمن لا تصح صلاته باطلة ولا يأتم المتقن باللحان ومن لا يحسن حفظ الفاتحة ينبغي له أن لا يصلي إلا مأموماً فيأتم بمن يحسنها حتى يتعلمها ويجب على الرجال والنساء ومن لم يتعلمها منهما فهو فاسق وعن الثالثة تعليم الجاهل واجب على كل عالم مأمور به فرضاً لازماً سواء كان إماماً أو غير إمام قال الله تعالى : « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ولا يسقط عنه الفرض إلا بعد الدعوى للتعليم وعدم القبول ويجب على الجاهل أن يتعلم ما يجب عليه فرضاً لازماً فإن امتنع من التعليم ولم يقبل فهو

فاسق فاجر ولم يعذر بجهل ولا بغيره وعن الرابعة يكفي في المساجد تسميتها بيوت لله والجمع فيها بقصد الصلاة وذكر الله والقراءة وتعليم العلم هو الفلاح والنجاح ولا سيما إن كان الإمام ممن رجى فضله لأن من ائتم بمغفور غفر له وعن الخامسة إمامة العي إن كان من أهل الدين متقن للقراءة فلا بأس به لا سيما أن عدم مثله في محلة في الدين والإتقان وخير الناس من كان متمسكاً بسنة النبي عليه الصلاة والسلام دعه كان لغياً أو مولوداً بين مجوسيين وشر الناس من خالف الكتاب والسنة دعه ولو كان أشرف النسب . قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فلينظر القارئ الكريم للتفصيل إلى كتاب نصيحة الإخوان في إمامة أهل آخر الزمان لشيخ الإسلام الحاج بن محمد النور بن الشيخ الحاج عمر الفوتيّ قدّس الله سرّه .

جيرن الشيخ بن ببكر دومق ورالفا

وُلِدَ جيرن شيخ بن ببكر سنة ١٩٠٢م بـ (دومق) وكان جيرْنُ حَمّى بَـابَ شيخُه المشهور في (جِلُوْنْجَ) فقد قضى معه سبع سنوات متعلّما شتّى فنون من شؤون الدين .

وهو صاحب مؤلّفات عديدة ومن الشيوخ الكبار الذين أسّسوا مراكز تعليمية جذبت كثيراً من طالبي العلم في فوت تور وجاء هؤلاء الطلاب من السنغال وَغِينِيَا وَمَالِيَا وَمُورِيتَانِيَا وَغِينِيَا بِيسَاوُو وَغَمْبِيَا . وجيرْنُ شيخ هذا هو متبحّر في علم اللغة وقد قال كثيراً من الأشعار وكتب سيرة وجيزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن قصائده الشهيرة اخترنا ما يلي :

هذه الأدعية للمواضع المستجابة في مناسك الحج وضعها جيرْنُ شيخ يُمْكَنُ في ضمن سفره إلى بيت الله الحرام عام ١٩٦٧م .

مواضع الدعاء في الحج أتت أوّلها في جوف كعبة ثبت
والثّاني والثّالث حجر أسود ملتزم لا تنسين يا سيّد
ورابع حجر لإسماعيل ميزاب رحمة كما قد قيل

والسادس الركن اليماني ومقام	نبيّ ابراهيم نزلت ما يرام
وبينما مقام ابراهيما	وركنا اليمان كن سليماً
محلّ مروة صفا وزمزم	والسعي من صفا لمروة واعلم
كذا منى مزدلف وعرفه	وعدّ كلّ خمسة وعشره
وزاد باب التوب بعض الفضلا	ثم محسّراً ولكن قبلا
قد انتهى مواضع الدعاء	صلّ على النبي ذو السّماء

قال أيضاً العالم المشهور جيرن شيخ دومق ور الفا :

ألا كانت الدّنيا غروراً وباطلا	فكن حذراً منها ولا تكن غافلا
فغرت رجالا جمّة ونساءهم	فصاروا لخسران وشرّ حبائلا
ولا تتّبع أهواء نفسك يا فتى	فتردى وأهل الله كن متواصلا
وتابعهم حقّاً إلى الله واصل	فكن يا أخي في دينهم متداخلا
صلاة وتسليم على أحمد الهدى	مع الأهل والأشياخ كانوا وسائلا

قال أيضاً زاده الله فيضاً :

الحمد للآمر بالدعاء	في حال شدّة وفي الرّخاء
حمداً يدوم مثل ملك الله	يجري مع الدهر بلا تناهي
صلِّ وسلّم على ذي الفضل	محمد خاتم كل الرّسل
وآله ذوي الهدى والكرم	وصحبه الهداة كلّ الأمم
ما دام مرفوعاً إلى السماء	أيدى ذو الحاجات للدعاء
سمّيته حلا موصّلا إلى	عفو الإله جلّ شأناً وعلا
وبعد ذا فإن للدعاء	حالا تردّ قوّة البلاء
وتجلب الرحمة للعباد	فالزم به في كلّ أمر باد
فأغفر لنا اللّهمّ يا اللهمّا	من كلّ ما ذنب إذا ألمّا
واغفر لوالدي مع الولدان	يا ربّنا وكلّ ذي الإيمان
وافتح على القرّاء والطّلاب	فتحا يكون كاشف الحجاب
وارزق لهم علما كثيراً جامعاً	في هذه الدار وتلك نافعا

ونجهم مكيدة الشيطان   يا ربّنا وموجب الخسران
بجاه طه خير الانبياء   صلى عليه خالق الأشياء
يا ربّنا بعهدك الوفيّ   وكلّ ما في حزبنا السيفيّ
وما حوى المغني من الدعاء   وما من الأملاك في السماء
يسّر لنا ومن بنا تعلّقا   جميع ما نحتاج يا من خلقا
وسع لنا الأرزاق والأعمارا   وهب لنا بفضلك الأستارا
وهب لنا الوفاق في الأحوال   وأرزق لنا الأمن من الأهوال
يا ربّنا بجاه أحمد الإمام   صلى عليه الله ما ناح الحمام
وجاه صحبه الكرام النجبا   الراشدين المرشدين الأدبا
يسّر لنا سعادة الدارين   ونجّنا أذاك في هاتين
وقلّب القلوب من كفّار   لدين اسلام ايا جبار
وأصلح القضاة والرعايا   وهب لكل مسلم نجايا
لطيف يا لطيف يا لطيف   وقاية من كل ما يخيف
يا ربّنا يا مالك الدارين   إجابة الدعاء في الطرفين
يا حيّ يا قيوم يا دياني   إليك أشكو شدّة الزمان
فصيّرن مدارس النصراني   مدارس السّنة والقرآن
بجاه طه المصطفي العدنان   وآليه والصحب والتجان
معين يا معين يا معين   أجب دعاءنا أيا أمين
يا ربّنا يا ربّنا يا ربّنا   يا ربّنا يا ربّنا اغفر ذنبنا
وذنب كل من بنا تعلّقا   من والد والولد ثم الأصدقا
نسألك اللّهم يا اللّهما   من فضلك الجميل خيراً جمّا
في هذه الدار وتلك الدار   بجاه فضل أحمد المختار
صلى عليه خالق السماء   ما مدّ كفّا طالب العطاء
نعوذ بالله وبالرحمان   من كل حاسد ومن شيطان
وشر كل كافر وكافرة   وكيد كل فاجر وفاجرة
يا ربنا يا خالق العوالم   حل بيننا وبين كل ظالم
وباعدن بيني وبين النّار   في هذه الدار وتلك الدّار

ونجّ من يحبّنا لله ومن نحبّه بلا تناهي
بحرمة النبي والأصحاب صلى عليه مالك الأرباب
يا ربّنا بحرمة التنزيل وحرمة التوراة والإنجيل
وكل ما نزلت من كتاب على أنبيائنا ذو الأصحاب
فهب لنا دخول جنّة العلى مع النبي خير كل الفضلا
مع كل إنسان بنا توصلا ومن توصلت إلى رب العلى
آمين آمين استجب دعاء يا من له الملك بلا استثناء
نعوذ بالله وبالرحمان وكل حرف كان في القرآن
من شر ما قد كان أو يكون من كل ما يضر أو يهين
بأحمد النبي خير الأنبيا وصحبه الكرام خير الأتقيا
يا ربنا باسمك الغفار فأغفر ذنوبنا مع الأبرار
يا ربنا بحق عين الرحمة فنجنا من شر كل غمة
يا ربنا بفضل جوهر الكمال فعدنا من أهلها في كل حال
يا ربنا بحق حق القدر أنصر على العدى وأهل الكفر
ورد ما يكيده الشيطان وكل حاسد أيا صمدان
ونجنا من شر ما إنسان والخلق كلّه وشر الجان
بجاه فاتح لما قد أغلقا وخاتم نظام ما قد سبقا
صلى عليه خافق الأنوار ما كوّر الليل على النهار
يا ربنا بناصر الحقائق أنصر على عداك والفواقق
يا ربنا بحق هاد القوم سخر لنا به بحور الفهم
يا ربنا بنورك الربّاني نوّر قلوبنا مع الإيمان
يا ربّنا بجاه كنز الأعظم وسره وسر سر الأسقم
افتح لنا به كنوز العلم واكشف به كروب كل غم
يا خالقي بمركز الفهوم أعن على الفهوم والهموم
يا واجدي بفيضك الرباني أفض علينا نعم العرفان
بحق من لأجله الخلائق وأرحلت لروضه السوابق
صلى عليه مالك الأكوان والأهل والصحب مدى الأزمان

يا رازقي وماجدي وواجدي إيّاك نستعين في المقاصد
فكن لنا بحق سر الفاتح وكل آية أتت مفاتح
بجاه أحمد النبي الهادي صلى عليه خالق العبادي
فهب لنا بسورة يس دخولنا في حصنك الحصين
ونجنا من ضرّ كل عسري اللهنا بسر حزب البحري
وارزق لنا مكارم الأخلاق بعون ما في اسمك الخلاق
يا مالكي باسمك اللّطيف ألطف بعبد خائف ضعيف
ونجنا من سم كل فمّ ووالدي والولد ثمّ أمّي
بجاه خير أنبياء الله عليه والأهل صلاة الله
يا رازقي باسمك العظيم عظم لنا حظا من العلوم
يا ربنا بدعوة الرفات أهن علينا ألم الممات
يا مالك الملك بلا انتهاء فعدّنا في حزب الاولياء
وامح ذنوبنا مع الاخوان واستر عيوبنا مع الغفران
قد انتهى حبل موصل إلى عفو الإلـٰه جلّ شأناً وعلا
فاحمد الله على انتهائه كحمدنا إيّاه في ابتدائه
فنسأل الله بمحض الكرم صلاته على النبي الأمّ
وآله وصحبه ذوى الهدى وكل مسلم ومن به اقتدى

اهـ .

الشريف محمود

ولا غرو أن يحذو الفتى آثار والده فذاك هو الذي حمل كثيراً من علمائنا على مدح النبي صلى الله عليه وسلم نظماً أو نثراً مع علمهم في أغلب الأحيان بأنهم لا يأتون بما يعجب به في المعنى وإن أمكن ذلك في اللفظ .

ومما كتب في هذا الصدد هي منظومة خمّس بها الشيخ الحاج عمر الفوتي السابق ذكره تخميس ابن المهيب القصيدة التي مدح بها الفازازي الأندلسي النبي عليه السلام .

وهذا التخميس أو بعبارة أصحّ وتخميس هذا التخميس الذي سمّاه الحاج عمر بـ (سفينة السعادة) هو الذي قام بكشف غامض ألفاظه وشرح معانيه الشريف محمود الجلوحيّ حفيد الشريف سيد محمد الأمين الذي نزل بقرية جـلوح في فوت طورو آتياً من المغرب العربي زمن الأمير ألمام عبد القادر الفوتي .

ولقد أخبرنا أبناؤه أنه صنّف هذا الكتاب في جلوح وهو يصوم النهار كله . ولقد توفي – رحمة الله عليه – في أَنْدَرْ حوالى ١٩٣٦م وعمره خمس وخمسين سنة ومن زملائه في الدراسة الشيخ الحاج سعيد النور تال الذي التقى معه عند الشيخ الفقيه المشهور الحاج المختار سَاخُو . ومما يجدر الفات الأنظار إليه أن تخميس الحاج عمر مما يعجب به كل بليغ وأن الشرح الذي تناوله الشريف يفوق بكثير كلّ ما كتب في هذا الميدان . يحتوي الكتاب على عشر وثلاثمائة صفحة . وهاكم نبذة منه :

له الفيض قد أغنى الخلائق طله ووابله ما ناله الكون كله
هو المنتقى حب الإله وخله جزيل الهي يغش البريّة ظله
ولا السنح ممنون ولا السمح يزعج

فاض السيل يفيض فيضاً كثر وسال من شقه الوادي أغنى بمعنى كفى الخلائق جمع خلق الطل المطر الخفيف الوابل المطر ما نال ما وجد الكون الخلائق المنتقى المختار والحب المحبوب والخل الخليل الهي العطايا يغشى يستر والظل العدل والسنح البركة بضم السين المنون المقطوع والسمح العطاء يزعج يطرد .

هو الكنز في الدارين فالنبل نيله ومن ناله قد تمّ والله فضله
له القسم والاعطا وعقد وحله جداه الجـدا الفيّاض والويل وبله
ولا البسط مقبوض ولا الباب مرتج

الكنز المال الكثير نال بلوغ المقصود والمراد به الدخول في دينه الجـدا العطاء الفياض كثير الفيض في العطاء الوبل المطر والبسط العطاء والمرتج المغلق .

وأما سخاؤه وجوده صلى الله عليه وسلم روى الترمذي أنه حمل إليه صلى

الله عليه وسلم تسعين ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رأى سائلاً حتى فرغ منها اﻫ. قال وجاءه رجل فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت اﻫ. وذكر ابن فارس في كتابه في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم أنه يوم حنين جاءته امرأة وانشدت شعراً تذكره أيام رضاعه في هوازن فرد عليهم ما أخذ أو أعطاهم عطاء كثيراً حتى قوم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف اﻫ. قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود وفي البخاري أنه صلى الله عليه وسلم أتى بمال من البحرين فقال انثروه يعني صبوه في المسجد وكان أكثر مال أتى به صلى الله عليه وسلم فخرج إلى المسجد ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحداً إلا أعطاه إذ جاء العباس فقال أعطني فأعطاه ما استطاع حمله فما قام عليه الصلاة والسلام وثم منها درهم اﻫ. وروى ابن أبي شيبة أنه كان مائة ألف أرسل به العلاء بن الحضرمي من خراج البحرين قال هو أول مال حمل إليه صلى الله عليه وسلم.

إذا ضاقت الأحوال فاستعد عدله ... وأن ضن ما يرجى فدارنت حوله
هو المصطفى قد كثر الله بذله ... جزيل اللهي تغشى البرية ظله
فلا الجد منقوض ولا الرفد يباح

ضاق خلاف اتسع الأحوال جمع حال فاستعد استنصر لحوادث الدهر العدل خلاف الجور والضن البخل والرجاء بمعنى قوله تعالى لا يرجون نكاحا فدارنت حوله بمعنى كن معه الندل العطاء اللهي العطية تغشى تستر الظل العدل الجد الحظ من السعادة الرفد العطاء يباح يصرف عنه.

تمسك به ما عشت لا تنس فضله ... هو العروة الوثقى ولا تلق حبله
إذا رمت رضوان الإله فكن لـه ... جليل الجدى تغشي البريّة طوله
ولا البسط مقبوض ولا الباب مرتج

تمسك به اعتصم به ما عشت أي ما دمت العروة الوثقى بالعقد المحكم كما قال الله تعالى « ولا تلق ولا تترك حبله » أي عهده ودينه رمت هممت الجدى العطاء تغشى تستر الطول العطاء البسط العطاء المغلق الباب بمعنى الرحمة .

والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم ومن جوده سايره جابر على جمل له فقال له صلى الله عليه وسلم بعني جملك فقال : هو لك يا رسول الله بأبي وأمي وأنت فقال بعنيه فباعه اياه وأمر بلالاً أن ينقده ثمنه فنقده ثم قال له صلى الله عليه وسلم اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما مكافأة لقوله بل هو لك فاعطاه الثمن ورد عليه الجمل وزاده الدعاء بالبركة فيهما وحديثه في البخاري ومسلم اهـ. وقد كان جوده عليه الصلاة والسلام كله لله وفي ابتغاء مرضاته تعالى فإنه كان يبذل المال تارة لفقير أو محتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتآلف على الإسلام من تقوى الإسلام بإسلامه وكان يؤثر على نفسه وأولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريفة من الجوع اهـ. وكان صلى الله عليه وسلم قد أتاه سبي فشكت إليه فاطمة ما تلقى من شدة خدمة البيت وطلبت منه خادماً يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لا أعطيك وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع اهـ. صلى الله عليه وسلم .

الا انه البشرى لنا قبل خلقه ودعوة ابراهيم أعظم بعتقه
ورحمة مولانا علينا لرفقه جواد إذا ضن الغمام بودقة
فغيث الجدى من سيبه تتبعج

بشرى اسم من البشارة خلقه يعني حسمه عتقه يعني كرمه وحماله ونجابته وشرفه وحريته الرفق اللين الضن البخل والغمام السحاب الودق المطر الجدى العطاء والسيب العطاء تتبعج تنشق وتنفجر .

ولله هذا المصطفى بين خلقه هو العبد لا يعلى ويعلو لصدقه
هو الفرد في كل المعالي لخلقه جموع إذا شح الخصم بغدقه
وفي كفه بحر الندى يتموج

لا يعلى لا يغالب ولا يفاخر يعلو يغلب المعالي الفضائل الخلق بضم الخاء الطبع جموع كثير جمع ما تفرق الشح البخل الخضم البحر الغدق الماء الكثير الندى الكرم ويتموج يضطرب .

والمعنى أن شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على السنة الرسل أنه نبي الأنبياء المقدم عليهم التابعون له هم وأممهم وشاهد ذلك قوله عزّ وجل عن عيسى عليه الصلاة والسلام « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه محمد » ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبي ابراهيم أي آية ربنا وأبعث فيهم رسولاً منهم وبشارة عيسى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين أي وأممهم وحذفت استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الأتباع لما مفتوحة توطئة للقسم الذي تضمنه أخذ الميثاق ولتؤمنن به سد مسد جوابه وجواب ما الشرطية ومكسورة أي لأجل ما آتيكم من كتاب وحكمة ثم جاء رسول مصدقاً لما معكم أي وهو محمد صلى الله عليه وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية ومن جوده صلى الله عليه وسلم ما قال أنس رضي الله تعالى عنه وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً وأرجح الناس حلماً وأعظم الناس عفواً وأسخى الناس كفا . وكان صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة وقال صلى الله عليه وسلم يوماً لاصحابه وقد اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه الشريف فوقف ثم قال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم . وفي رواية لو أن لي مثل جبال تهامة ذهباً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني كذوباً ولا بخيلاً ولا جباناً اهـ .

جِرْنُو أَحْمَدُ أَلْفَا سِهْ الْفُوتِيُّ

ومن الفنون التي لم يزل علماء فوت طور يشتغلون بها علم النجوم أو ما يسمّونه بحساب العدد وحساب النجوم . وهذا العلم له صلة متينة بالزراعة وبالعبادات كالصلاة والنجوم .

وممن عنوا بالتأليف في هذا الفن جرنو أحمد أَلْفَا سِهْ المولود سنة ١٩٠٧م في قرية فني في مقاطعة بدور حيث يسكن الآن .

وهاكم نبذة مما كتبه :

بسم الله الرحمن الرحيم ،

الحمد لله الذي أمر بالعدل والإحسان وأمر جميع خلقه أن يتبعوا أوامره ويتركوا نواهيه ثم الصلاة والسلام على من قال فواجب على كل امرئ أن يعلم ما أمر الله به وما نهاه عنه فلا يصح معرفة حقيقة العبودية إلا معرفة التوحيد والشرائع وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وتعلم النجوم ما تهتدي به القبلة والزمان والأوقات وبذلك فعلت هذا عوناً للضعفاء وبعد اعلموا رحمكم الله ان المنازل تقيمون مع الشمس أي كل منزل تقيم مع الشمس ثلاثة عشر يوماً إلا الجبهة معها أربعة عشر يوماً ونظمت هذه الأبيات لكي يسهل المعرفة لمن أراد أن يعرفه من المريدين اسأل الجميع العفو والعافية واسأل أيضاً كل من رأى فيه خطأً أو أو غلطاً أن يصلحه ويصححه لله ولرسوله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما فصول الزمان أربعة الربيع والصيف والخريف والشتاء . وفصل الربيع أوّله خمسة عشر من فبرائر إلى ستة عشر ماية . وفصل الصيف أوّله سبعة عشر من مابة إلى ستة عشر من أغشت . وفصل الخريف أوّله سبعة عشر من أغشت إلى خمسة عشر من نونبر . وفصل الشتاء أوّله ستة عشر من نونبر إلى أربعة عشر من فبرائر . وكل فصل من هذه الفصول له سبعة منازل والربيع منازله فرغ المقدم فرغ المؤخر بطن الحوت نطح بطين ثريّا دبران . والصيف منازله هنعة هنعة ذراعان نثرة طرفة جبهة خرتان . والخريف منازله صرفة عوّاء سماكان غفر زبانان الاكليل قلب . والشتاء منازله شولة نعائم بلدة سعد ذابح سعد بلع سعد سعود سعد أخبية وسيأتي كل منزل بيوم كذا في شهر كذا إن شاء الله تعال اسأل الله الإتمام المقول وحسن التّمام بجاه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعد أقول :

رابع من يناير سعد بلع وزيّه سعد سعود يبع

أربعة من ينابر تأخذ الشمس منزل سعد بلع . اليوم السابع عشر منه تأخذ الشمس سعد السعود .

اخبية بلامة فلا تزيد هديت بالرشاد يا مريد

يوم ثلاثين منه تأخذ الشمس سعد أخبية .

مقدم في ريب من فبرائر وكهه أيضاً لدى موخر

اليوم الثاني عشر من فبرائر تأخذ الشمس فزغ المقدم . اليوم الخامس والعشرون منه تأخذ الشمس فرغ الموخر .

نزولها ببطن حوت عشرا من مارس والنطح كج تترا

اليوم العاشر من شهر مارس تأخذ الشمس بطن الحوت . اليوم الثالث والعشرون من مارس تأخذ الشمس نطح .

ثم البطين خمس من ابريل أطلب ثريّا حبّة خليل

اليوم الخامس من شهر أبريل تأخذ الشمس بطين . اليوم الثامن من شهر أبريل تأخذ الشمس ثريا .

أوّل مايه لدى دبرانا وهقعة يد أخي قد بانا

اليوم الأول من شهر مايه تأخذ الشمس دبران . اليوم الرابع عشر من مايه تأخذ الشمس هقعة ..

الشَّيْخُ الحَاجُ عُمَرْ جَلُّو الانْدَرِيُّ

ومن العلماء الذين باشروا التعليم والتأليف الحاج عمر جَلُّو الإمام الأكبر لمدينة آنْدَرْ . لقد وُلِدَ سنة ١٩٠٨م في انْدَرْ حيث قرأ على والده الشيخ محمد الأمين .

وبعد ما تعلم من الفقه والتوحيد والنحو وفنون أخرى – وقد جرت العادة في هذه البلاد على تعلمها – أكب على التعليم مدّة طويلة إلى أن عين إماماً لجامع بمدينة آنْدَرْ ونائباً لقاضي المحكمة الإسلامية في نفس المدينة وذلك قبل أربع سنوات

وقد ألّف في سنة ١٩٥٤م « فتح الجواد في الوعظ والإرشاد » الذي يتضمن هذه الأبواب :

مقدمة في الإخلاص في العمل .

الباب الأول : في النهي عند البدع .

الباب الثاني : في الحث على عدم مخالفة السنة وذكر اتفاق الكتاب والسنة وما يعلق بذلك .

الباب الثالث : في بيان وجوب طاعة الشيخ أي شيخ التعليم . وفضل العلم وما يعلق بذلك .

الباب الرابع : في الكلام على الشيخ أي شيخ الصوفية .

الباب الخامس : في أن العاقل لا بد له من التوكل على الله في جميع أموره وأحواله .

خاتمة : في وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه .

وإليكم نبذة منه :

مقدمة في الإخلاص .. في العمل :

اعلم أيها الواقف على هذه العجالة أن المطلوب من العبد الإخلاص في العمل وترك الرياء قال تعالى « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء » « ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتيه منها وما له في الآخرة من نصيب » قال العلّامة القزويني ترك الرياء هو الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه فترك الرياء شعبة من الشعب التي تبرهن على قوّة الإيمان وأنه لا يخشى عليه من التزعزع والتغير ذلك لأنه فهم نفسه وادرك معنى البشرية واستطاع أن يعقل علو رتبة الربوبية فلما لم يرده دلّ على أنه ملاحظ للذات العلية وهذا هو المطلوب بل هو عين الإخلاص وهو الدرجة السابعة من درجات الإيمان وهو مقام يعزّ وجوده على كثير وروى أبو داوود والنسائي بسند جيّد عن أبي أمامة جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله فقال لا شيء له فأعادها ثلاث مرّات ثمّ قال في آخر الحديث إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه فالله جل جلاله ينظر إلى إخلاص القلب وطهارته لا إلى ظاهر الجسم وحسن صورته لكن إذا كان الجسم والصورة في نظافة وجمال تبعاً لنظافة القلب وطهارته يكون اكمل وأسعد وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وفي صحيح مسلم أيضاً قال الله عزّ وجل أنا أغنى الشركاء

عن الشرك فمن عمل لي عملاً أشرك فيه معي غيري فأنا منه بريء لأن الله تعالى غني عن العالم وعن عبادتهم فلما أشرك مع الله غيره فإما لاعتقاده باحتياج الله إلى الشريك فهذا هو الكفر وإما أن يرى الغير مساوياً لله عزّ وجل وهذا هو الشرك فلا يقبل الله هذه الأعمال التي لم تكن لمحض العبودية قال العلامة الحاج مالك في كفاية الراغبين نفعنا الله به قال ابن عباد عمل الباطن يرجع حاصله إلى أمر واحد وهو اخلاص التوحيد إلى الله عزّ وجل باعتقاد العبودية له وذلك بأن يحمل نفسه إلى الاستسلام إلى أحكام الله وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين يديه وهذا المعنى هو الذي تضمنه كتاب التنوير في اسقاط التدبير وفي الحميل للعلامة ابن متالي لقبول العمل شروط مرجعه ثلاثة أمور التقوى إنما يتقبل الله من المتقين واتقانه بالسنة إذ لا يقبل الله إلا طيباً والعناية من وراء ذلك هي الباب اللهم اجعلنا ممن أخلص أعماله لوجه الله تعالى لا لغيره وآخر دعوينا أن الحمد لله رب العالمين . اهـ .

وفي الختام نقول إن للسنغال ثلاث واسطات في قلادتها الأدبية فهي الواسطة الأصلية والواسطة الفرنسية والواسطة العربية ، وأجودها هي الواسطة العربية . وهذا الكتاب على قلة ما سجلنا من آثار الشعراء والكتّاب الكثيرين دليل على ما أدى بنا إلى حكمنا للأدب السنغالي بلغة الضاد . وما من شك في أن تعريف العالم العربي والعالم غير العربي بما كان للسنغال من فضل في تبني ثقافة العرب واحيائها وتنميتها كما لو كانت هذه الثقافة تراثها يعتبر مفتاح باب لتعميق البحث في الأدب العربي في السنغال ولبنة عظيمة في صرح الأخوة العربية السنغالية التي يعمل أدباؤنا في توطيدها ولا يزالون جاهدين على توثيق عراها .

ولكن يرجع الفضل كلّا إلى دين الإسلام الذي لولاه لم تنفق سوق اللغة العربية في السنغال حتى يتسنى لنا أن نهدي إلى قرّائنا الكرام « الهدية السنغالية من المرجان في العقود الأدبية للعربان » . وإن نجحنا في إثارة الباحثين لنقدنا وتصحيح نقصنا وتوسيع مباحثنا فذلك حسبنا . والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه بجاه سيّدنا ومولانا محمّد عليه وعلى آله صلوات الله وسلامه آمين .

تمّ الكتاب بعون الله وحسن توفيقه .

التقــاريظ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمَّد نبيه الكريم . هذا تقريظ قاله السيد الحاج محمد الأمين بن زبير . أدام الله لنا وله كل خير . تقريظ الكتاب الهدية السنغالية . لمؤلفه عامر صمب بن ابراهيم صمب الكِبمارِيّ . مدير المعهد الأساسي بدَكَارْ .

بلّغ سلامي لسبّاق الميادين   سادات معهد الاساس في الدين
يا للهدية للعربان غالية   سنغال اهدى بها للعرب في الحين
جاءت مقنّعة تجلي خلاخلها   حسن الأساور في الكفين تكفين
فقلت بنت لمن قالت اتجهل من   يدير معهد فتيان السوادين
فقلت عامر قالت أي فقلت لقد   عمّرت افريقيا السوداء في الطين
بيّضت برزت إذ سيّدت بلدتنا   زيّنت جلد تناتي خير تزيين
وكنت زينا ومفتاحاً ومدركما   يحتاجه أهل تصديق وتيقين
زين الخلائق مفتاح المغالق مد   راك الحقائق برهان البراهين
عامر صمب جزاك الله خير جزا   أطال عمرك بالخيرات آمين
إذ كنت حائز قصب السبق مجتنيا   جنى نصيحة جنَّات الرَّياحين
أشبعت جيعان ذي وجد وذي وله   ظمآن دين فقير العلم مسكين
ذه الهدية مرجان العقود وتيـ   ـجان النقود وديوان الدواوين
لمثل هذي التحافي فليضنّ بها   وانّها لثمين في الدكاكين
جزاك يا عامرا ربّ الجزاء كما   ترضى ونرضى ويرضى كل ذي دين
هذا الكتاب لأحرى أن يخط بذو   ب ذهب أو فضية أو لؤلؤ بين
بني القصيدة قد قرظت فعلتكم   قبل تقاريظ سباق الميادين
ثم الصلاة دواما والسلام على   رسول رب السما رب الأراضين
مجمد وعلى أصحابه الكرما   وآله النجبا خير الأكاوني

اهـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سان لوي ٢٨/ ٣ /١٩٧٥م

فإلى السيد المدير عامر صمب ..

يطيب لي أن أحيط بسيادتكم علماً بأنّني اتصلت بالرسالة ورأيت الهدية وفرحت بها غاية الفرح . هذا فإنني أبارك هذه المبادرة التي قام بها سيادتكم في إحياء تراثنا الفكري والأدبي . وممّا لا شك فيه أنكم قمتم بمجهودات حثيثة في جمع هذه القصائد وهذه المنثورات التي كانت مبعثرة من هنا وهناك وبذلك تستحقون الشكر من جميع أولئك الذين شاركوا في دفع عجلة الأدب العربي في افريقيا وفي العالم الأجمع . لأنكم حقًّا قد ألقيتم أضواء كاشفة على مدى أصالة هذا الأدب في قطرنا الحبيب السنغال . وهذا أيضاً من شأنه أن يعين الجيل الصاعد على مواصلة السير في الطريق الصحيح نحو الهدف المنشود الذي هو اعادة مجدنا التليد في جميع الميادين لنبرهن للعالم الأجمع على أن العقلية الإفريقية ليست عقلية خاملة بل إنها عقلية منتجة وخلّاقة . وممّا راقني وأعجبني في كتابكم تلك الموضوعية التي تكاد تكون موجودة في كل صفحة من صفحاته والتي إن دلّت على شيء فإنما تدل على الواقعية التي جعلتكم تصدرون أحكاماً على كاتب أوله بوحي من ضمير نزيه ومحايد ، وبأسلوب علمي متين لا جدال فيه ولا مراء . وكونوا واثقين بأنني سأكون تحت خدمة الذين سيفدون إلينا من طرف سيادتكم ومرهم بكل ما جادت به قريحتي شعراً كان أو نثراً . وقد أبت شاعريتي الا أن تجود بهذه القصيدة التي أرجو أن تكون تعبيراً صادقاً لما أشعر به إزاء كتابكم هذا . والله أسأل أن يثبت خطاكم ويمد في عمركم لما فيه مصلحة الأمّة السنغالية الناهضة .

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

من أبيكم ومحبكم السيد الحاج عبّاسْ صَلّ

يا عامرا كاسمه بالعلم ما اندرسا ... من المدارس للقوم النهى الرؤسا
أحييت أحياك ربّ العرش ذكرهم ... بكل أحسن آثاراً لهم درسا
اتقنت علماً صحيحاً موضحاً سبلا ... لهم ومن قبل حقا جلّها التبسا
نبهت غافلنا علّمت جاهلنا ... أرشدت حيران فينا كلنا اقتبسنا
جازاك خير الذي جازاه من كرم ... مولاك موليك نوراً في الدجى قبسا
فليمش من شاء في أمن على فرح ... بالعلم لا يختشي في نهجه تعسا
لم تال جهداً وخير القول أصدقه ... على التحرى لصدق فيه ملتبسا
نهضت للعلم نهضاً منهضاً علنا ... أبناء جنسك نافى كل من تعسا
الحقت أول هذا القرن سادته ... ذكرى لآخرهم فيما لهم أسسا
وما لهم من مزايا طالما طويت ... نشرتها أي تحرير إذا التمسا
هدية منك تهديها نرغبه ... تبين بالثلج قلب المرء حين قسا
فلا يمل من الإكثار ضعه ... كرائع في رياض حوله جلسا
وكان من قبل يستغنى على ثقة ... من قول بعض لبغض علنا وعسى
حتى إذا الأجل المضروب حان وقد ... أبى تقدمه عن وقته ونسى
جاءت على غير ميعاد على قدر ... هذه الهدية تهدي الأنفس النفسا
تغنى مطالعها عن كل صادقة ... في وصف قوم هداة سادة رؤسا
من علما سنغال الساكنين بها ... في نحو قرنين مرؤوساً ومرتئسا
من شا يعاصرهم دهراً بصاحبهم ... فليمعن النظر فيها بكرة ومسا
أزكى صلاة على المختار تشمل من ... راضوا نفوساً بما جا من هدى شمسا

ا هـ.

وقد قرظ السيد المصطفى أنجاي الباحث في (ايفان) كتاب الهديّة قائلا :

لم يكن العملَ الأدبي الذي أعدّه مدير المعهد الأصلي لإفريقيا السوداء بحثاً أصيلاً فحسب بإعتباره أول موضوع من نوعه يعالج على هذا الشمول حول الأدب السنغالي المكتوب بالعربية ، وباللسانين العربي والفرنسي اللذين أكّدا عموم التبليغ ، بل انه فتح في الآن نفسه آفاقاً ممتدّة من المعنيين بالإنتاج الفكري أو الأدبي للكتاب والشعراء السنغاليين باللغة العربية .

وعلى ذلك فقصة « الهدية السنغالية من المرجان في العقود الأدبية للعربان » إنما هي في نهاية الأمر قصة تاريخ الأدب العربي السنغالي على اختلاف العصور وتباين نزعات المنتجين ...

فهي تقدم إلينا شخصيات أدبية تمتع بعضها بالواسع من الشهرة وبعضها الآخر بالمتوسط منها . كما تنفض التراب عن شخصيات أخرى كانت مجهولة أو تكاد ، مع ما لها من دور في تشييد صرح الأدب العربي السنغالي ... فإذا نحن أمام صورة حيّة تجسم لنا هؤلاء الشخصيات من خلال آثارها في موضوعية ومنهجية .

وحين فرغت من القراءة الأولية لهذا الكتاب انثال على خاطري هذه الأبيات فقيّدتها تحت عنوان (لا شرقية ولا غربية) مع رجائي الأكيد أن يتحقق الأمل الذي عبر عنه السيد صمب في نهاية الكتاب والذي تمثل – فيما تمثل – في حفز الباحثين على توسيع ما تضمنته رسالته من مباحث ... ولا أخال هذا الأمل إلّا متحققاً بإذن الله .

لا شرقيـــة ولا غـربيـــة

لا لشيء هذا الشعر أنظمه ... سوى اشادة بمجهود تبذله
مثل رائع في الجدّ تضربه ... وبحث هادف للناس تخرجه
تحيي به ما انطمست معالمه ... وتفتح باباً واسعاً مداخله
قصدت لنائم المخطوطات توقظه ... وعلى منهاج من العلم تقدّمه
لطالب العلم ويعجب طالبه ... أن وفّقت لاختيار موضوع تدشّنه
توفيق من تمضي به عزيمته ... لشق طريق وعر مسالكه
فتجلي أدباً كاد الدّهر يهمله ... لولا عناية منك تداركه
برهاناً على عبقرية شعب لا يعوزه ... هضم الغريب من الثقافة أو تمثّله
سنغال لله درك من وطن تفتحه ... على تيارات تغايرت منابعه
ففي الشرق كما في الغرب يمثله ... على موائد الأخذ والعطاء أبناؤه
وهاك واحداً من أبنائه عامره ... بالنبعين من ثقافة يعمّره
لا شرقية ولا غربية ثقافته ... وفّق بينهما والتوفيق ما أحسنه
لم ينقلع – رغم هذا – عن أصله ... بل الرسوخ في المنبت عادته
لفت الأنظار لأدب أنتجه ... أدباؤنا . وشعر ما أعذبه
أكثر الله في بلادنا أمثاله ... يعملون – مخلصون – ما يعمله

ا هـ.

مصطفى انجاي الباحث في (ايفان)

٥ / ٢ / ١٩٧٥م

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلم .

بمناسبة صدور الكتاب ..

نظمت هذه الأبيات شكرا للسيد صمب لجهوده الجبارة في الأدب المحلي الإسلامي فقلت كل حرف في اسمه مبدأ بيت . لبحر الخفيف :

ع عمّر الله عامرا[1] وروانا[2] ما كؤوس الآداب قد ناولانا
ا أفلا يشكر الصنيع جميلا وإذا قلت بلى قلت حانا
م ما جفى عامر وما ملّ يوما عن مهمّاته كذا ما توانى
ر ربّ نثر وربّ نظم قديم بك أحياهما الإلٰه صيانا
ص صرت في المعهد الأساسي مديرا بدكار المسؤول عنه (ايفانا)[3]
م من أتى زائراً لآثار أسـلا ف لنا عاد شاكراً لفتانا
ب بارك الله فيك ما دمت حيا ولمن ساعدوك مثل (روانا)

بقلم الشيخ

أحمد التجاني محمد الهادي ترى

---

(١) هو عامر صمب مدير المعهد الأساسي بدكار .

(٢) هو روان امبي مدير المعهد الإسلامي بدكار . وكانا معاً في محل عمل واحد بإيفان دكار قبل تعيينه مديراً في المعهد الإسلامي .

(٣) محل الإدارة .

فهرست أسماء الأماكن والشعوب

[ز]
زَاريَا
زغِنْشُورْ

[س]
سَبَا
سَهَوْتِلْمَا
سَالي
سَالُم
سَمَرا
سنوسه
سع
سَنْسَنْدِنْغْ
سانجُو
سيغُو
سنغال
سنغال (نهر)
سنغال (الشرقية)
سِنُوبَالَلْ
سِردِنَا
سِجِلْمَاسه
سينا
سِنْدُوني
سُوسِي
سُوكُون
سُوكُوتو
سُنْبَا
سُنْغَايْ
سُوغِيرْ
سُورْ

السُّورْبُون
السودان
سُتَيَال
سُوريَا

[ش]
شيقيط

[ص]
الصفا
صحراء
صَنْب سَاجُو
صَنْعَا
صنهاجه
صَرْصار
صقِيس

[ط]
طَبَرسْتَان
طَبَرسْتَان
طَيْبه انْدَقَار
طَيْبه نِيَاسَان
طَيْبه سيبي
طائف
طَنْجَه
طُلَيْطِلة
طُوبي
طرابُلس

[ع]
عين مهدي
عين ماضي
عقْرب
عَوَج
العربية السعودية
عُمان

[غ]
غَبُون
الغَد
غادَمْبا
غَلَمْ
غَامْبيا
غَنْغِلْ
غَابَا
غَانَا
غُبُو
غُلْغُل
غُوفُودَ
غُونْدَاه
غِزِنسِي
غُودْ
غُوري
غُوبَارْ
غَرْنَاطَة
غتْ
غِبلي
غينيا البرتغالية
غينيا

[ف]
الفُرات
فاس

فِرْلُو
فَلُوبْ
فِرْدُو
فُنْيي
فُولِلْ
فُولا
فولادود
فوت جلّي
فوت تُورُ
فرنسا
فارس
فَلَسْطِين

[ق]

القُدْس
قِمُو
القاهرة
قُرطبة
قِنارْ
القيروان

[ك]

كَامَبَرِين
كَاسَمَاسْ
كَجُورْ
كُولِكِ
كُنْغُو
(مستعمرة بلجيكا سابقاً)
كُنِسْتَنْزَا
كَـرْنَا
كَعْبَة

كِدِي
كَبْهِدِي
كِنْجَا
كَانِمْ
كَنِلْ
كَانُو
كَانْسْرِس
كَوْلَكْ
كَرْبَلاء
كَشْنَا
كِبِميرْ
كِيـهَ
كِيلْلِ
كَرْ أَمَدُ وبَا لله
كَرْ حَسَن انْجَايْ
كَـرْ انجَكْ أَمْبِي
كَرْبَاسِنْ
كَرْبَانْ
كُلْدَا
كُنَا كِرِي

[ل]

لَبَنَا
لَاوْ
لَمْتُونَ
لِيبَرْوِيل
لِيمَا
لُورُو
لُوغا

[م]

مَدَغَشْقَر
مَاسِنَا
مَجُنُو
مَالِي
مَامُو
مَانِي – مَانِي
المغرب
مَرَّاكِش
ماتَمْ
المَرْوة
موريتانيا
مايونَبَا
مِسيخِي
مدينة غُنَاسْ
مِسيخِي
مدينة
مَرِينة

[ن]

نْبك بَوَلْ
نْبكِ بَارِي
نْبكِ كَجُور
نَبَاكَلْ
نْبَلْخِي
نْبَنْمَا
نَبَانْد
نْدَرْ
نْدَايْ
نديَابَلِي



الحاج محمّد نياس (١٨٨١ - ١٩٥٧)



الحاج إبراهيم نياس



رقية نياس



الشريف محمد شمس الدين



الحاج هادي توريه



الحاج مالك سه (١٨٥٠ - ١٩٢٢)



الحاج أحمد دم



(الواقفون ، من اليسار إلى اليمين) : الشريف محمد الحبيب ، الحاج سعيد النور نال .
(الجالسون) : الشريف بن أمار ، الحاج عبد العزيز سه .



سيدي أبا بكر سه (١٩٥٧)



الشيخ الحاج أحمد امبك



الحاج منصور سه ١٩٥٧)



الحاج الشيخ غسامه



الحاج محمد الأمين ديوب . والحاج محمد البشير البكي .



الحاج الشيخ البكي



الحاج أحمد بمبه البكي (١٨٥٠ ـ ١٩٢٧)

وعلى شجرة فينانة بجوار الحجرة التي يبات فيها الشاعر محمد المصطفى آن وعلى
جبيس الغداة اخذ القمري يغرد تغريدا تأثرت به نفسيته وأنتج التأثير
هذه القطعة الشعرية المتواضعة :

هَنَا نَيْكَ يَا قُمْرِيُّ أَيْقَظْتَنِي الضُّحَى   بِلَحْنٍ يَرِيهُ البِشْرَ وَالخَيْرَ وَالطَّلحا
وَقَدْ صُحْتَ أَرْنُو الآنَ بِالقُرْبِ مَنْظَرًا   حَوَى الصَّحْوَ وَاليَنْبُوعَ وَالزَّهْرَ وَالطَّلحا
هَنَا نَيْكَ يَا قُمْرِيُّ كَمْ كُنْتَ بَاعِثًا   لِنَفْسِي سُرُورًا يَنْعِشُ القَلْبَ القُحَا
أَرَاكَ شَرِيكِي فِي الحُبُورِ فَكُلُّنَا   يَرُومُ جَمَالًا فِي الطَّبِيعَةِ إِنْ أَضْحَى
أَلَا حَبَّذَا نَوْحُ الصَّبَاحِ يَسُوقُهُ   نَسِيمُ رِيَاضٍ طَاهِرٌ مِنْ ذِي البَطْحَا
أَلَا غَنِّ لِي يَا ذَا الصَّدِيقَ فَإِنَّنِي   أَرَى الغُنْمَ فِي تَغْرِيدِ صَوْتِكَ وَالمَرْحَى
وَصَوْتٍ طَرُوبٍ فِي الصَّبَاحِ سَمِعْتُهُ   فَأَبْعَدَ عَنِّي الحُزْنَ وَالذُّعْرَ وَالشَّحَا
وَفَتَّشْتُ عَنْ أَيِّ المَصَادِرِ جَاءَنِي   وَهَلْ مِنْ عَلَى الفَيْنَانَةِ الدَّوْحَةِ الفَيْحَا
فَأَلْفَيْتُهُ مِنْ شَدْوِكَ الحُلْوِ جَاءَنِي   دَوَالَيْكَ يَا قُمْرِيُّ أَلْحَانُكَ الفُصْحَى

اهـ   تيباس في ١١ يناير ١٩٧٠م.



الحاج عمر تال



دود سيك (ابن المقداد الأصغر)



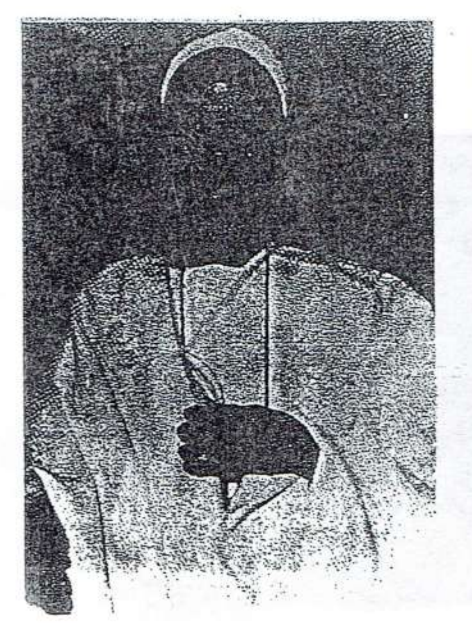
أحمد عيان سه



الشيخ موسى كمرا وتلميذه (واقفاً) مالك كان



المصطفى آن



الشيخ ابن العربي لـه



الحاج محمّد الأمين بن زبير



الحاج عباس سَلْ

الفهرس

الصفحة

الصفحة

مطابع الشروق

بيروت : ص.ب : [illegible] - هاتف : [illegible] - برقياً : داشروق
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : [illegible] - برقياً : شروق القاهرة

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

3 شارع زبروت يوسف - ص . ب 49 الجزائر

الأدب السنغالي العربي